المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر والقاهرة المعزية

تأليف

حسن قاسم

تصدير

الشيخ علي جمعة

تقديم

مصطفى الفقي

اللجنة العلمية

خالد عزب

محمد الجمل

الجزء الثالث

تحقيق

حسام عبد الباسط

مراجعة

محمد أبو العمايم

مكتبة الإسكندرية

٢٠١٧

المزارات الإسلامية والآثار العربية
في مصر والقاهرة المعزية

الجزء الثالث

مدارس القاهرة ودور العلم
ومزارات القرنين السابع والثامن الهجريين

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء - النشر (فان)

قاسم، حسن.

المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر و القاهرة المعزية / تأليف حسن قاسم ؛ تصدير علي جمعة ؛ تقديم مصطفى الفقي ؛ اللجنة العلمية خالد عزب، محمد الجمل ؛ مراجعة محمد أبو العمايم. - الإسكندرية، مصر : مكتبة الإسكندرية، مركز دراسات الحضارة الإسلامية، ٢٠١٧.

مجلدات ؛ سم. (سلسلة دراسات في الحضارة الإسلامية)

تدمك ٢-٤٣٢-٤٥٢-٩٧٧-٩٧٨

المجلد ١. مقدمة في تاريخ العمارة الإسلامية / تحقيق أحمد سالم سالم-- المجلد ٢. المزارات الإسلامية من القرن الأول حتى منتصف القرن السادس الهجري / تحقيق حسام عبد الباسط -- المجلد ٣. مدارس القاهرة ودور العلم ومزارات القرنين السابع والثامن الهجريين / تحقيق حسام عبد الباسط -- المجلد ٤. المزارات الإسلامية في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ومزارات جنوب وشرق القاهرة / تحقيق حسام عبد الباسط، محمود عبد الباسط -- المجلد ٥. المزارات الإسلامية من القرن العاشر إلى أواسط القرن الثاني عشر الهجري وضرائح العظماء والصلحاء / تحقيق شيماء السايح -- المجلد ٦. الخطط الرئيسية لمدينتي القاهرة والفسطاط والمذكرات والنصوص التاريخية / تحقيق أحمد سالم سالم-- المجلد ٧. مشاهد الأشراف والمساجد النسوية والحديثة المستجدة / تحقيق مجدي علوان -- المجلد ٨. الملاحق.

١. العمارة الإسلامية -- مصر. ٢. الحضارة الإسلامية -- مصر. أ. جمعة، علي، ١٩٥٢- ب. الفقي، مصطفى، ١٩٤٤- ج. عزب، خالد، ١٩٦٦- د. الجمل، محمد عبد المنعم. هـ. أبو العمايم، محمد. و. مركز دراسات الحضارة الإسلامية. ز. العنوان

ديوي ٧٢٠,٩٦٢   ٢٠١٧٨٤٣٤٩٩

ISBN: 978-977-452-432-2
رقم الإيداع : 13493 /2017



المحتويات

الفصل الأول : نشأة مدارس القاهرة ودور العلم

الفصل الثاني: المزارات الإسلامية في القرن السابع الهجري

الفصل الثالث: المزارات الإسلامية في القرن الثامن الهجري







الفصل الأول

نشأة مدارس القاهرة ودور العلم

دار الحديث النبوية بالقاهرة

لا يفوتنا قبل أن نذكر هذه الدار الكاملية أن نقدم بين يدي القارئ عرضًا سريعًا عن نشأة المدارس الإسلامية، ودور الحديث النبوية في الإسلام، مقتبسًا من رسالة لنا في هذا الموضوع، مبينين فيه بقدر المستطاع أشهر هذه المدارس وأولها إنشاء.

وسيبدو أننا نبهنا فيه الأذهان إلى أن هذه الدار الكاملية ليست هي ثاني دار للحديث أنشئت في الإسلام، وليست المدرسة النظامية هي أول مدرسة في الإسلام، كما يقرر المقريزي ذلك وتابعه عليه غيره بل سبقتهما دور ومدارس أخرى(١)، ولعل الأحرى بالنظر من هذا وجود هذا التغاير المعماري في هذه المدارس ومبدأ حدوثه بمصر منذ ذهاب الدولة الفاطمية وإحلال الدولة الأيوبية محلها(٢)، والرأي السائد بأن هذه المدرسة الكاملية هي أول مدرسة ظهرت بهذا النظام المعماري الذي يسمى بالمتعامد(٣)، رأي ينقضه قول المقريزي عن المدرسة الناصرية (٥٦٦هـ/ ١١٧١م) بأنها هي الأولى من هذا النوع تظهر بمصر [انظر المدرسة الناصرية](٤).

وهو قول صحيح، بيد أننا لو تأملناه؛ لوجدنا أنه وجد في عصور سابقة على هذه المدرسة، غير أنه لم يوجد بمصر، بل وجد بالأقطار الشرقية من القرن الثالث، إن لم يكن أسبق من هذا التاريخ، وأكثر ما كان يوجد هذا الطراز بالفرس والشام والعراق.

وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب، أنه ليس لدينا من هذا الطراز في مدينة القاهرة الأثرية ما يمكن تصويره بأسبق من المدرسة المنصورية، فهي الأثر الكامل والصورة المكبرة التي نحتفظ بها من هذا الفن المدارسي، وربما كانت هذه المدرسة هي النموذج الوحيد الذي أنشئت على نمطه نماذج المدارس الحادثة بعدها، وبالرغم من دخول فن جديد على هذا النظام منذ ذهاب دولة المماليك الأخيرة، وإحلال الدولة العثمانية محلها فإن القاهرة الأثرية لم تحرم منه دفعة واحدة، ولعل الأثر الوحيد الذي نريد أن ننبه الأذهان إليه حافظًا لهذا النظام بشكل جلي واضح، هو مدرسة الأمير يوسف السعدي المنشأة في سنة (١٠٤٣- ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٣-١٦٣٤م) [انظر جامع الحين](٥).

---

(١) تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: المعروف بالخطط المقريزية**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مج. ٤، ج.٢ (لندن: دارالفرقان، ٢٠٠٣): ٤٥١-٤٥٢.

(٢) عن مدارس الإسكندرية الحافظية (٥٣٢هـ/ ١١٣٨م)، والمدرسة السلارية (٥٤٦هـ/ ١١٥١م)، انظر: أيمن فؤاد سيد، «المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي»، في **تاريخ المدارس في مصر الإسلامية**، إعداد عبد العظيم رمضان، تاريخ المصريين ٥١ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢): ٨٧-١٣٦.

(٣) حول أنظمة بناء المدارس الأيوبية بمصر والقاهرة، انظر: أحمد فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها**، مج. ٢، **العصر الأيوبي** (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩)؛ أحمد فكري، «خصائص عمارة القاهرة في العصر الأيوبي»، في **أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة: مارس- إبريل ١٩٦٩**، مج. ١ (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠): ١٦٣- ١٩٢؛ حسن الباشا، «دراسة جديدة في نشأة الطراز المعماري للمدرسة المصرية ذات التخطيط =

= المتعامد»، **مجلة كلية الآثار**، العدد ٣ (١٩٨٩): ٤٣- ٨٠؛ عفاف صبرة، «المدارس في العصر الأيوبي»، في **تاريخ المدارس في مصر الإسلامية**، إعداد عبد العظيم رمضان، تاريخ المصريين ٥١ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢): ١٣٧- ٢٠٠.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٥٤.

(٥) جامع يوسف الحين أثر رقم١٩٦، يقع فيما بين شارع الخليج المصري ودرب الجماميز «شارع بورسعيد حاليًّا» بالقرب من موضع قنطرة باب الخرق، وهو ينسب إلى الأمير يوسف بن عبد الله المعروف بتابع السعدي المشهور بالحين، يذكر =

وقد بينا في بحثنا الخاص عن المدارس هذه النظرية، وأوردنا مجموعة هامة جدًّا من المدارس التي اتبع في بنايتها هذا النظام المتعامد؛ في مصر والشام وبغداد واليمن وحلب ومكة والمغرب وبلاد الفرس، ونذكر هنا مجموعة من مدارس مصر الإسلامية والقاهرة الأثرية مما وجد فيها هذا الطراز من سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) إلى نهاية القرن السابع، وجميعها مما بقي لنا أثره، أو تخلفت منه بقايا متغايرة أو محولة.

دار الحديث النبوي بمكة المكرمة

هي أول دار للحديث النبوي، تنشأ بمكة في عصر حضرة النبي ﷺ وكانت في ملك الأرقم بن أبي الأرقم، فأخلاها ثم حولها مدرسة وجعلها ذات جناحين، جناح لدرس مادة الحديث النبوي، وآخر للقراءات، وقد بقيت هذه الدار أحقابًا طويلة، تعرف بدار الحديث والقراءات.

دار الحديث بمكة واليمن والآستانة

وأنشأ الأمير سيف الإسلام طغتكين بن أيوب دارًا للحديث بمكة، كما أنشأ أخرى باليمن، وأنشأ الشيخ شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني الشهرزوري، المولود بكوران سنة (٨١٣هـ/ ١٤١٠م) [المتوفى بالآستانة سنة

= أبو العمايم أن تاريخ بنائه يرجع لسنة (١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م)، انظر: حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية التي صلى فيها فريضة الجمعة حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول**، مج. ١ (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤٦): ٣١٢-٣١٤؛ محمد أبو العمايم، **آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني**، مج.١، **المساجد والمدارس والزوايا**، سلسلة التاريخ والثقافة التركية (إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ٢٠٠٣): ١٥٧- ١٧٠.

(٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م)] دارًا أخرى للحديث النبوي، وأضاف إليها مسجدًا ومدرسة دفن فيها بعد وفاته(١).

دار الحديث النورية

وأول دار تنشأ في قاعدة بلاد الشام لدرس هذه المادة هي دار الحديث النورية أنشأها الملك العادل نور الدين الشهيد محمود بن زنكي بن آق سنقر [المولود سنة (٥١٠هـ/ ١١١٦م)؛ المتوفى سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)] وهي تجاه المدرسة الظاهرية، وقد مات المنشئ قبل أن تتم فأتمها العادل سيف الدين ثم ابنه الملك المعظم عيسى وتمت في سنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م)، ونقل إليها العادل فدفن بها، وقد كانت في بادئ أمرها للشافعية؛ ثم أضيف إليها الحديث النبوي(٢).

ولا تزال منها بقية صالحة للآن، وقسم منها اتخذه المجمع العلمي العربي مقرًّا له من سنة (١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م)، والقسم الآخر صار متحفًا للآثار الإسلامية.

دار الحديث الأشرفية

وأنشأ الملك الأشرف موسى بن الملك العادل بن أيوب في سنة (٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) دارًا أخرى للحديث بجوار قلعة دمشق، وافتتحت رسميًّا في ليلة النصف من شعبان من هذه السنة، وحضر افتتاحها الحافظ أبو عمر عثمان بن الصلاح [المتوفى سنة (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)] وأملى بها الحديث، وقد أودع بها الأشرف نعالاً شريفة من نعال حضرة النبي ﷺ.

(١) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مج. ١(بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢):٢٤١-٢٤٣.

(٢) عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، **الدارس في تاريخ المدارس**، مج. ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠): ٧٤-٧٥.

وأشــهر من تولى الحديث بها ابــن الصلاح هذا، ثم التقى السـبكي والإمام النووي، والمزي والتاج السبكي، وابن حجر وأخيرًا المحدث الشـيخ بدر الدين الحسني، ولا تزال من هــذه الدار بقية صالحة، وجددها الحاج سـعد الله بك حلابة الإسكندري في سنة (١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م)[1].

دار الحديث المستنصرية ببغداد

هذه المدرسة من أعظم مدارس بغداد وأشهر المدارس الإسلامية بعد مدارس نيسابور، أنشأها أبو جعفر المستنصر بــالله الخليفة العباسي، وكملت في سـنة (٦٣١هـ/ ١٢٣٤م)، وملك مصر وقتئذ الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر، ويؤخذ مما ذكره المؤرخون أن الخليفة المستنصر أنشأها برسم مدرسة جامعة تدرس فيها سـائر العلوم والفنون الشرعية والكونية.

وخص لكل علـم جناحًا خاصًّا، وأضـاف إليها دارًا لتحفيظ القرآن الكريم وتدريسـه عرفت بدار القراءات، ودارًا أخرى للحديث النبوي، ودارًا للطب والعلاج، ودارًا للنحو، ومكتبة عامة، ومساكن للطلبة، وصيدلية وإدارة، وجعل لكل جناح مشيخة وخدمة؛ وعدة مرافق كاملة أهمها الساعة التي أودعها بهذه المدرسة من صناعة المهندس علي نور الدين بن ثعلب السـاعاتي المولود سـنة (٦٠١هـ/ ١٢٠٤م) [المتوفى سـنة (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م)] في إيوان خاص كمل بناؤه في سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م)، وتوصف هذه الساعة بأنه لا نظير لها في العالم أجمع من يوم صاغها هذا المهندس البارع حتى اليوم، كانت تشـير إلى الوقت ليلاً ونهارًا بواسطة بندقتين تسـقطان في فمين بارزين، وكلما سقطت بندقة انفتح باب مـن أبوابها الاثني عشر، فيدل بفتحه على الوقت حسـب ترتيـب وضعه، ووضع في أعلى هذه الأبواب صورة ترمز إلى الشمس، فإذا كان الوقت نهارًا ظهرت هذه الصورة، وإذا كان ليلاً تختفي ويظهر بدلاً منهـا صورة أخرى ترمز إلى القمر مضيئًا في الليالي القمرية محتجبًـا في غيرها «انظر طبقات المهندسين في الإسـلام والمخترعات الإسلامية في أوروبا في كتابنا نظام الحكومة النبوية».

وقد استغرق بناء هذه المدرسة وتأثيثها وتنظيمها مدة خمس سنوات من سنة (٦٢٥-٦٣٠هـ/ ١٢٢٨-١٢٣٣م) ، وتولى عمارتها مؤيد الدين أبو طالـب محمد العلقمي، وافتتحت رسميًّا في يوم الخميس لست أيام مضت من شهر رجب من هذه السنة في احتفال حضرة الخليفة ورجال الدولة والقضاة والعلماء والأعيان، وكان يومًا مشهودًا.

وقـد بقيت هذه المدرسـة تشرف ببنيانها الشـامخ ونظامهـا المعجـب على دجلة في الجانب الـشرقي من دار السلام، حتى ذهب بهاؤها ورواؤها بذهاب الدولة العباسية وأفول نجم الخلافة الإسـلامية، فبدأ الوهـن يتطرق إليها والخراب يشـن غارته عليها رغـم كل محاولة، حتى بقيت أطلالاً ماثلة، وتحول ما بقي منهـا إلى خان في عهد الوزير سليمان باشا في سنة (١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م)، ثم مجلسًا عسكريًّا ثـم مخزنًا للملابـس، ثم آلـت بطريق الـشراء إلى دائرة الرسومات في سـنة (١٣١١هـ/ ١٨٩٣م)، واليوم هذه المدرسة المسـتنصرية خربة من كل نواحيها خلا جدارها المشرف على دجلة وإيوان مشـطور، ومذكرتان هما أهم ما بقي من مخلفاتها الأولى على أسكفة شباك الباب الجنوبي ونصها:

البسملة. قد أنشأ هذا المحل رغبة في أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وطلبًا للفوز بجنات الفردوس

(١) النعيمي، المرجع السابق: ١٥-١٧.

التي أعدها للذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلاً، سيدنا ومولانا إمام المسلمين وخليفة رب العالمين أبو جعفر المستنصر بالله أمير المؤمنين، شيد الله معالم الدين بخلود سلطانه وأحي قلوب أهل العلم بتضاعف نعمه وإحسانه وذلك في سنة ثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله

والثانية في طراز مار بأول الجدار إلى نهايته، ونصها:

البسملة. ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون هذا ما أمر بعمله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين الذي طبق البلاد إحسانه وعدله، وغمر العباد بره وفضله، أبو جعفر المنصور المستنصر بالله قرن الله تعالى أوامره الشريفة بالنجاح واليسر وجنوده بالتأييد والنصر، وجعل لأيامه المخلدة جدالاً يكبو جواده، ولآرائه المجدة سعدًا لا يخبو زناده في عز تخضع له الأقدار، فيطيعه عواصيها، وملك تخشع له الملوك فيملك نواصيها، وذلك في سنة ثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا.

وأحسن ما وصفت به هذه المدرسة قول ابن بطوطة في رحلته: «... وبها المذاهب الأربعة، لكل مذهب إيوان فيه المسجد وموضع التدريس وجلوس المدرس في قبة خشب صغيرة على كرسي عليه البسط، ويقعد المدرس لابسًا الثياب السود معتمًا وعلى يمينه ويساره معيدان- يعيدان كل ما يمليه، وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الأربعة».

ومنشئ هذه المدرسة هو الخليفة أبو جعفر المنصور المستنصر بالله منصور بن الظاهر بأمر الله محمد بويع له بالخلافة في سنة (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م)، ويوصف بالعدل والحزم والجد والكياسة، حتى قال الصلاح الصفدي وجمهرة من المؤرخين، إنه لم يل بعد عمر بن عبد العزيز مثله عدلاً وسيرة وهمة، بيد أنه لم تطل مدته فمات في سنة (٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)؛ ودفن في الدار المثمنة أولاً ثم نقل إلى تربته بالرصافة فدفن تحت قبتها، وبويع بعده لولده المستعلي آخر خلفاء بني العباس المقتول من هولاكو سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، وبموته ذهب الله بالخلافة العباسية وبملك دار السلام.

المدرسة النظامية

هي أقدم مدرسة في بغداد أنشأها الوزير نظام الملك قوام الدين الحسن بن علي بن إسحق بن عباس الطوسي وزير الدولة السلجوقية في عهد ملك شاه بن ألب بن أرسلان السلجوقي وابتدأ بإنشائها في سنة (٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م)، وكملت في سنة (٤٥٩هـ/ ١٠٧٦م)، وافتتحت رسميًّا في ذي القعدة من هذه السنة، وتوفي منشؤها في سنة (٤٥٨هـ/١٠٧٥م)، وله مدرسة بالموصل وأخرى بجزيرة ابن عمرو، ويبدو أنه أراد بالاستكثار من هذه المدارس مجاراة ملوك ووزراء دولة بني سبكتكين بنيسابور ومن أشهر مدارسهم؛ المدرسة البيهقية والنورية والمحمودية والسعيدية[1].

وفي سنة (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) أضاف إليها الخليفة الناصر لدين الله العباسي جناحًا نقل فيه دار الكتب النظامية وزودها بالكتب ورتبها، وعين لها خدمة وأمناء وقومة، وزادها عشرة آلاف مجلد [انظر النجوم الزاهرة]، ومن أشهر

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٥١-٤٥٢.

مدرسي هذه المدرسة حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، وفخر الإسلام الشاشي، وأبو إسحاق الشيرازي[١].

وقد شاء الله تعالى أن تظل هذه المدرسة فترة ثم تخربت، ولم يبقَ منها إلا بقايا مئذنة من مسجدها الجامع، يسميها أهل بغداد اليوم بالمنارة المقطومة، وصارت المحلة التي تقع فيها علمًا عليها حتى الآن.

أقدم المدارس الإسلامية في مصر

وأقدم المدارس الإسلامية في مصر المسبوقة على عهد المدرسة الكاملية هي المدرسة الناصرية، وهي أول مدرسة تنشأ بمصر في آخر الحكم الفاطمي، بأمر الوزير صلاح الدين.

المدرسة الناصرية أو الشريفية

ومن مجموع ما ذكره المقريزي عن هذه المدرسة في الخطط، يستدل أن موضعها كان في بادئ الأمر في ملك نافع بن عبد القيس الفهري، وكان بها داره فاستبدلها منه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وحولها إلى خطة عرفت به ثم بنى فيها دارًا أوقفها على المسلمين للمنافع العامة، فاستخدمها أسامة بن زيد التنوخي متولي خراج مصر مخزنًا لكمية من الفلفل كان قد اشتراها من موسى بن وردان بعشرين ألف دينار، برسم إهدائها إلى ملك الروم من الوليد ابن عبد الملك[٢].

فلما تولى عمر بن عبد العزيز على مصر أمر أن تحول منها هذه الكمية من الفلفل وتدفع إلى صاحبها، ثم حولها دار شرطة ودار صرف أي مأمورية ضبط ومخزن توريدات.

فبقيت كذلك حتى تولى على مصر عيسى بن يزيد الجلودي في عهد الخليفة المأمون، فأمر في سنة (٢١٣هـ/ ٨٢٨م) بإعدادها للشرطة فجددها وأعاد بناءها، ومن حينئذ تظهر هذه الدار من داخل الجامع العتيق أي جامع عمرو في الجهة الشرقية منه (القبلية سابقًا) بزيادة عبد الله ابن طاهر التي أتمها عيسى المذكور، يؤيده ما ورد أنه بعد الفراغ من بنائها نقش في لوح كبير وضعه على باب الجامع القبلي الذي يدخل منه إلى هذه الدار ما نصه:

البسملة بركة من الله لعبده عبد الله الإمام المأمون
أمير المؤمنين أمر بإقامة هذه الدار الهاشمية المباركة
على يد عيسى بن يزيد الجلودي مولى أمير المؤمنين
سنة ثلاث عشر ومائتين

قال المقريزي: «ولم يزل هذا اللوح على باب الشرطة إلى صفر سنة (٣٨١هـ/ ٩٩١م) حتى قلعه يانس العزيزي، ويظهر أنها بقيت خالية بعد ذلك، ثم تحولت إلى سجن عرف بحبس المعونة، فلما كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب يتولى وزارة دار الخلافة الفاطمية في عهد الخليفة العاضد أمر في أول سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧١م) بتحويلها إلى مدرسة للشافعية»، قال المقريزي: «وهي أول مدرسة عملت بديار مصر، وأول من ولي التدريس بها هو أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقي المعروف بابن زين التجار [المتوفى سنة (٥٩١هـ/ ١١٩٥م)] فعرفت به، ثم تولى بعده كمال الدين أحمد بن شيخ الشيوخ صدر الدين محمد بن عماد الدين بن علي بن محمد بن حمويه الجويني

(١) قد أفرد هذه المدرسة بالبحث أسعد طلس في رسالة طبعت في باريس سنة (١٩٣٩م) بالفرنسية. (المؤلف)

(٢) هو القيصر جستنيان الثاني الذي آل إليه حكم الروم في بيزنطة في سنة (٦٦-٩٣هـ/ ٦٨٥-٧١١م). (المؤلف)

نائب حران والجزيرة في عهد الملك الكامل، وشـــيخ الشيوخ بالديار المصرية ومقدم العساكر في عهد الصالح نجم الدين أيـــوب [المتوفى بغزة ســـنة (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م)] ثـــم درس بها بعده الشريف القاضي محمد بن الحســـين بن محمد الحنفي قاضي العســـكر ونقيب الأشراف بمصر [توفي سنة (٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م)] وأصله من شرفـــاء الرملة من البيت النبوي فأبوه هو الحسين بن الحسن بن زيد بن الحسين بن مظفر بن علي ابن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين ابن السيدة فاطمة الزهراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا».

قال المقريزي: «فعرفت به، وقيل لها المدرسة الشريفية من عهده إلى اليوم، ولولا ما يتناوله الفقهاء من المعلوم بها لخربت فإن الكيمان ملاصقة لهـــا بعد ما كان حولها أعمر موضع في الدنيا»[1].

المدرسة القمحية

في المقريزي: «أنها بجوار الجامع، كان موضعها قيسارية يباع فيها الغزل، أنشـــأها الناصر صلاح الدين يوسف أيام وزارتـــه للعاضد في ســـنة (٥٦٦هـ/ ١١٧١م) في التاريخ الذي أنشأ فيه المدرسة السالفة الذكر، وخصصها للمالكية ووقف عليها أوقافًا بقيت إلى سنة (٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م)، ثم حلها الملك الأشرف برســـباي، وقد دخلت هذه المدرســـة في زيادات جامع عمرو»[2].

مدرسة سعيد السعداء

هذه المدرســـة برحبة باب العيـــد (الجمالية)، كانت في الأصل دارًا للأســـتاذ عنبر المســـتنصري المقتول في سنة (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)، وســـكنها الوزير رزيك بن الصالح طلائع لقربها مـــن دار الوزارة، مقر جلوســـه للحكم وقد جعل بينهما طريقًا تحت الأرض ليمـــر منه محتجبًا مخافة القتل، ثم ســـكنها بعده الوزير شـــاور بن مجير، وفي سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) حولها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى مدرســـة للصوفية، وأوقف عليها أوقاف داره، وأضاف إليها جناحًا خاصًا جعله ملجأ للطلبة الواردين من الأقطار الشرقية الهندية، وبنى مســـاكن ومرافق كاملة، واشتهرت هذه المدرســـة اشـــتهارًا كبيرًا، وبلغت درجة شيخها مبلغ درجة الوزير وتولى مشـــيختها طائفـــة من أولاد بني حمويه الجويني، ولقب شيخها بشيخ الشـــيوخ، وفي سنة (٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م) أحـــدث الشـــيخ أحمد الأنصاري شـــيخها مئذنة بها، وجدد أوقافها واســـتقر بها إلى وفاته في ســـنة (٧٩٣هـ/ ١٣٩١م)، وفي سنة (٧٩٧هـ/ ١٣٩٥م) تولى النظر عليها الأمير يلبغا السالمي وزير الملك الظاهر برقوق فأحدث بها بعض التجديدات، وفي سنة (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) جددها الأمير تغري بردي القادري، ولم يحدث بها تجديد بعد ذلك التاريخ، إلا منذ (١٠٦٤هـ/ ١٦٥٤م) على عهد الوزير محمد باشا وقد تغيرت

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٤٥٤-٤٥٥.

(٢) إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي بن دقماق، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها**، مج. ٤ (بيروت: دار الآفاق الجديدة، [-١٩٤، -١٩٨]): ٩٥؛ تقي الدين أبو العباس أحمد ابن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، **اتعاظ الحنفا بأخبار** = **الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق محمد حلمي، مج. ٣ (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٣): ٣١٩؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٤٤٥- ٤٤٦؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، مج. ٥ (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣):٣٨٥.

معالم هذه المدرسة تغيرًا كبيرًا وبالرغم من ذلك فإنها لا تزال حافظة لرسومها [انظر جامع سعيد السعداء][١].

مدرسة ابن الأرسوفي

ذكر عنها المقريزي: «أنها كانت بالبزازين التي تجاور خط النخالين، عرفت بابن الأرسوفي التاجر العسقلاني، وكان بناؤها في سنة (٥٧٠هـ/ ١١٧٤م)، وهو عفيف الدين عبد الله بن محمد الأرسوفي مات بمصر في يوم الإثنين ٢١ من ربيع الأول سنة (٥٩٣هـ/ ١١٦٨م)»[٢].

أقول تحولت هذه المدرسة إلى زاوية سكنها الشيخ عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري الشافعي المعروف بالديريني [المتوفى سنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م)] يؤيده ما ورد في كتاب «المنهاج الواضح في كرامات أبي محمد صالح»، مؤلف الشيخ أحمد بن إبراهيم بن صالح المغربي، حيث ذكر أنه عندما حل بمصر زار الشيخ الديريني المذكور بزاويته بخط النخالين ثم ذكر صحبته بعمه الشيخ عبد العزيز بن صالح ابن ينصارن الماجري المغربي المالكي نزيل ديرين [والمتوفى بها في سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م)] وأفاد أنه مدحه بقصيدة أثبتها في ديوانه وذكره في معجم شيوخه.

ومما ذكر يتبين أن الجامع المعروف بالديريني بنهاية جزيرة الروضة من جهة الشمال هو نفس مدرسة ابن الأرسوفي، وأن الضريح الموجود به إلى الآن باسم الشيخ الديريني فيه الشيخ عبد العزيز بن أحمد الدميري المعروف بالديريني [المتوفى سنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م)]، وأن الضريح الموجود بديرين المعروف بسيدي عبد العزيز الديريني فيه الشيخ عبد العزيز بن الولي المشهور بالشيخ أبي محمد صالح دفين رباط أسفي بالمغرب هاجر من المغرب إلى مصر وسكن بديرين حتى توفي بها في التاريخ المتقدم [انظر المصدر المشار إليه، وانظر ترجمة الشيخ الديريني المصري] مخطوط بمكتبة الشيخ رحيم والمكتبة الصديقية؛ وهذا يزيل اللبس الذي علق بالأذهان عن الديريني هذا وذاك [انظر جامع الديريني][٣].

المدرسة القطبية

في المقريزي أن هذه المدرسة بالقاهرة في خط سويقة الصاحب بداخل درب الحريري، كانت هي والمدرسة السيفية من حقوق دار الديباج، وأنشأ هذه المدرسة الأمير قطب الدين خسرو بن بليل بن شجاع الهدباني في سنة (٥٧٠هـ/ ١١٧٤م)، وجعلها وقفًا على الفقهاء الشافعية، وهو أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وبالبحث عن هذه المدرسة وجد أنها كانت بداخل حارة الملطي من شارع الحمزاوي بجوار رقم١٤، ولا تزال أطلالها ماثلة للآن، وشاهدنا بعض مفرداتها مطمورة تحت الأنقاض، يؤيده أن المدرسة السيفية التي تجاورها هي الجامع المعروف بعثمان الحطاب، وبينهما بضع خطوات من حارة الحطابي[٤].

---

(١) محيي الدِّين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري، **الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة**، تحقيق أيمن فؤاد سيد (القاهرة: الدار العربية، ١٩٩٦م): ٤٩- ٥٥؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٧٢٧-٧٣٢.

(٢) ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ٩٨؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٤٥٦.

(٣) عن جامع الدريني بالروضة وترجمة الديريني وقبره ببلدة ديرين شرقي نبروه، انظر: علي مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٤: ١١٣؛ مج. ١١: ٧٢؛ سعاد ماهر محمد، **مساجد مصر وأولياؤها الصالحين**، مج. ٣ (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦٩): ١٠٠- ١٠٤. (المراجع)

(٤) ابن عبد الظاهر، **الروضة البهية**: ٩٠؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٦٠، هامش ١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ١٦، هامش ٧.

مدرسة منازل العز

في المقريزي أن هذه المدرسة كانت من دور الخلفاء الفاطميين، بنتها أم الخليفة العزيز بالله بن المعز، وعرفت بمنازل العز وكانت تشرف على النيل، ثم ذكر أنها آلت إلى صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م)، فأسكنها ابن أخيه الملك تقي الدين عمر بن أيوب إلى سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، فحولها مدرسة للشافعية وحبس عليها أوقاف داره. فصلها المقريزي، ومن ثم عرفت بالمدرسة التقوية(١).

وبالبحث وجد أن هذه المدرسة هي الجامع المعروف بشهاب الدين أحمد المرحومي من علماء القرن التاسع، بشارع المرحومي بالفسطاط يؤيده وضع هذه المدرسة في المنطقة التي يمكن تطبيقها على وصف المقريزي لموقعها، ويدل عليه كلام ابن دقماق، حيث جعلها قريبة من فندق الكارم الذي يلاصق مدرسة حسن بن سويد، وهي المدرسة المعروفة بالسويدي بشارع السويدي؛ وبينهما خطوات يسيرة، ووجدت في مستندات ملكية هذه المنطقة تسمية المسجد بزاوية الكونـدكي، والخط بحمام جمـدار، ومات المرحومي سنة (٩٢١هـ/ ١٥١٥م)(٢).

(١) عن سيرة تقي الدين عمر، انظر: تقي الدين أبو العباس أحمد ابن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مج. ١ (القاهرة، ١٩٧٠): ١٠٧؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٥٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ١١٣- ١١٤.

(٢) ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ٩٣- ٩٤؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ٣: ٣٢٠؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٥٦- ٤٥٨، هامش٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٥: ٣٨٦، هامش١.

المدرسة السيوفية

هذه المدرسة بشارع المعز لدين الله «الخردجية سابقًا ثم سوق باب الزهومة»، كانت دارًا للوزير محمد بن فاتك المأمون البطائحي وزير الخليفة الآمر(٣)، فأنشأها صلاح الدين في سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٥م) مدرسة للحنفية وأوقف عليها أوقافًا ذكرها المقريزي في الخطط(٤).

ويقول يوسف بن تغري بردي في النجوم: «إنها كانت دارًا للوزير عباس بن يحيى المعزي وزير الخليفة الحافظ [المتوفى سنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م)]، وحولها صلاح الدين مدرسة»(٥)، وقد أخطأ ابن تغري بردي في هذا الوضع، إذ أن المؤكد أن دار الوزير عباس المذكور هي المسجد الذي عرف في بادئ الأمر بالمشهد(٦)، ثم بمسجد الحلبيين، ثم بالمدرسة

(٣) دار المأمون البطائحي: كانت بجوار درب السلسلة، عرفت قديمًا بدار قوام الدولة حبوب، ثم أصبحت سكنًا للمأمون بن البطائحي، ثم عرفت بعد ذلك بسكن الوزير عباس وزير الفائز بنصر الله، ثم جددها المأمون محمد بن فاتك، وهي اليوم المدرسة السيوفية، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٦٠؛ ابن ميسر تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب، **المنتقى من أخبار مصر**، تحقيق أيمن فؤاد السيد، (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، [١٩٨١]): ٨٨، ١٤٧، ٣١٨، ٥٠٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٥: ٢٩٠، هامش ١.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٦٠-٤٦١.

(٥) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٢٦، ٩٣.

(٦) ابن ميسر، **المنتقى من أخبار مصر**: ١٥٠؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧١٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٥٢، هامش ١.

القادرية[1]، وهو ما نعرفه الآن باسم جامع الجوهري، بشارع السكة الجديدة [انظر ترجمة هذا الجامع][2].

وقد بقيت المدرسة السيوفية قائمة بوظائفها حتى تخربت، فجددها الأمير عبد الرحمن كتخدا في سنة (١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م) ودفن بها أمه [انظر جامع المطهر][3].

المدرسة الصلاحية

لا يوجد بين المدارس الإسلامية في مصر أكثر ذكرًا في مصادر التاريخ الإسلامي من هذه المدرسة، ويعتبر الرحالة محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي [المولود سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) ببلنسية؛ المتوفى سنة (٦١٤هـ/ ١٢١٧م) بالإسكندرية] أول ذاكر لها، فقد دخل القاهرة في سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٤م)، أثناء عمارة هذه المدرسة، واجتمع بالشيخ نجم الدين الخبوشاني شيخها وبالغ في الثناء عليه [انظر رحلة ابن جبير].

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٤: ٢٣٣؛ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مج. ١ مكتبة الأسرة (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٨): ٤٩٣.

(٢) وقد دخل هذا المسجد في أرض المدرسة السيوفية التي حل محلها الآن الجامع المعروف بجامع الشيخ مطهر، الذي عمره عبد الرحمن كتخدا القازدوغلي سنة (١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م)، والواقع على يسار الداخل في شارع المعز من جهة شارع جوهر القائد بجوار محل السرجاني، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧١٠.

(٣) المرجع السابق: ٤٦٠- ٤٦١، هامش٣؛ الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٢: ٤، ٨-٩؛ علي مبارك، **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، مج. ٥ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٧): ٢٦٥-٢٦٦.

ثم ذكرها أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي [المتوفى سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)] في «مرآة الزمان»، وذكرها بعده أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر بن خلكان الأربلي [المولود سنة (٦٠٨هـ/ ١٢١١م)؛ المتوفى سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)] في «وفيات الأعيان»، وذكرها صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي [المتوفى سنة (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)] في «الوافي»، وذكرها صلاح الدين محمد ابن أحمد المعروف بابن شاكر الكتبي [المتوفى سنة (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)] في «عيون التواريخ»، وذكرها عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي [المتوفى سنة (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)] في «مرآة الجنان»، وذكرها تقي الدين أحمد بن عبد القادر المقريزي [المتوفى سنة (٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)] وسماها المدرسة الناصرية «كتاب الخطط»[4]، وذكرها الحافظ بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني [المتوفى سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)] في «عقد الجمان»، وذكرها جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي الظاهري [المولود سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م)؛ المتوفى سنة (٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)] في «النجوم الزاهرة»، وذكرها الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي [المتوفى سنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)] في «الضوء اللامع، والتبر المسبوك، والجواهر والدرر»، وذكرها ناصر الدين محمد ابن عبد الرحيم بن علي المعروف بابن الفرات [المولود سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م)؛ المتوفى سنة (٩٠٧هـ/ ١٥٠١م)] في «تاريخ الدول والملوك»، وذكرها الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، [المتوفى سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)] في «حسن المحاضرة»، وذكرها محمد بن أحمد بن إياس الفخري الظاهري [المتوفى سنة (٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)] في «تاريخ مصر».

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ١٨٠، ٣٩٧.

وذكرها غير هؤلاء جماعة من شيوخ الزيارات؛ أمثال: ابن عثمان المكي في «مرشد الزوار»، وابن عين الفضلاء، ومحب الدين بن الناسخ في (مصباح الدياجي)، وشمس الدين محمد بن الزيات في «الكواكب السيارة»، وعلي بن أحمد السخاوي الحنفي في «تحفة الأحباب»، وآخر الذاكرين لها المؤرخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي [المتوفى سنة (١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م)].

وقد تواطأت كلمة هؤلاء المؤرخين على أنها أنشئت في سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م)؛ وكملت في سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)، باستدعاء الشيخ نجم الدين أبي البركات محمد بن الموفق بن سعيد بن علي بن الحسن بن عبد الله الشافعي الخبوشاني [المتوفى في صفر سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م)]، وبإشارته على السلطان ببنائها في جوار ضريح الإمام الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ويؤكد صاحب مرآة الزمان «أن السلطان أعطى المال اللازم لنفقتها إلى نجم الدين المذكور وكان مالاً له صورة، فاستنفذه نجم الدين المذكور في العمارة، وتبقى فيها شيء فاستزاد السلطان فزاده»، وقد استطاع نجم الدين الخبوشاني بما أغدق به السلطان على هذه المدرسة ورصد لها من مصروف أن يظهرها بمظهر تعالت به على كل المدارس السابقة عليها.

وهذا ما يؤخذ من وصف ابن جبير لها إذ يقول: «إنها مدرسة لم يعمر في هذه البلاد مثلها لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء، يخيل لمن يتطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته، بإزائها الحمام إلى غير ذلك من مرافقها»، وبعد أن تمت على الوضع الذي رسمه لها وقف عليها السلطان قطعة أرض كبيرة ظاهر القاهرة كانت تعرف فيما سبق بجزيرة الفيل، وهي الآن حيث المنطقة المعروفة بجزيرة بدران، يدخل فيها قطعة من أرض شبرا وقطعة من أرض السبتية[١].

كما أوقف عليها ما بني بظاهر المدرسة من الحوانيت المجاورة للحمام والفرن، ثم رتب لها المرتبات وعين لها خدمة وأنزل بها الطلاب، وقرر عليهم الشيخ نجم الدين أبا البركات الخبوشاني المذكور شيخًا عليهم، وخصصها للدرس على مذهب الشافعية كطلب الشيخ نجم الدين، فما برحت هذه المدرسة قائمة بوظائفها تؤدي رسالتها كاملة حتى توفي شيخها الشيخ نجم الدين في سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، ولحق به صلاح الدين في سنة (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، وتعين في مشيختها شيخ الشيوخ صدر الدين محمد بن عمر بن حمويه الجويني [المتوفى سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)]، وبالرغم من أن هذه المدرسة حاولت أن تبقى إلى ما بعد سنة (١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م)، فإن نجمها بدأ يأفل بعد وفاة شيخها الأول فيقول المقريزي: «إنها خلت من مدرسين ثلاثين سنة، واكتُفي فيها بالمعيدين، وهم عشرة أنفس».

ويبدو مما ذكره أن هذه المدة التي خلت فيها من المدرسين كانت بعد ذهاب الدولة الأيوبية وقيام دولة الأتراك محلها، وإلا لاستحال أن يترك خلفاء منشئها هذه المدرسة مهملة طيلة هذه المدة مع إمكانهم إقامة شعائرها على أكمل الوجوه، فلما صار حكم مصر إلى الملك السعيد بركة خان الظاهر بيبرس البندقداري أمر في سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م) بتعيين القاضي تقي الدين محمد بن رزين الحموي مدرسًا لها، بيد أنه قرر له كما يقول المقريزي: «نصف المعلوم الذي كان مقررًا للمدرس من قبل»، فبقي ملازمًا

(١) عن جزيرة الفيل، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ٥٩٠-٥٩٣، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٣٠٩-٣١٠، هامش ٣.

التدريس بها حتى مات فتولى بعده الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد [المتوفى سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)] بربع المعلوم.

وهكذا مضت هذه المدرسة في التناقص لهذه الأسباب، فتولى مشيختها القاضي برهان الدين الخضر بن الحسين بن علي الشافعي [المتوفى سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م)][(١)]، وحين تولى هذا الشيخ إدارة هذه المدرسة بدأت تستعيد ماضيها نوعًا ما؛ فإنه أولاً استطاع أن يطبق شرط الواقف في مسألة التعيين المقرر لمدرسها؛ فقبض المرتب جميعه، ثم نظم إدارة وقفها تنظيمًا كفل الراحة للطلبة من بعض الوجوه.

ومن ذلك الحين بدأت الحياة تعود إليها، فأقبل عليها الطلاب من كل حدب وصوب حتى ضاقت بهم رحباتها، فالتمس الشيخ أمين الدين يحيى بن محمد بن إبراهيم الأقصرائي شيخ الحنفية [المتوفى سنة (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م)] من السلطان الملك الأشرف قايتباي تجديد إيوان بها وإصلاحها، فأمر السلطان بإضافة جناح إلى المدرسة الصلاحية في حوالي سنة (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)، وبلغت نفقاته فيما يقول السخاوي أكثر من ألف دينار أي حوالي ستماية جنيه مصري، قال: «ولزم من ذلك استقامة محرابها»[(٢)].

بقيت هذه المدرسة على هذا النحو حقبة طويلة ثم بدأ الخراب يتطرق إليها، ففي سنة (١١٧٥هـ/ ١٧٦١م) أمر الأمير عبد الرحمن كتخدا بإصلاحها، وتجديد مسجد لإقامة الجمعة والجماعات بالجزء المتخرب منها، وهذا ما نفهمه من كلام المؤرخ الجبرتي في تاريخه، فإنه ذكر في الكلام على عمارات هذا الأمير هذه العبارة: «وعمر المسجد بجوار ضريح الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مكان المدرسة الصلاحية، وعمل عند باب القبة الصهريج والمقصورة الكبيرة التي بها ضريح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري فيما بين المسجد ودهليز القبة، وفرش طريق القبة بالرخام الملون، يسلك إليه بدهليز طويل متسع وعليه بوابة كبيرة من داخل الدهليز البراني، وعلى الدهليز البراني من كلا الجهتين بوابتين»[(٣)].

ولا يمكن أن نفهم من هذه العبارة أن المدرسة الصلاحية ذهبت ببناء هذا المسجد، إذ أنه لا يستقيم مع قوله الآخر في ترجمة الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر [المتوفى سنة (١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م)] فقد ذكر ما كان بينه وبين الشيخ مصطفى الصاوي من المنافسة حول المشيخة، فلما تغلب الشرقاوي عليه وعين شيخًا للأزهر في سنة (١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م)، بقي الشيخ الصاوي شيخًا للمدرسة الصلاحية وناظرًا على جهات وقفها [انظر المصدر المشار إليه][(٤)]، ثم عزل عنها، وتولى بعده الشيخ العروسي، ثم الشيخ محمد المصيلحي، ثم أعيد إليها الصاوي مرة ثانية وبقي حتى مات، فتولى بعده الشيخ محمد الشبراويني.

وظهر من كلام الجبرتي أن أوقافها ووظائفها كانت لا تزال باقية إلى ذلك الحين، ويؤيده أن أمير اللواء علي بك الدفتردار جدد عمارة هذه المدرسة الصلاحية في سنة (١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م) وبلطها وبيضها؛ وأثبت لتاريخ هذه العمارة مذكرة كان يقرأ فيها ما نصه:

جدد عمارة المدرسة الشريفة وتبييضها وتبليطها
وعمارة الميضأة المباركة أمير اللواء الشريف

(١) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، تحقيق محمد محمد أمين، مج. ٥ (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٩): ٢٢٢- ٢٢٣.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ٢٤٢.

(٣) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٢: ٦.

(٤) المرجع السابق، مج. ٤: ١٦٠.

الســـلطاني علي بيك دفتردار- مــصر حالا في ذي القعدة سنة أربع ومائتين وألف

ويمكـن أن يقال إن عبـــد الرحمن رغب في أن يجعل مسجد الشـــافعي في مكان المدرسة الصلاحية لتهدم مسجد الكامل وعدم صلاحية وجوده بالمنطقة القائمة عليها، واتساع المدرسة الصلاحية لمســجد جامع يكثر فيه ازدحام الناس ولا سيما في يوم الجمعة، وبالرغم من ذلك فلم تبطل الدروس من المدرســة الصلاحية ولم يختف اسمها حتى أواخر القرن المنصرم، فلما تهدم مسجد الشافعي والمدرسة الصلاحية قام على أنقاضها جامع الإمام الشـــافعي الباقي حتى اليوم، وليس من شك أن هذه المدرسة كانت تشغل جميع الأرض التي يقوم عليها جامع الشافعي الحديث حتى دار الوضوء الذي تليه من جهــة الغرب[1]، وما بين ذلك من المبــاح والمصلى، وفي الحد الجنوبي منها بنى القاضي شرف الدين الصغير ناظر الدولة في عصر الغوري تربته التي دفن فيها الشـــيخ زكريا الأنصاري، وقد دثرت هذه التربة، وتبقى منها الدهليز الذي يشـــير إليه الجبرتي في عبارته «انظر مسجد وقبة الشافعي».

ومن مجموع ما ذكر يتضح أن المدرســـة الصلاحية قد تلاشـــت واختفت، وليس لها أي أثر يذكـــر اليوم، والبقية الباقية في الشـــمال الشرقي بقبة الإمام الشـــافعي باسم بقايا المدرسة الصلاحية ليست إلا بقية من مسجد الكامل الذي جدده في ســـنة (٦٠٧هـ/ ١٢١٠م) من بنـــاء العزيز بن المعز في ســـنة (٣٦٦هـ/ ٩٧٦م)، وقد ذكرنا هذه النصوص التاريخية التي تخلفت من هذه المدرسة من عهد منشئها صلاح الدين [انظر مسجد الشافعي].

(١) تم هدم هذه الميضأة الفاخرة التي ترجع لعصر الخديو توفيق، ومكانها الآن دار مناسبات. (المراجع)

المدرسة الفاضلية

في المقريـــزي أن هذه المدرســـة بـــدرب ملوخيا من القاهــرة[2]، بناها القـــاضي الفاضل عبـــد الرحيم بن علي البيســـاني بجوار داره في سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)[3]، ووقفها على طائفتي الفقهاء الشـــافعية والمالكية؛ وجعل فيها قاعة أقرأ فيها الإمام أبو محمد الشـــاطبي ناظم الشاطبية[4]، ثم تلميذه أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي، ووقف بهذه المدرســـة جملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم، وإلى جانب المدرسة كتاب برسم الأيتام، وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها، وقد تلاشت لخراب ما حولها[5].

بالبحـــث عن هذه المدرســـة وجد أنهـــا كانت بدرب القزازين رقم٢٤، وقد بقيت قائمة حتى أوائل القرن العاشر؛

(٢) عن درب ملوخيا، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١١١.

(٣) عن سيرة القاضي الفاضل، انظر: عبد اللطيف البغدادي، **كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر**، ط. ٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨): ٤١-٤٢؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان**، تحقيق إحسان عباس، مج. ٣ (بيروت: دار صادر، ١٩٧٠): ١٥٨-١٥٩؛ المقريزي: **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٦٣-٤٦٥.

(٤) عن سيرة الإمام الشاطبي، انظر: شمس الدين أبي الخير محمد ابن محمد بن الجزري، **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق ج. برجستراسر، مج. ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦): ٢٠-٢٢؛ شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي، **تراجم رجال القرنين السادس والسابع: المعروف بالذيل على الروضتين**، تحقيق إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢): ٦-٧؛ صلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدي، **نكت الهميان في نكت العميان**، تحقيق أحمد زكي بك (القاهرة: المطبعة الجمالية، ١٩١١): ٢٢٨-٢٢٩.

(٥) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٦٢.

كما يبدو من كلام ابن إياس، حيث ذكر أن المصحف العثماني الذي يشير إليه المقريزي في كتب هذه المدرسة، أخذه السلطان الغوري في سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، وأودعه بمدرسته ضمن الآثار النبوية التي أخذها من رباط الآثار[١].

وبالرغم من اختفاء هذه المدرسة نهائيًّا، فقد بقي منها الكتاب المشار إليه معروفًا بكتاب عبد الرحيم، ومنذ نصف قرن كان يعرف بزاوية سيدي عبد الرحيم.

المدرسة الفاضلية بدمشق

وللفاضل هذا مدرسة أخرى أنشأها بعاصمة الديار الشامية بالموضع المعروف بالكلاسة للحديث النبوي، وقد بقيت قائمة تؤدي رسالتها زمنًا حتى سنة (٩١٥هـ/ ١٥٠٩م)، فاستولى عليها الأمير محب الدين ناظر الجيوش فعرفت به، ولما مات دفن بها، وقد تخربت الآن وقبره لا يزال موجودًا بها مطمورًا تحت أنقاضها [انظر الدارس ومنادمة الأطلال][٢]، وله بالقاهرة فندق الفاضل داخل باب زويلة، وقد دخل بالتحكير في وقف الملك المؤيد شيخ، وأخيرًا في وقف المرحومة الست نفيسة منذ سنة (١٢١١هـ/ ١٧٩٦م).

المدرسة الأزكشية

في المقريزي أن هذه المدرسة على رأس السوق الذي كان يعرف بالخروقيين، ويعرف اليوم بسويقة أمير الجيوش بناها الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدي مملوك أسد الدين شيركوه أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وجعلها وقفًا على فقهاء الحنفية وذلك في سنة (٥٩٢هـ/ ١١٩٥م)، وتوفي منشؤها سنة (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)[٣].

بالبحث تبين لنا أن الزاوية المعروفة بالكشكشية بأول شارع أمير الجيوش الجواني هي نفس هذه المدرسة يدل عليه هذا التصحيف الظاهر، ثم كلام علي السخاوي في تحفة الأحباب، فإنه حينما تقدم إلى هذه المنطقة ذكر أنها بخط سوق أمير الجيوش وأفاد أن الشيخ أمين الدين العمري كان نازلاً بها[٤].

وقد أقام بهذه المدرسة مدرسًا بها زمنًا طويلًا الشيخ نجم الدين إسحاق بن علي بن يحيى نائب الحكم بالديار المصرية؛ ومات بها سنة (٧١١هـ/ ١٣١١م)، ترجمه صاحب المنهل[٥].

المدرسة العاشورية

في المقريزي أن هذه المدرسة بحارة زويلة من القاهرة بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة ورحبة كوكاي، كانت دار اليهودي ابن جميع الطبيب وكان يكتب لقراقوش فاشترتها منه الست عاشوراء بنت سياروج الأسدي زوجة

---

(١) محمد بن أحمد بن علي بن إياس الحنفي، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، مج. ٤ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٤):٦٨-٦٩.

(٢) النعيمي، **الدارس في تاريخ المدارس**، مج. ١: ٦٧-٧١.

(٣) ابن عبد الظاهر، **الروضة البهية**: ٨٧، ١١٤؛ شهاب الدين أحمد ابن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق كرنكو، مج. ١ (حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٠): ٣٨١؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٦٥-٤٦٦، هامش١؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٢، ٦٤.

(٤) أبو الحسن نور الدين علي بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات**، تحقيق حسن قاسم (القاهرة: مطبعة العلوم والآداب، ١٩٣٧): ٧٥.

(٥) ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٢: ٣٦٣-٣٦٤.

الأمير أيازكوج الأسدي ووقفتها على الحنفية، وكانت من الدور الحسنة، وقد تلاشت هذه المدرسة وصارت طول الأيام مغلوقة لا تفتح إلا قليلاً فإنها في زقاق لا يسكنه إلا اليهود ومن يقرب منهم في النسب[١].

بالبحث وجد أن هذه المدرسة كانت بزقاق العاشورية بحارة زويلة رقم٢٧، ولا تزال أطلالها ماثلة لأن المدرسة القطبية التي يذكرها هي ما نعرفه باسم جامع محب الدين أبي الطيب[٢]، ورحبة كوكاي هي الجزء البحري من هذه المنطقة، وهي منسوبة للأمير سيف الدين كوكاي الناصري السلاح دار [انظر ترجمة هذه الرحبة][٣].

مدرسة قايماز أو الغزنوية

في المقريزي أن هذه المدرسة برأس الموضع المعروف بسويقة أمير الجيوش تجاه المدرسة اليازكوجية، أنشأها الأمير حسام الدين قايماز النجمي مملوك نجم الدين أيوب للحنفية، وأقام بها الشيخ شهاب الدين أحمد الغزنوي البغدادي الحنفي، ودرس بها فعرفت به، ومولده سنة (٥٢٢هـ/ ١١٢٨م) ببغداد، وتوفي بالقاهرة سنة (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)، وقد تخربت هذه المدرسة ولم يبق منها غير الأثر[٤].

المدرسة العادلية

في المقريزي أنها بخط الساحل بمصر، عمرها الملك العادل أبو بكر بن أيوب للمالكية في حوالي سنة (٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م)، ودرس بها قاضي القضاة علي بن الحسين بن عبد الرحيم بن نجم بن شاش، فعرفت به وقيل لها مدرسة ابن شاش إلى اليوم، وهي عامرة وعرف خطها بالقشاشين[٥].

المدرسة الشعبانية

هذه المدرسة كائنة بنهاية حارة المدرسة من شارع البيطار، وهي الحارة التي تسميها مصلحة التنظيم بشارع جمال الدين الأفغاني، لم يذكرها المقريزي في الخطط، وبالبحث وجد أنها للأمير صلاح الدين أحمد بن شعبان الأربلي الصلاحي، كان في عصر العادل أبي بكر بن أيوب، وهي اليوم الزاوية الشعبانية وقد ذكرناها في جزء آثار القاهرة [انظر ترجمة المدرسة الشعبانية][٦].

المدرسة السيفية

يؤخذ مما ذكره المقريزي أن هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين خط البندقانيين وخط الملحيين، وموضعها من جملة دار الديباج، أنشأها سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أخو صلاح الدين، صاحب اليمن في عهد الملك العزيز عثمان ابن صلاح الدين، ولم تكمل إلا في عهد الملك العادل أبي بكر بن أيوب، ووزارة الصاحب صفي الدين عبد الله ابن شكر[٧]، وتوفي منشؤها سنة (٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) بالمنصورة من بلاد اليمن، وتولى بعده على حكم اليمن ولده المجاهد

(١) ابن عبد الظاهر، **الروضة البهية**: ٨٩؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٦٨.
(٢) المرجع السابق: ٤٦٨-٤٦٩.
(٣) المرجع السابق، مج. ٣: ١٥٨.
(٤) المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٥٦٣.
(٥) ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ٩٨؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٥٨-٤٥٩.
(٦) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٩٨.
(٧) عن ترجمة الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٤٧٧-٤٨١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٢٦٣.

إســـماعيل، وأنشـــأ باليمن مدرســـة للحديث وبمكة دارًا للحديث النبوي ورباطًا للصوفية(١).

وبالبحث وجد أن هذه المدرســـة؛ هي الجامع المعروف بعثمان الحطاب بشارع بيبرس «الحمزاوي»، بدليل ما يذكره السخاوي في ترجمة الملك الأشرف قايتباي حيث جعل هذه المدرســـة من متجدداته، وما يذكـــره أيضًا في ترجمة عثمان الحطاب من الضوء اللامع «انظر ترجمة هذا الجامع»(٢).

وعثمان الحطاب المذكور هو الشيخ عثمان بن محمد بن أحمد بن محمد بن عطية الحطاب، ولد سنة (٨٢٠هـ/ ١٤١٧م) بمنية سراج بالمحلة، ومات بالقدس في شوال سنة (٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م)، أقرأ بهذه المدرســـة إثر تجديدها في سنة (٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م)، وقد تجدد المســـجد في ســـنتي (١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م)، (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م).

المدرسة المسرورية

في المقريـــزي أن هذه المدرســـة بالقاهرة داخل درب شمس الدولة كانت دار شمس الخواص مسرور، أحد خدام القصر فجعلت مدرســـة بعد وفاته بوصيته، ومات منشؤها في أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكـر بن أيوب(٣).

بالبحـــث وجد أن هذه المدرســـة هي الجامع المعروف بالزنكلـــوني بعطفة الزنكلوني رقم٧ من درب شـــمس الدولة المنشـــأ على أنقاض هذه المدرســـة في سنة (١١١٣هـ/ ١٧٠١م)، وهـــو الآن متخـــرب، والزنكلـــوني هو الشـــيخ مجد الدين أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز من علماء الفقه الشـــافعي، له شرح على المنهاج وآخر على التنبيه، ولي مشيخة البيبرســـية وجامع الحاكم، انقطع بآخره في هذه المدرسة للتذكير واستقر حتى وفاته في سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)، وقد ترجم له السيوطي في حسن المحاضرة(٤)، ووجد في وثائق ملكية هذه المنطقة اسمه كما هو مذكور آنفًا، وأكدت هذه الوثائق أن ضريحه بهذه المدرسة، وضريح الزنكلوني مطمور تحت الأنقاض؛ ومسرور الذي نسبت إليه هذه المدرسة هو مسرور الصفدي أحد الخدم في القصر الظافري، ثم التحق بالخدمة العســـكرية في عهد صلاح الدين، وارتقى فيها إلى أن بلـــغ مقدمًا، وما برح حتى مـــات في أيام الملك الكامل، ومن آثاره الفندق الكائن بشـــارع المعز «الخردجية ســـابقًا» الذي يسمى بوكالة الفراخ، والفندق الآخر الذي يقابله، وكان له مسجد بالقرافة دثر من أمد بعيد(٥).

المدرسة القوصية

في المقريـــزي أنها في درب ســـيف الدولة بالقرب من درب ملوخيا، أنشأها الأمير الكردي والي قوص(٦)، أقول قد تحولت هذه المدرســـة إلى زاوية صغيرة تعرف الآن بزاوية الشـــيخ عطية، داخل عطفة الحمام تجاه رقم١٣، وبها ضريح معروف بهذا الاســـم، وتعتبر الآن من حقوق هذه العطفة المسماة بعطفة الحمام نسبة للحمام الذي أنشأه الأمير بيدرا

(١) ابن عبد الظاهر، **الروضة البهية**: ٩٠؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٦٧.
(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٥: ١٣٧؛ المرجع السابق، مج. ٦: ٢٠٩.
(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٠٤.
(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، تحقيق خليل المنصور، مج. ١ (القاهرة: دار إحياء الكتب، [١٩٦٧]): ١٩٤.
(٥) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٠٤-٣٠٥؛ المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٥٠٤.
(٦) ابن عبد الظاهر، **الروضة البهية**: ٩٢؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٠٤.

الأيدمري في (أواخر القرن السابع الهجري)، كما يبدو من كلام السخاوي في تحفة الأحباب[١]، ثم عرف بحمام يونس، ولما تخرب وعفي أثره بقي اسـمه علمًا على هذه المنطقة التي كانت داخلة في ضمن رحبة الأيدمري، ونقطة الاتصال بين هذه الحارة وبين درب سيف الدولة نادر المذكور في المقريزي أن المدرسـة القوصية في داخله، هي العطفة التي على شمال هذه المدرسة المعروفة بعطفة راشد، وهو الشيخ راشد أفندي شيخ رواق الأتراك بالأزهر في أول هذا القرن، إذ كان ساكنًا بأحد البيتين رقم٤- ٦ من أوقاف الـرواق المذكور وناظرًا عليهما، وهذا يؤيده ما ورد في خطط المقريزي بشـأن هذه المنطقة والمدرسة[٢].

المدرسة الصاحبية

في المقريزي أنها بخـط دار الديباج، كان موضعها دار الوزير يعقوب بن كلس ومن جملة دار الديباج، أنشأها الوزير الصاحـب صفي الدين عبد الله بن علي بن شـكر الدميري المالكي في سـنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) للمالكية، وتوفي منشؤها في سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)[٣]، ثم جددها في سنة (٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م)

(١) السخاوي، **تحفة الأحباب**: ٩٠.

(٢) رحبة الأيدمري: فيما بين المشهد الحسيني وخزانة البنود، نسبة إلى الأمير بدر الدين بيلبك الأيدمري الظاهري، أحد أمراء الظاهر بيبرس ثم المنصور قلاوون، لأن داره عندها [توفي سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)] ودفن بتربته بالقرافة بجوار قبر الشافعي، وكان مملوكًا للأمير عز الدين أيدمر الحلي نائب السلطنة أيام الظاهر بيبرس، وموضعها الآن المنطقة الواقعة غرب المشهد الحسيني ويخترقها شارع أم الغلام وحارة الجعادية بقسم الجمالية، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٥١، هامش ٢، ٣.

(٣) عن ترجمة الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر، انظر: المرجع السابق، مج. ٤: ٤٧٧-٤٨١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٢٦٣.

القاضي علم الدين إبراهيم بن عبد اللطيف المعروف بابن الزبير ناظر الدولة في عهد الناصر حسن، وأحدث بها منبرًا للخطابة وأقام بها الشعائر[٤].

أقول قد تخربت هذه المدرسـة ولـم يبق إلا موضعها، ويؤخذ مما ذكره علي السخاوي في تحفة الأحباب[٥]، وما ذكره المقريزي أن الصاحب الوزير صفي الدين بنى إلى جانبها رباطًا دفن به بعد وفاته في سـنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، وحمامًا ثم دارًا، وأن قبة يعقوب بن كلس دخلت في ضمن المدرسة الصاحبية، وجاء في ترجمة الوزير المذكور أنه دفن بنفس هذه القبة[٦].

ومن مجموع ما ذكر يتبين أن المدرسة والرباط والحمام والدار كانت جميعها قائمة على المربع الذي تقوم عليه مجموعة المباني المحدودة شـمالاً بشارع سـويقة الصاحب، وجنوبًا بعطفة بيرم، وشرقًا بمدرسة «جامع» الجمالي يوسف، وغربًا بدرب سعادة، وكانت المدرسة تشغل جميع الأرض التي يقوم عليها مبنى عمارة البريد حتى الجدار الغربي لجامع الجمالي يلي ذلك من الجهة الغربيـة الرباط، ويقوم على أرضه اليوم الدكان الملاصقة لجدار مكتب بريد الغورية، وما يعلوها من مساكن، وباب المنزل رقم٤ من عطفة بيرم، الحامل رقم٨ من سويقة الصاحب المملوك لجماعة بالاشتراك فيما بينهم، منهم الشـيخ محمد ونس، ومحمد إبراهيم حلاوة منذ سنة (١٢٧١هـ/ ١٨٥٥م)[٧].

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٧٦-٤٧٧.

(٥) السخاوي، **تحفة الأحباب**: ٨.

(٦) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٠.

(٧) كانت المدرسة الصاحبية تقع بين المدرسة الزمامية «جامع الداودي»، وبين المدرسة الفخرية «جامع أبي سعيد جقمق» في آخر درب سعادة، وذكر علي مبارك أنه بنيت في موضعها الزاوية المعروفة بزاوية بيرم، بينما يذكر محمد رمزي أن هذه المدرسة قد اندثرت واستولى على أرضها أصحاب الدور المجاورة لها، ولم يبق =

والداخل إلى هذا المنزل من بابه المذكور من عطفة بيرم يجد بفنائه إلى الجهة الغربية بقايا قبة يعقوب بن كلس التي جددها الصاحب وأدخلها في رباطه ودفن بها بعد وفاته، ويبدو أن المدرسة كان لها من نفس هذه العطفة باب آخر يجاور هذا الباب نفسه، بدليل ما ظهر من كلام المؤرخين فيما سنذكره، وللصاحب مسجد بقرية المزة بدأ بإنشائه في سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) وتم بعد وفاته، وقد ترجم له صاحب الديباج المذهب، وأفاد أنه مات في الثامن من شعبان سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، وأنشأ مدرسة ورباطًا بالقرب من داره، وأوقف لهما مرتبات، وداره بمكان يسمى سويقة الصاحب، ودفن برباطه الذي بقرب داره، ورأيت في كتاب وقف المرحوم محيي الدين عبد القادر بن شمس الدين محمد الواطي المؤرخ بمستهل جمادى الأولى سنة (١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م) أيلولة مباني رباط الصاحب وقبة يعقوب إليه في تاريخ سابق، وأن الأرض الحاملة لها جارية في وقف المرحوم الشيخ محمد الصاحب المجاور لمطبخ السكر المعروف بالحمزاوية، وهذا مما تقدم ذكره في وفاة الصاحب ويعقوب في هذا المكان تحقيقًا، كما أكده كتاب المقام العسكري الصادر بتاريخ الثالث من ذي الحجة سنة (١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م)، باسم الملا عمر بن إسماعيل الرومي الناظر على رباط الصاحب وقبة يعقوب منذ (١٠٣٢هـ/ ١٦٢٣م).

= من آثارها إلا بعض جدران قبة قديمة لعلها موضع القبة التي دفن تحتها الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس، ويشغل مكان هذه المدرسة الآن منزلان متجاوران رقم٨ بشارع الوزير الصاحب (المعروف قديمًا باسم سويقة الصاحب) وكان فيه باب المدرسة، ورقم٤ بزقاق سعادة بعطفة الست بيرم بشارع درب سعادة، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٥٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٢٨٠-٢٨١، هامش ٣؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٤٧٧، هامش ١.

قبة الوزير يعقوب بن كلس بالمدرسة الصاحبية

ذكر المقريزي في كلامه على حارة الوزيرية: «أن الوزير يعقوب بن كلس توفي في ليلة الأحد لخمس خلون من ذي الحجة سنة (٣٨٠هـ/ ٩٩١م)، ودفن تحت قبته التي أنشأها بفناء داره»، قال: «وموضع قبره اليوم المدرسة الصاحبية»[1].

ومن هذا النص نستطيع أن نجعل هذه القبة في فناء المنزل رقم٤ من عطفة الست بيرم ملك محمد إبراهيم حلاوة، لأنه هو الذي كانت تقوم عليه المدرسة الصاحبية وملحقاتها كما بيناه آنفًا، وقد زرت هذا المنزل بصحبة مالكه؛ فوجدت من بقايا هذه القبة بعض مفردات من أعاليها، وقاعدة التركيبة التي كانت موضوعة على القبر، وقد تبين لي منها أنها قبل سقوطها كانت حافظة لطرازها الفاطمي.

ترجمة الوزير ابن كلس

وقد ترجم المقريزي لابن كلس هذا فأفاد أنه: «أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن كلس من يهود بغداد، وخرج منها إلى بلاد الشام، ونزل بمدينة الرملة وصار وكيلاً للتجار، فاجتمع في قبله مال عجز عن أدائه، ففر إلى مصر في أيام كافور الإخشيدي فتعلق بخدمته، وظهر منه ما أعجب به كافور فخلع عليه بالوزارة في سنة (٣٥٦هـ/ ٩٦٨م)، لكنه لم يلبث أن اضطهده الوزير جعفر ابن الفرات، فلما أوجس منه خيفة فر إلى المغرب الأوسط في السنة التالية، وهناك اجتمع بالمعز، فدخل في خدمته وما برح معه حتى دخل المعز إلى مصر في رمضان سنة (٣٦٢هـ/ ٩٧٣م)، ومنها إلى القاهرة قاعدة ملكه الجديدة؛ فقلده في سنة (٣٦٣هـ/ ٩٧٤م) أمر الخراج، وفوض إليه النظر في

(١) المرجع السابق، مج. ٣: ٢٠.

الحسبة وجباية الأموال المقررة، وإدارة الشون والسواحل والجوالي ونظارة الأحباس، ووكالة المواريث، وإدارة الشرطة، واشترك معه عسلوج بن الحسن، وخصص له دار الإمارة الطولونية لاتخاذها مقرًّا له، ولما استوثق منه العزيز بعد وفاة المعز فوض إليه نظر الخاص واتخذه وزيرًا له، وفي سنة (٣٦٨هـ/ ٩٧٩م) خلع عليه بلقب الوزارة؛ وفي سنة (٣٧٣هـ/ ٩٨٤م) رسم بأن يخاطب باسمه ويوقع بإمضائه على الكتب الصادرة من ديوانه.

وفي هذه السنة نفسها نقم عليه العزيز فأقاله من وظائفه وعين له وزيرًا آخر، واعتقله لمدة ثلاثة شهور ثم أفرج عنه، وأعاده إلى وظائفه، ولم يذكر المؤرخون الأسباب الداعية لذلك، وما برح يعقوب يتقلب في النعم حتى علا نجمه علوًّا زائدًا، وفي عصره بدأ الأزهر يظهر كجامعة علمية، فقد أمر العزيز في سنة (٣٧٩هـ/ ٩٩٠م) باختيار عشرة من العلماء تحضر بالأزهر، ويدرس عليهم يعقوب كتبه التي ألفها في فقه الطائفة الإسماعيلية، فكانوا يحضرون عليه حتى تمكن أن يجعل منهم مدرسين استطاعوا أن يدرسوا في الأزهر للطلبة والواردين، فلما كثر عدد الطلبة وزادت الدروس وتشعبت ووفد الناس على الأزهر من كل حدب وصوب، وتحول غالب المصريين إليه، بادر يعقوب ببناء دار لسكنى الطلبة واستصدر أمرًا من العزيز بالنفقة عليهم، فوقف العزيز لهم الأوقاف الدارة؛ ومن ثم اعتبر الأزهر معهدًا علميًّا تدرس فيه علوم الشريعة من حينئذ، وقد تمكن الأزهر في خلال هذه المدة وما بعدها حتى أزهى عصوره أن يؤدي رسالته إلى العالم الإسلامي في الشرق والغرب حق تأديتها، ثم بدأ يأفل نجمه بازدياد كلما تقادم الزمان والأزهر اليوم غيره بالأمس، وصفوة القول أن يعقوب هذا استطاع بدهائه وسياسته ودهقنته، أن يستميل إليه هؤلاء الملوك والخلفاء بل عامة الناس وخاصتهم، حتى آمنوا به إيمانًا وأذعنوا له إذعانًا، وخافوا منه وحسبوا له حسابًا كبيرًا ليس في حياته فحسب، بل عند موته فيقول المؤرخون أن القاضي ابن النعمان سمع يقول: كنت والله أغسل لحيته وأنا أرفق به خوفًا أن يفتح عينيه في وجهي.

وقد قضت عليه الظروف التي أحاطت به أن يظهر مسلمًا ناسكًا عابدًا صاحب تأليف في أكبر العلوم وأدقها، وأعوص المسائل وأصعبها، وقد لازمه السعد حتى آخر رمق من حياته، وسمع منه وهو في سياق الموت يقول: لا يغلب الله غالب، حرصًا على مبدئه واتباعًا لمنهجه الذي عاش به سعيدًا ومات كذلك، وكأنه أراد بهذه الكلمة أن يرينا صفحة غامضة من حياته لا يعرفها سواه- توضح لنا ما كان يخالج ضميره من مغامرات في هذه الحياة، فهو يريد أن يقول: إنني استطعت التغلب على أخصائي في الشام فلم ينالوا مني سوءًا، فررت منهم إلى مصر، ثم استطعت التغلب على جعفر ابن الفرات حينما اضطهدني لبلوغي مركزًا شاركته فيه، فتركت له مصر ولم أترك لنفسي الأمل في العودة إليها ظافرًا منصورًا، ثم استطعت التغلب على ابن القاسم، وقد رام بي مكيدة لدى العزيز اعتقلت من أجلها، فتغلبت عليه فرددته في نحره وألقمته حجرًا، وتغلبت على الحياة وخضت غمارها غير هياب واستعملت حكمتي ومواهبي، فاستطعت أن أؤسس لنفسي دولة اشرأبت لها الأعناق، وخضعت لها النفوس، ودان لها كل من في البقاع والأصقاع، وكما عملت لحياتي أن أعيش سعيدًا لا يغلبني غالب من البشر، عملت لما بعد موتي فمت مأسوفًا عليَّ مبكيًّا منعيًّا، ونزل نعيي من نفس الخليفة منزلاً أليمًا حتى قال في ملأ مشهود: يا طول

أسفي عليك يا وزير، والله لو قدرت أفديك بجميع ما أملكه لفعلت، وكنت في كل هذه الأطوار غالبًا لا مغلوبًا طالبًا لا مطلوبًا، فاليوم جاءني الموت بغلبته، وداهمني الحمام بقوته فطلبني فلبيته مكرهًا مستسلمًا، فاليوم لا يغلب الله غالب».

هذا هو يعقوب بن كلس، وهكذا غلبت سياسته كل غالب، فسبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت، ولما قضى نحبه وبلغ نعيه العزيز أمر أن يحمل إليه الكفن من القصر، وأن يتولى غسله قاضي القضاة محمد بن النعمان وبلغ كفنه فيما ذكر عشرة آلاف دينار أي حوالي أربعة آلاف وخمسمائة جنيه مصري وهو قدر ليس مبالغ فيه، فهذا الوزير حسين صبري باشا لما فاجأه الموت وهو يلقي خطاب العرش في شوال (١٣٥٩هـ)/ نوفمبر (١٩٤٠م)؛ أمر جلالة الملك فاروق بأن يعتمد لتشييع جنازته وبناء تربة له مبلغ أربعة آلاف جنيه مصري من ميزانية الحكومة أي بما يقدر بقرابة هذا المبلغ، وقد أطال المقريزي في ترجمة هذا الوزير وذكر من أموره وأخباره ما لا نستطيع حصره جميعه هنا وفيما ذكر مجزأة.

وإلى هذا الوزير نسبت حارة الوزيرية وهم غلمانه، وكانت تعرف بخط الديباج، وهي الآن سكة وشارع درب سعادة حتى الحارة المحمودية «حارة الجداوي»، وقد أكد المقريزي دفنه بقبته هذه، وهذا ما دلت عليه بقاياها المتقدمة الذكر، وقد اختلط على ابن خلكان محل دفنه على الصحيح، فذكر في ترجمته من تاريخه: «أنه دفن بدار الوزارة داخل باب النصر، وهذا وهم، فدار الوزارة التي حل محلها جامع بيبرس الجاشنكير بالجمالية كانت لم تبن بعد، لبنائها في زمن وزارة الأفضل للمستنصر[(١)].

المدرسة الفخرية

في المقريزي أن هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين سويقة الصاحب ودرب العداس، عمرها الأمير فخر الدين عثمان ابن قزل البارومي إستادار الملك الكامل محمد بن العادل وفرغ منها سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٦م)[(٢)]، وكان موضعها أخيرًا يعرف بدار الأمير حسام الدين سياروخ ابن أرتق شاد الدواوين، وقال في ترجمته: «وله من الآثار سوى هذه المدرسة المسجد الذي تجاهها، وله أيضًا رباط بالقرافة وإلى جانبه كتاب وسبيل»[(٣)].

بالبحث وجد أن هذه المدرسة هي الجامع المعروف بجامع جقمق بدرب سعادة تجاه عطفة الست بيرم، يؤيده ما ورد في ترجمة الملك الظاهر أبي سعيد جقمق في الضوء اللامع وما جاء في التبر المسبوك [انظر ترجمة هذا الجامع في منشآت القرن التاسع][(٤)].

---

(١) عن سيرة الوزير يعقوب بن كلس، انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج. ٧: ٢٧- ٣٤؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، مج. ١: ٢٦٨- ٢٦٩؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٣- ٢١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ١٥٨.

(٢) عن سيرة الأمير فخر الدين بن قزل، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٧٤٧.

(٣) المرجع السابق، مج. ٤: ٤٦٦.

(٤) عن سيرة الملك الظاهر جقمق، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٧١- ٧٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ١٩٨- ١٩٩، ٢٩٩- ٣٠٠.

مسجد فخر الدين

أما المسجد المذكور الذي كان يقابل هذه المدرسة فقد دثر من أمد بعيد، وكان في الحد الشرقي من درب سعادة على رأس عطفة الست بيرم، وفي مكانه تقوم مجموعة المباني التي تتألف من بيت بأول عطفة الست بيرم، وما يتبعه من حوانيت حتى مخزن بزان للخشب «منزل محمد الحريري»، وبين هذا المخزن والبيت المذكور تشاهد قطعة من هذا المسجد فيها بعض مفردات منه مطمورة تحت الأنقاض، وكان إلى سنة (١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م) يعرف بزاوية ابن عمار.

المدرسة الصيرمية

في المقريزي: «أن هذه المدرسة من داخل باب الجملون الصغير، بالقرب من رأس سويقة أمير الجيوش فيما بينها وبين الجامع الحاكمي بجوار الزيادة، بناها الأمير جمال الدين شويخ بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب في سنة (٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م) وتوفي في التاسع عشر من صفر سنة (٦٣٦هـ/ ١٢٣٩م)»[١].

بالبحث وجد أن هذه المدرسة كانت بأول شارع الضبيبة رقم١٥ [٢]، وقد تخربت وبقي من آثارها خربة يحيط بها سور، لأن الجملون الصغير هو التعريف القديم بشارع الضبيبة[٣]، يؤيده ما ورد في ترجمته من الخطط حيث يقول: «أنه يسلك فيه من رأس سويقة أمير الجيوش إلى باب الجوانية، وباب النصر ورحبة باب العيد»[٤].

(١) ابن عبد الظاهر، **الروضة البهية**: ٨٦؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٥٠٣.

(٢) أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ٣: ٢٤- ٣١، ٧٦- ٨٢.

(٣) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٢٢.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٣٦.

المدرسة الفائزية

في مصر بخط الخرنوب، أنشأها الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد بن وهيب الفائزي قبل أن يتولى الوزارة في سنة (٦٣٦هـ/ ١٢٣٩م) للشافعية، ودرس بها القاضي فخر الدين بن عين الدولة ثم القاضي موهوب الجزري[٥].

الوزير الفائزي

والفائزي الذي نسبت إليه هذه المدرسة هو الوزير شرف الدين هبة الله بن صاعد الفارسي المعروف بالفائزي، كان مسيحيًّا ثم أسلم، وخدم عند الملك الفائز إبراهيم بن العادل بن أبي بكر بن أيوب فعرف به، وتولى نظر الديوان في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم عين مديرًا أي كاشفًا بالوجه البحري، فظهرت منه خيانة عزل وسجن بسببها، ثم سافر إلى دمشق وعاد مع الملك المعظم توران شاه سنة (٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م)، وفي سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥١م) عينه الملك المعز أيبك وزيرًا له، فأحدث مظالم كثيرة وفرض الضرائب الفادحة على الأهالي، وأباح شرب الخمر والزنا، وفتح بيوت الدعارة بضمان مالي، ثم ما برح حتى مات المعز وتولى ابنه فأحدث وشاية أراد بها قلب نظام الحكم، فقبض عليه ثم سجن ومات شنقًا في سنة (٦٥٥هـ/ ١٢٥٨م)[٦].

مدرسة القاضي ابن رشيق

ذكر المقريزي أنها بخط حمام الريس من مصر، أنشأها القاضي علم الدين بن رشيق في سنة بضع وأربعين وستمائة

(٥) ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ٩٢؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٤٥٩.

(٦) المرجع السابق، مج. ٣: ٢٩٧- ٢٩٩.

للمالكية، ودرس بها فعرفت به[1]، وقد درست هذه المدرسة وتخلف من بقاياها سـقاية ماء، على رأس خوخة أبي سعيد المغربي.

المدرسة المعزية

يسـتفاد مما ذكره المقريزي في الخطط، وابن دقماق في الانتصار، وابن تغري في النجوم أن هذه المدرسـة أنشـأها الملك المعز أيبك التركماني في سـنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٧م) وباشر عمارتها وزيره شرف الدين صاعد الفائزي، وأن موقعها كان على النيـل برحبة تعرف برحبة دار الملك، ثم عرفت برحبة الحناء ثم برحبة الخـروب، وكان فيها كما يقول ابن دقماق: «قبو يعرف بقبو دار الملك، وهـو المجاور للحمام الموقوف جميع ذلك على المدرسـة المعزية ويعـرف هذا الحمام بحمام السلطان»[2]، ويجاوره من غربه هذا الباب والعقد ويسلك من سفله إلى نهر النيل، وأفاد صاحب النجوم: «أن القاضي برهان الدين الخضر بن الحسن بن علي الشافعي [المتوفى سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٩م)] تولى التدريس بهذه المدرسة حتى مات»، وقد دثرت هذه المدرسـة وكانت بخط حمام جمدار «شـارع سوق السمك»[3].

المدرسة الفارقانية

هذه المدرسـة ذكرها المقريزي في المدارس وقال: «إنها خارج باب زويلة بين حدرة البقر وصليبة ابن طولون تجاه البندقدارية، أنشـأها الأمير بيبرس الفارقاني [المتوفى سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٨م)]»[4].

وبالبحث عن هذه المدرسة، وجد أنها الزاوية المعروفة بالفارقاني بشارع السيوفية «حكر سيف الإسلام» في الموضع الذي عينـه المقريزي، وقد تغيرت معالمها وتبدلت أوصافها؛ وليس فيها ما يجب الاحتفاظ به كأثر من عهد منشئها[5].

المدرسة المجدية

للشافعية بمصر يعرف موضعها بدرب البلاد، عمرها الشـيخ مجد الدين عبد العزيز بن أمين الدين الحسـين بن الحسـن بن إبراهيم الخليلي وتمت في سنة (٦٦١هـ/ ١٢٦٤م)، ودرس فيها ابن المنشـئ الصاحب الوزير عمر بن الخليلي؛ وتوفي منشؤها في سـنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨٢م)، وهذه المدرسة هي جامع عابدي بك [انظر هذا المسجد][6].

المدرسة الطيبرسية

هذه المدرسـة بدار النحاس بمصر، أنشـأها الأمير علاء الدين طيبرس بن عبـد الله الوزيري الصالحي نائب الشام في عصر الملك الظاهر بيبرس البندقداري، لم يذكرها المقريزي في الخطـط، وذكرها ابن دقمـاق في الانتصار في كلامه على رحبة دار النحاس فقـال ما نصه: «هذه الرحبة أمـام فندق الأشراف المعروفة قديمًا بـدار النحاس، وبها مدرسـة الأمير علاء الدين طيبرس الوزيري يسـلك إليها

(١) ابن دقماق، **الانتصار**: ٩٦؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٤٥٩.
(٢) ابن دقماق، **الانتصار**: ٩٢- ٩٣.
(٣) أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ١: ٢٠١- ٢٠٣.
(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦١٠؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٨١- ١٨٢.
(٥) أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ١: ٤٦٥- ٤٦٦.
(٦) ابن دقماق، **الانتصار**: ٩٦؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٦٣٠.

من نهــر النيل المبارك ودرب دار الرومي، ومن ســويقة دار النحاس والساحل القديم»[١].

وفي المنهــل الصافي والنجوم الزاهــرة ترجمة مختصرة لصاحب هذه المدرســة أفاد فيها: «أنه أحد الأمراء الكبار المشهورين بالشجاعة والإقدام، صاهر الملك الظاهر بيبرس البندقداري وعينه نائبًا للسلطنة في الشام، وفي سنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م) أوغر الأمير شمس الدين سنقر الرومي نائب حلب صدر السلطان وغير خاطره على طيبرس هذا، فقبض عليه وحبسه بالقاهرة، وفي سنة (٦٧٠هـ/ ١٢٧٢م) جهزه إلى حران على رأس كتيبة من الجيش لمحاربــة التتار وما لبث حتى مات في سنة (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م)»[٢].

وبالبحث تبين أن هذه المدرسة هي الجامع الذي عرف بجامع المخفي بحــارة دير النحاس، وقد أخــذ هذا الجامع في المنفعة العامة لحدوث شــارع جديد يصل هذه المنطقة بما بعدها في شــهر ربيع الثاني من سنة (١٣٥٨هـ/ مايو سنة ١٩٣٨م)، رغم بقــاء مئذنته الأثرية من عهد الملك الظاهر أبي سعيد جقمق ملك مصر.

جامع وخانقاه طيبرس الخازندار بالإسماعيلية

وقد التبس على جمهرة من الباحثين اسم هذه المدرسة باســم الجامع الطيبرسي، الذي أنشــأه الأمــير علاء الدين طيبرس الخازندار المنصوري نقيب الجيوش [المتوفى ســنة (٧١٩هـ/ ١٣٢٠م)] صاحب المدرســة الطيبرسية بالأزهر[٣]، بين أرض بستان الخشــاب وبين زربية قوصون «انظر هذا الجامع»[٤].

المدرسة الكهارية

هذه المدرســة لم يترجم لها المقريزي في المدارس، بيد أنه ذكرها في كلامه على درب القماحين، وســماها بالمدرسة الكهاريــة فقال: «هذا الدرب فيه المدرســة الكهارية بجوار حارة الجودرية، ويتوصل منه إلى المدرسة الشريفية»[٥].

ويبــدو مما ذكره المقريزي في هــذه العبارة أنها عرفت بالكهارية نسبة لشخص معلوم[٦]، إذ أنه سمي الدرب بدرب القماحين نسبة لبائعي القمح، وقد بقي آخرهم المدعو الحاج أحمــد القماح إلى منذ ٢٠ عامًا وكان حانوته بأول هذا الدرب، وبموته بطل بيع القمح من هذا الدرب، ومن حسن الحظ أن هذه المدرسة لا يزال من أثرها روسمًا من الرخام الأسود، يعلو

(١) ابن دقماق، **الانتصار**: ٩٦-٩٨.

(٢) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٣٨٥؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٧: ٣٥-٣٦.

(٣) علاء الدين طيبرس بن عبد الله الخازنداري: نقيب الجيوش المنصورة، وأحد أمراء الطبلخاناه، توفي في العشرين من ربيع= الآخر سنة (٧١٩هـ/ ١٣٢٠م)، ودفن بقبته التي أنشأها بمدرسته على باب جامع الأزهر، واستقر عوضه في نقابة الجيش الأمير شهاب الدين أحمد بن آقوش العزيزي المهمندار، وأنشأ الجامع والخانقاه على النيل، وعرف ذلك المكان بالطيبرسي، وقد تهدم الجامع والخانقاه، ونقل صوفيتها إلى مدرسته التي أنشأها على باب الجامع الأزهر، على يمنة الداخل إلى الجامع، وكان من أجل الأمراء وأقدمهم، وطالت أيامه في وظيفته، وأقام فيها أربعًا وعشرين سنة ولم يقبل لأحد هدية، وإنما كان شأنه عمارة إقطاعه والزراعة، ومن ذلك نالته السعادة وعمر الأملاك، وكان ديِّنًا خيرًا، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٣٦- ٥٤٠؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٢٢٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٤٦.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٢٠٥.

(٥) المقصود درب كركامة وليس درب القماحين كما يذكر صاحب المزارات، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ١٢٤.

(٦) الكهارية نسبة لسيدة تدعى كهار خاتون، انظر: المرجع السابق: ١٢٤، هامش ٢.

الباب وقد تضمن نصًّا تاريخيًّا هامًّا، وقد لفت نظرنا عند زيارتنا لهذه المدرسة لكنا لم نقرأه، إذ قرأه قبلنا الأستاذ محمد رمزي بك وقد تفضل به علينا، ونص ما هو مكتوب فيه:

هذا مشهد السيد عمر بن إدريس بن جعفر رضي الله عنه. توفي في شهر جمادى الآخرة سنة ثمانية وعشر ومائة. وظهر بعد اندثاره في سنة سبع وسبعين وستمائة . غفر الله لكاتبه وقارئه.

وهذا النص قد أفادنا تاريخ إنشاء هذه المدرسة وهو سنة (٦٧٧هـ/ ١٢٧٩م) في عهد الملك بركة قان أو خان ابن الظاهر بيبرس، أما التاريخ الثاني الموضوع لوفاة السيد عمر هذا فهو إما أن يكون خطأ وهذا ما نرجحه، وإما أن يكون مقصودًا به شيء آخر، وقد وجد مطمورًا في مخلفات هذه المدرسة، وتبين منه أنه كان في الأصل تربة للسيد عمر هذا من وفيات سنة (١١٨هـ/ ٧٣٧م) قبل بناء القاهرة، ولا صلة للسيد عمر هذا بالطائفة الجودرية، إنما هو من ساكني هذه المنطقة ومات ودفن بزاوية كان يعتكف بها، وقد قام الدليل على هذا من النص التاريخي المذكور ومن الوثائق الوقفية، ولم يذكر المقريزي أن أبا علي منصور الجوذري بنى مسجدًا بهذه المنطقة وإنما كانت سكناه بها مع طائفته.

وفي ترجمة حارة الجوذرية من خطط المقريزي ما يفيد أنها عرفت: «بالطائفة الجوذرية إحدى طوائف العسكر في أيام الحاكم بأمر الله، منهم أبو علي منصور الجوذري الذي كان في أيام العزيز بالله وزادت مكانته في الأيام الحاكمية فأضيفت إليه الأحباس والحسبة»[1].

(١) المرجع السابق: ١٢.

فالمحتمل يقينًا أن السيد عمر هذا ليس هو إلا كبير هذه الطائفة منصور الجوذري المذكور في عبارة المقريزي، أو عمر كما تسميه المذكرة البادية الذكر وإن صح هذا فتكون وفاته سنة (٤١٨هـ/ ١٠٢٨م) لا في سنة (١١٨هـ/ ٧٣٧م)، ولا يستغرب وجود الخطأ في هذه المذكرة فله نظائر في غيرها كثير.

ونستطيع أن نستخلص من هذا البحث، أن هذا الجامع أنشئ في بادئ أمره للسيد عمر هذا في عهد مبكر قبل العصر الفاطمي، ثم مرت عليه الدهور فدثر، فلما كانت أيام الملك بركة بن الظاهر بيبرس، رفع إليه خبر اندراس هذا المسجد فأمر بتجديده وإعادة البناء عليه، ووضع لهذا التجديد هذا النص التاريخي الذي بقي إلى اليوم.

وقد جددت وزارة الأوقاف هذا المسجد منذ حوالي عشر سنوات وتناول هذا التجديد إصلاح تربة السيد عمر الجوذري هذا، إصلاحًا أعاد إليها حالتها الأولى؛ وداخل المسجد يشتمل على باحة فسيحة يحمل سقفها عقود على أعمدة، وله بابان قبلي وبحري ويجاور المحراب من الناحية القبلية ضريح عمر المعروف بالجوذري عليه مقصورة، يقابله ضريح كل من الأمير سليمان محمد الجناجي وابن نجاتي ومصطفى بك باشي [انظر ما كتبناه عن هذا الأثر في جزء المذكرات والنصوص التاريخية في القسم الثاني من هذا الكتاب].

المدرسة الفارقانية

هذه المدرسة بدرب سعادة «سوق الرقيق سابقًا»[2]، أنشأها الأمير آق سنقر النجمي الفارقاني في سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٨م)، في عهد الملك السعيد ابن الملك الظاهر بيبرس

(٢) المرجع السابق، مج. ٤: ٤٧٠-٤٧١.

البندقداري للشافعية والحنفية، وتوفي منشؤها في سنة (٦٧٧هـ/ ١٢٧٩م)[١].

وقد تغيرت معالم هذه المدرسة فجددها أولاً الأمير أحمد أغا كتخدا في سنة (١٠٥٢-١٠٥٧هـ/ ١٦٤٣-١٦٤٨م)، وأحدث بها مرافق جديدة بقي بعضها محفوظًا بدار الآثار العربية، ثم أعاد تجديدها الأمير محمد كتخدا مستحفظان المعروف بالحبشي في سنة (١٠٨٠هـ/ ١٦٧٠م)، ولا تزال تحمل اسمه في مذكرة تاريخية بسقف الإيوان الشرقي والواجهة الغربية «انظر جامع محمد أغا الحبشي أو الحبشلي».

المدرسة المهذبية

في المقريزي أن هذه المدرسة بحارة حلب خارج القاهرة عند حمام قماري، بناها الحكيم مهذب الدين أبو سعيد محمد ابن أبي النصر علم الدين جرجس بن أبي الخير سليمان بن أبي حليقة، رئيس الأطباء بالديار المصرية، كان أبوه من أطباء الملك الكامل محمد بن العادل، ومات سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٨م) وتولى منشؤها رياسة الأطباء بمصر في سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) واستقر مدرس الطب بالمارستان المنصوري[٢].

وبالبحث وجد أن هذه المدرسة بأول عطفة مراد بك بشارع إلهامي باشا بالحلمية، وقد تحولت إلى زاوية عرفت بالقوصونية، وأخيرًا بالخلوتية، ووجد بها ضريحان، أحدهما: يعرف بالشيخ عباس، والآخر بالشيخ ريحان، ويؤكد الوزير علي مبارك باشا أن الحمام الوارد في عبارة المقريزي أزيل في بناء الحلمية، وكان يُعرف بحمام إبراهيم بك لقربه من بيته[٣].

المدرسة البيدرية

وأنشأ الأمير بيدرا الأيدمري الظاهري مدرسة بخط قصر الشوك، فيما بين قصر الشوك وبين المشهد الحسيني، قبلي سور القصر الفاطمي برحبة عرفت برحبة الأيدمري[٤]، وهذه المدرسة ذكرها المقريزي في عبارة مختصرة وترجم لمنشئها، بأنه كان مملوكًا لعز الدين أيدمر بن عبد الله الحلي الصالحي النجمي [المتوفى سنة (٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م)] نائب السلطنة في أيام الملك الظاهر بيبرس، وترق في الخدمة حتى تأمر في أيام الملك الظاهر، وعلت منزلته في أيام الملك المنصور قلاوون، ومات سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) ودفن بتربته في القرافة بجوار الشافعي، وبالبحث عن هذه المدرسة وجد أنها دثرت وبقي من أثرها ضريح يعرف بعبد الرحمن والأربعين داخل زاوية صغيرة بأول شارع القزازين رقم٤.[٥]

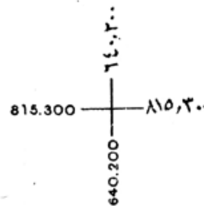
(١) عن سيرة الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٢٨٠؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٢، ٤٩٤-٤٩٦.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٤٧١، ٥٩٨.

(٣) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٤٨؛ المرجع السابق، مج. ٦: ٤١.

(٤) رحبة الأيدمري: فيما بين المشهد الحسيني وخزانة البنود، نسبة إلى الأمير بدر الدين بيلبك الأيدمري الظاهري، أحد أمراء الظاهر بيبرس ثم المنصور قلاوون، لأن داره عندها وهي باقية إلى زمن المقريزي، توفي سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م ودفن بتربته بالقرافة بجوار قبر الشافعي، وكان مملوكًا للأمير عز الدين أيدمر الحلي نائب السلطنة أيام الظاهر بيبرس، وموضعها الآن المنطقة الواقعة غرب المشهد الحسيني ويخترقها شارع أم الغلام وحارة الجعادية بقسم الجمالية، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٥١، هامش ٢، ٣.

(٥) هذه المدرسة ورد ذكرها في المقريزي باسم المدرسة البديرية، ويبدو أن هناك خلطًا في سرد الروايتين عند صاحب المزارات، انظر: المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٥٧٠.



موقع المدرسة البديرية «عن هيئة المساحة المصرية»



منطقة ٣٠٩
Block 309
SHÂRIʿ EL MUʿIZZ LI-DÎN-ILLÂH
EL MUʿIZZ LI-DÎN-ILLÂH
HÂRET EL SÂLIHIYA
جامع الصالح أيوب
El Sâlih Aiyûb Mosque
(El Madrasa El Sâlihiya)
(Mon. No. 38)
Remains of Madrasat el Zâhir Beibars el Bunduqdârî
(Ruined)
(Mon. No. 37)
Sibil & School of Khusrû Pasha
(Mon. No. 52)
دورة مياه
Lavatories
(Ruined)
SH. EL ŞURAMÂTIYA
SH. EL QUMSANGIYA
F.H.
خرب
خان الخليلي
THE BAZAARS
(El Khân el Khalîli)
HÂRET KHÂN EL KHALÎLI
SIKKET EL BÂDISTÂN
Bâb el Bâdistân
(Mon. No. 53)
وكالة خان سرور
Wikâlet Khân Surûr
HÂRET NASRALLA
SHÂRIʿ GÔHAR EL QÂʾID
KHÂN EL KHALÎLI
SIKKET KHÂN EL KHALÎLI
Badr el Din

وهذه المدرسة هي غير المدرسة البدرية التي تقرب منها بنهاية شارع أم الغلام على رأس شارع الجعادية، وهي من إنشاء الأمير بدر الدين بيدمر بن عبد الله البدري الناصري [المتوفى سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)] وسنذكرها فيما أنشئ في عهد الناصر[١].

تربة بيدرا بالشافعي

وتربة بيدرا المذكورة بالإمام الشافعي دثرت، وبقي من أثرها ضريح يعرف بسيدي وكيع، جددته الست زينب بنت الحاج توفيق الطحاوي في سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م)، وكمل في أوائل سنة (١٣٥٩هـ/ ١٩٤١م)، وقد عدلت منسوبه مع منسوب الشارع ورفعت واجهته، وأقامت على قبر بيدرا ووكيع قبة صغيرة.

المدرسة الصاحبية

بالفسطاط بزقاق القناديل، أنشأها الصاحب محمد ابن علي بن سليم بن حنا في سنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م) للمالكية والشافعية وأوقف عليها أوقافًا، ودرس بها ولده الصاحب فخر الدين محمد وتوارث نظارة أوقافها ومباشرتها بنو حنا حتى انقرضوا، فتعطلت من بعدهم وبدأ الخراب يتطرق إليها[٢].

(١) عن سيرة بيدمر البدري أو أيدمر البدري، انظر:المقريزي، **السلوك**، مج. ٢، قسم. ٣:٧٥٤؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٥١٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٨٤؛ عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين، **نيل الأمل في ذيل الدول**، تحقيق عمر تدمري، مج. ١(بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٢): ١٥٠؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٤٩٧؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٥٢.

(٢) المرجع السابق، مج. ٤: ٤٧٣.

وفي سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م) انتزع الملك الناصر فرج ابن الظاهر برقوق أساطينها ونقلها إلى تربة أبيه بالصحراء واستبدل بها دعامات، وبقيت ماثلة حتى سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)، ثم هدمها رأسًا على عقب الأمير تاج الدين الشوبكي والي القاهرة في عصر الملك المؤيد شيخ، وأدخلها هي وما يجاورها من المباني التي كانت بزقاق القناديل في جامع عمرو لزيادة مساحته، وهي الزيادة التي خصت القسم البحري منه، وقد دخل فيها من معالم هذا الزقاق جميعه ثم مدرسة ابن يعقوب وتربة عفان ومكتب ابن نباتة، وزقاق الزهري ودار ابن الأرسوفي ودار عمرو بن العاص التي دفن فيها ابنه عبد الله بن عمرو، وقد اعتبرت هذه الزيادة أهم ما طرأ على جامع عمرو من التجديد، فإنها أضافت إليه جناحًا كبيرًا زاد في مساحته واتساعه حتى عظم وضخم[٣].

المدرسة الطغجية

في المقريزي أن هذه المدرسة بخط حدرة البقر أنشأها الأمير سيف الدين طغجي الأشرفي، كان من مماليك الأشرف خليل بن قلاوون، فلما قتل الأشرف وتولى الملك الناصر محمد بن قلاوون صار من أكابر الأمراء، واستمر على ذلك بعد خلع الملك الناصر بكتبغا مدة أيامه إلى أن خلع الملك العادل كتبغا وقام في سلطنة مصر الملك المنصور لاجين، فبدأ الأمير منكوتمر نائب السلطنة يضطهده حتى أفل نجمه، ثم أفضى الأمر إلى قتله في سنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م)، قال المقريزي: «وحمل إلى مدرسته هذه فدفن بها وقبره هناك إلى اليوم»[٤].

(٣) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٢٤١؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٢٠.

(٤) عن سيرة الأمير سيف الدين طغجي الأشرفي، انظر: أبو بكر عبد الله بن أيبك الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق أولرخ هيرمان، مج. ٨، **الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية**، مصادر تاريخ مصر الإسلامية (القاهرة: قسم الدراسات=

وبالبحث تبين لنا أن هذه المدرسة، حولت إلى زاوية تعرف الآن بزاوية الشيخ عبد الله بشارع السيوفية، ومنذ مائة وخمسين عامًا كانت تعرف بسيدي مرعي، كما ذكره الشيخ جوهر السكري في مزاراته، ويؤكد الوزير علي مبارك باشا أنه أجرى بها تجديدًا في سنة (١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م)، وبها ضريحان أحدهما يعرف بالشيخ عبد الله والثاني بست ملكة، ويظهر أنها زوجة طغجي المذكور[١].

وقد استقر بهذه المدرسة الشيخ سراج الدين عمر بن مرعي العراقي من ذرية الشيخ شمس الدين محمد العراقي، المدفون برباط المشتهى بالروضة ومات بها، وهذا ما تبينته من مستندات وقف هذه الذؤابة العراقية، وبهذه المدرسة ضريح الشيخ سراج هذا وضريح المنشئ وزوجته، وهي من متجددات سنة (١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م) [انظر مسجد شمس الدين المذكور في هذا الكتاب][٢].

المدرسة المنكوتمرية

في المقريزي: «أن هذه المدرسة بحارة بهاء الدين من القاهرة بناها بجوار داره الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي نائب السلطنة بديار مصر، فكملت في صفر سنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م)؛ وعمل بها درسًا للمالكية قرر فيه الشيخ شمس الدين محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام بن جميل التونسي، ودرسًا للحنفية، وجعل فيها خزانة كتب وجعل عليها وقفًا ببلاد الشام، وهي اليوم بيد قضاة الحنفية يتولون نظرها وأمرها متلاش وهي من المدارس الحسنة»[٣].

بالبحث عن هذه المدرسة وجد أنها الزاوية المعروفة بزاوية شيخ الإسلام ابن حجر بشارع بين السيارج رقم١٣ [٤]، يؤيده ما ورد في الضوء اللامع في ترجمة شهاب الدين أحمد الأنصاري [المتوفى سنة (٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م)] حيث قال: «ودفن بزاوية سمر محل سكنه تجاه المنكوتمرية».

وما ذكره أيضًا في ترجمة شيخه الحافظ ابن حجر، في كتابه الجواهر والدرر [مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس، ومنه صور بالكتانية وبفاس وبالأزهر والدار بالقاهرة]، وقد أفاد أن: «الحافظ ابن حجر صاهر سبط المنشئ- وهو

= الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار، ١٩٧١): ٣٧٧-٣٨٣؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٠٣-٦٠٤؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٨٦٥-٨٦٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ١٨٣.

(١) هذه المدرسة تعرف الآن بزاوية الشيخ عبد الله والست ملكة بشارع الحلمية رقم٧، حيث يوجد بها ضريحان يحملان هذه الأسماء، ولقد جدد هذه الزاوية علي مبارك عند تجديد داره المجاورة لها سنة (١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٠٢، هامش٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١١٢، هامش٣؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١٠٩، هامش١؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٤٦-١٤٧؛ المرجع السابق، مج. ٦: ١٠٢.

(٢) هدمت المدرسة الطغجية منذ حوالي ١٥ عامًا وتجدد مكانها مسجد جديد وضاعت معالم القبر المذكور بالكلية. (المراجع)

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٥٥٢.

(٤) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٢٦١؛ المرجع السابق، مج. ٦: ٤٠.

الأمير ناصر الدين محمد بن أنس بنت منكوتمر الحسامي[١]- في حفيدته أنس بنت سارة[٢] كبرى بناته»[٣].

ومن ثم آلت إليه الدار المذكورة، كما اتخذ المدرسة مقرًّا له لنشر علمه، وما برحها حتى توفي بها في سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، ودفن بحوش زكي الدين الخروبي بالقرافة، وقد تخربت هذه المدرسة ونقلت أنقاضها إلى مساجد أخرى أهمها: الباب النحاسي الجميل الذي لا يزال موجودًا للآن ببعض مساجد القاهرة[٤]، يحمل مذكرة تاريخية هامة فيها اسم منكوتمر منشئ هذه المدرسة وتاريخ إنشائها في عبارة هذا نصها:

مما عمل برسم الجناب الكريم العالي المولوي
الأسفهسلاري الأمير سيف الدين منكوتمر الحصامي
أعز الله أنصاره وقف على المدرسة المنكوتمرية

(١) أنس ابنة عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الكريم ابن أبي طالب بن علي بن سيدهم أم الكرم ابنة الكريمي اللخمي النستراوي الأصل القاهري، أخت آمنة وزوج العسقلاني، ويعرف أبوها بابن عبد العزيز، وأمها هي سارة ابنة ناصر الدين محمد بن أنس ابنة منكوتمر نائب السلطنة وصاحب المدرسة والقاعة المتجاورتين بداخل باب القنطرة، ولدت سنة (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م) لوصفها في وصية أبوها المؤرخة بسنة تسعين بالعشارية، وحجت وجاورت، درست وتعلمت الحديث، ماتت في ربيع الأول سنة (٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م)، وصلي عليها بجامع المارداني ودفنت بتربة سلفها بالقرب من الجامع عند أولادها، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ١٠-١١.

(٢) سارة ابنة ناصر الدين محمد بن أزدمر أم أنس زوجة العسقلاني، وأبوها أمه أنس ابنة منكوتمر، كانت جليلة مبجلة، ماتت في المحرم سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، انظر: المرجع السابق:٥٢.

(٣) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**، تحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، مج. ٣ (بيوت: دار ابن حزم، ١٩٩٩): ١٠٢٧.

(٤) مسجد مزهر بالكداشين (شارع البغالة قسم باب الشعرية). (المؤلف)

ومنشئ هذه المدرسة هو الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي نائب السلطنة، كان في بادئ أمره من مماليك الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري قبل أن يعتلي أريكة عرش مصر، فلما تملك أغدق عليه نعمه وولاه إمارة مصر ثم جعله نائبًا عنه فكان له مكانة عليا عند المصريين، واشتهر عنه سوء الخلق والشدة فأرهب جانبه، وما برح كذلك حتى قتل مولاه السلطان، فلحق به على الفور من أيدي من كانوا يترقبون اغتياله توقيًا من مخاوفه وبأسه في ليلة الجمعة ١٠ من ربيع الأول سنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م) ودفن بتربة مليكه بسفح المقطم[٥].

وليس في هذه المدرسة ما يلفت النظر اليوم، فهي مؤلفة من إيوان شرقي يقوم سقفه على أسطوانات ويتألف منها بلاطان يقابلان بعضهما بنفس الإيوان، ويعلو بابها مئذنة قروية، وفي جانبها القبلي دورة مياه عتيقة، ويدل شكلها الحالي أنها بعد أن تخربت ونقضت، بنيت هذا البناء الحالي قبل ختام القرن المنصرم، وهي عامرة تقام فيها الجمعة والجماعات، وفيها منبر يخطب عليه ويشرف عليها قسم المساجد بوزارة الأوقاف.

المدرسة الشرابيشية

ذكر المقريزي أن هذه المدرسة: «فيما بين الجامع الأقمر وبين حارة برجوان في آخر المنحر، وبابها الأصلي من زقاق

(٥) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٥٥٤-٥٥٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ١٠٠-١٠٥.

ضيق بوسط سوق حارة برجوان، أنشأها نور الدين علي بن محمد الشرابيشي»[١].

ومضمون كلام المقريزي في العبارة المتقدمة أن هذه المدرسة كانت قائمة على الأرض التي يقوم عليها المربع المحصور بين شارع السنانية «السنانين» المحاذي لباب الجامع الأقمر الغربي، وبين باب الدرب الأصفر وهو المنحر سابقًا، يؤيده قوله إن بابها الأصلي من زقاق ضيق بوسط سوق حارة برجوان، وليس المقصود من ذكر هذه العبارة هو نفس الحارة المتفرغة من شارع أمير الجيوش المعروفة بهذا الوزير، بل المقصود منها سوق حارة برجوان، وذلك ما يستقيم مع قوله إنها في آخر المنحر.

ويعضد ذلك شاهد قوي من ترجمته لسوق حارة برجوان[٢]، ثم لسوق الشماعين وسوق الدجاجين، والأول مبدؤه من نهاية شارع باب الفتوح برأس شارع أمير الجيوش الجواني حتى شارع النحاسين، والثاني من شارع النحاسين حتى بين القصرين[٣].

وهذه الشوارع الثلاثة، دخلت جميعها في الاسم الجديد الذي اختير لهذه المنطقة وهو شارع المعز لدين الله، ولهذا الشاهد دليل يؤيده من قول السخاوي في الضوء اللامع[٤].

وبالبحث في هذا المربع عما عساه يكون فيه من آثار هذه المدرسة، وجد أنها تخربت تخربًا فاحشًا من أمد بعيد، وترى أطلالها وكيمانها وخرائبها من باب حديث بشارع السنانية يحمل رقم١١، تنظيم، وهذا يصحح ما ورد في خطط علي مبارك باشا بشأن هذه المدرسة[٥].

المدرسة الأرسلانية (خانقاه أرسلان)

في المقريزي أن: «هذه الخانقاه فيما بين القاهرة ومصر من جملة أراضي منشأة المهراني، أنشأها الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار الناصري [المتوفى سنة (٧١٧هـ/ ١٣١٧م)] على شاطئ النيل، وأول من ولي مشيختها تقي الدين أبو البقاء محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الرحيم الشريف الحسيني [المتوفى سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م)]، ثم تداول مشيختها القضاة الأخنائية إلى أن كانت أخيرًا بيد شيخها قاضي القضاة صدر الدين عبد الوهاب بن أحمد الأخنائي فلما مات في سنة (٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م) تلقاها عنه عز الدين بن الصاحب، ثم وليها من بعده ابنه شمس الدين محمد بن الصاحب»[٦].

بالبحث وجد أن هذه المدرسة تخربت ولم تترك أي أثر يذكر بها، وكان موقعها بشارع مدرسة الطب تجاه مستشفى

(١) وردت هذه المدرسة في الخطط باسم الخانقاه الشرابيشية، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٧٤٤.

(٢) موضع حارة برجوان اليوم في المنطقة الواقعة تجاه الجامع الأقمر والتي يحدها شمالاً جامع سليمان أغا السلحدار، ويتوسطها اليوم شارع برجوان وعطفة برجوان وما يتفرع منهما من العطف والأزقة، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ٩، هامش٤.

(٣) المرجع السابق: ٣١٨-٣٢١.

(٤) ذكر السخاوي في ترجمته لمحمد بن محمد بن عبد اللطيف ابن أحمد البدر أبو الفضل حيث ذكر أنه ولد بالحسينية، ثم=

= انتقل مع أبيه إلى الشرابشية بالقرب من جامع الأقمر، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٩: ١١٢.

(٥) يذكر علي مبارك أن هذه الخانقاه حل محلها هي والأرض المجاورة لها ابتداء من منتصف القرن السابع عشر الميلادي المنزل المعروف الآن بمنزل بيت السحيمي، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٢١٥؛ المرجع السابق، مج. ٦: ١٤٤-١٤٥.

(٦) عن الخانقاه الأرسلانية وسيرة منشئها الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٧٧٠- ٧٧١؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٣٧٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ٩: ٢٤١؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٢: ٣٠٠- ٣٠٢.

فـؤاد الأول للأطفال، دليله أن هذه المنطقة داخلة بوصفها في أراضي منشأة المهراني[١].

المدرسة الصغيرة أو مدرسة أيدكين

في المقريزي أن: «هذه المدرســة فيما بين البندقانيين وطواحين الملحيــين، ويعرف خطها ببيت محب الدين ناظر الجيوش، ويعــرف أيضًا بخط بين العواميد، بنتها الســت أيدكين زوجة الأمير سيف الدين الناصري في سنة (٧١٥هـ/ ١٣١٥م)»[٢].

بالبحث عن هذه المدرســة وجد من بقاياها الضريح الذي يعرف بسيدي عثمان الديمي بشارع بيبرس لأن خط طواحين الملحيين هو بداية شارع بيبرس القبلي حتى المدرسة الســيفية المعروفة بجامع عثمان الحطاب؛ والبندقانيين هو الشارع المســمى بشارع الحمزاوي نســبة إلى الأمير جانم الحمزاوي أحد الأمراء في عصر الغوري؛ ثم تعين أســتادارًا أي ســكرتيرًا خاصًّا للأمير خاير بك أول حاكم عثماني على مصر، ثم دفتردارًا أي مديــرًا لدار المحفوظات المصرية في عهد الســلطان سليمان بن سليم وذلك لوجود داره بهذه المنطقة، وهي الدار التي أنشــأها الســلطان الغوري لولده الناصري محمد في سنة (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)، وقد تملكها المذكور بعد ذهاب دولــة الغوري، وهي الآن وكالــة تعرف بوكالة عدس في ملك السيد يوســف العقبي، وقد وقع بها حريق هائل منذ ثلاثين عامًا، والضريــح المذكور واقع بين هاتين المنطقتــين تجاه دار محب الدين المذكور آنفًا، وهي الدار التي عرفت بفاضل باشا ســابقًا، ثم هي الآن وكالة تعرف بوكالة مراتشي، والقســم القبلي منها اتخذته منذ ســنوات وزارة المعارف مقرًّا لمدرسة الفنون والزخارف، ثم تحولت منه إلى غيره؛ واستعمل مسكنًا ومخازن.

والديمي المعــروف به هذا هو الشــيخ عثمان الديمي [توفي ســنة (٩٠٣هـ/ ١٤٩٨م)]، ولم يذكر الشــعراني في المنن الكــبرى والمناوي في طبقات الصوفيــة؛ أن الديمي هذا هو الحافظ عثمان الديمي الكبير أو ابنه الصغير كما يتبادر إلى الذهن.

مدرسة بيبرس الدوادار

هذه المدرسة بســويقة العزي لم يذكرها المقريزي في الخطــط، وذكرها الحافظ ابن حجــر في الدرر الكامنة وابن بهادر في ترجمة منشئها[٣]، أنشــأها الأمير بيبرس الدوادار المنصوري نائب السلطنة في سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م) للحنفية وأوقف عليها أوقافًا دارة، وما برحت هذه المدرســة عامرة بالدروس آهلة بالحنفية، حتى ســنة (١٠٣٠هـ/ ١٦٢١م)، فلما قدم الشــيخ محمد الأسكوبي البيرامي المعروف بألطي برمق إلى القاهرة، نــزل بها وتعين شــيخًا على الحنفية المقيمين بهذه المدرسة فسعى في تجديدها، فجددت على الشكل الذي لا تزال محافظــة عليه إلى اليوم، ومــن ذلك الحين عرفت بجامع ألطي برمق وتوفي منشــؤها في سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)، وتوفى ألطي برمق سنة (١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م) ودفن تحت قبة هذه

(١) شارع مدرسة الطب يتقاطع مع شارع القصر العيني عند كلية الصيدلة، ومستشفى فؤاد الأول هو المعروف بالقصر العيني الجديد الواقع بجزيرة الروضة، على اعتبار أن القصر العيني القديم الواقع على الضفة الشرقية للنيل هدم منذ عدة سنوات وبني مكانه المستشفى القديم. (المراجع)

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٥٨٥.

(٣) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٥٠٩-٥١٠؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٤٧٧.

المدرسة [انظر هذا الجامع بشارع الغندور بسوق السلاح في متجددات القرن الحادي عشر][1].

المدرسة الناصرية بالخانكة

هذه المدرسة بضواحي القاهرة في الشمال الغربي منها بمنشأة سرياقوس حيث القرية المعروفة بالخانكة نسبة إليها، إذ كانت تعرف بالخانقاه الناصرية وبخانقاه سرياقوس، أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، وكملت في سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م).

ويبدو مما ذكره المقريزي في شأن هذه المدرسة أنها كانت من أهم مدارس الصوفية، تعادل في نظامها ومناهجها ومرتباتها وأوقافها مدرسة سعيد السعداء، وتساوت رتبة شيخها مع رتبة شيخ الصلاحية[2].

ومن سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م) بدأ نجم هذه المدرسة يأفل فأخذت في التناقص شيئًا فشيئًا، حتى تعطلت شعائرها وهجرت، فتطرق إليها الخراب عاجلاً، فلما كان في سنة (٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م) أمر الملك الأشرف برسباي ببناء جامع في شمالها [انظر جامع الأشرف بالخانكة][3].

المدرسة القيسرانية

في المقريزي: «هذه المدرسة بجوار المدرسة الصاحبية بسويقة الصاحب فيما بينها وبين باب الخوخة، كانت دارًا يسكنها القاضي الرئيسي شمس الدين محمد بن إبراهيم القيسراني أحد موقعي الدست بالقاهرة، فوقفها قبل موته مدرسة وذلك في ربيع الأول سنة (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، وتوفي سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م)»[4]، وبالبحث وجد أن هذه المدرسة دثرت وتحول مكانها إلى وكالة كانت مستعملة مخزنًا للمشروبات الروحية على رأس شارع حمام الثلاث بجوار مخازن قابيل، وقد قضى فتح شارع الأزهر الجديد في سنة (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م) على مجموعة هذه المباني[5].

يؤيده تطبيق هذا الموقع على ما ذكره المقريزي آنفًا لأن باب الخوخة الذي أنشأه أبو سعيد ميمون دبة كان بآخر شارع قبو الزينية المسمى خطأ بقبو الزينة تجاه مدرسة الأمير زين الدين يحي الأستادار، وقيل له باب النهدين لأن واجهته كانت تتحلى بزخارف بارزة فيها ما يماثل شكل نهدين ذات اليمين وذات الشمال، على نحو أبواب المغرب وكما نشاهد في سبيل رقية دودو (١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م) بسويقة العزي، وسبيل نفيسة المرادية بالقاهرة، ولأن المدرسة الصاحبية التي أنشأها الوزير الصاحب صفي الدين بن شكر في (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) كانت في محل مجموعة المباني من٨ حتى مكتب بريد الغورية بشارع الوزير الصاحب، فكانت هذه المدرسة وسطًا بينهما[6].

المدرسة الفارسية

في المقريزي: «أن هذه المدرسة بخط الفهادين من أول العطوفية بالقاهرة، كان موضعها كنيسة تعرف بكنيسة الفهادين، فلما كانت واقعة النصارى في سنة

(١) محمد أمين بن فضل الله المحبي، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، مج. ٤ (د.م.، د.ت.): ١٧٤.
(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٧٦٧-٧٧٠.
(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ١٨٩.
(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٥٨٣- ٥٨٤.
(٥) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٢٨٠، هامش ٤؛ المرجع السابق، مج. ١٠: ٢٥٢، هامش ١.
(٦) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٤٧٦.

(٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)، هدمهــا الأمير فارس ألبكي قريب الأمير سيف الدين آل ملك الجوكندار، وبنى هذه المدرسة ووقف عليها وقفًا يقوم بما تحتاج إليــه»، وبالبحث وجد أن هذه المدرسة بالمنطقة المذكورة يســلك إليها من حارة الجوانية، وقــد بقيت إلى ســنة (١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م)، وآخر ما بقي منها مئذنتها وأسطوانة خشب[١].

مدرسة ابن المغربي

هذه المدرســة بســويقة المســعودي «زقاق عوض»، ذكرها المقريزي في الخطط فقال: «هذه المدرســة بآخر درب الصقالبة فيما بين ســويقة المســعودي وحارة زويلة، بناها صلاح الدين يوسف بن عبد الله بن المغربي رئيس الأطباء تجــاه داره ومات قبل إكمالها، فدفن بعــد موته في قبة تجاه جامعه المطــل على الخليج الناصري بقــرب بركة قرموط، وصارت هذه المدرسة قائمة بغير إكمال إلى أن هدمها بعض ذريته في سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م) وباع أنقاضها فصار موضعها طاحونة»[٢]، وذكرها الحافظ ابن حجر [المتوفى في ذي الحجة ســنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)] في إنباء الغمر بأنبــاء العمر، قال ما نصه: «يوســف بن عبد الله الطبيــب، صلاح الدين بن المغربي رئيس الأطباء بالقاهرة [مات في جمادى الآخرة سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)]، وهو صاحب الجامع الذي يقابل الخليج الحاكمي بالقرب من باب الخوخة بالقاهرة»[٣].

وجاء ذكرهــا في المقريزي أيضًــا في عدة مواضع من الخطط الأول في كلامه على سويقة المسعودي، قال: «إنها من حقوق حارة زويلة بالقاهرة تنسب إلى الأمير صارم الدين قايماز المسعودي مملوك الملك المســعود أقسيس بن الملك الكامل، مات سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م)»[٤].

وعلى دار ابن قرقة، قال: «هذه الدار من الدور القديمة وهي بخط ســويقة المســعودي إلى خط بين السورين، وهي الآن سكن الأمير صارم الدين المســعودي والي القاهرة، بأول حارة زويلة من جهة باب الخوخة على يسرة السالك إلى داخل الحارة وهي معروفة اليوم، وإلى جانبها الحمام المعروف بابــن قرقة أيضًا... وهــذه الدار والحمام قــد هدمتا وصار موضع الدار الجامع المعروف بجامع ابن المغربي برأس سويقة الصاحب، وما يجاوره من دور ابن أبي شــاكر، وآخر ما بقي منه شيء هدمه الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرحيم ابن الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله بن تاج الدين موسى بن أبي شاكر في رمضان سنة (٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م)»[٥].

وعلى خط بين الســورين، قال: «هــذا الخط من حد باب الكافوري في الغرب إلى باب ســعادة، وبه الآن صفان من الأمــلاك: أحدهما مشرف على الخليج، والآخر مشرف على الشارع المســلوك فيه من باب القنطرة إلى باب سعادة، ويقال لهذا الشارع بين السورين، وكان في القديم بهذا الخط

(١) حل مكان المدرسة الفارسية الآن الزاوية المعروفة بزاوية الأربعين الواقعة داخل عطفة الزاوية داخل عطفة الزاوية المتفرعة من درب الزاوية التي يتوصل إليها من حارة المبيضة المتفرعة من شارع الجمالية أمام جامع سعيد السعداء، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ١١٤، هامش ٦؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٥٧٩، هامش ٢.

(٢) المرجع السابق، مج. ٤: ٥٦٩-٥٧٠.

(٣) شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأنباء العمر**، تحقيق حسن حبشي، مج. ١ (القاهرة، ١٩٦٩): ١٠١.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٤٩.

(٥) المرجع السابق: ٢٠٤-٢٠٥.

البستان الكافوري يشرف عليه من حده الغربي، ثم مناظر اللؤلؤة، وقد بقيت منها عقود مبنية بالآجر يمر السالك في هذا الشارع من تحتها، ثم مناظر دار الذهب، وموضعها الآن دار تعرف بدار بهادر الأعسر، ويجاورها قبو معقود يعرف بقبو الذهب هو في بقية مناظر دار الذهب، وبحذاء دار الذهب منظرة الغزالة وهي بجوار قنطرة الموسكي، وقد بني في مكانها ربع يعرف إلى اليوم بربع غزالة ودار ابن قرقة، وقد صار موضعها جامع ابن المغربي وحمام ابن قرقة»[١].

ومن مجموع ما ذكر، يتضح أن المسجد الباقي إلى اليوم معروفًا بهذا الاسم هو البقية الباقية من تلك المدرسة، وطريق الوصول إليه من منفذين: الأول من زقاق عوض بأول شارع مكسر الخشب، داخل حارة زويلة خلف فرع البنك الأهلي، وقد أوصد هذا المنفذ الآن، والثاني من منزل رقم٧ بشارع بين السورين، كما يتبين أن هذه المنطقة بما يقوم عليها من المباني يمينًا وشمالاً طولاً وعرضًا، وهي ذات سويقة المسعودي[٢].

وهذه الأدلة والقرائن الظاهرة التي تدل على هذه المدرسة تصحح ما ذكره علي مبارك باشا بشأنها، وفي الوقت نفسه تضع هذه المدرسة في الموضع الذي قصده المقريزي وغيره، وقد زرنا هذا المسجد من ناحيتيه فوجدنا أن المنفذ الأول، وهو الباب الأصلي للمسجد في إبان نشأته قد أوصد، ومن هذا الباب نصل إلى ضريح داخل غرفة تقابله من المنفذ الآخر مصلى حديثة البناء مرفوعة على أربع دعامات، وفي هذه المصلى تقام الشعائر بقدر المستطاع، وقد يكون الأمر الحري بالنظر هنا هو معرفة صاحب هذا الضريح، إذ قد ثبت من طريق لا يقبل الشك أن صلاح الدين يوسف بن المغربي منشئ هذا الأثر لم يدفن بهذا الجامع بل دفن بجامعه الآخر الذي أنشأه على الخليج الناصري بالقرب من بركة قرموط، وهو الجامع الذي بقي منه إلى الآن قبة بها ضريحه على ما ثبت لدينا من طريق ليس فيه غموض [انظر ترجمة مسجد ابن المغربي بشارع عدلي باشا يكن، المغربي سابقًا][٣].

وبالبحث وجدنا أن المدفون به هو مغربي آخر يدعى الشيخ سراج الدين عمر بن أبي بكر بن علي بن عبد الله المغربي الأصل القاهري المعروف بابن المغربل، من علماء القاهرة في القرن التاسع الهجري، توفي في ذي القعدة في سنة (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)، قال السخاوي في ترجمته: «ودفن بزاويتهم القريبة من قنطرة الموسكي»[٤].

وبما ذكرناه هنا يُزال هذا الالتباس الذي لابس كثيرًا من علماء الآثار أحقابًا طويلة، وتظهر هذه الحلقة المفقودة من معالم القاهرة، ويمكن وضع هذا الجامع في منشآت سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) كما يشير إليه المقريزي فيما تقدم، ودور ابن أبي شاكر التي يشير إليها المقريزي فيما تقدم دخلت في ضمن الوكالة وقف علي كتخدا مستحفظان وما في جوارها شمالاً، وبقي من آثار منشئها عبد الوهاب بن عبد الله بن موسى بن أبي شاكر ناظر الخاص [المتوفى سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م)] مسجد متخرب في جوار رباط الزيني يحيى، كان يعرف سابقًا بمسجد ابن أبي شاكر ويعرف الآن بزاوية كوهن شاه [انظر هذا المسجد].

(١) المرجع السابق: ٧١.

(٢) أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ٢، ج. ٢: ٥٣٨.

(٣) قبة المغربي تقع بشارع عدلي تم هدمها في الستينيات من القرن العشرين.

(٤) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٧٥.

مدرسة قانباي الدوادار (مصطفى البنوفري)

تقع هذه المدرسة في حي من أحياء ظاهر القاهرة يعرف بسويقة العزي، يلتقي بشارع التبانة في جانبه البحري، وشارع سوق السلاح في جانبه القبلي، وتعرف بمسجد البنوفري، والمسجد يقع بأوله من الجانب الأول، وأصله مدرسة أنشأها الأمير قانباي الدوادار نائب السلطنة في الشام سنة (٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، ومات في نهاية هذه السنة، ودفن بمدرسته، ذكره الحافظ ابن حجر في إنباء الغمر، قال: «بنى برأس سويقة العزي مدرسة، وقرر بها مدرسين للشافعية والحنفية، ووقف لها وقفًا جيدًا»[١].

واستمرت هذه المدرسة تؤدي رسالتها حتى تخربت، فقام بتجديدها الشيخ مصطفى بن أحمد بن محمد البنوفري المغربي من علماء الحنفية، توفي سنة (١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م) ودفن به إلى جانب قبر منشئه قانباي، واستمر المسجد تحت نظر ورثة البنوفري حتى كان منهم في سنة (١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م) المرحوم حسن علام بن إبراهيم علام البنوفري، ثم تنظرت عليه وزارة الأوقاف، والمسجد من تجديد البنوفري المذكور.

مدرسة مقبل الدوادار

بمدخل شارع سوق السلاح «سويقة العزي» مقابل شارع التبانة، أنشأها زين الدين مقبل بن عبد الله الأشقتمري رأس نوبة الجمدارية في عصر الملك الناصر فرج بن برقوق، مات في ربيع الأول سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م)، قال السخاوي في ترجمته في الضوء اللامع: «ودفن بمدرسته التي أنشأها بخط التبانة، عند مفرق الطرق خارج القاهرة»[٢]، وهذه المدرسة تعرف حاليًّا بالمرحوم محمد عارف باشا الدراملي رئيس مجلس الأحكام لتجديده لها في سنة (١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م)[٣]، وهذا التجديد ثابت في عتبة باب المدرسة العليا في عبارة هذا نصها:

إنما يعمر مساجد الله- إلى المهتدين- تاريخ بناء سنة ١٢٨٢

مدرسة سراج الدين عمر البلقيني (مسجد البلقيني)

يقع هذا المسجد في حارة من حارات القاهرة الفاطمية كانت تسمى بالريحانية، نسبة لفرقة من العسكر خدمتها عمل الزهور في موكب الخليفة، ولما سكنها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي وزير الملك الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي عرفت به، ولا يزال محل سكناه بها معروفًا بحوش البهائية بأول حارة باب الغدر (المراكشي حاليًّا)، غربي ربع القبرصلي ومطبخ سنجر للسكر، وهي الآن شارع بين السيارج داخل باب الفتوح، والمسجد في أولها رقم٥١.

أنشأها الشيخ سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني في أول سنة (٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م)، وكملت في آخرها، وقد جعل المنشئ من هذا المسجد مدرسة جامعة لدرس العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه الشافعي والتصوف، وتولى مشيختها، وأنشئ في جانبها الغربي دار لسكناه،

(١) ورد خبر وفاة الأمير قانباي في وفيات سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)، وليس في سنة (٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٨٢؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٩: ١٤-١٧.

(٢) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ١٢٢؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١١: ٢٦٥.

(٣) زاوية عارف باشا بآخر شارع سوق السلاح على ناصية عطفة المبيض. (المراجع)

لزم الإقامة فيها من بعده ورثته، ثم آلت في سنة (١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م) إلى الشيخ أحمد النجمي مفتي مصر السابق، ثم إلى السيد يوسف الزيني وورثته من بعده، وبقي منها ما هو مكلف باسم سراج الدين عمر البلقيني إلى يومنا، وهو العقار رقم٤٧، ٤٩ شارع بين السيارج، كما أنشئ في جانبها الآخر سقاية ماء، ومدفن دفن فيه بعد مماته، وتتابع بنوه وورثته الدفن فيه إلى نهايتهم، واستمرت هذه المدرسة تؤدي رسالتها حتى قام بتجديدها بعد أن صارت مسجدًا جامعًا قاصرًا على الصلاة فيه للجماعة المرحوم الحاج إسماعيل الصابني في سنة (١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م)[١]، ووجدت من آثار هذا التجديد مذكرة تاريخية بدورة المأذنة ومثلها على السبيل:

البسملة، أنشأ هذا المسجد المبارك والسبيل من فضل الله تعالى العبد الفقير الخواجة[٢] الحاج إسماعيل بن المرحوم الحاج إسماعيل الصابني في شهر ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وماية وألف من الهجرة النبوية

أسرة البلقيني

وينحدر منشئ هذا المسجد من أسرة عريقة في النسب من صميم قريش، وتدير آباؤه مدينة عسقلان، ثم هاجر منهم إلى مصر الشيخ صالح بن شهاب الدين بن عبد الخالق بن عبد الحق العسقلاني الكناني، وسكن بقرية من قرى المحلة تسمى بلقينة، وتزوج من أهلها وكثر بها نسله، وظهر منهم في سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م) الشيخ سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير بن صالح وانتقل إلى القاهرة وتديرها، وأخذ في تحصيل العلم حتى نبغ فيه نبوغًا عاليًا، وأسندت إليه ولاية قضاء القاهرة أكثر من مرة، وما برح كذلك حتى توفي في ذي القعدة سنة (٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م)، ودفن بمدرسته هذه، وامتد له من أولاده العلماء والفقهاء والقضاة، فكانت أسرته من أنبل الأسر المصرية وأعلاها ذكرًا[٣].

وقد جمع هذا المسجد الكثير من دفنى هذه الأسرة منهم:

- **جلال الدين**: عبد الرحمن بن سراج الدين عمر، مات في شوال سنة (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)، ودفن بها[٤].
- **تقيّ الدين**: محمد بن محمد بن عمر، مات في سنة (٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م)[٥].
- **أبو البقاء**: ابن بهاء الدين محمد بن صالح، مات في المحرم سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)، ودفن بمدرستهم.
- **وليّ الدين**: محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عيسى (ابن أخت السراج عمر)، مات في شوال سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م)، ودفن بها[٦].

---

(١) تم هدم جامع البلقيني منذ حوالي ٣٠ عامًا وأنشئ في مكانه مسجد جديد، انظر: أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ٢، ج. ٢: ٣٥٦.

(٢) الخواجة: لفظ كان يطلق على التجار، وكان المذكور يتاجر في الصابون وصناعته، بوكالة الصابون بسوق رحبة باب النصر. (المؤلف)

(٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٨٥- ٩٠.

(٤) المرجع السابق، مج. ٤: ١٠٦- ١١٣.

(٥) المرجع السابق، مج. ٩: ٢٦٣.

(٦) يذكر السخاوي أنه توفي في شوال سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، انظر: السخاوي، المرجع السابق، مج. ٨: ١١٠-١١١؛ شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، تحقيق نجوى مصطفى كامل ولبيبة إبراهيم مصطفى، مج. ٣ (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٢): ١٢٥- ١٢٦.

- **قاسم**: بن عمر بن عبد الرحمن بن عمر، مات في شوال سنة (٨٦١هـ/ ١٤٥٧م)، ودفن بمدرستهم عند أبيه وجده[١].
- **علم الدين**: صالح بن عمر، مات في رجب سنة (٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م)، ودفن بجوار والده بمدرسته[٢].
- **شهاب الدين**: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر، مات في صفر (٨٨١هـ/ ١٤٧٦م)، ودفن بمدرستهم[٣].
- **علاء الدين**: علي بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر، مات في شعبان سنة (٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م)، ودفن مع أخيه الشهاب[٤].
- **أبو السعادات**: محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر، مات في سنة (٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)، ودفن بمدرستهم عند جده[٥].
- **محمد**: ابن أحمد بن عبد الرحمن بن عمر، مات في سنة (٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م)، وصلي عليه بجامع الحاكم، ثم دفن عند أبيه بمدرسة جده[٦].
- **محمد**: ابن صالح بن عمر، مات في رجب سنة (٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م)، وصلي عليه بجامع الحاكم، ودفن بمدرستهم[٧].

ترجم لهؤلاء جميعًا السخاوي في الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع، ولبعضهم في التبر المسبوك، وذكر دفنهم بهذا المسجد، ثم دفن به المرحوم الشيخ مصطفى بن محمد بن عبد الرحمن الصفوي القلعاوي من علماء الشافعية، ولد في ربيع الأول سنة (١١٥٨هـ/ ١٤٧٥م)، ومات في رمضان سنة (١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م)، قال الجبرتي في ترجمته في وفيات هذه السنة: «ودفن بزاوية الشيخ سراج الدين البلقيني بحارة بين السيارج»[٨].

وللصفوي هذا مؤلف في التاريخ عنوانه «صفوة الزمان فيمن تولى على مصر من أمير وسلطان»، منه مخطوط بمكتبة بلدية سوهاج (٥١ تاريخ)، ويقول فيه المؤلف إنه مختصر من ذكر من تولى على مصر من الأمراء والملوك والسلاطين إلى عصره.

مسجد تاج الدين البلقيني

وإلى هذه الأسرة ينسب تاج الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر البلقيني، مات في رمضان سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، قال السخاوي في ترجمته: «ودفن من الغد بزاوية زوجته بالقرب من باب القوس»[٩].

وزوجته هي المرحومة السيدة فاطمة بنت الجمالي يوسف بن سنقر، ابتدأت بإنشائها في آواخر سنة (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م) وماتت قبل أن تكمل[١٠]، فأكملتها ابنتها جنة في سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، ودفنت مع أبيها وأمها بالمسجد[١١]،

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ١٨١- ١٨٢.
(٢) المرجع السابق، مج. ٣: ٣١١- ٣١٤.
(٣) يذكر السخاوي أنه قد توفي في سنة (٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م)، انظر: المرجع السابق، مج. ٢: ١٠٢.
(٤) المرجع السابق، مج. ٥: ٣١٠- ٣١١.
(٥) المرجع السابق، مج. ٩: ٣.
(٦) المرجع السابق، مج. ٧: ٧٠- ٧١.
(٧) المرجع السابق، مج. ٧: ٢٦٨- ٢٦٩.
(٨) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٤: ٢٣٧.
(٩) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٧: ٢٩٤-٢٩٥؛ السخاوي، **التبر المسبوك**، مج. ٣: ١٢٣-١٢٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٦: ٦.
(١٠) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ١١٣.
(١١) المرجع السابق، مج. ١٢: ١٧-١٨.

وفي سنة (٨٩٧هـ/ ١٤٩١م) توفيت ابنتها الثانية بلقيس فدفنت معهما[١].

وباب القوس الذي يضع السخاوي فيه هذا المسجد هو الخط الذي كان يعرف في العصر الفاطمي بحارتي المرتاحية، والفرحية نسبة لفرقة من الجند خدمتها حمل المشاعل ورمي المقاذيف، ثم عرفت بخط باب القوس، وهو باب القنطرة الذي أحدثه جوهر الصقلي بسور القاهرة الغربي حينما أحدث القنطرة بنهاية هذا الشارع على شاطئ الخليج الشرقي ليسلك منها إلى نزلة بني شعرية وغيرها، وهذه الخطة الآن هي شارع أمير الجيوش الجواني، والمسجد فيه يحمل رقم٦٢ مكرر، وفي جانبه الشرقي خوخة المغازل التي يذكر السخاوي أن المسجد بقربه وهي المسماة الآن بعطفة الدقي[٢].

والمسجد في خريطة جران بك وارد تحت رقم٥٥، ٥٦ باسم زاوية ابن البلقيني[٣]، وقد أدركت هذا المسجد وبجانبه الشمالي الشرقي ضريح المدفونين به، ولا يوجد الآن لما حدث فوقه من بناء[٤]، وموقوف على هذا المسجد دكان بجواره، وموقوف على مسجد سراج الدين البلقيني بقية داره السالفة الذكر، ودكان مرجوش الجواني ومنزل بحارة القرافة، وآخر بعطفة عقيل[٥]، ويتنظر على هذه الموقوفات حاليًا عبد الهادي حسن عرفة.

مسجد ولي الدين البلقيني

ومن هذه الأسرة ولي الدين أحمد بن محمد بن عمر البلقيني، ولد في ربيع الأول سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م)، وتوفي بدمشق في ذي القعدة سنة (٨٦٥هـ/ ١٤٦١م)، ودفن بتربة ابن حنقرا بمقابر الصوفية، قال السخاوي في ترجمته: «وابتنى بجوار بيته مدرسة لطيفة، وعقد بها مجلسًا للوعظ»[٦].

وذكر في حوادث شهر شعبان سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م) في كتابه التبر المسبوك: «عقد القاضي ولي الدين البلقيني مجلس الوعظ بمدرسته التي أنشأها خلف قاعته جوار المدرسة الشريفية»[٧].

وقد دفن بهذه المدرسة محمد بن أحمد بن علي المناوي أحد نواب الشافعية، المعروف بابن جنة وهي أم بنت بدر الدين محمد بن سراج الدين البلقيني، قال السخاوي في ترجمته: «مات في ربيع الآخر سنة (٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)، وصلي عليه بجامع الحاكم ودفن بفسقية كان ابن خاله المولوي «ولي الدين المذكور» أعدها لنفسه بمدرسته التي أنشأها بالقرب من الشريفية»[٨].

(١) المرجع السابق، مج. ١٢: ١٤.
(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٩، ٦٩.
(٣) خريطة جران بك وضعها جران بك وكيل نظارة الأشغال العمومية في سنة (١٨٧٤م) وطبعت في باريس، حصر فيه مجموعة كبيرة من مساجد القاهرة وظواهرها الأثرية وغيرها. (المؤلف)
(٤) هذا المسجد كان يعرف بمسجد بهي النور، وقد تم هدمه أخيرًا وأدخلت مساحته في المدرسة المجاورة له، انظر: أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ٣، ج. ١: ٤٦.
(٥) عطفة عقيل من شارع بين السيارج قسم باب الشعرية.
(٦) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ١٨٨-١٩٠.
(٧) السخاوي، **التبر المسبوك**، مج. ٤: ٢٢.
(٨) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٧: ٢١.

وهذه المدرسة الآن زاوية تعرف بولي الدين بحارة الغدر «المراكشي حاليًّا»، رقم٢٠، وقد تخربت وبقي موضعها أرضًا فضاء يحيط بها سور من الناحية البحرية(١).

المدرسة الشريفية

والمدرسة الشريفية التي يذكرها السخاوي هي المدرسة التي أنشأها الشريف حسين بن محمد بن الحسين، ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق، يعرف بالموقع وبأبي الركب، أنشأها سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م)، ذكرها خليل بن أيبك الصفدي في تاريخه «أعوان النصر»، قال: «وبنى مدرسة بحارة بهاء الدين ووقف عليها وقفًا جيدًا، ومات في شعبان سنة (٧٦٢هـ/ ١٣٦١م)»(٢)، وهو من أسرة اشتهرت بالشرف وأسند إليها قضاء العسكر، ونقابة الأشراف بالقاهرة، وينسب إليه من النظم مقطوعات جيدة منها قوله:

تلق الأمور بصبر جميل
وصدر رحيب وخل الحرج
وسلم لربك في حكمه
فإما الممات وإما الفرج

وله ديوان خطب سماه «المقال المجد في مقام البند» عارض به خطب ابن نباتة، وتولى نقابة الأشراف بالقاهرة ومصر كأبيه وجده، وخلفه فيها بنوه إلى سنة (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، والمدرسة المذكورة تخربت من زمان مضى، ومحلها الآن الملك رقم٢٢ إلى رقم١٤ من حارة باب الغدر، التي تعرف حاليًّا بحارة الركشي، تجاه باب منصور في السور الجنوبي بنهاية هذه الحارة، وهو الذي عرف أخيرًا بباب الغدر، وبه عرفت الحارة بالاسم السابق، وما تخلف منها يعرف الآن بزاوية عبد السلام رقم٧، كما دفن بهذا المسجد المرحوم حسن الدرويش الموصلي معلم العلوم الكونية بمدرسة المهندسخانة بالقاهرة، مات في جمادى الآخرة سنة (١٢٣١هـ/ ١٨١٦م)، قال الجبرتي في ترجمته: «ودفن بجامع السراج البلقيني بين السيارج».

وهو آخر من دفن بهذا المسجد، ودفن به من النساء من الأسرة البلقينية طائفة ترجم لها السخاوي في الضوء اللامع منها:

- **أَلْـفَ**: ابنة القاضي علم الدين صالح بن عمر، زوجة الخليفة المستنجد بالله يوسف العباسي، قال السخاوي في ترجمتها: «ولم يمنعها زواجها وقيامها بشؤونه مما يعيقها عن طلب العلم، بل القيام بأمر المدرسة وبتفقد الأرامل والمنقطعات بها من النساء اللواتي سكنَّ بها لطلب العلم، وفي عصرها عمل الميعاد في هذه المدرسة بل هي التي أحدثته، إذ قررت بها علماء يدرسون الحديث والتفسير ويعظن النساء الساكنات بالمدرسة وغيرهن ممن يرتدنها، ثم ختم الترجمة بقوله: «وتذكر بالإحسان وفعل الخيرات، والصلاح فضلاً عن العلم»، ولم يذكر تاريخ وفاتها لحياتها وقت الترجمة(٣).

(١) حارة المراكشي «باب الغدر سابقًا» متفرعة من شارع بين السيارج قسم باب الشعرية. (المراجع)

(٢) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، **أعيان العصر وأعوان النصر**، تحقيق علي أبو زيد، مج. ٢ (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٨): ٢٨٣-٢٨٨.

(٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ٧-٨.

- **ألف**: أخرى ابنة العلاء علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن، ماتت سنة (٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م) وصلي عليها بجامع الحاكم، ثم دفنت بمدرستهم[١].
- **بلقيس**: ابنة محمد بن عمر بن رسلان، سلكت طريق التصوف بعد العلم، وأقامت على الذكر والتذكير، ماتت سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)[٢].
- **خديجة**: ابنة محمد بن محمد بن عمر، ماتت سنة (٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م)، وصلي عليها بجامع الحاكم، ثم دفنت بفسقية بقاعة البلقيني[٣].
- **زينب**: ابنة عبد الرحمن عمر، ماتت سنة (٨٩٦هـ/ ١٤٩١م)، ودفنت بالمدرسة البلقينية[٤].
- **عمائم**: ابنة صالح بن عمر، ماتت سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)، ودفنت عند أمها بمدرسة جدهم[٥].
- **فاطمة**: ابنة عبد الرحمن بن عمر، ماتت سنة (٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م)، ودفنت بمدرسة جدها[٦].
- **ست الخلفاء**: ابنة المستنجد بالله أبي المظفر يوسف ابن المتوكل على الله محمد بن المعتصم بالله أبي بكر بن المستكفي بالله سليمان العباسي، ماتت سنة (٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م)، ودفنت عند جدتها لأمها وخالتها بالمدرسة البلقينية، وهي ابنة ألف السالفة الذكر[٧].
- **أم الحسن**: ابنة محمد بن محمد بن عبد الرحمن، وهذه لها وقف على المدرسة بأعيان في بولاق، صدر بتاريخ الثالث من صفر سنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م)، موجود أصله بحفظ شرعية مصر رقم٤٢.

إلى طائفة أخرى من النساء لازمن الإقامة بهذه المدرسة ودفنَّ بها بعد موتهن، والمسجد الآن يضم ضريحين في جانبه البحري والغربي فيهن هؤلاء الدفنى جميعًا.

وأم الحسن سالفة الذكر هي من آخر أعلام هذه الشجرة من ذرية جلال الدين عبد الرحمن بن سراج الدين عمر البلقيني، تزوجت المرحوم الناصري محمد، ولم تعقب منه وماتت سنة (٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م) عن شقيقتها خديجة، وولدي ولد عمها هما تاج الدين أبو سلم، ونور الدين أبو الحسن علي، ولدا المرحوم كمال الدين أبو البركات محمد بن علاء الدين أبو الحسن علي بن أبي سلم محمد بن جلال الدين عبد الرحمن بن السراج عمر، ثم لحقت بها أختها خديجة ودفنت كلتاهما بمدرسة جدهما.

وبرز من هذه الشجرة بعد أم الحسن سالفة الذكر المرحوم القاضي أوحد الدين أبو الخير البلقيني بن بدر الدين محمد بن جلال الدين عبد الرحمن المذكور، تولى القضاء بالمحلة الكبرى واستقر بها، وأنشأ بها سقاية ماء، وحاز بها وبأحوازها ممتلكات أوقفها بكتاب وقف [صادر من محكمة المحلة الكبرى بتاريخ ٢١ من شوال سنة (٩٩٧هـ/ ١٥٨٩م)]، ومات في ذي القعدة سنة (١٠٠١هـ/ ١٥٩٣م) عن بناته الثلاث هن: آمنة المدعوة سيدة القضاة، تولت القضاء للسيدات بالمحلة الكبرى وكانت من النابهات، وستيتة، وصالحة، والأخيرة هي التي استقر الوقف في ذريتها.

(١) المرجع السابق: ٨.
(٢) المرجع السابق: ١٤.
(٣) المرجع السابق: ٣١.
(٤) المرجع السابق: ٤١.
(٥) المرجع السابق: ٨٤.
(٦) المرجع السابق: ٩٣-٩٤.
(٧) المرجع السابق:٥٤-٥٥؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٢٤٠-٢٤١.

وظهر منهم إلى سنة (١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م) المرحوم الشيخ رضوان المؤيدي من علماء الشافعية بالأزهر، ابن الشيخ حسين المحلاوي محمد، المرزوق الشيخ حسين المذكور لوالده من زوجته المرحومة صالحة بنت المرحوم خليل بن المرحوم أحمد البلقيني، المرزوق خليل المذكور لوالده من زوجته المرحومة صالحة بنت الواقف سالف الذكر.

ثم امتدت ذرية الواقف من هذا الفرع إلى أول سنة (١٣٠٨هـ/ ١٨٩٧م)، كما تحقق لي ذلك من القضية المدنية رقم١٤٠ لسنة (١٨٩٧م) كلي محلة، وحتى الآن لم يقض فيها، وقد سجل كتاب وقفه أخيرًا برقم ١ بسجلات قلم الحفظ بمحكمة المحلة الكبرى.

مدرسة فيروز الخازندار

كان شارع العقادين الحالي بالقاهرة يطلق عليه في القرن التاسع عشر سوق الغرابليين، وكان يتلاقى بشارع الشوايين من الجانب البحري، وشارع السكريين «السكرية» من الجانب القبلي[١]، وبأحد أزقة هذا الشارع كانت توجد مدرسة فيروز الخازندار هذا، لم يذكرها المقريزي في الخطط وذكرها السخاوي في الضوء اللامع، ويوسف بن تغري بردي في المنهل الصافي[٢].

وأفاد كلاهما أنها بسوق الغرابليين بالقرب من مسجد سام «مسجد البنا» داخل باب زويلة، ومات منشؤها في سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م) ولم تتم بعد، فاستولى عليها الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق ووضع يده على أوقافها وأضافها إلى تربته بالصحراء، ثم وهب المدرسة إلى الأمير دمرداش المحمدي فأكمل بناءها على ما أسست عليه، وما تبقى منها أكمله القاضي عبد الباسط بن خليل ناظر الجيش في عهد الملك المؤيد شيخ ومن ثم عرفت بالباسطية[٣]، وعرف الدرب الذي تقع فيه بالباسطية، وهو ما يعرف بحارة العقادين[٤].

وقد أدركنا من هذه المدرسة السبيل والمكتب من ملحقاتها تجاوره أطلالها، ثم عفي أثر ذلك في سنة (١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م)، وحل في محل هذه المدرسة دكاكين وبنايات أخرى،

---

(١) خط الغرابليين: كان به حوانيت لعمل الغرابيل والمناخل، ومكانه حاليًّا الجزء الذي تشغله السكرية والمناخلية بشارع المعز لدين الله قبل حارة الروم من جهة باب زويلة، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٣٢.

(٢) فيروز بن عبد الله الطواشي الرومي: رأس نوبة الجمدارية في الدولة الناصرية فرج، كان خصيصًا عند الملك الناصر مقربًا للغاية ثم ولاه الناصر الخازندارية ونظر خانقاه سرياقوس، وكان يميل إلى دين وخير، توفي الأربعاء التاسع من شهر رجب سنة أربع عشرة وثمانمائة ودفن بتربة الملك الظاهر برقوق= بالصحراء، وكان قد شرع في بناء مدرسة بخط الغرابليين داخل باب زويلة من القاهرة ووقف عليها عدة أوقاف قبل فراغها، فلما دفن بحوش السلطان خلف قبر الملك الظاهر برقوق فأقر الملك الناصر فرج ما وقفه وقرره من المصارف على الفقهاء والأيتام وغيرهم، وأضاف الوقف جميعه على تربته التي أنشأها على قبر أبيه واستمر ذلك، ثم أخذ المدرسة وأنعم بها على الأتابك دمرداش المحمدي، وأخذ آلات عمارة فيروز المذكور، فشرع دمرداش في بناء المدرسة قيسارية، فلم تطل أيامه وقتل بعد مدة، فاستولى عليها عبد الباسط بن خليل وعمرها قيسارية، ومعروفة به إلى الآن، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٢: ٥٠١؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ١٧٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٣: ١٨٦؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٨: ٤١٤-٤١٥؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي، **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مج. ٢ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٣): ٥٢٤.

(٣) عن وكالة الباسطية، انظر: أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ٣، ج. ١: ٥١٧- ٥١٨.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٠٣.

وآخر من جدد هذا الأثر في سنة (١١٢٥هـ/ ١٧١٣م)، المرحوم السيد محمد التونسي من تجار المغاربة بالفحامين.

مدرسة (مسجد) الأمير قلمطاي الجمالي

يقع هذا المسجد بمنطقة حوش العرب «شارع درب الحصر حاليًا»، رقم٢٣ قسم الخليفة، أنشأه الأمير قلمطاي الجمالي الأشرفي في أوائل سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)، برسم مدرسة للصوفية إلى جانب دار سكناه، ومات المنشئ في شهر المحرم سنة (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م)، ودفن بتربته بالمسجد[١].

وقد تصدى لتجديده المرحوم حسن كتخدا عزبان في سنة (١١٢٤هـ/ ١٧١٢م)، وهو ما تشير إليه المذكرة التاريخية المثبتة في إفريز بواجهة بيت الصلاة، ونص قراءتنا لها:

البسملة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان، قال الله تعالى: إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر، قام بإنشاء وتعمير وإحداث الخطبة في هذا المسجد المعروف قديمًا بزاوية سيدي محمد قلمطاي الجمالي الفقير إلى رحمة الله تعالى الأمير حسن ... كتخدا عزبان بن المرحوم الأمير ناصف علي وذلك في جمادى الثانية سنة ١١٢٤

(١) قلمطاي الإسحاقي الأشرفي برسباي: صهر الجمال يوسف بن تغري بردي، أحد أمراء العشرات، حج مرتين وكان ممن يذكر بخير، مات في ليلة الأربعاء العاشر من المحرم سنة سبع وسبعين، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢٢٤.

ثم أعيد تجديد ما وهن منه في سنتي (١٣٥٤، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٥، ١٩٣٨م)، وتخلف من آثاره الأولى بقية أهمها بقايا من شباكين في الجهة الشرقية من الجص المخموس، وبنى حسن كتخدا المذكور سقاية ماء في مواجهة هذا المسجد، يعلوها مكتب للتعليم في سنة (١١١٣هـ/ ١٧٠١م)، وتحمل نصًّا تاريخيًّا من سطرين[٢].

مدرسة سودون العجمي (مسجد الهندي)

هذا المسجد يقع بإحدى حارات ظاهر القاهرة التي يسميها المقريزي بالحبانية وهو اسمها الحالي[٣]، كان في الأصل مدرسة أنشأها الأمير سودون النوروزي المعروف بالعجمي رأس نوبة الظاهري، ومات منشؤها بعيدًا عن القاهرة في سنة (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)[٤].

ودفن بها الشيخ عبد الرحيم بن أبي بكر بن محمود بن علي الحموي أحد علماء الشافعية، ولد بحماة سنة (٧٦٢هـ/ ١٣٦١م)، وتحول منها إلى القاهرة في سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)، وتصدر للوعظ والإرشاد والدرس والخطابة بالأشرفية والأزهر، ومات في ذي القعدة سنة (٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م)، قال السخاوي: «ودفن بمدرسة سودون العجمي بالحبانية»[٥].

(٢) أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ٢، ج. ١: ٣٠٤- ٣٠٦.

(٣) ابن عبد الظاهر، **الروضة البهية**: ١٣٦؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٥.

(٤) الأمير سيف الدين سودون بن عبد الله العجمي النوروزي: أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، من مماليك الأمير نوروز الحافظي، ممن تأمر في الدولة الظاهرية جقمق عشرة، واستمر على ذلك إلى أن مات في حدود الخمسين وثمانمائة، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٢٨٧؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٦: ١٦٦-١٦٧؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، مج. ١: ٣٣٤.

(٥) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٤: ١٧٠.

وقد عرفت هذه المدرسة منذ وضع شيوخ الهنود يدهم عليها باسم علي الهندي، وهو أحد شيوخها المدعو علي الهندي القابودي، وفي سنة (١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م) أراد الصوفية الأوزبك الاستيلاء على زوايا الهنود بالقاهرة، وهي هذه الزاوية وزاوية المحجر والرميلة والتبانة، فتصدى لهم شيخ الهنود وقاضاهم، فحكم له ولدراويشه بالاستمرار في زواياهم المذكورة، وهذا ما تحققه من [السجل رقم٣٧٣ ص٣٤٦] لسنة (١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م)[١].

مدرسة سودون الظاهري

هذا المسجد على رأس حارة الهلالية، المتفرعة من سويقة العزي «شارع سوق السلاح»، شمالي حمام بشتاك الناصري، أنشأه الأمير سودون بن عبد الرحمن الظاهري في سنة (٨٢٨هـ/ ١٤٢٥م)، وهو صاحب المدرسة التي أنشأها بخانقاه سرياقوس «الخانكة»، ومات المنشئ سنة (٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م) عن سن عالية[٢]، وقد جعل من هذا المسجد مدرسة استمرت تؤدي رسالتها حتى تخربت فجددها المرحوم الأمير عبد الله بك في سنة (١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م)، وتخلف من تجديده لها نص يعلو باب بالشارع من عطفة عبد الله بك الشرقية يقرأ فيه آيات من الكتاب الكريم تنتهي بهذا النص:

وكان الفراغ من عمارة هذه المدرسة المباركة
سنة ١١٥٢

وقد أخذت هذه المدرسة في فتح هذه الحارة عندما شرع في تنظيم هذه المنطقة[٣].

مسجد محمد شمس الدين الطرابلسي (المدرسة السكرية)

هذه المدرسة بغيط العدة بالحارة التي كانت تعرف قديمًا بحدرة الكماجين، وحاليًّا بحارة ضرغام، المتفرعة من شارع محمد علي «البحري»، تعرف بمسجد ضرغام، كان في الأصل مدرسة أنشأها الحاج محمد شمس الدين الطرابلسي المعروف بالسكر في سنة (٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، ثم تحول إلى زاوية وتخلف منها مذكرة تاريخية في إفريز من الخشب يقرأ فيه في سطرين ما نصه:

البسملة... إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر. أمر بإنشاء هذا العبد الحاج محمد شمس الدين الطرابلسي المعروف بالسكر عمل المعلم أحمد بن يوسف. في شهر رجب سنة أحد وسبعين وسبعماية

وقد ذكر المقريزي هذه المدرسة باسم السكرية، ونسبها إلى أحمد بن علي بن محمد بن علي بن ضرغام بن علي ابن عبد الكافي البكري عرف بابن سكر، من المتصدرين للتدريس بالمنصورية وجامع الحاكم، وكان يتكسب ببيع الفخار، ومات في سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)[٤]، وقد تجدد هذا

(١) زاوية وضريح سيدي علي الهندي (تكية القدرية)، رقم١٤ سكة الحبانية خلف مستشفى أحمد ماهر. (المراجع)

(٢) حسني نويصر، **مدرسة جركسية على نمط المساجد الجامعة** (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٥).

(٣) هدمت مدرسة سودون من زادة في الستينيات، وأنشئ في محلها مبانٍ شعبية، وبقي من المدرسة جدار القبلة وبه المحراب والجدار الشرقي، ثم أنشئ مبنى جديد للمطافئ في سنة (٢٠١٢م) على جدار القبلة. (المراجع)

(٤) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٢: ٢٧١؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٣٣-٣٤.

المسجد في سنة (١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م)، إثر فتح شارع محمد علي في عهد الخديوي إسماعيل، وقد أخذ منه جانب في فتح الشارع المذكور فصار أقل مساحة مما كان عليه، وهو مسجد معلق[١].

مسجد كريم الدين بن الغنام

يقع هذا المسجد بحارة كتامة «الدويداري حاليًا» شرقي الأزهر، أنشأه عبد الله بن شاكر بن عبد الله الغنام الملقب بالصاحب كريم الدين، من مسالمة الأقباط، ولي الوزارة في حياة الأشرف برسباي، ترجم له ابن حجر في إنباء الغمر وأرخ وفاته في السادس عشر من شعبان سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)، قال: «ودفن بمدرسته بالقرب من الجامع الأزهر»[٢].

ولوالده أمين الدين بن الغنام وزير الملك الظاهر برقوق مسجدًا بالزربية بجوار داره، أنشأه برسم خانقاه للصوفية في سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)، وقد مر ذكره في موضعه من هذا الكتاب، ومسجد كريم الدين وداره هما الموجودان الآن بالمنطقة سالفة الذكر، وتخلف من داره قاعة لطيفة لا تزال على طابعها إلى اليوم[٣].

مدرسة (مسجد) مبارك الحلوجي (زاوية الحلاوية)

يقع هذا المسجد في قلب القاهرة بخطة كانت تعرف بالسبع خوخ، ثم عرفت بسوق الأباريين ثم سوق الحلاوين، وهي اليوم شارع الحلوجي المسلوك منه إلى المشهد الحسيني شمالاً والأزهر جنوبًا[٤].

أنشأه الشيخ أمين الدين أبي اليمن مبارك بن عبد الله الهندي، قدم من الهند إلى مصر، واجتمع بالشيخ أبي السعود ابن أبي العشائر الواسطي [المتوفى في شوال سنة (٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م)] والشيخ داوود الرفاعي المعروف بالأعزب، دفين تفهنا غربية [المتوفى في جمادى الآخرة سنة (٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م)] واتصل بأكابر الدولة وأنشئت له هذه الزاوية في سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، وأقام بها يعلم ويدرس حتى مات في شوال سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، ودفن بقبر أعده لنفسه فيها، وخلفه فيها ابنه نور الدين علي بن مبارك إلى وفاته في سنة (٧١٤هـ/ ١٣١٤م)، ثم ولده سراج الدين عمر بن علي إلى وفاته في سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)، ودفنا بالزاوية مع ذويهما، وآخر من دفن بها منهم جمال الدين عبد الله، مات في صفر سنة (٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)[٥].

وقد نزل بهذه الزاوية الشيخ عبيد البلقيني ولزمها حتى مات بها بعد سنة (٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، وجددها له الملك الأشرف قانصوة الغوري، قال الشعراني في ترجمته: «ودفن بزاويته التي أنشأها بالقرب من الجامع الأزهر المشهورة بالحلاوية»[٦].

(١) زاوية الشيخ محمد درغام رقم٩ وتطل على شارع محمد علي تجاه درب العنبة وبجوار حارة أبو الشوارب. (المراجع)
(٢) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٢٢٨-٢٢٩.
(٣) داخل حرم جامعة الأزهر وبابه بعطفة الأزهري رقم١٢، وعليه منارة. (المراجع)
(٤) ذكر المقريزي هذا المسجد وسماه بالحلاوية، واسمته خريطة الحملة الفرنسية بالحلويين برقم K5-177. (المؤلف)
(٥) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٨١٠.
(٦) عبد الوهاب بن أحمد بن الأنصاري الشافعي المصري الشعراني، **الطبقات الكبرى للشعراني، المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار: كتاب الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية**، مج. ٢ (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٨): ٢٦٠.

وقد تجدد هذا المسجد أخيرًا في سنة (١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م)، وهو على هذا التجديد إلى اليوم، ثم هدم وهدم ما حوله من مبان وأزيلت جميعها لتوسعة ميدان المشهد الحسيني، ونقل رفات الثاوين في المسجد إلى القرافة، ثم هدم نهائيًّا في ديسمبر سنة (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

مسجد المرحومي (المدرسة التقوية)

هذا المسجد بالفسطاط بخط حمام جمدار «شارع المرحومي حاليًّا»، كان في الأصل مدرسة أنشأها الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي في سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٥م) على أنقاض منازل العز الفاطمية، وجعلها باسم ولد أخيه تقي الدين عمر ابن أيوب[١].

واستمرت المدرسة تؤدي رسالتها حتى تخربت، فقام بتجديدها ناصر الدين الكونكي وعرفت به بعد، ثم نزل بها الشيخ شهاب الدين أحمد بن حسين بن علي المرحومي الأشموني، ولد سنة (٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م) بأشمون، وانتقل به والده إلى القاهرة طلبًا للعلم، ترجمه السخاوي في الضوء اللامع حيًّا، ثم مات المرحومي سنة (٩٢١هـ/ ١٥٠٦م) ودفن بتربته بالمسجد[٢]، وبالمسجد طائفة من أصحابه منهم الشيخ شعبان الطويل النشيلي، مات سنة (٩٤١هـ/ ١٥٣٤م)[٣].

(١) ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ٩٣-٩٤؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٤٥٦-٤٥٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٥: ٣٨٦.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١: ٢٨٩.

(٣) حل محل المدرسة التقوية الآن الجامع المعروف بجامع شهاب الدين أحمد المرحومي بشارع المرحومي بمصر القديمة، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٥: ٣٨٦، هامش١.

مدرسة مسجد الآميني

هذا المسجد بدرب الأقصرائي خارج باب الوزير محمود، بآخر التبانة قسم الدرب الأحمر، أنشأه الشيخ شرف الدين يحيى الأقصرائي الآميني في سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م)، برسم مدرسة للحنفية ومسجد للصلاة، ذكره السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة تنم الأبو بكري المؤيدي [المتوفى بالري في المحرم سنة (٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م)]، حيث قال: «وهو صاحب البيت المجاور لمسجد الأميني الأقصرائي بالقرب من الأيتمشية»[٤].

يعرف هذا المسجد حاليًّا بالشيخ مرشد، وهو المترجم في طبقات الشعراني الوسطى: «أنه إبراهيم المشهور بمرشد، كان من رجال الطريقة القادرية، ومتفوق في صنعة الحياكة بسوق ابن طولون، مات سنة نيف وأربعين وتسعماية، ودفن بباب الوزير بالقرب من قلعة جبل».

وترجم السخاوي في الضوء اللامع للمنشىء، فقال: «يحيى بن محمد إبراهيم بن أحمد أمين الدولة الأقصرائي، وذكر من مواقفه المحمودة أن السلطان قايتباي حينما عرضت له بعض الغزوات واحتاج إلى المال لتموين الجيش وإعداده للدفاع الوطني وتجهيزه بأحدث المعدات لرد صدمات العدو المفاجئ، استشرفت نفسه للأخذ من مال الأوقاف «الأحباس الخيرية»، وجمع السلطان القضاة والعلماء بما فيهم المترجم له، وشرح لهم الموقف، وأبدى رغبته في الاستعانة بمال الأوقاف الخيرية، فلم يجرؤ أحد من العلماء الحاضرين على إرجاع السلطان مع استنكارهم

(٤) عن سيرة الأمير تنم الأبو بكري، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٤٥.

لذلك، قال السخاوي: فقام المترجم له بأعباء دفع هذه النازلة أعظم قيام وكفى الله المؤمنين القتال وما نهض غيره لمشاركته في ذلك، وكف الله عنه ألسنة المعتدين وأيديهم بحسن نيته وجميل سريرته، ولم يجد الأعداء سبيلاً إلى الحط من مقداره، بل كان ذلك سببًا في ارتقائه، وأنه توعك بعد ذلك ووصل علمه إلى السلطان المشار إليه فنزل إليه منزله، فسلم عليه وبالغ في التواضع معه، مات المترجم له في سنة (٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م)، ودفن بتربته خارج باب الوزير بالقرب من التنكزية»[١]، ولا يزال هذا المسجد محتفظًا ببقايا ضئيلة من مخلفاته، كانت مسجلة برقم٥٩٤ [٢].

مدرسة أبي غالب

هذه المدرسة لم يذكرها المقريزي في المدارس بيد أنه أشار إليها في كلامه على باب الخوخة[٣]، وذكرها الحافظ ابن حجر في ترجمة منشئها في الدرر الكامنة وإنباء الغمر، وأفاد: «أنه أبو غالب القبطي الكلبشاوي أحد مسالمة القبط كان يباشر في دواوين الأمراء، ثم أسلم وحج وبنى مدرسة على شاطئ الخليج، وولي نظر الذخيرة، مات في شوال سنة (٧٧٧هـ/ ١٣٧٦م)»[٤].

وذكرها السخاوي في التبر المسبوك في ترجمة ولده جمال الدين عبد الباقي بن يعقوب بن أبي غالب [المتوفى سنة (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)]، وزاد الأمر توضيحًا في تعيين المدرسة المذكورة، فقال: «إنها بباب الخوخة بالقرب من قنطرة الموسكي المجاورة للمدرسة الزينية»[٥].

وبالبحث عن هذه المدرسة وجد أنها الجامع المعروف بالحفني[٦]، الذي جدده الأمير عبد الرحمن كتخدا للشيخ الحفني في سنة (١١٦٧هـ/ ١٧٥٤م)، إذ هو الجامع المجاور لباب الخوخة الذي يمكن وضعه في جوار المدرسة الزينية «انظر ترجمة هذا الجامع في آثار القرن الثاني عشر»[٧].

المدرسة المسلمية أو الكافورية

بمصر بخط السورين للمالكية والشافعية وتحفيظ القرآن الكريم، أنشأها كبير التجار ناصر الدين محمد بن مسلم البالسي في سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) ومات قبل أن

---

(١) عن سيرة الشيخ يحي بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الأمين الأقصرائي انظر: المرجع السابق، مج. ١٠: ٢٤٠-٢٤٣.

(٢) كان محلق بهذا المسجد سبيلين وتم هدمه في سنة (٢٠١١م)، انظر: أبو العمايم، آثار القاهرة، مج. ١: ٣٥- ٣٨؛ مج. ٢، ج. ١: ٣٧- ٤٠.

(٣) باب الخوخة: أحد أبواب القاهرة القديمة في سورها الغربي الذي أنشأه جوهر القائد مما يلي الخليج في حدها البحري (الغربي)، كان يعرف أولاً بخوخة أبي سعيد ميمون أحد خدام الخليفة العزيز بالله، يسلك إليه من سويقة الصاحب وسويقة المسعودي، انظر: المقريزي **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢١٤.

(٤) يحدد محمد رمزي مكان مدرسة أبي غالب المجاورة لمسجد باب الخوخة الذي مكانه اليوم المدرسة الزينية التي تعرف بجامع القاضي يحي زين الدين بالقرب من قنطرة الموسكي، أن مدرسة أبي غالب هي التي تعرف اليوم بجامع الحنفي بشارع جامع البنات بالقاهرة، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ١٢٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ١٤١، هامش ٣.

(٥) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٤: ٣٢؛ السخاوي، **التبر المسبوك**، مج. ١: ٣١٥-٣١٦.

(٦) تم هدم جامع الحنفي في سنة (١٩٥٠م) لتوسعة شارع الخليج المصري، انظر: أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ١: ٣٢٧- ٣٣٠.

(٧) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٤: ٩٩.

يكملها[١]، فأتمها من بعده كافور أغا الرومي. قال المقريزي: «وهي الآن عامرة»[٢]، وخط السورين هو المعروف حاليًا بالسهراية، وليس لهذه المدرسة فيه أثر.

المدرسة الأشرفية

هذه المدرسة برأس الصوة لم يذكرها المقريزي في المدارس[٣]، وذكرها الحافظ ابن حجر في إنباء الغمر، وأفاد: «أنها من بناء الملك الأشرف شعبان بن حسين في سنة (٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م)[٤]، ثم هدمها الناصر فرج لسبب مذكور[٥]، ثم أعادها الملك المؤيد شيخ في سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م) مارستانًا للمرضى[٦]، وما برح كذلك حتى تحول إلى جامع عرف بجامع أبي غالب السكري بيد أنه لم يمكث طويلاً حتى هجر، وهو قائم للآن في جوار جامع أبي غالب السكري وتكية الهنود بحارة المنطاوي بشارع الكومي بالمحجر [انظر هذه الترجمة كاملة في جامع المؤيد شيخ بسكة الكومي بالمحجر]، وفي بقاء هذا الجامع ماثلاً للآن تصحيح لما ذكره علي مبارك باشا بشأنه[٧].

مدرسة ابن عرام

في المقريزي: «أن هذه المدرسة بجوار جامع الأمير حسين بحكر جوهر النوبي، من بر الخليج الغربي خارج القاهرة أنشأها الأمير صلاح الدين خليل بن عرام نائب الإسكندرية»، ثم أرخ وفاته في سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م) مقتولاً ممثلاً به شر مثلة[٨]، قال: «ثم جمع ما وجد منه ودفن بمدرسته»[٩].

وأفاد في ترجمته لحكر جوهر النوبي: «أن هذا الحكر تجاه الحارة الوزيرية من بر الخليج الغربي في شرقي بستان العدة، ويسلك منه إلى قنطرة أمير حسين من طريق تجاه باب جامع أمير حسين الذي تعلوه المئذنة»[١٠].

---

(١) عن سيرة محمد بن مسلم التاجر الكارمي، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ٢٤٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ١٣٢؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، مج. ٢: ٧٠٥.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٦٣٢-٦٣٣.

(٣) لم يقف صاحب المزارات على الرواية في الخطط المقريزية، انظر: المرجع السابق: ٦٦١-٦٦٦.

(٤) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ١٠٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٦٧؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ١٥٣-١٥٤.

(٥) المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ٢٧٣؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٦٦٦؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٢: ٤٩٢-٤٩٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٣: ١٢٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ٨٠٧، ٨١٣.

(٦) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٧٠٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٣٣٤-٣٣٥.

(٧) للمدرسة الأشرفية بقايا داخل البيمارستان المؤيدي، أثر رقم٢٥٧ بسكة الكومي، من شارع المحجر، أما جامع أبو غالبة السكري فقد أزالته لجنة حفظ الآثار لإظهار واجهة المارستان. (المراجع)

(٨) عن سيرة الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ٢٢٣-٢٢٤؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ٤٠٨؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٥: ٢٦٣-٢٦٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ٢٨١.

(٩) هذه المدرسة صارت تعرف باسم جامع المرصفي لنزول الشيخ الزاهد نور الدين علي بن خليل المرصفي بها واتخذها زاوية له بسبب تعطلها، ولما مات سنة (٩٣٥هـ/ ١٥٢٩م) دفن بها، وقد تخربت الآن، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٥٨٦، هامش ٤؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ٣٩٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ١٨٥؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٣: ٢١٩-٢٢٠؛ المرجع السابق، مج. ٦: ١-٢.

(١٠) حكر جوهر النوبي: تجاه الحارة الوزيرية من بر الخليج الغربي، في شرقي بستان العدة، ويسلك منه إلى قنطرة أمير حسين، من طريق تجاه باب جامع أمير حسين الذي تعلوه المئذنة، وما زال=

ومن مجموع ما ذكر يتبين أن هذه المدرسة كانت تقع في المربع المواجه لباب جامع الأمير حسين القائم عليه مجموعة المباني الداخلة في ملك المهدي، وقد بقي من هذه المدرسة ضريح منشئها المذكور إلى أوائل القرن الحالي، يتصل به مسجد صغير وكان يعرف بضريح سيدي الأربعين لجهل الناس به، فلما شرع الشيخ عبد الباقي المهدي في تجديد هذه المباني اقتضى اختفاء هذا الضريح بين ما حدث منها، وبني في مؤخرها مسجد صغير بدلاً من الآخر وهو لا يزال باقيًا لليوم بحارة الخليج المرخم معروفًا باسم منشئه(١).

مدرسة تاج الدين موسى

لم يذكر المقريزي هذه المدرسة في المدارس، بيد أنه ذكر في ترجمته لدرب ابن معيطن ترجمة مختصرة لمنشئها، جاء فيها: «إن هذا الدرب تجاه المدرسة الصاحبية، عرف أخيرًا بتاج الدين موسى كاتب السعدي وناظر الخاص في الأيام الظاهرية برقوق وله به دار مليحة، وأرخ وفاته في شعبان سنة (٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م)»(٢).

ووجدت لتاج الدين هذا ترجمة في الضوء اللامع للسخاوي بأوسع من ذلك، وكلاهما أغفل ذكر هذه المدرسة(٣)، بيد أن السخاوي الحنفي انفرد بذكرها في تحفة الأحباب، لولا أنه اختلط عليه تاج الدين موسى هذا بتاج الدين الآخر المؤيدي(٤).

وبالبحث عن هذه المدرسة، وجد من بقاياها ضريح يعرف بالشيخ أحمد أبو طاقية بالمنزل رقم ١٤ من عطفة الست بيرم بدرب سعادة، ودليلنا على ذلك أن هذا البيت بوضعه يواجه المدرسة الصاحبية لا يحجبه عنها حاجب سوى البيت الجديد الذي حل بالمنطقة منذ سبع سنوات.

وقد أفاد بما يؤيد هذا، النجم الغزي في ذيل الكواكب، والمحبي في الخلاصة، لدى ترجمتهما للشيخ أحمد اليمني هذا المعروف بأبي طاقية، حيث أرخا وفاته في سنة (١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، قالا: «ودفن بقبة تجاه المدرسة الصاحبية»، وليس أمامنا ضريح آخر بهذه المنطقة خلا هذا الضريح، ونستطيع القول بأن هذه القبة كانت في ذلك العهد هي البقية الباقية

= بستانًا إلى نحو سنة ستين وستمائة فحكر وبني فيه الدور في أيام الظاهر بيبرس، وعرف بحكر جوهر النوبي أحد الأمراء في الأيام الكاملية، وقد تقدم بالديار المصرية تقدمًا زائدًا وكان خصيًّا، وكان ممن ثاروا ضد العادل أبي بكر بن الكامل وخلعه، فلما ملك الصالح نجم الدين أيوب قبض على جوهر سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وموقعه في الوقت الحالي المنطقة الواقعة شمال بستان العدة حيث يوجد جامع الأمير حسين، ومدرسة ابن عرام، والتي يحدها من الشرق شارع بورسعيد، ومن الشمال شارع الشيخ علي يوسف، ومن الغرب درب أبو طبق، ومن الجنوب حارة الأمير حسين، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٩٧.

(١) حارة محمد بيومي المهدي رقم٨ حارة الخليج المرخم بجوار متحف الفن الإسلامي. (المراجع)

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٢٦.

(٣) ومن مجموع ما ذكر بشأن هذه المدرسة في المصادر المذكورة يستفاد أن منشئها هو أمين الدين عبد الله بن أبي الفرج بن تاج الدين موسى بن أسعد عرف بتاج الدين موسى وكان آباؤه على دين النصرانية فأسلم جده المذكور ونشأ هو وأبوه على الإسلام، وقد جمع صاحب الترجمة بين العلم والإدارة فكان ناظرًا للخاص في عهد الملك الأشرف برسباي، وكان عالـمًا فقيهًا من فقهاء الشافعية، وقد مات في جمادى الآخرة سنة (٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)، ودفن بتربته خارج باب النصر، وإلى أبيه أبي الفرج موسى ناظر الخاص المقتول بالشام في سنة (٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) ينسب جامع أبي الفرج ورياض الفرج بالحي المعروف بالقرابيص والسبتية، وقد أنشأ هذه المدرسة وخصصها للفقهاء الشافعية، وتولى مشيختها الشيخ محمد الجندي الشافعي، وحبس عليها ما كان يملكه من أعيان بكتاب وقف محرر في سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣١م؛ انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج.٥: ٤١؛ المرجع السابق، مج. ٨: ٣٠١.

(٤) السخاوي، **تحفة الأحباب**، ٨٨.

من هذه المدرسة، وفي هذه الحالة يكون درب معيطن «مغش» المذكور في عبارة المقريزي هو عطفة الست بيرم.

زاوية الست بيرم

وبنهاية هذه المنطقة توجد بقايا من زاوية متخربة معروفة بوقف الست بيرم وتاريخ إنشائها يقرأ في مذكرة بأسكفة بابها ورد فيه أنها أنشئت في سنة (١١٦٩هـ/ ١٧٥٦م)، تجاه دار المرحوم عثمان برهان راتب.

مسجد محمد نوير العجمي (المدرسة الزيادية)

هذا المسجد يقع بمنطقة ظاهر القاهرة، كانت تسمى فيما سبق الكماجين «الحريريين»[١]، حدها القبلي «خط بين الطوابين أو شارع حمام جميزة- شارع جامع عابدين حاليًّا»، ويسلك من هذا الحد إلى سويقة صفية، وهي نهاية هذا الشارع عند تلاقيه بحارة عابدين وشق الثعبان، ودرب الملاحفية شرقًا، وإلى درب الحجر جنوبًا، والغربي الهدارة، ومبرك النوق، وكوم الزبل وخط بركة الشقاف «شارع الصنافيري أو علي باشا إبراهيم حاليًّا».

والبحري بستان غيط العدة وباب المنشر وحارة جوهر، وبركة الفهادة «أرض عمارات الشركة البلجيكية»، والشرقي العلوة وغيط العدة إلى قنطرة الخرق، والمسجد يقع بمنتصف هذه الخطة بجوار درب كان يعرف بداغر، حده البحري أرض بركة الفهادة والقبلي حدرة الكماجين، والغربي قصر محمد هاشم أو شريف حاليًّا.

(١) ابن عبد الظاهر، **الروضة البهية**: ٥٩؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٣٩-٣٤٠.

وقد سمى السخاوي هذا المسجد بالمدرسة الزيادية، وترجم لصاحب الضريح الحال بها والمعروف بسيدي محمد نوير العجمي، فأفاد: «أنه محمد البديوي السيلكوني القيراطي ويعرف بحمام، أصله من تروجة ثم توطن الإسكندرية، وبرع في فن الموسيقى، أخذ فن النغمة والطرب عن الأستاذ ابن خجا عبد القادر الرومي العواد صاحب نغمة نهاوند، وهو أخذ عن أبيه وعن محمد بن الدويك، وأخذ عنه إبراهيم ابن قطلو بك، قال السخاوي: وكان الملك الأشرف قايتباي يتفقده أقام منفردًا بخلوة بمدرسة الزيادية على بركة الفهادة، وعمر حتى قارب التسعين»[٢].

وقد استمر هذ المسجد معروفًا باسم الحال به المذكور حتى آلت ملكية الأعيان التي كانت تجاوره وتقابله للمرحوم السيد محمد هاشم جميزة بن السيد محمد زين العابدين نقيب الأشراف، إلى سنة (١٠٥١هـ/ ١٦٤١م)، فدخل هذا المسجد في أملاكه، ثم وقف جميع ذلك بحجة وقف الصادرة في غرة رجب سنة (١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) [المسجلة برقم٢٠٠] - إضمامة[٣].

وقد ورد هذا المسجد فيها بالاسم الذي ذكره السخاوي وأنه جدده وجدد ضريح الثاوي به، وقد خص هذا المسجد بجزء من الأعيان الموقوفة، هي الآن المكان الكائن بشارع حسن الأكبر جنوبي المسجد المشتمل على وكالة وحوانيت، حده الشرقي شارع الكرداسي «حارة الهدارة سابقًا»، والقبلي شارع حسن الأكبر، والغربي مسجد حسن جوربجي همان المعروف بحماد.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ١١٩. ولم يؤرخ وفاته لأنه كان حيًّا ومات بعد سنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م). (المؤلف)

(٣) [السجل رقم١٦٤ ص٢١٧، سنة (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)]، و[الإضمامة رقم٢٧٩ ص١٨٩، سنة (١١٨١هـ/ ١٧٦٧م)]. (المؤلف)

ورأيت في الحجة بادية الذكر للسيد محمد هاشم مجدد هذا الأثر نسب يتصل بالإمام الحسين بن الإمام علي ابن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، من طريق والده السيد محمد زين العابدين «صاحب المكتب والسبيل بدرب لولو بخط حمام ومصبغة جانم- شارع حمام المصبغة»، ابن السيد صفي الدين ابن السيد أفضل الدين الحسيني[1]، وتولى أسلافه نقابة الأشراف بالقاهرة، وخدمة جوربجية طائفة مستحفظان، وأن السيد هاشم المذكور حين تملك أعيانه في هذه المنطقة وجد المسجد المذكور تخرب وتعطلت الشعائر فيه، وكان يقع على حافة بركة الفهادة من الناحية القبلية بينها وبين الجزء القبلي من حدرة الكماجين، فلما بنى قصره المحاذي لهذا المسجد من الناحية القبلية والذي آل آخيرًا بالتحكير الطويل إلى المرحوم محمد باشا شريف قوله لي بن عثمان أغا، استصدر أمرًا من الديوان العالي في ١٥ جمادى الآخرة سنة (١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م)، بإعادة بناء هذا المسجد.

وعلى إثر صدور الإذن له بعمارته أقام بناءه وأدخل فيه قطعة أرض كانت في نواحيه من وقف الأمير أشرف وكيل سجادة الحج المصري من الجهة البحرية، وظهر المسجد بعد بنائه له في غرة ربيع الآخر سنة (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) يشتمل على واجهة قبلية تطل على حدرة الكماجين بها ثلاثة شبابيك من الحديد المصنوع، وباب مربع بجلستين يدخل منه إلى المسجد بعد صعود ثلاث درجات، ومنه إلى إيوان كبير مسقف نقي، يحمله صفان قناطر مركبة على ستة أعمدة من الرخام والحجر النحيت، وبصدر الإيوان المحراب والمنبر الخشب الدقيق، وأقام على ضريح نوير العجمي في الجهة البحرية من المسجد قبة معقودة البناء، وأقام منارة المسجد في جوار باب الدخول، ثم ألحق به مرافق أخرى كسبيل وحوض وقنوات تتصل ببركة الفهادة، إلى معالم أخرى وردت في الحجة سالفة الذكر.

ورتب بالمسجد مقرأة تعقد قبل صلاة الجمعة من كل أسبوع، وأخرى بعد صلاة العصر، وحبس على إقامة هذه الشعائر من مستغلات موقوفاته ٢٤٥٧ نصف فضة في كل شهر أي ما يوازي جنيهًا مصريًّا وكسور من العملة الحالية، والمسجد حاليًّا أقل مساحة من صورته الأولى.

تزوج السيد محمد هاشم مستولدة تدعى شهباز خاتون أباظية الجنس ولم يعقب منها، وماتت في حياته سنة (١١١٤هـ/ ١٧٠٢م)، واستحق ما كانت وقفته عليه من أملاكها بالحكم رقم١١٨٧، وله من غيرها رجب وحسن وعبد الله وحوى وعبد الفتاح، لم يعقب منهم إلا عبد الفتاح، له ابنته عائشة ماتت سنة (١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م) عقيمًا لم تعقب، وآل ما وقفه جدها السيد محمد هاشم إلى الخيرات التي عينها في كتاب وقفه على هذا المسجد وغيره، وصدر أمر الخديوي محمد علي بإقامة السيد عمر مكرم نقيب الأشراف ناظرًا على الأوقاف التي أقرض مستحقوها وآلت إلى الخيرات المشروطة ومنها هذا الوقف، وهذا ما تحقق لي من مستندات هذا الوقف.

ومات السيد محمد هاشم في أواخر سنة (١١١٤هـ/ ١٧٠٢م)، ودفن بهذا المسجد مع الشيخ محمد نوير، واستقر ابنه الشريف حسن بأملاك أبيه واتخذ له مكانًا يطل على بركة الفراايين (ميدان عابدين أو الجمهورية حاليًّا)، وبقي به حتى توفي في سنة (١١٤٢هـ/ ١٧٢٩م)، فدفن في زاوية

(١) لصفي الدين هذا نسب بطون يتصل به من طريق أمه السيدة قمر خاتون الجركسي بنت شهاب الدين أحمد بن الجلالي جلال الدين محمد بن البدري حسن بن آق أوج البهائي من جراكسة الجنوب وله وقف بأعيان في سوق النساء بالقاهرة. (المؤلف)

بجوار مسكنه كان قد لزم الإقامة فيها والتردد عليها، ووفاة السيد حســـن هذا ودفنه بهذه الزاوية ثابت بسجل القسام العسكري في مادة الوراثة الصادرة بتاريخ أواسط شهر ربيع الأول من هذه الســـنة، وفيه أنه مـــات عن زوجاته الثلاث وأخواتــه لوالده الأربــع، وعتيق له يــدعى العلاي علي بن عبد الله، وقســـم وقفه الصادر في ســـنة (١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م) مناصفة بين أخيه عبد الفتاح وعتيقه العلاي علي المذكور.

وضريح الســـيد حســـن هذا لا يزال قائمًا إلى اليوم بنهاية شارع حسن الأكبر شمالي سراي عابدين، وقد جدده ديوان الأوقاف في ســـنة (١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م)، ورفع فوق قبره قبة من تصميم المرحوم المعلم أحمد يوســـف [المتوفى ســـنة (١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م)] وقد هدم غطاؤها لخلل ظهر بها في سنة (١٣٦١هـ/ ١٩٤٣م)، ومنذ حلول الســـيد حسن بهذه المنطقة وبعد وفاته عرف حي حدرة الكماجين بحي حسن الأكبر، تميزًا بينه وبين الأمير حسن نعمان صاحب المسجد الحالي الذي يجاور أملاك الســـيد محمد هاشم المعروف بجامع حماد حاليًا، واتصل وقف السيد حسن هذا بعد وفاة عائشة بنت عبد الفتاح التي كان لها النصف فيه بالشرط بمنهان خاتون بنت العلاي علي العتيق المذكور، فاســـتحقت جميع الوقف بمفردها، ومنها آل الاستحقاق في الوقف جميعه إلى المرحوم عبد الرحمن مصطفى شحرور [المتوفى في ١١ من ربيع الآخر سنة (١٣٠١هـ)/ ٨ من يناير سنة (١٨٨٤م)]، ابن حسين قاسم شحرور المرزوق حســـين لأبيه قاســـم من زوجته خديجة بنت محمد أحمد مراد وبنت منهـــان خاتون المذكورة، وقد تجدد مسجد السيد محمد هاشـــم «جميزة» في سنة (١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م)، وهو التجديد الحالي الذي عليه اليوم[1].

(١) جامع جميزة بشارع الحسن الأكبر، تجاه سور عابدين تم هدمه منذ حوالي ربع قرن، وقد تجدد مكانه مسجد آخر. (المراجع)

المدرسة الخروبية

أطلق هذا على أكثر من مدرســـة بالجيزة والفسطاط، اشترك في إنشائها أفراد من أسرة الخروبي.

المدرسة الخروبية الزكية

المدرســـة الأولى بالجيزة وتعرف بالخروبيـــة الزكية، ذكرها المقريزي وســـماها بالخانقاه الخروبيـــة، وأفاد: «بأنها بساحل الجيزة تجاه المقياس، أنشأها زكي الدين أبو بكر بن علي الخروبي»، واستمرت إلى سنة (٨٢٢هـ/ ١٤١٩م)، فابتاعها السلطان المؤيد شيخ من ابن الخروبي وقام بتجديدها[2].

وصفها من وقفه الصادر في ٤ من جمادى الآخرة سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م) المحفـــوظ أصلي بديوان الأوقاف بمرتبات تصرف على مصالحها من الأعيان الموقوفة عليها، وجاء عنها في كتاب الوقف ســـالف الذكر: «وجميع المكان الكائن أرضًا وبناء المستجد الأنشا خانقاه بجيزة مصر المعروفة بالخروبية، حده القبلي «الشرقي» ينتهي إلى البحر الأعظم تجاه المقياس والروضة، والحد البحري «الغـــربي» إلى الرواق وباب البير، والحـــد الشرقي «البحري» إلى البحر الأعظـــم، وفيه لما فيه، والحد الغربي «القبلي» إلى البحر وإلى الزقاق المتوصل منه إلى الجنينة»، وهذه الحدود على الطبيعة الحالية الآن هي الشرقي شارع البحر الأعظم رقم١٣٦، البحري رقم١٤٠، القبلي حارة الخليلية رقم٣٦، الغربي برقم٣٤، وضريح المنشـــئ في داخل ما تبقى من هذه المدرســـة، يعرف اليوم باسم ضريح سيدي أبو بكر بحـــارة الخليلية رقم٣٦، وشـــارع البحر الأعظم رقم١٣٦.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٧٩٢-٧٩٣.

والخروبي منشئ هذه المدرسة هو أول قادم من أسرة الخرابة من طرابلس الغرب إلى مصر، وهو بيت في طرابلس اشتهر بالعلم ونبغ أفراده في نواحٍ شتى، وموطن هذه الأسرة في طرابلس بلدة يقال لها قرقارش على ساحل طرابلس الغربي واسمه محرف عن قراقوش، هو شرف الدين قراقوش العمري المشهور بقساوته وإغارته على هذه البلاد في سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٥م) وهو غير بهاء الدين قراقوش الأسدي وكلاهما كان وزيرًا لصلاح الدين الأيوبي، وقد فصلنا حوادث قراقوش هذا وأخباره فيما تقدم من هذا الكتاب، وأنشأ كل من تاج الدين محمد بن صلاح الدين وأخوه عز الدين مدرستين مقابل بعضهما، كانت إحداهما بالأرض التي تعرف بالفرنساوي حاليًّا تقابلها الأخرى، ولم يستمرا لتخربهما، وهما:

المدرسة الخروبية العزية

هذه المدرسة بجزيرة الروضة وفي مقابل جامع البسطامي المعروف بالريس، بناها عز الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن أحمد بن محمد علي الخروبي في سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، قال عنها المقريزي: «إنها بخط الشون قبلي دار النحاس، وهي أكبر من مدرسة عمه بدر الدين، إلا أنه مات سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، قبل استيفاء ما أراد أن يجعل فيها، فليس لها مدرس ولا طلبة»[١]، وحددها ابن دقماق في الانتصار بأنها مقابل جامع الريس على شاطئ سيالة الروضة[٢]، وظهر من وقفية الملك المؤيد شيخ، أنه جدد هذه المدرسة في حوالي سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م).

المدرسة الخروبية التاجية

كما أنشأ أخوه تاج الدين محمد بن صلاح الدين الخروبي، مدرسة أخرى مقابل مدرسة أخيه عز الدين بالجهة الجنوبية، قال المقريزي: «وهي ألطف من مدرسة أخيه وبجوارها مكتب وسبيل ووقف عليها أوقافًا، وجعل بها مدرس حديث فقط، ومات بمكة في سنة (٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م)»[٣].

ولعز الدين عبد العزيز بن صلاح الدين المذكور آنفًا كتاب إقرار بوقف صادر في ٣ من شوال سنة (٧٦٦هـ/ ١٣٦٥م) مسجل بحفظ شرعية مصر برقم٤٥، ومات ولم ينجزه، وهذا معنى ما يقوله المقريزي عن هذه المدرسة «ومات قبل استيفاء ما أراد أن يجعل فيها».

المدرسة الخروبية البدرية

وأنشأ بدر الدين محمد بن محمد الخروبي مدرسة ثالثة جنوبي خط دار النحاس، وقد دثرت هذه المدرسة وتخلفت منها بقية جددها الأمير أحمد كتخدا عزبان المعروف بقيومجي في سنة (١١١٥هـ/ ١٧٠٣م) «انظر جامع القبوة في هذا الكتاب»[٤]، وتعرف بالبدرية بخط كرسي الجسر بالساحل تجاه المقياس، ورد ذكرها في خطط المقريزي أنشأها بدر الدين محمد بن محمد بن علي الخروبي ومات سنة (٧٦٢هـ/ ١٣٦١م)، وجددها نور الدين علي بن عز الدين محمد

(١) يذكر علي باشا مبارك أن الباقي من هذه المدرسة الضريح المعروف بضريح سيدي شاهين المغربي، الكائن على يسرة السالك في طريق مصر القديمة بقرب بيت الست البارودية من الجهة القبلية، انظر: المرجع السابق: ٤٧٣، هامش ٤؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١٥.

(٢) ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ٩٩.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٤٦٩.

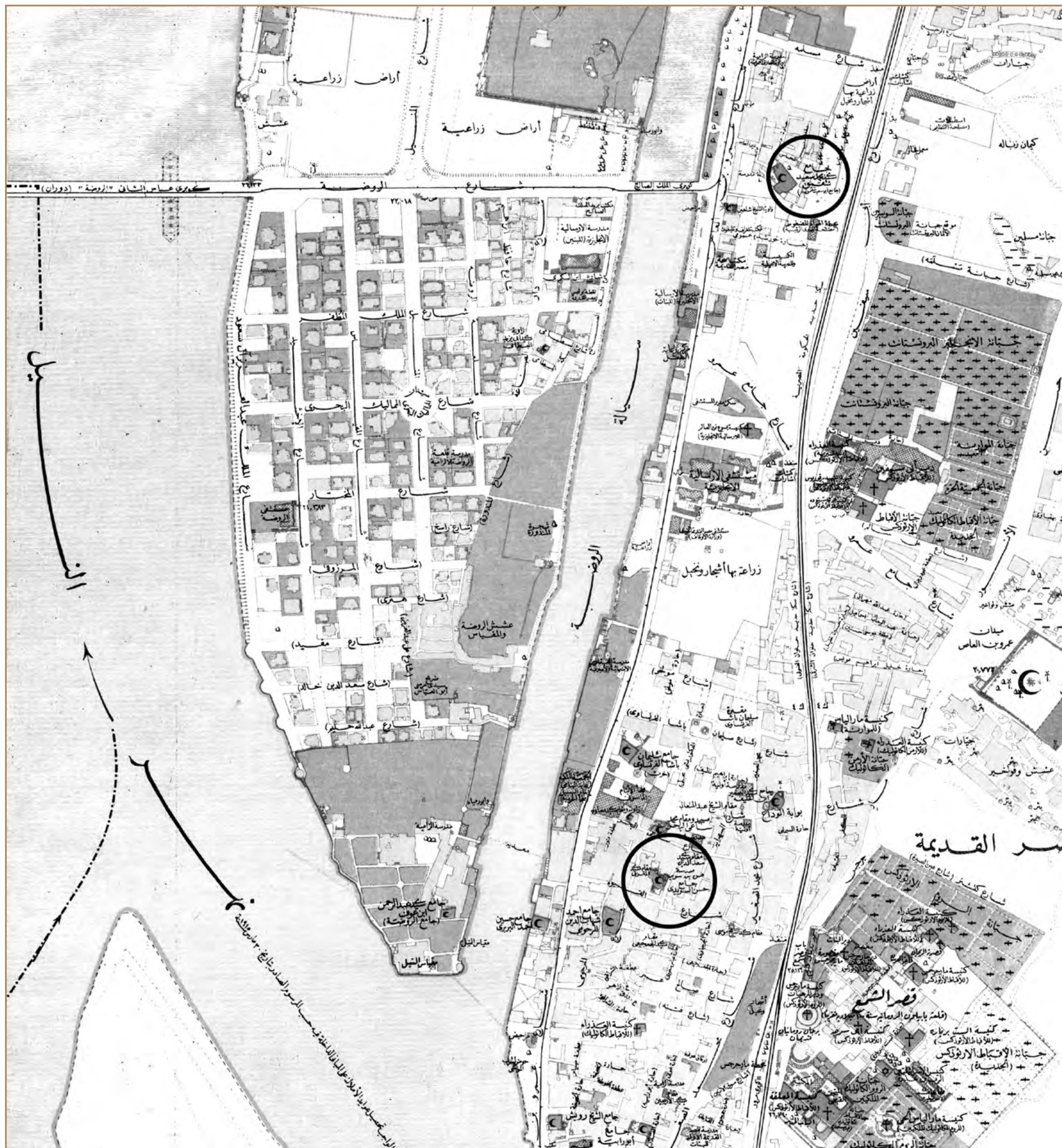
(٤) أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ١: ٢٥٩- ٢٦١.

بن صلاح الدين، واستمرت هذه المدرسة تؤدي رسالتها حتى تخربت، فقام بتجديدها أحمد أغا قيومجي في سنة (١١١٥هـ/ ١٧٠٣م)، ثم ما لبثت أن تخربت ثانية وتخلف من آثارها أحد أسوارها الشمالية، وكان بمدخل شارع القبوة ثم أزيل، وخط كرسي الجسر الذي يضع فيه المقريزي هذه المدرسة هو الجزء المواجه لشارع القبوة من شارع عمرو بن العاص «كورنيش النيل حاليًّا» حيث الجسر الظاهري، الذي كان يعبر عليه من الفسطاط إلى الروضة في جنوب كوبري الملك الصالح حاليًّا[1].



مدارس الفسطاط والروضة «عن هيئة المساحة المصرية»

(١) هذه المدرسة حل محلها الآن جامع القبوة الواقع في شارع القبوة بمصر القديمة، جدد في سنة (١١١٥هـ/ ١٧٠٣م) على يد قيومجي أحمد كتخدا عزبان، انظر: ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ٩٩؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٤٧٢؛ هامش ١.



أراضى زراعية
أراضى زراعية
عشش
شارع الروضة
كوبري عباس الثاني
كوبري الملك الصالح
النيل
سيالة الروضة
عشش الروضة والمقياس
مستشفى الروضة
مقياس النيل
زراعة بها أشجار ونخيل
شارع جامع عمرو
جبانة الانجليز البروتستانت
جبانة البروتستانت
جبانة مسلمين
كيمان زباله
ميدان عمرو بن العاص
عشش وفواخير
مصر القديمة
قصر الشمع
جبانة الاقباط الارثوذكس الجديدة



الفصل الثاني

المزارات الإسلامية في القرن السابع الهجري

المدرسة الكاملية (مسجد الملك الكامل)

أثر رقم ٤٢٨ (سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)

بشارع المعز لدين الله «سوق القماحين أو شارع بين القصرين سابقًا» شمالي القاهرة، أنشأها الملك الكامل ابن العادل لأستاذه عمر بن حسن المعروف بابن دحيه الكلبي الأندلسي[١]، من علماء الحديث [المتوفى بالقاهرة في ربيع الأول سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م)][٢]، كان الشيخ المذكور قد قدم إلى القاهرة بعد جولة بعدة بلاد عربية أيام الملك العادل، فتقرّب إليه عنده، واتخذه معلمًا لولده الكامل، فلما آل الحكم إلى الكامل، أنشأ له هذه المدرسة في سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) لدراسة الحديث النبوي، وفوض إليه مشيختها، وهذا مأتى تسميتها بدار الحديث الكاملية[٣].

وقد ظلت هذه المدرسة قائمة حينًا من الزمن، ثم تقلص ظلّها منذ القرن العاشر الهجري بعد مغيب دولة الجراكسة[٤]، ثم ما لبثت أن اتخذت محكمة للفصل في الدعاوى، وعرف باب البحر الذي يقابلها، بباب قاضي عسكر، افتتحت في أول المحرم سنة (٩٦١هـ/ ١٥٥٣م).

والقسمة العسكرية هو قاضي الأحوال الشخصية، من اختصاصه النظر في المواريث والتركات، وسمي بقاضي

(١) ألف بطلب من الكامل كتابه «المطرب في أشعار أهل المغرب» منه مخطوط بالمتحف البريطاني بلندن، وله كتاب «المولد النبوي» ألفه للملك مظفر الدين ملك إربل، وابن دحية من مواليد بلنسية شرق الأندلس، وينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل دحية الكلبي، وقد كان رحمه الله عالمًا منقطع النظير، تنافس المؤرخون في ترجمته. (المؤلف)

(٢) وهو أول من تولى التدريس بالمدرسة الكاملية، ثم أخوه الحافظ المنذري، ثم الرشيد العطار، انظر: جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مج. ٢ (القاهرة، ١٩٦٧): ٢٦٢؛ السخاوي الحنفي، **تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات**، ط. ٢ (القاهرة، ١٩٨٦): ٦٠.

(٣) ذكر المقريزي أن المدرسة الكاملية كانت ثاني مدرسة عملت للحديث بعد مدرسة نور الدين محمود بدمشق، ويذكر= ابن إياس أنها أول مدرسة بنيت للحديث بالقاهرة، شرع في بنائها سنة (٦٢٢ أو ٦٢٣هـ/ ١٢٢٥ أو ١٢٢٦م)، حيث وقف عليها الربع المجاور لباب حارة الخرنفش، الممتد حتى مقابل جامع الأقمر، والذي كان موضعه من جملة القصر الغربي، ثم صار موضعًا يسكنه القماحون، وكانت موضع المدرسة سوق للرقيق ودار تعرف بابن كستول، انظر: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مج. ٤، ج. ٢ (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٣): ٤٩٦؛ محمد بن أحمد ابن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، مج. ٤، ج. ١ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٤): ٢٦٤.

(٤) يذكر السخاوي أن الشيخ محمد بن محمد بن عثمان بن أيوب العمري [المتوفى في سنة (٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م)]، قد أحدث قبة فسقية وسبعًا فيها، داخل المدرسة الكاملية، وغير ذلك من القربات، عرف من أجلها باسم صاحب السبع الذي بالكاملية، حيث كان يتولى أمر مباشرة المدرسة الكاملية والقطبية، انظر: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مج. ٥ (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢): ١٣٦.

العسكر، لما كان يحمله من صفة الضبطية القضائية، بخلاف القسمة العربية فإنه كان لا يحمل هذه الصفة[١]، واستمرت هذه المدرسة دار قضاء للمصريين والأجانب إلى ٢١ من جمادى الآخرة سنة (١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م) ثم ألغيت، فأعيدت مسجدًا للصلاة، والمدرسة على ما هي عليه الآن من تجديد المرحوم حسن كتخدا الشعراني، أحد وكلاء الحكم في مصر في سنة (١١٦٦هـ/ ١٧٥٣م)[٢]، وهذا ما يثبته النص التاريخي الذي قرأناه على الباب العمومي ونصه:



بقايا إيوان المدرسة الكاملية «عن كريسويل»

أحيا هذه المدرسة الكاملية دار الحديث بعد الاندراس وأعادها محكمة البناء والأساس الأمير حسن كتخدا مستحفظان الشعراني صانه الله من المساوي وكان له وقاية في الدارين وسببًا في الجمع بين الحسنيين – ١١٦٦

وتحققت من [السجل رقم١٦٣ (٢٦ شوال سنة ١١٦٦هـ/ ١٧٥٣م)] أن المذكور في هذا النص كان ناظرًا على أوقاف المدرسة الكاملية، وجدّدها من ريع الموقوف عليها، واستصدر أمرًا من السلطان محمود الأول بإعادة دراسة الحديث فيها، فأذن له على أن تكون الدراسة مسائية، لشغل المدرسة في الصباح بالمتقاضين أمام محكمتي القسمة العسكرية والعربية.

الملك الكامل

والملك الكامل منشئ هذا الأثر هو ناصر الدين محمد الملقب بالكامل بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، خامس ملوك هذه الدولة في مصر، استمر يحكم مصر مدة تربو على

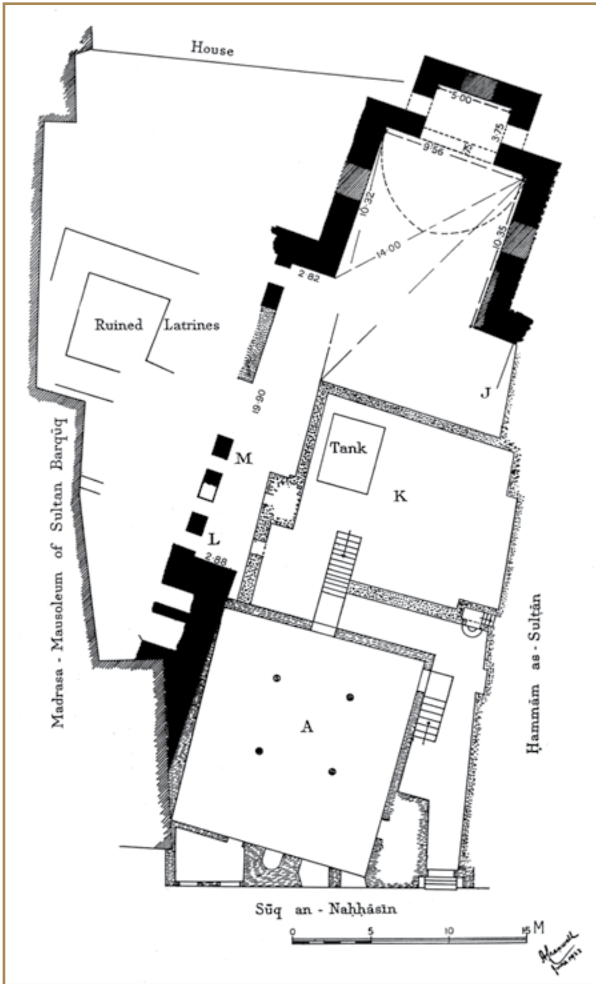
(١) يذكر علي مبارك نقلاً عن أبي السرور البكري صاحب كتاب قطف الأزهار من الخطط والآثار، وهو مختصر تاريخ المقريزي المعروف بالخطط، أن المدرسة الكاملية صارت الآن موضعًا للقسمة العربية، وعندما ينزل قاضي مصر تتحول المحكمة التي عند بين القصرين إليها، انظر: علي مبارك، **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، مج. ٢ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٠): ٨٨.

(٢) يطلق علي مبارك على هذه المدرسة اسم جامع الكاملية، بشارع النحاسين بخط بين القصرين في صف جامع المارستان المنصوري، بجوار المدرسة البرقوقية، وهو جامع ملوكي عامر بالآذان والصلوت والجمعة والجماعة، ومنافعه لم تزل تامة، وكان أول وضعه مدرسة مشهورة تعرف بالكاملية، انظر: علي مبارك، المرجع السابق، مج. ٥: ٢٠١.

الأربعين سنة، وانفرد بالحكم منذ سنة (٦١٥هـ/ ١٢١٨م)(١)، ويوصف الملك الكامل بأنه كان من خيرة ملوك مصر، محبًا للعلم والعلماء، يكثر من مجالستهم، وكانت محافله كلها عامرة بالدرس والمذاكرة، وكان يناظر العلماء ويناظرونه ومشارك في علوم كثيرة، خرّج له جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن الصفراوي [المتوفى سنة (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م)] جزءًا جمع أربعين حديثًا من مسموعاته(٢).

ويذكر الملك الكامل بتلك الموقعة العظيمة التي دارت رحى الحرب فيها بين المصريين وبين الحملة الفرنسية التي أغارت على مصر، فاستطاع الكامل أن يقهر جيوش هذه الحملة ويردها على أعقابها ناكصة، وقد بلغ من سماحته أنهم لما مدّوا إليه أيديهم ليصافحهم بعد هزيمتهم مدّ إليهم يده وصالحهم وردّ وفودهم مكرمين، فلهجت ألسنتهم بالثناء والحمد عليه، مات الملك الكامل في سنة (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م) بدمشق، ودفن في قلعتها ثم نقل إلى الجامع الأموي(٣).

وينسب إليه من الآثار الباقية إلى يومنا، قبة الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبرج البرقية، والباب الكاملي، وأبراج القلعة، ومدينة المنصورة التي اختطها في سنة (٦١٦هـ/ ١٢١٩م) تخليدًا للنصر الذي أحرزه على الحملة الفرنسية(٤)، وبنى مسجدًا لا يزال رسمه باقيًا حتى اليوم ويعرف بمسجد الموافي، وهو الشيخ عبد الله الموافي السندوبي من شيوخ الرفاعية، استقر بهذا المسجد إلى وفاته في سنة (١١٦١هـ/ ١٧٤٨م)، ودفن في ركن منه، وخلفه فيه ابن أخيه الشيخ عبد الله بن إبراهيم الموافي إلى وفاته في سنة (١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م)(٥).



مسقط أفقي للمدرسة الكاملية «عن كريسويل»

(١) عن سيرة الملك الكامل محمد، انظر: صلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مج. ١ (شتوتجارت: دار فرانز شتايز، ١٩٧٤): ١٥٨-١٦١؛ المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مج. ١ (القاهرة، ١٩٧٠): ١٩٤-٢٦١؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٧٦١- ٧٦٢؛ مج. ٤، ج. ٢: ٤٩٦-٥٠٣؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق إبراهيم علي طرخان، مج. ٦ (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة: ١٩٦٣): ٢٢٧-٣٠٢؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١: ٢٥٨-٢٦٨.

(٢) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مج. ١: ١٥٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٢٢٧-٢٣٢.

(٣) المرجع السابق: ٢٣٥.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ١: ٦٢٦-٦٢٨.

(٥) مات الشيخ المعتقد عبد الله بن إبراهيم بن أخي الشيخ الكبير المعروف بالموافي الشافعي السندوبي الرفاعي نزيل المنصورة، =

منيل أو سيالة الروضة[1]

ومــن الآثار الباقية له إلى يومنــا لا تنتهي إلا بانتهاء الدنيــا؛ ذلك الفرع مــن النيل الذي اســتمده من مخرجه الجنوبي حتى أوصله بمخرجه الشــمالي، وأعني به ســيالة الروضة الحالية. قال المقريزي في ترجمته: «وفي سنة (٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) أمر بعد عودته من الإسكندرية بعمل سيالة من بحر النيل والمقياس، وعمل فيها هو بنفســـه، وأوفر ماؤه، وصار الماء بين المقياس وبرّ مصر، وانكشف البرّ بينه وبين الجيزة في أيام احتراق النيل»[2].

تسليم مدينة القدس

ومما عيــب على الملك الكامل تســليم مدينة القدس للقيصر فريدريش روجز الثاني قيصر الإمبراطورية الرومانية المقدســة، وتفصيل هذا التسليم وملابساته ذلك ما نبينه:

«كانت الحــروب الصليبية لاتزال تــدور رحاها بين حملة الصليب وبين العرب، بشــأن تحقيق مراكز لدول الغرب في البلاد العربية تحت ستار حماية الأماكن المقدسة التي لهم بفلسطين، وقد اشتد أوارها وزادت جذوتها سعيرًا ولهيبًا في عصر الملك الكامل الجالس على عرش مصر، فلما آل حكم صقلية إلى القيصر فريدريــش روجز الثاني حفيد القيصر روجر الثاني، وكان رجلاً ذا شــخصية موهوبة، هاله أن يرى الدماء تراق بين الفريقــين في هذه الحرب الضروس، فبدى له ولو أنه كان هو الغالب أن يضع اتفاقًا يقضي بالجنوح إلى السلام حقنًا للدماء، وإذ ذاك أصدر أمرًا بتشكيل وفد من رجاله للســفر إلى القدس، وأمر آخر للمتحاربين بالقدس بوقــف القتال، فلما وصــل الوفد إلى يافــا اجتمع بالقائد العــربي؛ وشرح له رغبة القيصر في الســلم ووقف القتال، وإجراء مفاوضات ســلمية ترضي كل طرف من المتحاربين، ولما كان الملك الكامل يشــعر في قراره نفسه أنه لا يستطيع مقاومة هذه الحملات الصليبية، ويعجز عن أن يحرز نصرًا فيهــا إلا بعد أن يعد عدته لها وأين هذه العدة بعد ما أفرغ ما في جعبته من عتاد وتدبير في الحرب الفرنسية !

هنالك قبل الكامل المفاوضة وأسفر القاضي فخر الدين الجويــني الذي كان يتولى قيادة المحاربين العرب في يافا، فلما وصل فخر الديــن إلى صقلية اســتقبله القيصر فريدريش بقصره المســمى فوجيا بأقليم أبوليا، وبعد انقضاء أيام قليلة تمــت فيها مراســيم الضيافة شرح له القيــصر وجهة نظره ورغبته في الســلم، وبعد مفاوضات قصيرة واتصالات بين العاهلين بواسطة السفير المذكور انتهت بعقد معاهدة بينهما، تقضي بتســليم الملك الكامل القدس إلى القيصر فريدريش

= ولد ببلدة منية سندوب سنة (١١٤٠هـ/ ١٧٢٧م)، وحفظ القرآن وبعض المتون وقدم المنصورة فمكث تحت حيازة عمه في عفة وصلاح، فلما توفي عمه في سنة إحدى وستين أجلس مكانه في زاويته التي أنشأها عمه في مؤخر الجامع الكبير بالمنصورة، وسلك على نهجه، انظر: عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، تقديم عبد العظيم رمضان، مج. ٢، مكتبة الأسرة (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٨): ١٤٣.

(١) يخرج هذا النيل من ساحل أثر النبي إلى حوض المقياس رقم؟ ثم يتجه شمالاً حتى شاطئ فونتانا الساحلي عند محطة قصر العيني النيلية، حيث تلتقي بالنيل من بِّره البحري، وقد أقيم في هذا الجانب من السيالة الفندق السياحي الجديد (المريديان)، والكوبري الموصل إليه (١٩٦٧- ١٩٧٠م). (المؤلف)

(٢) قام الكامل محمد بإعادة حفر السيالة بعد تراكم الرمال بها، وكانت السيالة موجودة من قبل وتمثل الحد الشرقي لجزيرة الروضة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٠١؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **كوكب الروضة في تاريخ جزيرة مصر المسماة الروضة**، تحقيق مصطفى الشكعة، ومجدي عاشور (القاهرة، ٢٠٠٨): ١٤٤-١٤٥.

الثاني قيصر الإمبراطورية الرومانية المقدسة وزعيم المسيحية والقائد الأعلى للحملات الصليبيـــة، وبوقف القتال نهائيًا وانسحاب الجيوش الصليبية من السواحل الشامية إلى بلاد أخرى من الأراضي الشامية حددتها معاهدة الصلح، واعتبار القدس أكثر قداســة بالنسبة للمســلمين والمسيحين معًا، إذ فيها بيت المقدس ثالث المســاجد المقدســة التي يعظمها المســلمون، وفيها الأرض المطهرة التي بــدأت بآية الإسراء والمعراج، وفيها الأرض التي وطأتها أقدام الملائكة والأنبياء، وفيها هيكل ســليمان العظيم ومرقد نبي الله داود، وفيها آية الآيات الصخرة المقدســة، وفيها البلد التي تجلى الله سبحانه فيه على الصدّيقة مريــم، فأولدها ولادة عذرية جاءت بروح الله سبحانه وكلمته المسيح عيسى عليه السلام، وقد تمت المعاهدة على هذا النحو وتسلم القيصر القدس، فما الذي دفع بالكامل إلى هذا الخضوع فيسلم بيت الله المقدس على هذه الصورة ؟!

لم يلق السلطان الكامل من مختلف الشعوب العربية في الأقطــار الشرقيــة إلا رميه بالخيانــة العظمى، واعتبر المســلمون في أنحاء العالم الإسلامي أن يد السلطان الكامل تصافح زعيم المســيحية؛ وتصافح الأيدي الملطخة بدماء الأبرياء من العــرب وصمة عار كــبرى، فراحوا يلطمون ويصرخون وتذرف عيونهم دمعًا مدرارًا، حتى كانت جنازة لم يُشهد مثلها في تاريخ مصر السياسي[١].

المعاهدة المشؤومة

فهل كانت هذه المعاهدة التي تم فيها تســليم بيت الله المقدس لحملة الصليب الصلبــوت تخفي وراءها سرًا غاب علمه عن المسلمين وعلمه الكامل، أم كان الكامل يأمل من القيصر أن يتحول مســلمًا في يوم ما اغترارًا بالمظاهر التي كان عليها هذا القيصر؟!

كان القيصر فريدريش مــن عرق نصراني ومن أصل عريق في المســيحية، إلا أنــه كان محبًا للإســلام وأقرب للمســلمين منهم إلى بني دينه، بل أكثر من ذلك كان كبير أمنائه مسلمًا من عرب صقلية الذين وطنوا صقلية، وكانت عماله وخدمه مســلمين، وكان أحــب رداء له الزي العربي، وكثيرًا ما كان يرى به في المجامع والمجالس، ولما قضى يومين في القدس بعد اســتلامه بادر بزيارة الأماكن المقدســة الإســلامية قبل زيارته للمقدسات المسيحية، وكان يجلس في المسجد يحضر الصلاة ويطرب في خشوع لسماع المؤذن يقول الله أكبر، وقد زار ابن جبير مدينة صقلية ورأى نفس هذه المظاهر الإسلامية في نفس القيصر هذا الذي خلف ابن عمه فلهام الثاني، فيقول: «وليس في ملوك النصارى أشرف في الملك ولا أنعم ولا أرق منه»، وهو يتشــبه في الانغماس بنعم الملك بإظهار زنبة بملوك المســلمين ويقرأ ويكتب بالعربية، وعلامته «الخاتم» الحمــد لله حق حمده، وعلامة أبيه «الحمد لله شكر الأنعمة»، يقصد أباه القيصر هيباريش السادس، ويستطرد ابن جبير فيقول: «وجواريه وحظاياه في قصره مسلمات كلهن، فإن الإفرنجية من النصرانيات تقع في قصره فتعود مسلمة، ولا يسمع في قصره إلا ذكر الله ورسوله من نســائه وفتيانه الذين هم عيون دولته، وأهل عمالته في ملكه، فهم مسلمون ومنهم من يصوم الأشهر تطوعًا، وزي النساء النصرانيات زي نساء مسلمات متلحفات منتقبات» إلى آخر ما ذكره ابن جبير في هذا الصدد[٢].

(١) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٢٧١-٢٧٢.

(٢) ابن جبير، **رحلة ابن جبير**، تحقيق محمد زينهم (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٠): ٢٥٧.

هـــذا الوصف وهذه المظاهر التي كانت تسـير عليها قياصرة صقلية مـن عهد روجير الثـاني صاحب الموقف المعروف مع الشريف الإدريسي عالم الجغرافيا العربية، حتى عـصر خلفه امتدت إلى هذا القيصر فلم يغير منها شـيئًا، ومن أجل ذلك كانت الكنيسة المسيحية في روما تثور عليه، وتخشى أن يعود بالبلاد مسـلمة كسابق عهدها الإسلامي الأول، فابتدأت تقاومــه مقاومة عنيفة، ولكنه كان يصمد أمامها ويقاومهـا، ولم يمنعه هذا الاضطهـاد الديني عن استمرار ولائه للمسلمين، كان السلطان الكامل يعلم بكل ما كان عليه القيصر من هذه المظاهر الإسـلامية البحتة، ويعلم حرصه على ولائه للمسـلمين بصـورة صادقة، فهل كان الكامــل يأمل منه أن يدفعه هذا الحب وهذا الولاء لأن يكون مسلمًا ويعلن إسـلامه في يوم ما، فلهذا أقدم على تسليم بيت المقدس إليه؟!

إن كان هذا من المبررات التي خالجت ضمير السلطان الكامل فأقدم على ما أقدم عليه؛ فقد ارتكب كبيرة زلت بها قدمه، فما كانت هذه المظاهر من القيصر وسـلفه إلا سياسة خطط لها كل منهم تحقيقًا لأغراضهم، إذن ماذا يكون وراء ذلك، وماذا كان يخفيه ذلك الإقدام الجريء؟ إنه الأمر الخطير والحادث الجلل والفرقة والبغضاء التي شتتت بين السلطان الكامل وبين أقربائه تنافسًـا على وسـائد الحكم والجلوس عليها، ولو كان ذلك على حساب إهداء الحقوق المقدسة التي للعرب في بلادهم وعقر دورهم، ولم تقف هذه التفرقة عند السـلطان الكامل وأقربائه فحسب بل امتدت إلى العرب في كل صقـع وبقع في أنحاء الشرق العــربي، فتقاعس كل منهم عن نصرة الآخر، وتقاعس كل منهم عن حماية دينه ووطنه، فكانت القارعة وكانت الطامة الكـبرى، إذ لابد أن يكون للنـصر فداء وثمن، وثمن النصر اتحاد القوى وجمع الشـمل والتكاتف والتكافل، وأن يكون الكل على قلب رجلٍ واحد، وأن يشد البعض أزر البعض الآخر، فهل كانت هذه العوامل متوفـرة وموجودة بالفعل في نفوس العـرب بما فيهم الحكام والرؤساء، ولو أنها وجدت حقيقة لا مجازًا لما استطاع الكامل أن يركن إلى هذا الخنوع وهذا الصَغار والذلة، وعندما ذهب الكامل لملاقاة ربه وبعد مرور نحو عامين من ذهابه استجمع المسلمون ما فقدوه، إذ وجدوا أن الاتحاد حليف النصر، وإذ ذاك هبّوا لنصرة الإسلام، وبايعوا الناصر داود بن الملك المعظم عيسى «وهو من نفس البيت»، وبعدها عاد بيت المقدس إلى المسلمين، وأركن الله سبحانه وتعالى هؤلاء المرجفين، فباعد بينهـم وبين أراضي الله المقدسـة، فكان النـاصر في الأول والناصر في الآخر، كما قال الشـاعر جمال الدين بن مطروح في بيتين له وهما:

المسـجـد الأقــصى له آيـة
سـادت فصارت مثلا سائرًا

إذ قد غدا للكفر مستوطنًا
أن يبعث الله له نـاصرًا

فـــنـــاصر طـــهـــره أولا
ونـــاصر طـــهـــره آخـــرا

يشير الشاعر إلى أن آية تطهير البيت المقدس والبلاد العربية المقدسـة من رجـس الكافرين وقفًـا على عباده الناصرين، فطهــره الناصر الأول «صـلاح الدين»، وطهره النـاصر الثاني «داوود»، وسـوف يـأتي الله بالنصر الثالث ليطهــره تمامًا لآية الله سـبحانه الكـبرى في قولة تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة/ ٥٤].

لم يبق لنا من آثار هـذا الملك في القاهرة غير مدينة المنصـورة التي أسسـها في سـنة (٦١٦هـ/ ١٢١٩م)[١]، وغير بقايا هذه المدرسـة، ثم الميدان الكاملي، وقبة الشافعي وبقايا مسـجده، وقد أنشأ المسجد في سنة (٦٠٧هـ/ ١٢١٠م)، والقبة في سنة (٦٠٨هـ/ ١٢١١م) وهو ذاك ملكًا على مصر في حياة أبيه العادل، والبرج الذي يسمى بالبرج الزفر.

البرج الزفر (برج الحمام الكاملي)

[أثر رقم ٣٠٧]

في ذلك الفضاء الواسع الواقع شرقي القاهرة، تُقام بقية من مبنى كان له في الأعصر الخالية شأن عظيم من الفخامة والبهاء والقمة في محاذاة سـور القاهرة شمالي باب البرقية الجديد[٢].

هذا البناء تعرفه العامة باسم «البرج الزفر»، وهو بقية من البرج الذي أقيم في هـذه المنطقة في عهد الملك الكامل ملك مصر الأيوبي برسـم الحمام الزاجل الوارد من الفيوم إلى القاهرة، فكان بمثابة محطة بريد جوية[٣]، وقام بإنشـائه للكامـل الأمير فخر الدين عثمان بن قزل الكاملي في سـنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)[٤].

وواضـح مما ذكره المقريزي في الخطـط أن هذا البرج بالبرقية خارج القاهرة وأنه كان برسم الحمام الزاجل الوارد من مدينـة الفيوم إلى القاهرة، ويؤكد قـول المقريزي هذا ويعضده ما وجد من آثـار الملك الكامل في هذا الأثر، فقد عثر المنقبون على بعض أحجار منه ووجد عليها شعار الملك الكامل، وهو صورة سبع راكض، وهو من نوع ما وجد نظيره في المدرسة الكاملية محفورًا ومجسمًا.

ويـأتي بعـد ذلك هـذا الأثر مطبـوعًا بطابع هذا الملك، فإن ما بقي عليه من النقـوش والكتابات تمت إلى هـذا العصر بصلة هي أقرب منهـا إلى عصر الملك الناصر صلاح الدين، ويتصل هـذا الأثر بما بقي لصلاح الدين في بقية سـور القاهرة وأبراجها الشرقية، وقد اسـتخدم هذا البرج فيما مضي مغسلاً للقتلى، ومنه مأتى هذه التسمية.

وفخر الدين قزل المذكور هو أحد أمراء الملك الكامل ومن المقربين لديه، مات بحران سـنة (٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م) وإليه تنسب المدرسة الفخرية بالوزيرية (درب سعادة)، والرباط الدارس بالقرافة الجنوبية[٥].

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ١: ٦٢٦-٦٢٨.

(٢) اكتشف هذا الباب أثناء شق طريق صلاح سالم في عام (١٩٥٧م)، ويحمل نصًا إنشائيًا يُرجع بناؤه إلى أمير الجيوش بدر الجمالي في المحرم سنة (٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م)، انظر: المرجع السابق، مج. ٢: ٢٨٢، هامش ٤.

(٣) يذكر المقريزي إلى أن البطاقة «الرسالة» عمومًا لا تحمل إلا في جناح الطائر لأمور منها؛ حفظ البطاقة من المطر، وقوة الجناح، ثم أنهم عملوا الطاقة في الذنب، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ٧٤٨.

(٤) ولد الأمير فخر الدين سنة (٥٥١هـ/ ١١٥٦م) بحلب، وتنقل في الخدمة حتى صار أحد الأمراء بديار مصر، وتقدم في أيام الملك الكامل وصار أستاداره، وإليه أمر المملكة وتدبيرها، إلى أن سافر السلطان من القاهرة يريد بلاد المشرق، فمات بحران بعد مرض طويل في ٢٨ ذي الحجة سنة (٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م)، وكان كثير الصدقة، انظر: المرجع السابق: ٧٤٧؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١٣.

(٥) أشار المقريزي إلى هذه المدرسة بأنها بالقاهرة فيما بين سويقة الصاحب ودرب العداسين، عمرها الأمير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل بن عبد الله الياروقي أستادار الملك الكامل محمد بن العادل وفرغ منها سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، وكان=



بقايا البرج الزفر «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

وقد أنشأه هذا الملك نفسه في حوالي سنة (٦٢٠-٦٢١هـ/ ١٢٢٣-١٢٢٤م) برسم حمام الزاجل، وقيل له برج الفيوم لسبب ذكره المقريزي، وتولى إدارة هذا البرج الأمير فخر الدين قزل بن عثمان الأستادار، وما برح هذا البرج منزلاً للحمام الواصل من الفيوم برسائل إلى القاهرة حتى بطل استعمال الحمام في المملكة المصرية، فبقي مهملاً أحقابًا طويلة حتى دثر معظمه، ولا تزال منه بقية للآن بالنقطة التي حددها المقريزي بالبرقية خارج القاهرة، ويعرف ببرج الظفر حيث الشارع المسمى باسمه.

وقد أوردنا هذا النص لدحض الرأي السائد بنسبة هذا البرج إلى صلاح الدين، والقول بأنه جزء من سور القاهرة الذي أنشأه قراقوش في عهد هذا الملك [راجع ابن عبد الظاهر والمقريزي][١].

= موضعها أخيرًا يعرف بدار الأمير حسام ساروخ بن أرتق شاد الدواوين، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٤٦٦.

(١) المرجع السابق، مج. ٣: ٧٤٧-٧٤٩.

جامع الملك الصالح (المدارس الصالحية)

أثر رقم ٣٨ (سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)

بشارع المعز لدين الله «خط باب الزهومة سابقًا» بالقاهرة، هذا الأثر من آثار الملك الصالح نجم الدين أيوب، آخر ملوك الدولة الأيوبية، أنشأه على قطعة أرض كان يقوم عليها جزء من القصر الفاطمي، ينتهي جنوبًا بباب الزهومة أو الزفر[١]، وتم في سنة (٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)[٢]، ورسم أن يخصص لدرس العلوم الإسلامية على المذاهب الأربعة، وخص لكل مذهب مدرسة بمعداتها ومرافقها، فجعل في كل جناح مدرستين، تقابل إحداهما الأخرى، فكانت مدرسة الحنفية تقابل مدرسة الحنابلة في الجناح الأيمن - والشافعية تقابل المالكية في الجناح الأيسر.

قال المقريزي: «وهو أول من فعل ذلك»[٣]، أي أنه أول من جمع بين الدروس الأربعة في مدرسة واحدة، بخلاف جدّه صلاح الدين الذي خصص لكل مذهب مدرسة خاصة مستقلة عن غيرها[٤]، والظاهر أن المقريزي إنما يقصد بهذا القول؛ أنه أول من فعل ذلك من ملوك الدولة الأيوبية، وإلا فقد سبقه إلى ذلك الفاطميون في الأزهر «انظر رفع الأصر عن قضاة مصر لابن حجر»[٥]، بل أسبق من ذلك جامع عمرو، فقد كان فيه أواوين خاصة بالدراسة لكلّ فنّ، بل لكل مذهب بعد انتشار المذاهب[٦] وتظهر هذه النظرية مقررة ثابتة[٧]؛ في كتاب المغرب في أخبار المشرق والمغرب لأبي سعيد، فقد ذكر في حوادث سنة (٣٢٦هـ/ ٩٣٧م) «أن خمس عشرة حلقة كانت للمالكيين في المسجد الجامع العتيق «جامع عمرو» وللشافعية مثلها، ولأصحاب أبي حنيفة ثلاث حلق»[٨].

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٤٣١؛ مج. ٣: ١٠٢، ٣٢٣.

(٢) السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ٢: ٢٦٣.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٨٥.

(٤) حول أنظمة بناء المدارس الأيوبية بمصر والقاهرة، انظر: أحمد فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها**، مج. ٢ (القاهرة، ١٩٦٩)؛ أحمد فكري، **خصائص العمارة في العصر الأيوبي**، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، مج. ١ (القاهرة، ١٩٦٩): ١٦٣-١٩٢؛ عفاف صبرة، «المدارس في العصر الأيوبي»، في **تاريخ المدارس في مصر الإسلامية** (القاهرة، ١٩٩٢): ١٣٧-٢٠٠؛= K.A.C. Creswell, "The Origin of the Cruciform Plan of Cairene Madrasas", *Bulletin de l'Institut Français d'archéologie Orientale* 21 (Cairo, 1922): 1-54; K.A.C. Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt* 2: 2. (Oxford: Clarendon Press, 1959): 103-134.

(٥) وبه ثبت كامل لجمع غفير من علماء المذاهب الأربعة، والقضاة وأهل العلم والفقه، انظر: ابن حجر العسقلاني، **رفع الآصر عن قضاة مصر**، تحقيق حامد عبد المجيد (القاهرة، ١٩٥٦).

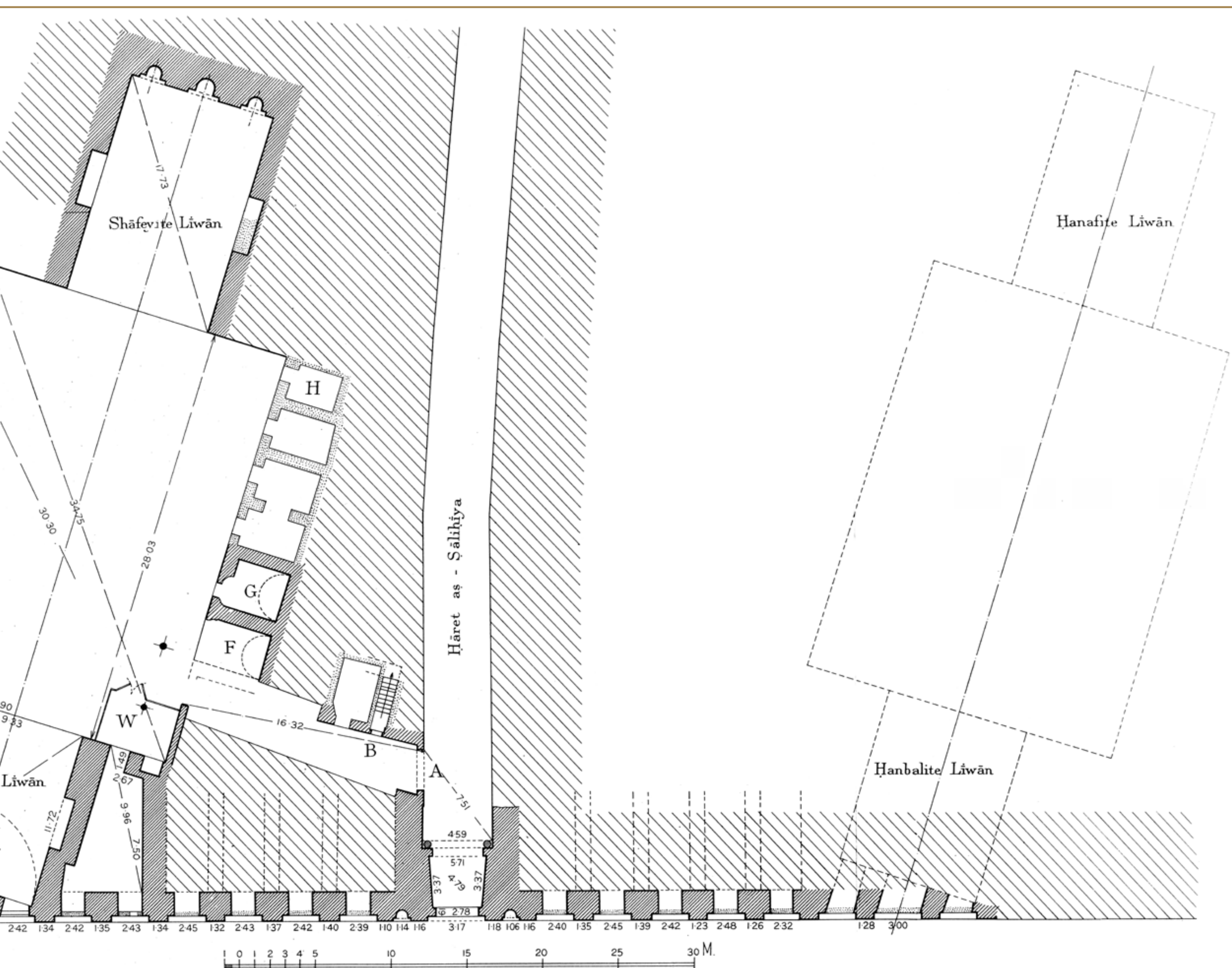
(٦) انظر مجموعة من كتب الرحالة الجوابة من علماء الإسلام.

(٧) إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي بن دقماق، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها**، مج. ٤ (بيروت، دار الآفاق الجديدة: [-١٩٤، ١٩٨]): ١٠٠-١٠١.

(٨) علي بن موسى بن سعيد المغربي، **المغرب في حلي المغرب، النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة**، تحقيق حسين نصار (القاهرة، ١٩٧٠)؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ٢: ٢٤٥.

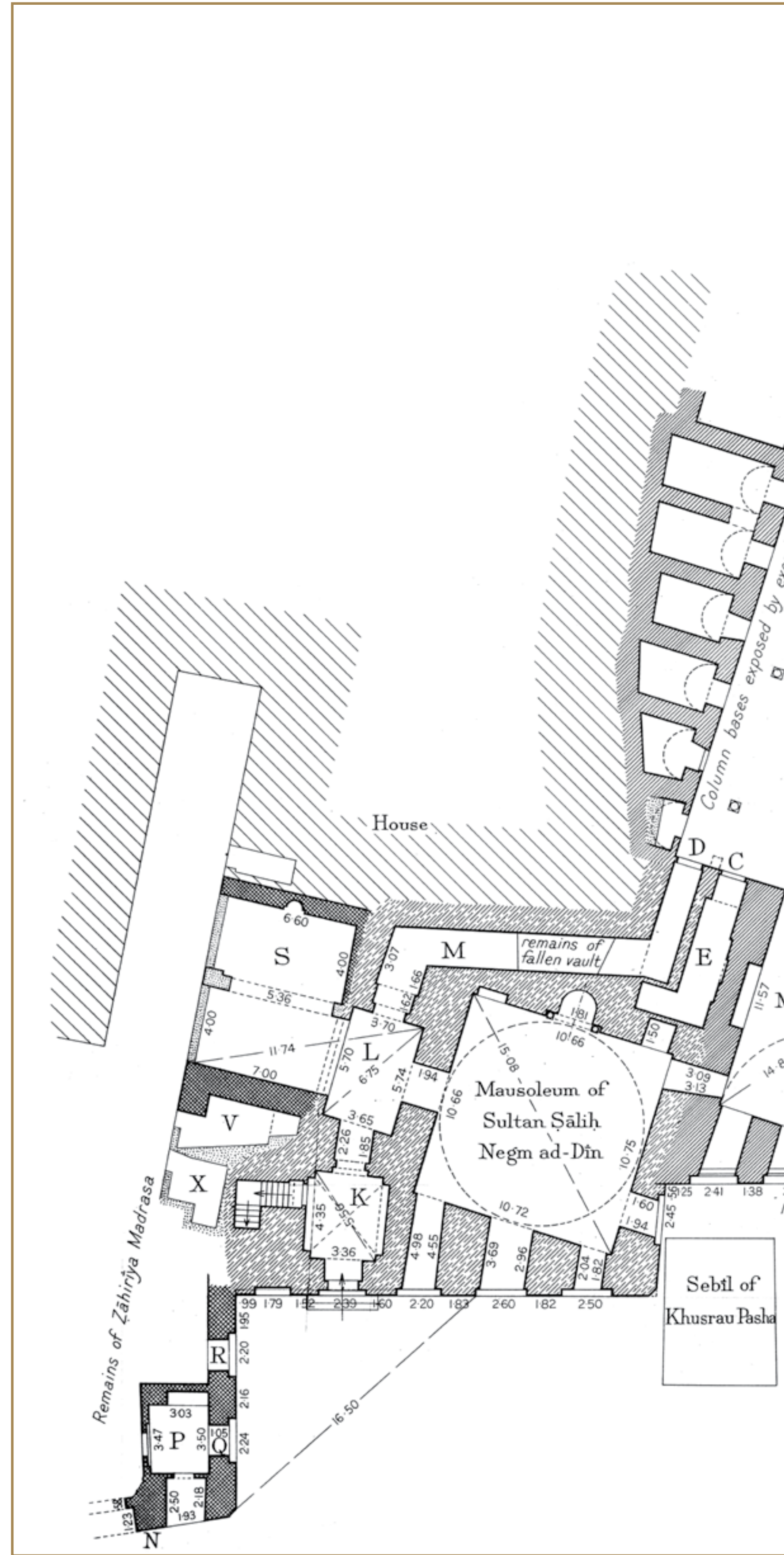


مدخل المدرسة الصالحية «عن فييت»



مسقط أفقي لقبة ومدرسة الصالح نجم الدين أيوب «عن كريسويل»

وقد بقيت المدارس الصالحية على ما اشــترطه الصالح في كتاب وقفه، تؤدي رســالتها على النحو الذي أراده، حتى أمر المعز أيبك مؤســس دولة الجراكســة الأولى في ســنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) بتحويلهــا إلى محكمة ودار للعدل، فتحول إليها نائب السلطنة الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري قاضي المظالم «الجنايات»[١]، وأفرد لنواب دار العدل جناحًا خاصًّا بهم، أجلبهم منه إلى جانب علاء الدين، واستمر ذلك إلى سنة (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م) فأعادها الملك السعيد بن الظاهر بيــبرس إلى الدرس والإقراء[٢]، وفي ســنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م) في عهــد الملك الناصر محمــد بن قــلاوون، رغب الأمير جمال الدين آق أوج الأشرفي المعروف بنائب الكرك [المتوفى سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)][٣]، في أن يجعل من المدارس الصالحية مسجدًا جامعًا تقام فيه الجمعة للجماعات، فاستصدر أمرًا من الســلطان بإقامة الخطبة، وأحدث لهــذا الغرض منبرًا



(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٨٦.

(٢) وقف الملك السعيد بركة خان ابن الظاهر بيبرس على هذه المدرسة، الصاغة المجاورة لها، وأماكن أخرى بمدينة القاهرة والمحلة وجزائر بالأعمال الجيزاوية والأطفيحية، في سنة (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م)، انظر: المقريزي، **المصدر السابق**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٩٠.

(٣) جمال الدين أقوش: نائب الكرك من سنة (٦٩٠-٧٠٩هـ/ ١٢٩١-١٣٠٩م)، الملقب ببرناق لكبر أنفه، ولاه الناصر محمد نيابة دمشق بعد الكرك، ثم عزله واعتقله تنكز سنة (٧١٥هـ/ ١٣١٥م)، ثم أفرج عنه وجعل رأس ميمنة، وصار مقدمًا على غيره من الأمراء، باشر نظارة المارستان المنصوري، ثم أخرج لنيابة طرابلس سنة (٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م)، ثم طلب الإقالة وأعفي وقبض عليه واعتقل بقلعة دمشق، ثم نقل إلى صفد، ثم إلى الإسكندرية، فمات بها معتقلاً في سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)، انظر: المقريزي، **المصدر السابق**، مج. ٣: ١٨١، هامش ٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٣١٠.

بالإيوان الشرقي هو إيوان الشافعية، وعين لذلك من يقوم بخدمته ما اشترطه في كتاب وقفه[١].

استمرت منذ ذلك الحين حتى ٢٩ من محرم سنة (٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م)، فتحولت إلى محكمة كليّة، ضمت أربع محاكم جزئية تنظر في الأحوال الشخصية والوقف، وعرفت منذ ذلك الحين بالمحكمة الصالحية، واستمرت دار قضاء على المذاهب الأربعة إلى غرة ربيع الأول سنة (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م) ثم ألغيت، عندما صدر أمر محمد علي بإفراد أمكنة أخرى من المساجد للقضاء، واختير بيت ماماي السيفي مقرًّا للمحكمة الكلية[٢]، هذا ما تحقق من سجل هذه المحكمة بحفظ شرعية مصر، منذ ذلك الوقت توالى الخراب على هذه المدارس، فأصابها الوهن وتخرب معظمها، وتلاشى داخلها، وسقطت أواوينها، وإحدى مآذنها، ولم يبق منها الآن غير واجهتها الغربية؛ وفيها الباب الغربي، ثم جزء صغير من إيوان المدرسة المالكية الذي ينتهي بالقبة التي دفن تحتها الملك الصالح[٣]، التي أنشأتها له زوجته الملكة شجر الدر، وآخر من الإيوان الشرقي، والمئذنة التي تعلو الباب الغربي.

أما المدارس الأربع كلها فقد دثرت واعتدي عليها اعتداء فاحشًا، فدخلت مدرسة الحنابلة بقاعتها التي حلت محل باب الزهومة، في محل أحمد بك الحسيني تاجر النحاس، كذلك مدرسة الحنفية التي تليها، وبقي من مدرسة الشافعية بقية من إيوان جهة الشرق، ومن مدرسة المالكية إيوان كامل يلاصق باب التربة التي حلت محل قاعة شيخ المالكية، وأما الصحن فقد وزع بين مجموعة الدكاكين التي أقيمت حوله يمينًا ويسارًا واخترقه طريق، كان يوصل فيما مضى إلى باب سرّ المدرسة الصالحية - ويسلك منه الآن إلى شارع خان جعفر[٤].

ونستطيع القول بأن هذه المدارس كانت تشغل جميع المساحة المحدودة من الشمال الظاهرية ومن الجنوب بشارع القمصانجية، الذي كان يعرف سابقًا بدرب سنجر الخازن، وفي مدخله - حيث انتهاء سور مدرسة الحنابلة - محل مشيختها كان يشرف باب الزهومة، أحد أبواب القصر الفاطمي، ومن الشرق بحارة الصالحية، ومن الغرب يمينًا بشارع الصرماتية - وهو شارع حدث منذ احتجب سور المدرسة الصالحية الجنوبي - ويسارًا بالدكاكين الحاجبة للوجهة الغربية وسبيل خسرو، وبابها العمومي - هو مدخل حارة الصالحية اليوم، وهو باب شاهق لا نظير له في أبواب أخرى، وتظهر هذه الواجهة ببابها، فيما لو أزيلت مجموعة هذه المباني التي تحجبها من حدّ شارع الصرماتية حتى باب التربة، ويستثنى من ذلك سبيل خسرو إن لم يتيسر نقله.

(١) المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٣١٧؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٩٠.

(٢) ماماي السيفي: ماماي من خداد أحد المقدمين، وكان شابًّا رئيسًا حشمًا وافر العقل، شجاعًا بطلاً، وكان من خواص الأشرف قايتباي، توجه قاصدًا إلى ابن عثمان غير مرة، وتولى من الوظائف الدوادارية الثانية، ثم بقي مقدم ألف، وهو الذي جدد الدار المعظمة التي بين القصرين، وأصرف عليه جملة مال، قتل في واقعة قانصوه خمسمائة وحز رأسه بواسطة الأمير آقبردي، في رجب سنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٣٥٠-٣٥٣.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٩٤.

(٤) عن تخطيط المدارس الصالحية وعناصرها المعمارية، انظر: فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها**، مج. ٢: ٦٠-٧٥؛
Max Herz, "Mosquée et tombeau du Sultan Sâleh Negm el-Dyn Ayyoub", *Comité de conservation des monuments de l'art arabe*, no. 5 (Le Caire, 1904): 25-31; K.A.C. Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt* 2: 2. (Oxford: Clarendon Press, 1959): 94-100.



المدرسة الظاهرية «على اليسار»، سبيل وكتاب خسرو باشا، مئذنة المدرسة الصالحية، ومدرسة المنصور قلاوون «على اليمين» «رسم ديفيد روبرتس»

قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب

أثر رقم ٣٨ (سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)

أنشئت هذه القبة بأمر من الملكة شجر الدر زوجة الملك الصالح بعد موته مباشرة، وتمت في سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)، ثم نقل إليها الملك الصالح من مدفنه بقلعة الروضة[١]، والقبة جميعها حافلة بالزخارف بمجموعة فنية مختلفة النواحي، ومحرابها الدقيق يعتبر أثرًا مهمًا من آثار ذلك العصر، يتوسطها ضريح الملك الصالح بنقوشه الفنية[٢]، ويلاصقها جنوبًا سبيل يظن الناظر إليه أنه من ملحقات هذه القبة، وهذا السبيل من منشآت حاكم مصر العثماني، الأمير خسرو باشا، الذي تولى الحكم بالنيابة في عهد السلطان سليمان في سنة (٩٤١-٩٤٥هـ/ ١٥٣٤-١٣٣٨م)، ويتكون هذا السبيل من طبقة أرضية بها حوض ماء، وطبقة علوية بها مكتب لتحفيظ القرآن الكريم، وله شرفتان يكسوهما شباك من النحاس المخرّم، ويعلوهما عقدان مقوسان، وفي منتصف واجهة السبيل لوحة من رخام بها النص التاريخي مكتوب فيه:-

أمر بإنشاء هذا السبيل المبرور اغتنام الثواب والأجور في أيام مولانا المقام الشريف ظل الله الوريف الخنكار الأعظم مالك رقاب الأمم ملك ملوك العرب والعجم السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان بن عثمان خلد الله ملكه وسلطانه وأدام أيام منشئ هذا السبيل مولانا الباشا الأعظم والكافل المفخم مدبر مصالح الأمم ناظم مناظم العالم خسرو باشا كافل الديار المصرية والأقطار الحجازية غفر الله له ولمن دعا له بالمغفرة بمحمد وآله وكان الفراغ من ذلك في شهر جمادى الآخرة سنة اثنان وأربعين وتسعمائة من الهجرة النبوية

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى: «في طراز بأعلى الواجهة الغربية»

البسملة أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الأعظم الملك الصالح سلطان الإسلام والمسلمين نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ناصر

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٤٩٢-٤٩٣.

(٢) عن التفاصيل المعمارية والزخرفية للقبة الصالحية، انظر: فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها**، مج. ٢: ٤١-٤٥؛ Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt*, vol. II: 100-103.



قبة الصالح نجم الدين أيوب «عن كريسويل»





بقايا إيوان المدرسة الصالحية «عن كريسويل»

الدين أبي المعالي محمد بن أبي بكر بن أيوب سنة إحدى وأربعين وستمائة

المذكرة الثانية: «في روسم بأعلى الباب الغربي»

البسملة أمر بإنشاء هذه المدارس المباركه مولانا السلطان الأعظم الملك الصالح نجم الدنيا والدين أبو الفتح أيوب خليل أمير المؤمنين أعزّ الله نصره في سنة إحدى وأربعين وستمائة

المذكرة الثالثة: «بأعلى باب القبة في روسم به ٤ أسطر»

البسملة : والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين، هذه التربة المباركة بها ضريح مولانا السلطان الملك الصالح السيد العالِم العادل المجاهد المرابط المثاغر نجم الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين سيد ملوك المجاهدين وارث الملك عن آبائه الأكرمين أبي الفتح أيوب بن السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبي المعالي محمد بن أبي بكر بن أيوب توفي إلى رحمة الله وبركاته وهو بمنزلة المنصورة تجاه الفرنج المخذولين مصافحًا



للصفاح بنحره مواجهًا للكفاح، بوجهه وصدره آملا ثواب الله بمرابطته واجتهاده عاملا يقول الله تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده) أوفده الله الجنة العالية وأورده أنهارها الجارية وذلك في ليلة النصف من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة

المذكرة الرابعة: «بدائر القبة في إزار»

هذه القبة تربة الفقير إلى رحمه الله تعالى وغفرانه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب توفي إلى رحمة الله تعالى مجاهدًا بالمنصورة في نصف شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة

المذكرة الخامسة: «برأس الصندوق القائم على القبر من الجهة القبلية»

البسملة. هذا قبر الفقير إلى رحمه الله تعالى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن محمد أبي بكر بن أيوب قدّس الله روحه ونوّر ضريحه توفي رضي الله عنه في النصف الأول من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة للهجرة

ويحيط بالصندوق مجموعة من النقوش القرآنية من سورة فصلت.

المذكرة السادسة:

البسملة، عزّ لمولانا السلطان السيد الأجل الملك الصالح نجم الدنيا والدين أبي المظفر أيوب ابن الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب سلطان الإسلام والمسلمين قامع الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين، منصف المظلومين من الظالمين شهريار الشام سلطان العرب والعجم، صاحب الحرمين الشريفين، ملك البرين والبحرين، ملك الهند والسند واليمن ملك صنعاء وزبيد وعدن سيد ملوك العرب والعجم سلطان المشارق والمغارب الملك الأعظم، نجم الدنيا والدين أدام الله أيامه ونشر في الخافقين أعلامه، وضاعف ثوابه بمحمد وآله، ورحمة الله عليه مما عمل في ولاية الأمير الأجل شجاع الدين عنبر الصالحي في سنة سبع وأربعين وستمائة

شهريار الوارد في هذا النص من ألقاب السلطان، وهذا النص يعطينا فكرة صادقة عن امتداد سيادة المملكة المصرية إلى البلاد التي وردت في هذا النص، ومدى اتصال مصر بهذه الدول في عهد هذا الملك.

قلعة الروضة

ومن أهم الآثار التي كانت لهذا الملك - قلعة الروضة التي أنشأها في أواخر سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)، وجعل منها حصنًا منيعًا، ألحق به مرافق عامة من أبراج ودور وقصور وطباق، واستغرق بناؤها ثلاث سنوات[١]، وأسكن فيها مماليكه البحرية، وقد استمرت هذه القلعة عامرة حتى ستة (٦٤٩هـ/ ١٢٥١م)، حينما قام الجند الشركس بثورتهم العنيفة في هذه السنة امتدت أيديهم إلى هذه القلعة بمعاولهم فخربوها، وامتد تخريبهم إلى الجزيرة، فبقيت القلعة خرابًا

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٥٨١-٥٨٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٣٢٠؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٢٦٩-٢٧١؛ السيوطي، **كوكب الروضة**: ١٣٤-١٣٥.

يبابًا[١]، وفي سنة (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م) - هدمها الملك عز الدين أيبك التركماني[٢]، وأخذ مفرداتها فبنى منها مدرسته المعزية برحبة الحناء من مصر[٣].

بَيْدَ أن الملك الظاهر بيبرس في سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، استطاع أن يلم شعث هذه القلعة ويقيم منها حصنًا يدرأ عند الحاجة ما عساه أن يحدث - فجددها بقدر المستطاع وأعاد إليها شبه حالتها الأولى[٤] - وبنى بالجزيرة جسرًا يمتد بينها وبين الجيزة؛ وهو الذي يقوم مقامه الآن - كوبري عباس الثاني، وفي سنة (٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م) وجه عنايته للأسطول المصري الرابض بهذه الجزيرة - فأنشأ له الشواني «جمع شونة» أو شيني، وهي من أهم القطع التي يتألف منها الأسطول في الدول الإسلامية، تقام فيها الأبراج والقلاع للدفاع والهجوم، ويقف فيها العساكر والجند بالقسي والسهام- وتجهز الشواني في أيام الحرب بالسلاح والنفط وتحشد بالمقاتلة والجنود البحرية، ثم زاده مجموعة من الحراريق - جمع حراقة، وهي مراكب كبيرة يحمل فيها مكاحل البارود وهي المدافع والعرادات والمناجق، وبذلك استطاع بيبرس أن يرد عادية المغيرين، ودفع المكيدين عن مصر من جنود لويز التاسع ملك فرنسا؛ وكونراد ملك ألمانيا وغيرها من الأعداء[٥].

ولما تولى ملك مصر المنصور قلاوون؛ أمر في سنة (٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) بهدم قلعة الجزيرة ونقض مفرداتها، وحملها إلى أن أنشأها بشارع بين القصرين بالقاهرة، فحمل منها أسطوانات ورخامًا شيئًا كثيرًا فأدخلها في المدرسة والقبة والبيمارستان - وتبقى شيء آخر؛ أخذه ولده الناصر محمد بن قلاوون في بناء الجامع الناصري بشارع فم الخليج، وفي عمارات له أخرى بين سنة (٦٩٩ - ٧٠٣هـ/ ١٢٩٩-١٣٠٣م)[٦]، وهكذا لعبت السياسة والأهواء في هذه القلعة دورًا سيرها كأنها لم تبنَ ولم يكن ثمة قلعة للصالح بهذه الجزيرة، وقد أدركت الحملة الفرنسية في سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م)، بقايا من قصر الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهي عبارة عن قاعة كبيرة يقوم سقفها على قبة[٧].

موضع القلعة

وموضع هذه القلعة اليوم هو بالتحديد في الثلث الجنوبي من الجزيرة، آخذًا من المقياس إلى جهة الشمال

(١) في هذا العام صدر أمر من المعز أيبك لماليكه بإخلاء القلعة فتحول من كان فيها من المماليك وغيرهم، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٣٨١؛ السيوطي، **كوكب الروضة**: ١٤٠.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٥٨٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٢٧٢؛ السيوطي، **كوكب الروضة**: ١٣٥.

(٣) يسميها المقريزي رحبة الحناء، بينما يطلق عليها ابن دقماق رحبة دار الملك التي تعرف برحبة الخروب حيث يباع هناك، ومكانها اليوم جامع عابدي بك الشهير بجامع الشيخ رويش المطل على النيل آخر شارع مصر القديمة من الجهة الجنوبية، وعرف هذا الجامع باسم أمير اللواء عابدي بك لأنه جدده في سنة (١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م)، ثم اشتهر باسم الشيخ رويش لمجاورته لضريحه الكائن بحارة الخوخة بالجهة الشرقية القبلية من الجامع المذكور، انظر: ابن دقماق، **الانتصار**: ٣٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٤، هامش ٣.

(٤) رسم بيبرس للأمير جمال الدين موسى بن يغمور أن يتولى إعادة قلعة الروضة وتعميرها، وفرّق أبراجها بين أمرائه، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٥٨٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٢٧٢؛ السيوطي، **كوكب الروضة**: ١٣٥.

(٥) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦١٥-٦١٦.

(٦) المرجع السابق، مج. ٣: ٥٨٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٢٧٢.

(٧) آدم فرانسوا جومار، **وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل: مع مقدمة عن التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ إنشائها وحتى سنة ١٨٠٠**، ترجمة وتعليق أيمن فؤاد سيد (القاهرة، ١٩٨٨): ٣٣٧.

منه حتى زاوية البسطامي - وكانت القلعة مطلة من الشرق والغرب على فرعي النيل الكبير والصغير، حيث شاطئ أرض السيالة، وعلى هذا الاعتبار تكون أرض المندرة أو أرض السادات واقعة في الجزء الشمالي من هذه القلعة وداخلة في أسوارها، ويكون المختار والهودج اللذان كانا مطلين على النيل وخربهما الملك الصالح ليدخلهما في قلعته - في الجهة الجنوبية من الجزيرة أيضًا - ويمكن مع هذا وضع دار الصناعة في مكان المختار الذي كان مطلاً على الفرع الصغير الشرقي[1].

الملك الصالح[2]

والملك الصالح صاحب هذا الأثر القائم هو الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل، أعدل ملوك الدولة الأيوبية وآخرهم، مات في ١٥ من شعبان سنة (٦٤٧هـ)/ ٢٢ من نوفمبر سنة (١٢٤٩م) وهو يحارب الحملة الفرنسية التي أغارت على الثغور المصرية في يوم العشرين من شهر صفر سنة (٦٤٧هـ)/ الرابع من يونية (١٢٤٩م)، وكانت حملة قوية أعدت لها فرنسا كل ما في جعبتها من قوة، وكان يقودها الملك لويس التاسع المعروف بسان لويز ترافقه زوجته الملكة مارجريت[3].

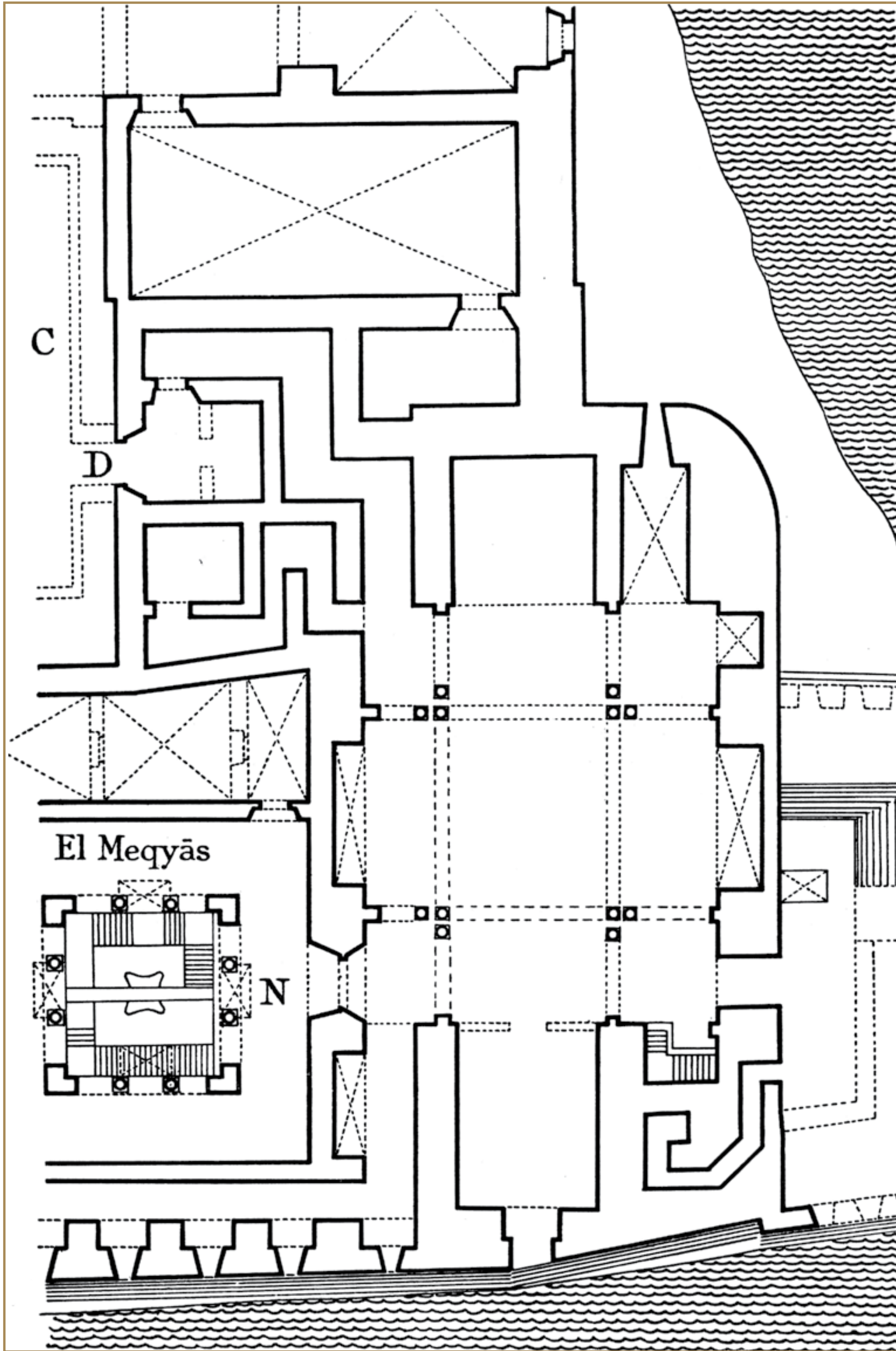
فلما وصلت إلى ثغر دمياط ورابطت به، بلغ ذلك الملك الصالح وكان إذ ذاك بدمشق فكر راجعًا إلى مصر، وحشد الجيوش وسيرها إلى مطاردة هذه الحملة، واستمر محاصرًا لها حتى قتل من بعض مماليك والده البحرية في شعبان من هذه السنة، وكتمت زوجته شجر الدر خبر موته حتى لا يعلم الأعداء بمقتله، وفي هذه الأثناء تقدم الفرنسيون إلى المنصورة، وهي المدينة التي بناها أبوه الكامل في سنة (٦١٦هـ/ ١٢١٩م) كما يقول ابن إياس[4].

(١) حدد محمد رمزي موضع هذه القلعة فيما بين المقايس وجامع الريس المعروف بزاوية البسطامي، وأنها كانت تشغل مساحة ٦٥ فدانًا، ويحدها اليوم من الشمال شارع المظفر، ومن الغرب نهر النيل، ومن الجنوب سلاملك سراي حسن باشا فؤاد المنسترلي ومقياس النيل، ومن الشرق سيالة الروضة، وكان في مكان السلاملك المذكور الجامع الذي أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالي سنة (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م)، على النيل بجوار المقياس من الجهة الغربية، وعرف بجامع المقياس، وكانت بقايا هذه الجامع قائمة حتى سنة (١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م)، وفيها أزال حسن باشا المذكور تلك البقايا، وبنى السلاملك في مكان جامع المقياس، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٥٨٢، هامش ٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٣٢٠-٣٢١، هامش ٣.

(٢) عن سيرة السلطان الملك نجم الدين أيوب، انظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مج. ١٠: ٣٥-٣٧؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٢٩٦-٣٥١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٣١٩-٣٧٩؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٢٧٩.

(٣) انظر عن الحرب الخاطفة الكتاب المعنون «بحكومة سان لويز وسياسته» تأليف أ. ليكوي دي لامارتس، طبعة باريس «طورس جنوبي غربي باريس» سنة (١٨٨٧م)، وأيضًا ص١٤٩ من كتاب «سان لويز» تأليف موريس سبت طبعة باريس سنة (١٩٠٥م).
مات سان لويز في ٢٥ أغسطس سنة (٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م) في تونس، ومولده سنة (٦١١هـ/ ١٢١٤م) [من مخطوطات مكتبة المؤلف]، وفي المصدر الأول صورة تاريخية للدار التي حجز فيها سان لويز وما عليه هذه الصورة من الوصف يخالف الدار الحالية المزعوم أنها هي السجن الذي حجز فيه سان لويز، والمدخل إلى هذه الدار من باب مستطيل تعلوه حدوة يدخل منه إلى منور مكشوف فدهليز يتألف من أبواب مقنطرة أولها باب الدخول بأعلاه حجرة ذات مشربية من الحجر، وبصدر الدهليز باب من الحديد المشبك يدخل منه إلى المكان الذي أعد لحجز الملك سان لويز وهذا الوصف المنقول بالتواتر عن تواريخ هذه الحملة في حينها ليس هو الوصف الذي عليه الدار الحالية، وقد ذكرنا ما أكد هذا من واقع مستندات الدار الحالية. (المؤلف)

(٤) مات الصالح نجم الدين أيوب بعلة المرض، ولم يقتل مثلما يذكر صاحب المزارات، حيث ابتلاه الله بأكلة طلعت له في وجهه، فرعت فيه إلى آخره، واستمر عليلاً، وثقل في المرض، ويبدو أن المؤلف قد اختلط عليه الأمر برواية المؤرخين حول تقلب الأمراء عليه وقصدوا الوثوب عليه، بسبب إقدامه على شنق نائب



مسقط أفقي لقلعة الصالح نجم الدين أيوب بجزيرة الروضة «عن كريسويل»

فبايــع أمراء الدولــة ابنه المعظم توران شــاه بعد أن أحــضروه من حصن كيفــا، فقاد الجيش واســتمر القتال بين الفريقين حتى أســفر عن هزيمة الفرنســيين ونصرة المســلمين، وغنم المسلمون ذخائرهم واســتولوا عليها، ثم أخذوا مليكهم ســان لويز أسيرًا، وأحســنوا معاملته بما بقي أثــره في كتبهم حتى اليوم- وأســكنوه بدار ابن لقمان بالمنصورة-[1] وهي الدار الباقية إلى اليوم بهذه المدينة شرقي جامع الموافي[2]، وتعرف عند العامة «بسنط الوز» وهي تابعة للأوقاف باسم عبد الرحمن المغربي[3].

= دمياط ومعه خمسين أميرًا جزاء هروبهم من المدينة وتسليمها للفرنجة من غير مقاومة، انظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مج. ١٠: ٣٥؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٢٧٨-٢٧٩.

(١) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٣٦٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٢٨١.

(٢) يرى محمد رمزي أن لويس التاسع قد حبس في دار الحكمة بالمنصورة، التي كان ينزل بها القاضي فخر الدين إبراهيم بن لقمان كاتب الإنشاء، كلما أتى المنصورة لإنجاز أعمال، وهي لاتزال معروفة بالمنصورة، إلى جوار جامع الشيخ موافي، على يمين الداخل من الحارة المجاورة للجامع من الجهة الشرقية، وتعرف لدى العامة بدار ابن لقمان، وقد تسلمها ديوان الأوقاف سنة ١٨٩٠م، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٣٦٦، هامش ١.

(٣) نسبة هذه الدار إلى ابن لقمان، وأنها نفس الدار التي حجز فيها لويس التاسع قائد الحملة غير محقق، بيد أن إدارة حفظ الآثار العربية اعتبرتها كذلك تحت عوامل احتمالية، وبالرجوع إلى حجة وقف المرحوم الحاج محمد عبد الرحمن المغربي الفاسي أحد تجار الجمالون بالغورية بالقاهرة المؤرخة بسنة (١٢٠٣هـ/ ١٧٨٨م)، وحجة وقف الأسقاط الصادرة عن ابنته فاطمة زوجة المرحوم علي زوتين المغربي المؤرخة بسنة (١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م) تبين منها أن الواقف المذكور هو آخر من تملكها، وأسقطتها ابنته المذكورة للغير، لايستدل فيها على أنها لابن لقمان، بيد أنه ورد في ترجمة عبد الله الموافي السندوبي أنه اتخذ له زاوية قرب دار «سنط الوز» سان لويز الملك المذكور، وقد سجلت إدارة الآثار على ما بقي من هذه الدار نصًا بالعربية في ثلاثة أسطر جاء فيه قيل: إن هذه الدار =

مولد الملك الصالح

وللملك الصالح مــولد كل عام تحتفل به أهل مدينة القاهرة في الليلة التي تســبق الليلة الكبــيرة لمولد الإمام الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهي ليلة الاثنين من شهر ربيع الثاني.

وفي هذه الليلة الموافقة ٢٤ من شــهر ربيع الثاني سنة (١٣١٨هـ)/ ٢٢ من أغســطس سنة (١٩٠٠م)، خلق الله تعالى هذا العبــد الفقير مؤلف هذا الكتاب- وجاء تاريخ ولادته في الحساب العددي:

بــرز	٢ ٢٠٠ ٧	٢٠٩
عــالــم	٧٠ ٣٠١ ٤٠	١٤١
أثــاري	١٥٠٠١ ١٠٢٠٠	٧١٢
اللــه	٦٠١ ٥	٦٦
الــوهاب	٣٠١ ٥٦ ٢١	٤٥
عـلـمـه	٧٠ ٣٠ ٥٤٠	١٤٥
ولد		٤٠
حسن		١١٨
قاسم		٢٠١
الخبير		٨٤٣
قوي		١١٦
١٣١٨		١٣١٨

= كانت سجنًا لملك فرنسا لويس التاسع من اليوم الثالث من محرم إلى اليوم الثامن من صفر عام ثمانية وأربعين وستمائة من الهجرة، عقب واقعة فارسكور بقرب المنصورة حين أسره الملك المعظم = = توران شاه الأيوبي، وترجمتها بالفرنسية في سبعة أسطر، وللملك المذكور ترجمة في الجزء التاسع من تاريخ فرنسا طبعة باريس، ورد فيها أنه ولد سنة (٦١١هـ/ ١٢١٤م)، وولي الحكم سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٢٦م)، إلى موته في سنة (٦٦٩هـ)/ ٢٥ أغسطس سنة (١٢٧٠م)، وقد أثبت فيها المؤلف حوادث هذه الغارة بالصور التي التقطها مصورو هذه الحملة. (المؤلف)

وصف جزيرة الروضة وقلعتها في سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) لضابط فرنسي من حاشية الملك سانت لويز التاسع

وإن من أحسن ما توصف به جزيرة الروضة وقلعتها، وصف الضابط الفرنسي «جومون فرانسوا» الذي كان يرافق الحملة الفرنسية التي أغارت على القطر المصري في سنة (٦٤٧-٦٤٨هـ/ ١٢٤٩-١٢٥٠م)، بقيادة ملك فرنسا سان لويز التاسع، الذي أخذ أسيرًا ثم افتدى نفسه من الملك توران شاه بدفع غرامة الحرب، وقد دخل هذا الضابط القاهرة بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وفاز المسلمون بالنصر في موقعة المنصورة، فزار معالمها وأحياءها كما زار الفسطاط ودمياط والمنصورة وأخيرًا هذه الجزيرة، وقد دوّن كل ما شاهده من الزيارات في رحلة صغيرة توجد منها نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بباريس.

ومنها نلخص هذا الوصف- قال ذلك الضابط بعد أن زار قلعة القاهرة- وكتب عنها وصفًا ممتعًا: «ولما انتهينا من زيارة القلعة جئنا إلى جزيرة الروضة، فبدا لعيني منظر لم تر عين أبدع منه، لأن هذه الجزيرة مقر العرش والجند والأمراء، والقصور شاخصة فيها قصرًا بعد قصر، تتألق كالذهب في أشعة الشمس، وفي الوسط قامت قلعة الملك الصالح مرتفعة فوق كل الأبنية المحيطة، يكتنفها اثنا عشر عمودًا كبيرًا من الرخام الناصع البياض، وتحيط بها الحدائق الغناء والأشجار النادرة، والفوارات البديعة والينابيع والحياض- وغير ذلك من مظاهر الحضارة والعمران التي تتجلى للإنسان وتبسط أمامه ما تحمله مصر من الغنى والرخاء، وجميع معدات الرغد والصفاء، وقد قضيت في الروضة أسبوعًا كاملاً ألهو بمشاهد النيل، ورؤية خلائق البشر وأخلاقهم وملابسهم المختلفة، وخصوصًا العلماء الذين يعتممون بعمامات من حرير أخضر منسوج، ويرتدون ثيابًا من الكتان أو الحرير النقي، وفوقها جبة مفتوحة من الأمام، تحيط بها منطقة من المخمل، ناهيك بملابس الأمراء والجند والوزراء وما عليها من الحلي، وما فيها من السيوف المرصعة والمناطق الغالية الثمن، بحيث لم يدر في خلدي أني أشاهد في مصر هذه الفخامة والعظمة.

وقد وفقت بواسطة صديقي الأمير بهاء الدين حاجب الأمير عز الدين أيبك التركماني لزيارة قلعة الروضة؛ التي هي حقًّا في كل شيء غريبة نادرة، وكانت زيارتي لها قبيل قتل الملك المعظم بيومين فقط، حيث كانت خالية، إلا من الحراس وأمراء الجند ، وبعد ما سرنا مسافة ميل من شاطئ النيل دخلنا ساحة كبيرة في وسطها برج عظيم جدًّا يشبه أبنية القدماء في ضخامته، وفي مدخله بحيرة جميلة، يحيط بها صف من أشجار النخيل، ووراءه صف من أشجار الليمون، فصفوف أخرى من الزهور العطرية والرياحين الزكية، غاصة أغصانها بالأطيار المغردة - وفي ظلها مئات من الجنود، وعلى البحيرة سفن صغيرة معدة لتنزه الملكة شجر الدر وجواريها، تمخر في عرضها جيئة وذهابًا، وحول هذه الساحة الأنيقة من الشمال رواق جميل ذو أعمدة بديعة النقش؛ يتألف منها مقدمة القلعة، وعلى مدخلها تقوم بوابة كبيرة من النحاس المطلي بالذهب، وإلى الغرب فسحة في وسطها اثنا عشر عمودًا من الرخام النقي، وبها مقاعد لجلوس أمراء الجند عليها، وإلى الشرق رواق بديع الصنع بنقوشه وزخرفته وأثاثه ورياشه يطل على مرفأ الجزيرة، وكان يجلس فيه الملك الصالح لمشاهدة السفن القادمة والذاهبة، ولتمضية أوقات الراحة والسرور

بين جواريه ونسائه؛ وعلى الجانب الرابع صرح مشيد ممتد على عرض الساحة، وفي قمته المدخل إلى هذه القلعة العظيمة، ومنه جئنا إلى دهليز مزدان بنقوش بديعة ومذهبات باهرة وصور جميلة، ثم دخلنا دهليزًا ثانيًا، رأيته آية للناظرين بما فيه من ضروب الزخارف وأنواع الزينة التي يدهش الناظر إليها بما فيها من الإبداع، وبينما أمتع نظري بهذه المشاهد البديعة، إذا بصديقي المذكور يقودني بيده إلى باب ذي مصراعين من ذهب مرصع بالزمرد؛ وإذا بي أرى في داخلة قاعة العرش المنبسطة في سعة خمسمائة قدم؛ ووقفت في عتبة غرفة محدقة باثني عشر عمودًا، علوها تسعون قدمًا، وأمامها ثلة من الحراس بدروع ذهبية، وعمامات مغشاة بأنسجة حريرية، وفي الوسط صف من المقاعد الذهبية، ممتد إلى مسافة مائة قدم ينتظم في حلقتها، عقد القادة والضباط، وأكابر العلماء والوزراء، وكنت كلما دنوت من العرش كان المنظر يزداد رهبة وجلالاً وعظمة ووقارًا.

إذ ذاك رأيت أمامي عرش ملك مصر قائمًا على مرتفع من رخام مدبج بأجمل الألوان، علوه اثنا عشر قدمًا، ومصنوع من أنقى ذهب على أبدع مثال، وهو مرتكز على أسدين من رخام فاخر، يصعد من بينهما على ثلاث درجات إلى مقعد الكرسي، وموطئ العرش حجر واحد من الجذع مذهب الحاشية، والسجادة التي أمام العرش مصنوعة من ريش طائر الفردوس، وريش أطيار أخرى هندية وعربية، ذات ألوان مختلفة جميلة، وباقي الأرض قدامه مفروشة بجلود أسود، ونمرة مطرزة بشذور الذهب، وبالجملة فقد خرجت من هذا الإيوان العظيم وأنا يكاد يتعذر عليّ وصف بهائه، أما بقية أروقة القلعة فحدث عن رياشها وأثاثها بما شئت- بحيث لا أغالي إذا قلت إن ما تحمله هذه القلعة من المصنوعات الدقيقة والنقوش والأثاث يقي مصر كلها شر الجوع أعوامًا طوال، ذلك عدا عن الأروقة الأخرى المعدة للجواري وهذه لم أستطع مشاهدتها- لأنهم يعدون من العار أن يدخل غريب رواق جارية من الجواري- إلا إذا كان ربّ القصر نفسه.

وإن كل ما شاهدته في زيارتي لجزيرة الروضة دليل واضح على أن المصريين الذين بنوها أمة كثيرة العدد، عظيمة القوة، وفي مقدمة جميع الأمم والشعوب علمًا، وصناعة واستنباطًا، والشاهد على ذلك ليس في مدن الأحياء فقط، بل وفي مساكن الموتى أيضًا؛ حيث ترى آثار حذقهم وذكائهم وسلامة ذوقهم بالغة الحدّ، وليس في استطاعة إنسان أن ينبئ عن مستقبل مصر، لأنها لا تستقر على حال- ولا يستطيع رجالها مهما أوتوا من الذكاء أن يمنعوا التيار الآسيوي الجارف على شواطئ النيل ولا إيقاف سيره الشديد، على أنه مهما كان الحال فستظل مصر موضع عجب واستغراب من كل من في أقصى الأرض الذين يأتون لمشاهدتها وخصوصًا في هذا الوقت الذي تطاحن فيه الشرق والغرب تطاحنًا مريعًا- خرجت منه مصر ظافرة منصورة؛ وعلى رأسها وفوق عرشها امرأة عظيمة وهي شجر الدر(١).

قبة المقياس

المقياس لفظ يطلق على أسطوانة من الرخام طولها تسعة عشر ذراعًا مقسمة إلى أذرع وقراريط و فوقها كمرة من الخشب لتثبتها- وهي موضوعة وسط بئر كبيرة مربعة- تستمد مياهها من نهر النيل المبارك من الجهة الشرقية

(١) لم نستطع الوقوف على مصدر هذه الرواية أو ترجمتها التي قام بها صاحب المزارات. (المراجع)

مقاييس النيل

وقد سبق هذا المقياس مقاييس أخرى منها: المقياس الذي بناه عمرو بن العاص بأسوان، ثم مقياس دندرة، وأمر معاوية عامله على مصر ببناء مقياس في أنصنا.

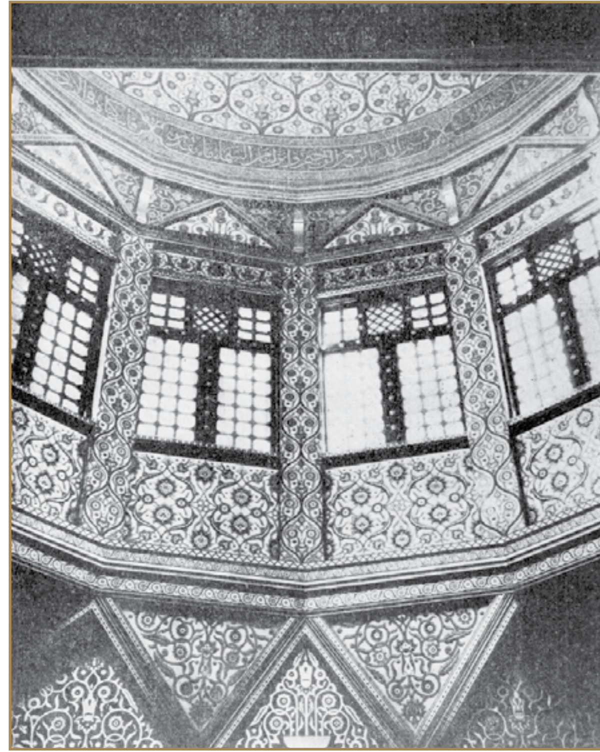
وفي سنة (٨٠هـ/ ٦٩٩م)، بنى عبد العزيز بن مروان مقياسًا بحلوان، وفي سنة (٩٧هـ/ ٧١٦م) أمر الوليد ابن عبد الملك بن مروان عامله على مصر أسامة بن يزيد التنوخي، ببناء مقياس في الجزيرة «جزيرة الروضة» بيد أنه لم يتم إلا في عهد أخيه سليمان بن عبد الملك.

وفي سنة (١٩٩هـ/ ٨١٤م)، أمر الخليفة المأمون عامله على مصر بهدم مقياس الوليد واستبداله بآخر بنفس الجزيرة ثم مات، ولم يتم مشروع بناء المقياس الجديد إلا في عهد المتوكل في سنة (٢٤٣هـ/ ٨٥٧م)، قال المقريزي: «وهو آخر المقاييس التي بنيت بمصر».

تقرير بشأن المقياس

وظهر من كلام المؤرخين أن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب كتب إلى عامله على مصر عمرو بن العاص يطلب منه رفع تقرير عن حالة الري في مصر وكيفية مسير النيل ومبلغ زيادته ونقصانه إلى غير ذلك، ليتفادى ما عساه أن يلحق بالمسلمين والمصريين من أضرار، يسببها وقوف النيل عن مده أو تقاصره أو ما إلى ذلك.

فكتب إليه عمرو بن العاص تقريرًا عما استوضحه جاء فيه: «إني وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط أهلها أربع عشرة ذراعًا، والحد الذي يروى منه سائرها حتى يفضل عن حاجياتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ست عشرة



داخلي مقياس النيل بجزيرة الروضة «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

والقبلية، أقيم عند رأس جزيرة الروضة من جهة الجنوب، ليستدل منه على وفاء النيل وبلوغ زيادته الدرجة التي يجب الخراج «المال المقرر» ببلوغها وسمي مقياسًا لهذا الغرض، ويقول المقريزي في وصفه بأنه: «عمود من الرخام الأبيض مثمن الشكل في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه، وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعًا كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسمًا متساوية يعرف بالأصابع ما عدا الاثني عشر ذراعًا الأولى فإنها مفصلة على ثمان وعشرين إصبعًا على كل ذراع».

ذراعًا، والنهايتان المخوفتان في الزيادة والنقصان وهما الظمأ والاستبحار اثنتي عشرة ذراعًا في النقصان، وثمان عشرة ذراعًا في الزيادة، هذا والبلد محفور الأنهار معقود الجسور».

إنشاء المقياس بإشارة الإمام علي

فلما وصل هذا التقرير إلى أمير المؤمنين جمع رؤوس الصحابة وفي طليعتهم الإمام علي بن أبي طالب، فقدم إليهم هذا التقرير واستشارهم في أمره- فتكلم كل منهم ما شاء الله أن يتكلم، ثم أعطيت الكلمة للإمام علي، فأشار ببناء مقياس يغض ذراعين على اثنتي عشرة ذراعًا- وأن يقدما بعدها على الأصل، وأن ينقص من كل ذراع بعد الست عشرة ذراعًا أصبعين، فأجمعت الصحابة على هذا الرأي وكتب به إلى عمرو بن العاص؛ فبناه بالمواصفات المذكورة، ثم جعل الاثنتي عشرة ذراعًا أربعة عشرة لأنه وجد أن كل ذراع أربع وعشرون أصبعًا فجملتها ثمانية وعشرون من أولها إلى الاثنتي عشرة ذراعًا.

مقياس الروضة

والذي أنشأ هذا المقياس الحالي هو الأمير يزيد بن عبد الله بن دينار حاكم مصر العباسي، بأمر الخليفة المتوكل على الله جعفر في سنة (٢٤٧هـ/ ٨٦١م).

وفي سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م)، أمر الأمير أحمد بن طولون بإصلاح المقياس وتعميره، وبلغت نفقات ذلك التجديد حوالي ألف دينار أي قرابة ٥٦٠ جنيهًا مصريًّا[١].

وفي سنة (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م)، رسم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي إلى وزيره أمير الجيوش بدر الجمالي، بتجديد المقياس وإصلاحه فجدده وأصلحه، وبنى إلى جانبه للجهة الغربية جامعًا عرف بجامع المقياس[٢].

جامع المقياس

وقد بقي هذا الجامع حقبة طويلة من الزمن ثم تخرب ومحله الآن المنظرة التي بناها حسن باشا المناسترلي بجوار داره، وكان بهذا الجامع ثمانية وعشرون أسطوانة وبلغ ارتفاع مئذنته ٢٤ مترًا[٣]، وكان على أسكفة بابه مذكرة كتب فيها ما نصه:

البسملة. وما توفيقي إلا بالله نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين مما أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك قبلة السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصري عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته في رجب سنة خمس وثمانين وأربع مائة (والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين)[٤]

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ١: ١٥٠- ١٥٥.

(٢) المرجع السابق، مج. ٤، ج. ١: ١٤٨-١٤٩، هامش ٢، ١٨٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج. ٤: ٩٩، هامش ٣؛ مبارك،= = **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٢٧٨-٢٨٠؛ فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها**، مج. ١: ٩٠.

(٣) أيمن فؤاد سيد، «جامع المقياس بجزيرة الروضة»، في **دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية**، مج. ٢ (القاهرة: وزارة الثقافة. المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠١): ٩-١٨.

(٤) فرج حسين فرج الحسيني، **النقوش الكتابية الفاطمية على العمائر في مصر**، دراسات في الخطوط ٤ (الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية،٢٠٠٧): ٢١٤.

وقد جدد هذا الجامع من ملوك مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب[1]، ثم الملك الظاهر بيبرس، وفي سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م) شرع الملك المؤيد شيخ في تجديده فلم يتمه، فأكمله بعده الظاهر جقمق في حوالي سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)[2].

وفي سنة (٩١٧هـ/ ١٥١١م)، جدده الملك الأشرف قانصوة الغوري، كما أشار إليه ابن إياس في تاريخه بقوله: «وفيه أمر (في صفر سنة ٩١٧هـ) السلطان بإصلاح ما فسد من عمارة المقياس، وأمر ببناء جامع بجوار المقياس»[3].

ثم توالت عليه عدة تجديدات ومرمات أخرى في العصر العثماني، إلى أن وضع يده عليه الأمير حسن باشا المناسترلي في عهد الخديوي عباس باشا الأول بن أحمد طوسون بن العزيز محمد علي[4].

وقد وجد بهذا الجامع من عهد سحيق ضريح عزاه بعض الناس إلى الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف [المتوفى سنة (٥٥هـ/ ٦٧٥م)] بالمدينة النبوية ودفن ببقيعها[5].

وثمت قول بأنه قبر أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس المصري العالم النحوي المشهور [المتوفى سنة (٣٣٨هـ/ ٩٤٩م)]، وقد قيل اعتمادًا على ما ذكر في ترجمته من تاريخ ابن خلكان، من أنه «جلس في يوم ما على سلم المقياس أيام زيادة النيل، وهو يقطع بالعروض شيئًا من الشعر لينظم به قصيدة فدفعه أبله برجله في النيل فغرق»، لكنه قول يفتقر إلى تحقيق[6].

عمارة الظاهر للمقياس

وفي حوالي سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، أمر الملك الظاهر بيبرس البندقداري بعمارة قبة على بئر المقياس.

وفي سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، جدد الملك الظاهر جقمق جامع المقياس، وأصلح ما وهن من عامود المقياس وملحقاته.

وفي سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م)، جدد الملك الأشرف قايتباي أساس المقياس وأصلح بعض ملحقاته[7].

وفي سنة (٩١٧-٩٢٢هـ/ ١٥١١-١٥١٦م)، أمر الملك الأشرف قانصوة الغوري بتجديد المقياس وتعمير جامعه ووقف عليهما أوقافًا عرفت بوقف السلطان الغوري، وحرر به حجة وقف مؤرخة بتاريخ سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)، وتقدر مساحة هذا الوقف بحوالي ٢٣ فدانًا منها: ١٣فدانًا لقطعة الأرض المحيطة بالمقياس، وباقيها أرض زراعية بالروضة تعرف بالميدان مضافًا إليهما عشرة أفدنة أخرى، ومن الأعيان الموقوفة مجموعة المباني الموجودة بحارة مكاسة الحطب بدار النحاس، وأخرى بالفسطاط وأراضي بالجيزة وجزيرة الصابوني، ورباع ومخازن بخط صناعة الزكايب، وجملة أعيان

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ١٨٠-١٨١.
(٢) المقريزي، السلوك، مج. ٤: ٥٣٤؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ١٨٠؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٢٢١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٤: ٩٩، ١٠١.
(٣) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ٢١٣.
(٤) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ١٢٣.
(٥) يذكر علي باشا مبارك أنه ضريح الشيخ إبراهيم العريان المعروف بأبي عوف أحد المقيمين بهذا المسجد ومن دفناه، ومسجد المانسترلي ليس في موضع جامع بدر الجمالي بالضبط، وإنما يقع إلى الشمال الشرقي منه بمسافة ٥٠ مترًا، انظر: المرجع السابق.
(٦) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج. ١: ١٠٠.
(٧) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ١٨٢.

أخرى كلها بمصر، ويقدر إيرادها السنوي بحوالي ثلاثين ألف دينار أي بما يقرب من أربعة عشر ألف جنيه مصري[1].

وفي سنة (١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م)، أمر حاكم مصر العثماني بإجراء بعض الإصلاحات في المقياس. وفي سنة (١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م) جدد الوزير حمزة باشا حاكم مصر العثماني، أسكفة العامود والكمر الحامل للسقف. وفي سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م) هدمت الحملة الفرنسية من عامود المقياس شيئًا وجددت شيئًا آخر، وقد أشار الجبرتي إلى ذلك بقوله: «ومنها أنهم غيروا معالم المقياس، وبدلوا أوضاعه وهدموا قبته العالية، والقصر البديع الشاهق، والقاعة التي بها عمود المقياس وبنوها على شكل آخر لا بأس به لكنه لم يتم، وهي على ذلك باقية إلى اليوم ورفعوا قاعدة العمود العليا ذراعًا، وجعلوا تلك الزيادة من قطعة رخام مربعة ورسموا عليها من جهاتها الأربع قراريط الذراع»[2].

وما أشار إليه الجبرتي في هدم المقياس من إصابات المدافع والقنابل، في عهد السرمينو الحاكم العام الفرنسي في مصر تم إصلاحه بعد الحملة الفرنسية، أشار إليه ليبر في مذكرة قدمها إلى المسيو فورير رئيس الحقانية وقتئذ ذكر فيها جميع الترميمات التي أجراها رجال الحملة في عامود المقياس، وقد تضمنت هذه المذكرة بحثًا في تقسيمه إلى أذرع ومقاس طوله.

عمارة خسرو باشا للمقياس

وفي سنة (١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م) أمر الوزير محمد خسرو باشا الثاني حاكم مصر العثماني من سنة (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م) إلى سنة (١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) بإتمام ما بدأ به الفرنسيون من المقياس ولم يتموه، وقد أشار الجبرتي إلى هذه العمارة بقوله: «وفي هذا الشهر (ربيع الأول سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م) كمل تقسيم عمارة المقياس على ما كان عمره الفرنسيس على طرف الميري، وأنشأ به الباشا طيارة في علوه عوضًا عن الطيارة القديمة التي هدمها الفرنسيس»، وقد بلغت نفقة هذا الترميم حوالي العشرة جنيهات مصرية.

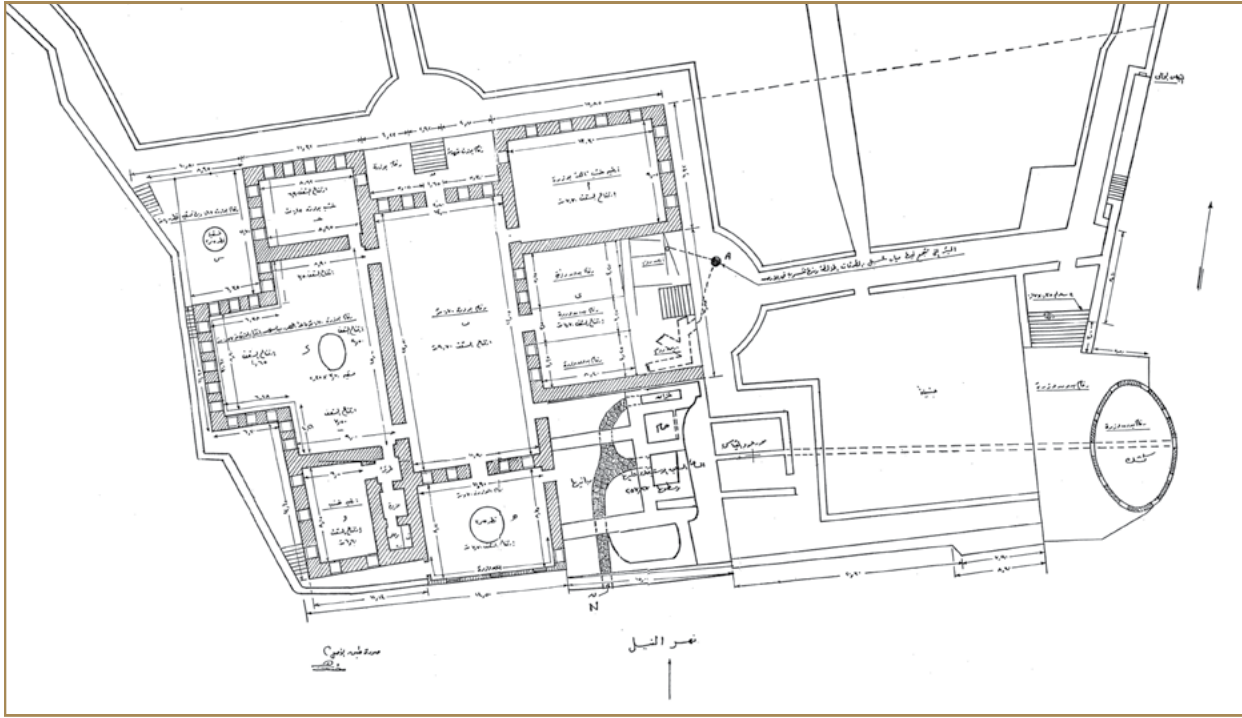
المقياس في عهد الدولة العلوية

وكما عني بالمقياس من ملوك مصر السابقين وأمرائها في كل عصوره الماضية كذلك عني به العزيز محمد علي باشا، فأصلح منه ما كان في حاجة إلى الإصلاح والتجديد.

وفي سنة (١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م) في عهد الخديوي محمد توفيق باشا، عهد إلى ديوان الأشغال العمومية بتطهير بئر المقياس ورفع العامود، وقد عثر في أثناء هذه العمارة على بعض آثار المقياس من العهد الفرنسي، وأنشأت بعد ذلك في سنة (١٣١١هـ/ ١٨٩٣م) مقياسًا متريًّا، ورمت جدار البئر واستبدلت عقود الأسطوانة بعقود أخرى، وجددت تاجًا آخر على مثال التاج الفرنسي؛ ورفعته فوق رأس العمود، ولا تزال مصلحة المباني بوزارة الأشغال توالي إصلاح ما وهن من المقياس والعناية بالعمود وهبوطه كلما دعت إليه الضرورة؛ وآخر ما كان من ذلك في سنة (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م).

ولما كان سنة (١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م) على عهد الخديوي عباس باشا الأول، وضع الكتخدا حسن باشا فؤاد المانسترلي يده على جميع الأرض المحيطة بالمقياس وعلى جميع الأرض التي كانت تقوم عليها سراي الصالح نجم الدين أيوب وعلى جامع المقياس، وأنشأ مكان ذلك كله قصرًا وبستانًا ومنظرة،

(١) المرجع السابق، مج. ٤: ٢١٣.
(٢) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٣: ٢٥٩.

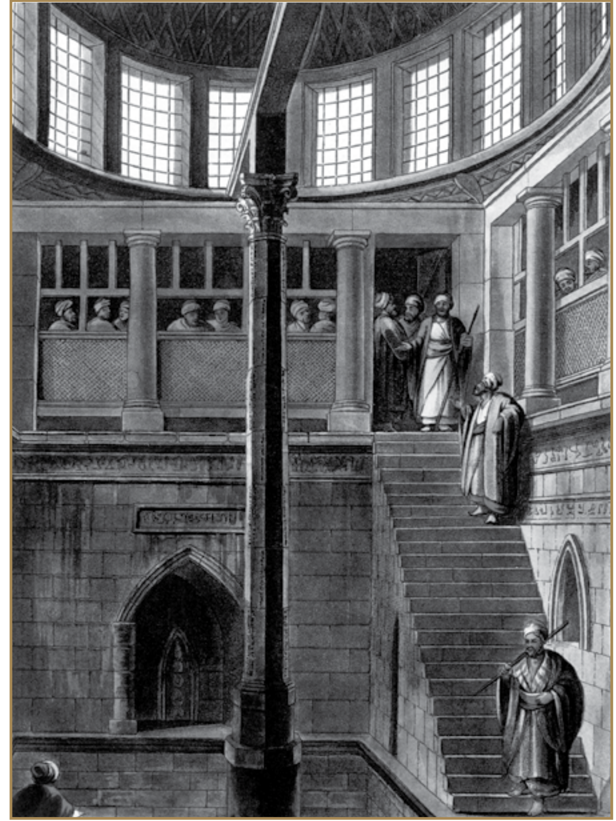


مسقط أفقي لمقياس النيل بجزيرة الروضة «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

وأبقى من الجامع قطعة وبنى بها مدفنًا دفن فيه بعد وفاته، لما كان ذلك قامت وزارة الأشغال بترميم المقياس والعثور على آثاره، تبين لها مما جاء بحجة وقفية الغوري ومستندات أخرى أن جميع هذه الأرض وقف على المقياس، وأن دائرة المناسترلي كانت تحتكرها نظير أجر معين تدفعه كل عام لخزينة الحكومة، فلما ثبت ذلك لديها من طريق صحيح رفعت على دائرة المناسترلي دعوى تطالبها فيها بجميع هذه الأرض، فحكمت لها المحكمة باسترداد البعض منها وهي جميع الأرض التي يقوم عليها السلاملك (المنظرة) والجامع، فواصلت البحث في هذه المنطقة فعثرت فيها على ما سنذكره من آثار المقياس.

آثار المقياس

منذ قامت وزارة الأشغال في سنة (١٣٥٣هـ) أول سنة (١٩٣٤م) إلى السنة التالية بالاستيلاء على الأراضي المحيطة بالمقياس، فاستولت على ما مقداره (٢٩٠٠) متر مربع حول بئر المقياس، عهدت إلى مهندسيها بإشراف المهندس كامل غالب بك المفتش العام لري الوجه القبلي ووكيل وزارة الأشغال السابق بإجراء أعمال الحفر والتنقيب في هذه الأرض، لما عساه أن يكون مطمورًا تحت الأنقاض من آثار المقياس، فعثرت غرب المقياس وفي نواحي أخرى على مفردات من مبنى سراي نجم الدين أيوب التي بناها في سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)، وعلى قطع من لوحات رخام محفورة تتضمن كتابات تاريخية بخطوط متباينة من عهود مختلفة أهمها ما وجد منها من عصر يزيد باني المقياس، وعلى شباك



مقياس النيل قبل عام ١٨٠٠م «عن لويجي ماير»

كامل من شـــبابيك جامع المقياس البادئ الذكر وعلى بعض أجزاء أخرى وقد أهدت وزارة الأشـــغال الشبكة الحديدية التي ستركب في قبة مقياس الروضة، بعد أن تقرر بناء هذه القبة على الطراز التركي كما كانت في عصر السلطان سليم، أما النقوش والزخارف فستكون كلها إسلامية الطراز، وقد تقـــرر أن يبنى متحف خاص للمقياس يضم القطع الأثرية التي كشـــف عنها غالب بك في منطقته من العهود المصرية والرومانية الإسلامية.

المذكرات التاريخية بالمقياس

يبدو أن الحكومات المصرية السابقة لم تنس أن تضع لكل مناسبة قامت بها في إصلاح عامود المقياس نصًّا تاريخيًّا يحفظ تاريخ حدوث ما توالى على العامود من إصلاح وتجديد، بيد أن هذه النصوص جميعها فقدت، وبالرغم من فقدها فقد بقيـــت منها أهم مذكرة وضعت له، وهي مذكرة إنشـــائه من عهد المتوكل، وهي بحذاء الذراع ١٨، ويقرأ فيها ما نصه:

البسملة... وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم مقياس يمن وســـعادة ونعمة وســـلامة. أمر ببنائه عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين طـــال بقاؤه ودام عـــزه وتأييده على يـــد أحمد محمد الحاسب سنة سبع وأربعين ومائتين

وثمـــة كتابات أخرى بالخط الكـــوفي يقرأ فيها آيات قرآنية كريمة مناسبة للمقام منها بقبة المقياس:

البســـملة... ونزلنا من السماء ماء مباركًا فأنبتنا به جنات...

وفي جوارها لوحة أخرى، مكتوب عليها:

وتـــرى الأرض هامدة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج

وأخرى مكتوب عليها:

ألم تر أن الله أنزل من الســـماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير

وأخرى:

وهو الذي يـــنزل الغيث من بعد مـــا قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد

وكتب على باب القبو:

ما شاء الله لا قوة إلا بالله

وفي اختيار الخليفة المتوكل لكتابة هذه الآيات الكريمة بالمقياس من نواحيه الأربع فكرة سامية جدًّا ذهب فيها نظره إلى بعيد، من الوقوف على أسرار كتاب الله وآي الذكر الحكيم وما بها من الخواص والفضائل مما هو مقرر في كتب فضائل وخواص القرآن العظيم.

مذكرة الحملة الفرنسية

جاء في المحضر الرسمي الذي كتب في عهد الحملة الفرنسية عن إصلاح المقياس، أنهم أصلحوا ما كان جدده حمزة باشا قائمقام القاهرة في سنة (١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م) من عامود المقياس، وبيضوا البئر وجددوا الحاجز المقام حولها ومقاعد شيخ المقياس، وشيدوا بوابة عند مدخل المقعد.

وقد أودعوا لهذه الإصلاحات جميعها مذكرة في روسم من الرخام بكتابة ذهبية اللون باللغتين العربية والفرنسية جاء في مقدمتها:

> **البسملة..... والصلوات والسلام على رسوله الكريم محمد أفندي العريشي قاضي مصر حالاً. إنه بتاريخ سنة تسع من تأسيس الجمهورية الفرنساوية وسنة ألف ومئتين وخمسة عشر للهجرة . ثلاثين شهرًا من بعد افتتاح مصر من بونا برته أمير الجيوش رسم [منو] سر العسكر العام. المقياس- فالنيل وقت الشحائح كان قياسه على ثلاثة أذرع وعشرة أصبع، في اليوم العاشر من بعد الاستواء**

واختتمت بما نصه:

> **اعلم أن بدن العامود طوله ستة عشر ذراعًا، والذراع أربعة وخمسين سنتيمترًا، وهذا ينقسم إلى أربعة وعشرين إصبعًا**

رباط المشتهى

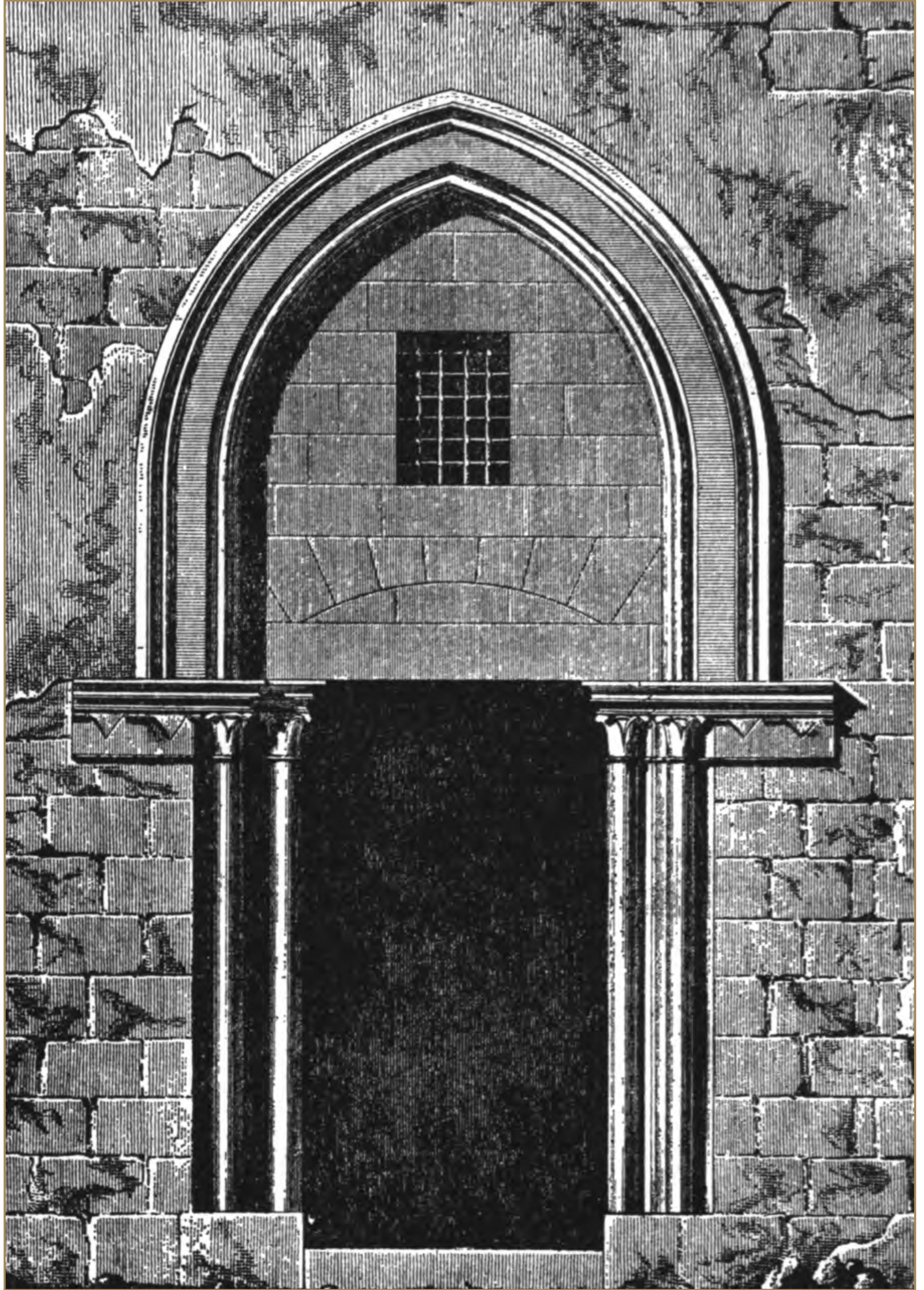
وقد كان بالجزيرة رباط عرف برباط المشتهى نسبة لمنتزه كان ممتدًّا من وسط الجزيرة إلى جهة الشمال ثم إلى جهة الجنوب، وقد ذكر المقريزي هذا الرباط بقوله: «هذا الرباط بروضة مصر على النيل وكان به الشيخ المسلك بهاء الدين الكازروني»(١).

وذكره السيوطي في كوكب الروضة فنقل هذه العبارة عن الخطط، ونقل عن المقريزي أن: «بهاء الدين الكازروني المذكور توفي بهذا الرباط ليلة الأحد الخامس من ذي الحجة سنة (٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)»، ثم نقل ترجمته عن إنباء الغمر للحافظ ابن حجر ونصها: «**محمد بن عبد الله الكازروني** الشيخ بهاء الدين قدم مصر فصحب الشيخ أحمد الحريري صاحب الشيخ ياقوت الحبشي، تلميذ أبي العباس المرسي، وانقطع بعده بالمشتهى من الروضة؛ وكان الناس يترددون إليه ويعتقدونه وكان الشيخ أكمل الدين شيخ الشيخونية كثير التعظيم له، وانقطع إليه البدر البشتكي وكتب له أشياء من تصانيف الشيخ محيي الدين بن العربي وكان يكثر الثناء عليه، وكانت وفاته في ذي الحجة وأرخه ابن دقماق ليلة الأحد الخامس من ذي القعدة»(٢).

وقد وقفنا على ترجمته أيضًا في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر المذكور، وقد أرخ وفاته فيها بسنة (٧٧٣هـ/ ١٣٧١م) أي بنقصان سنة واحدة عن قول المقريزي(٣).

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٨٠٠.
(٢) ابن حجر العسقلاني، **أنباء الغمر**، مج. ١: ٤٩-٥٠.
(٣) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٣: ٤٧٨.



بوابة قاعة الصالح نجم الدين أيوب بقلعة جزيرة الروضة «عن وصف مصر»

ولم يزل لهذا الرباط بقيــة إلى اليوم، وذكره علي مبارك باشــا في موضعين من خططه أحدهما في مســاجد الروضة باسم زاوية المشتهى، فنقل عبارة المقريزي والسيوطي ثم قال: «وفي زماننا هذا (يعني سنة إحدى وتسعين ومائتين وألف) الزاوية المذكورة مشهورة بزاوية الشيخ الكازروني، وموضعها غربي سراية الخديوي إسماعيل، وبنتها سعادة والدة باشا والدة الخديوي المذكور، وأقام بها الشيخ علي القشلان أحد المشاهير من رجال الطريقة القادرية ومعه سبعة دراويش ورتبت بها مولدًا ســنويًّا، وفي كل شهر ثلاثمائة قرش ديوانية ورتبت لها من الشمع والبن والفحم والزيت ما يلزم لها يوميًّا».

والثــاني في كلامه على الربــط فذكره باســم رباط المشتهى، ونقل عبارة المقريزي المتقدم ذكرها ثم قال:«وهذا الرباط يعرف اليوم بجامع المشــتهى، وقد ذكرناه في كتابنا المسمى مقياس النيل».

وبهذا الاسم الذي ذكره علي مبارك باشا لا يعرف اليوم، بل هو معــروف بزاوية الكازروني كما ذكر في عبارته الأولى، وقد زرنا هذه الزاوية بوســط جزيرة الروضة بقرب الشاطئ الــشرقي، فرأيناها تلاصق الســور الغربي لقــصر الخديوي إسماعيل وحديقته، وكان القصر بينها وبين النيل، ولا ريب في أنها بقية الرباط وأن ســائره كان ممتدًّا في جزء من موضع القصر حتى يكون مطلاً على النيل كما ذكر عنه في ما تقدم، والباقي من هذا القــصر الآن أطلال ماثلة شرقي الزاوية وفي حائطها الجنوبي قبة مدفون بهــا الكازروني، وعلى قبره تابوت من الخشب مغطى بســتر أخضر من الجوخ عملته له والدة السلطان الكامل حســين كامل ابن الخديوي إسماعيل وهي نور ملك هانم، وفي الجانب الغربي من هذا الستر رقعة حمراء مكتوب فيها بالبياض «هذا مقام سيدي محمد الكازروني» وفي جانبه الشرقي رقعة مثلها مكتوب فيها[١]:

جددت هذا الســتر دولتو قادن أفندي والدة دولتو
حســين كامل باشــا ثاني نجل حضرة الخديو حالا
١٢٨٩

والشيخ علي القشلان القدري شيخ صوفيتهما الوارد اســمه في عبارة علي مبارك باشــا لم يدفن بهذا المســجد، بــل دفن في الإيــوان الــشرقي بالزاوية القادرية المســماة قديمًا بالزاوية العدوية، والمعروفة الآن بجامع ســيدي عليّ «بالتصغير» خارج باب القرافة منذ نصف قرن.

مساجد الروضة

جامع الفخر

وأشــهر مســاجد الروضة، هو جامع الفخر المعروف بجامع السلطان قايتباي لتجديده له في سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م) إلى ســنة (٨٩١هـ/ ١٤٨٦م)، وبه نزل الجلال السيوطي وهو في شــمالي كفر قايد بيه المعروف بالحوش أو حوش المنيل «وسنذكره في متجددات القرن التاسع من هذا الكتاب»[٢].

(١) زاوية الكازروني بشارع قايتباي تجاه شارع عبده رضوان. (المراجع)

(٢) جامع الفخر بالروضة: أنشأ في حدود سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م) فخر الدين ناظر الجيش، ثم جدد بناءه سنة (٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م) الصاحب شمس الدين محمد بن المقسي، ثم تلاشى أمر الجامع في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري إلى أن أمر بتجديده السلطان قايتباي في سنة (٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م)، وكان الشاد على عمارته البدري حسن بن الطولوني، وصار يعرف بجامع السلطان، ثم وقع حريق بالجامع سنة (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م)، فجدد ما احترق منه، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٤٨، هامش ٢؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢٠٨؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **كوكب الروضة في تاريخ**

جامع غبن (الأباريقي)

ومن جوامع الروضة القديمة جامع القائد غبن الحاكمي أحد الأمراء في عهد الحاكم بأمر الله(١)، عرف بالشيخ أحمد الأباريقي من أصحاب السيد أحمد البدوي لدفنه فيه بعد إقامته بالجامع زمنًا طويلاً «انظر طبقات الشعراني الوسطى»(٢)، وهو الآن عبارة عن ضريح صغير قائم في أواسط الجزيرة بجانب السور المحيط بحديقة قصر علي باشا شريف بجهة الشمال(٣).

جامع البسطامي (الريس)

ثم جامع البسطامي وهو على مقربة من شاطئ السيالة؛ بين كوبري الملك الصالح والمندورة بآخر شارع دار الصناعة ويعرف بجامع الريس والآن بضريح البسطامي، أنشأه على برج من أبراج قلعة الروضة الشيخ محمد بن أصيل ابن مهدي الهمذاني البسطامي؛ في سنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م) في عهد الملك المنصور لاجين، ثم زاد فيه ووسعه في (٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م) بأمر السلطان المظفر بيبرس الجاشنكير، وقد ذكر السيوطي في كوكب الروضة، نص العهد المستخرج لذلك، وفي سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) أقيمت به خطبة، وزاد فيه ووسعه رئيس الخلافة الشيخ فتح الدين صدقة بن زين الدين أبي بكر المدعو بالريس، وقد عرف الجامع باسمه إلى اليوم، وتشابه اسم البسطامي منشئ هذا المسجد بالبسطامي الكبير، حتى زعم فريق من الناس أنه أبو يزيد البسطامي العالم الصوفي المشهور وهو زعم خاطئ، إذ أن البسطامي هذا هو أبو يزيد عيسى بن طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي؛ توفي سنة (٢٦١هـ/ ٨٧٥م) ببسطام من أعمال نيسابور وقبره بها ظاهر يزار، وله مشاهد أخرى نسبت إليه بأماكن مختلفة «منها» بقرية الرشتي بين حمص وحماة، وبقرية من أعمال المرج القبلي بدمشق، وبقرية من القطر المصري تعرف بسديمة، وعليه بناء مشيد ومسجد جامع بناه الأمير عبد الرحمن كتخدا في سنة (١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م)؛ وكان في مقابل هذا الجامع فيما سبق مدرستان لعز الدين وتاج الدين الخروبي، بيد أنهما تخربتا «انظر هاتين المدرستين»(٤).

جامع خديجة الترجمانية

ثم هذا الجامع وهو قديم الوضع، وجددته السيدة خديجة الترجمانية في سنة (١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م)، وفي سنة (١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م) أعادت تجديده الأميرة مهتاب زوجة الأمير محمد طوسون بن السعيد محمد سعيد بن العزيز محمد علي باشا.

جزيرة مصر المسماة الروضة، تحقيق مصطفى الشكعة، ومجدي عاشور (القاهرة، ٢٠٠٨): ٩٩- ١٠٠، ١٠٢- ١٠٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ١٨٢، ٢٨٣؛ الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٣: ٣٠٥؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ١٥٨، ١٦٢- ١٦٣؛ عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ٢٧٣- ٢٧٥.

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ١٨١-١٨٢.

(٢) المرجع السابق: ١٨١، هامش ٣؛ السيوطي، **كوكب الروضة**: ١٠١؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٠٠- ١٠١.

(٣) هذا القصر تحولت مساحته إلى شوارع وزاوية الأباريقي، وهي تقع بين شارعي نمرة (٩) وأحمد مختار. (المراجع)

(٤) زاوية البسطامي بشارع البسطامي فيما بين شارع الملك الصالح المطل على سيالة الروضة، وشارع دار الصناعة. (المراجع)

قبة الملكة شجر الدُّر

أثر رقم ١٦٩ (سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)

بشارع الخليفة «خط دار الخلافة سابقًا» جنوبي القاهرة، أنشأتها ملكة مصر شجر الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)، كما جاء بالنص التاريخي الظاهر بأسفل القبة من الداخل، وهي حافلة بالزخارف، وبها محراب يمتاز بزخارفه الجصية، ولا تزال القبة مطبوعة بطابعها الأول رغم تقلب الزمن عليها[١]، وبها ضريح ينسب لأحد الخلفاء العباسيين مكتوب عليه ما نصه[٢]:

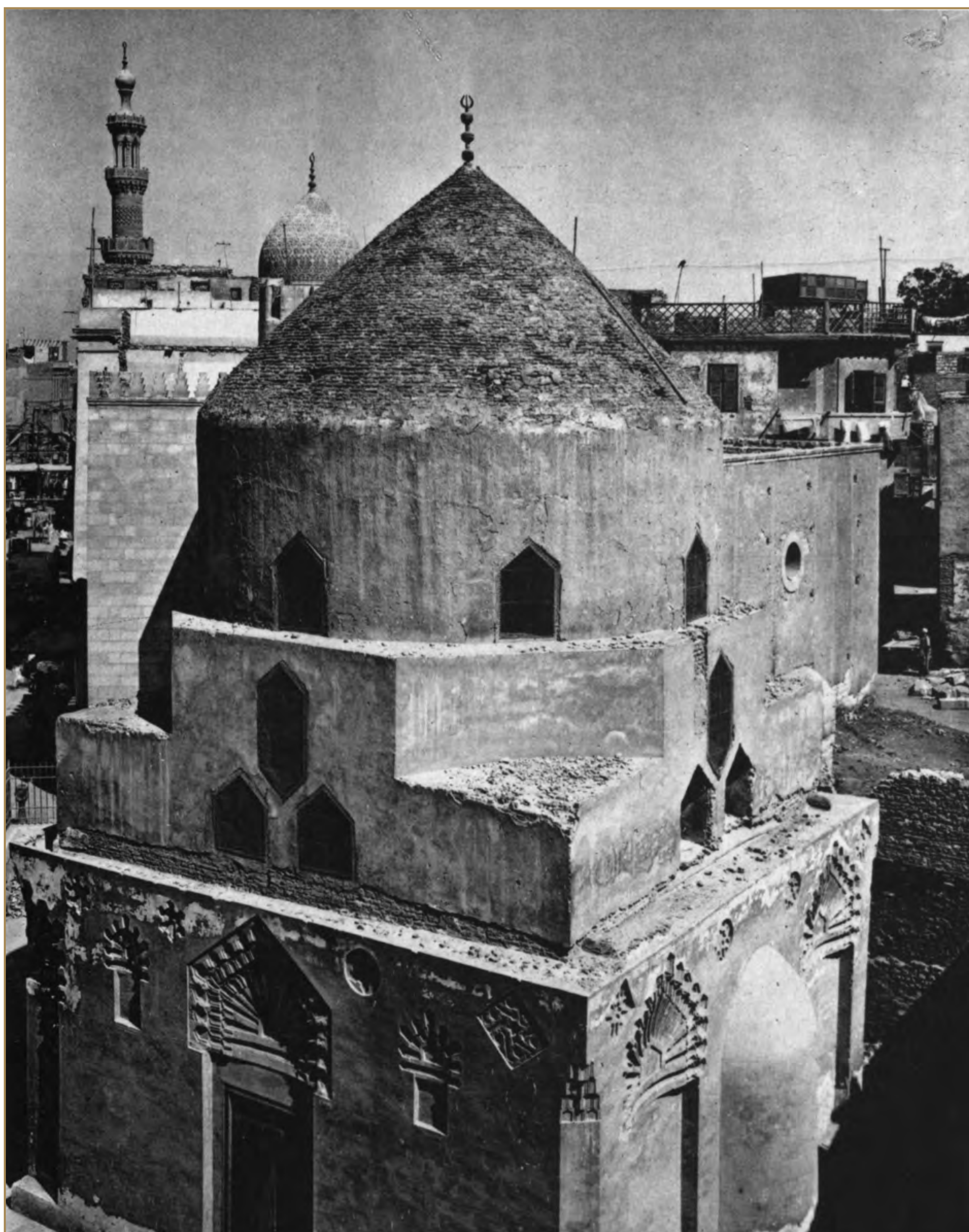
هذا ضريح بالخليفة قد زها
وتزخرفت أوصافه للناس
حسنت عمارته وقالت أرخوا
يهنيكم فخرًا بني العباس

ويحيط بالقبة كتابة تاريخية من عصر شجر الدر قرأنا فيها ما نصه:

هذه تربة الستر الرفيع والحجاب المنيع عصمة الدنيا والدين والدة الملك المنصور خليل بن مولانا السلطان الملك الصالح نجم الدين أبي الفتح أيوب بن مولانا السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبي المعالي محمد بن أبي بكر بن أيوب خليل أمير المؤمنين قدس الله روحه ونور ضريحه التي خطت الأقلام بمناقبها على منابر الطروس وشهدت لها المفاخر بالمجد الثاقب في أعلى المنازل العز بين الدرى وضحت شموس المملكة لها طالعة وآراء الأمراء لها مطيعة وسامعة، أعز الله أنصارها،

(١) لا تزال هذه القبة موجودة إلى اليوم داخل مسجد صغير أصله مدرسة أنشأتها شجر الدر بشارع الخليفة، والقبة من أقدم أشكال القباب المعروفة في مصر، ولازالت محتفظة بشكلها القديم، أما المدرسة فتعرف اليوم بجامع شجر الدر أو جامع الخليفة، وقد تجدد بناؤه أكثر من مرة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٥٦-٥٧، ٧٨٤-٧٨٥، هامش ٢، ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٣٧٨، هامش ٤؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**: ٩٥؛ فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها**، مج. ٢: ٤٠؛ Max Herz, "Le tombeau de la sultane Chagarat el-Dorr". *Comité de conservation des monuments de l'art arabe*, Fascicule 17, exercice 1900, 1900: 112-118; Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt*, vol. II: 136-139; Doris Behrens-Abouseif, "The Lost Minaret of Shajarat ad-Durr at Her Complex in the Cemetery of Sayyida Nafisa", *Mitteilungen des Deutschen Archäologischen Instituts*, 39 (1983): 3-20.

(٢) ذكر المقريزي في الخطط أن الخليفة المستكفي بالله أبا الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله- كانت داره بجوار تربة شجر= الدر، والخليفة المذكور مات سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) ودفن بقوص قبل بناء التربة، وقد عرفت هذه الدار بدار الخلافة وبها عرف الخط قديمًا، وفي محلها الآن المسجد الذي أنشئ في سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٤٩م) وما يتصل به. (المؤلف)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٧٨٤-٧٨٥؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١١٨.



منظر عام لقبة شجر الدر «عن فييت»

وضاعف أقدارها وأعلى منارها وقبل النيرين في العلا الأعلى قدامها، ولم تزل مؤيدة منصورة على مر الليالي والأيام بمحمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين الكرام

وبالأثر كتابة أخرى قرأنا منها عبارات:

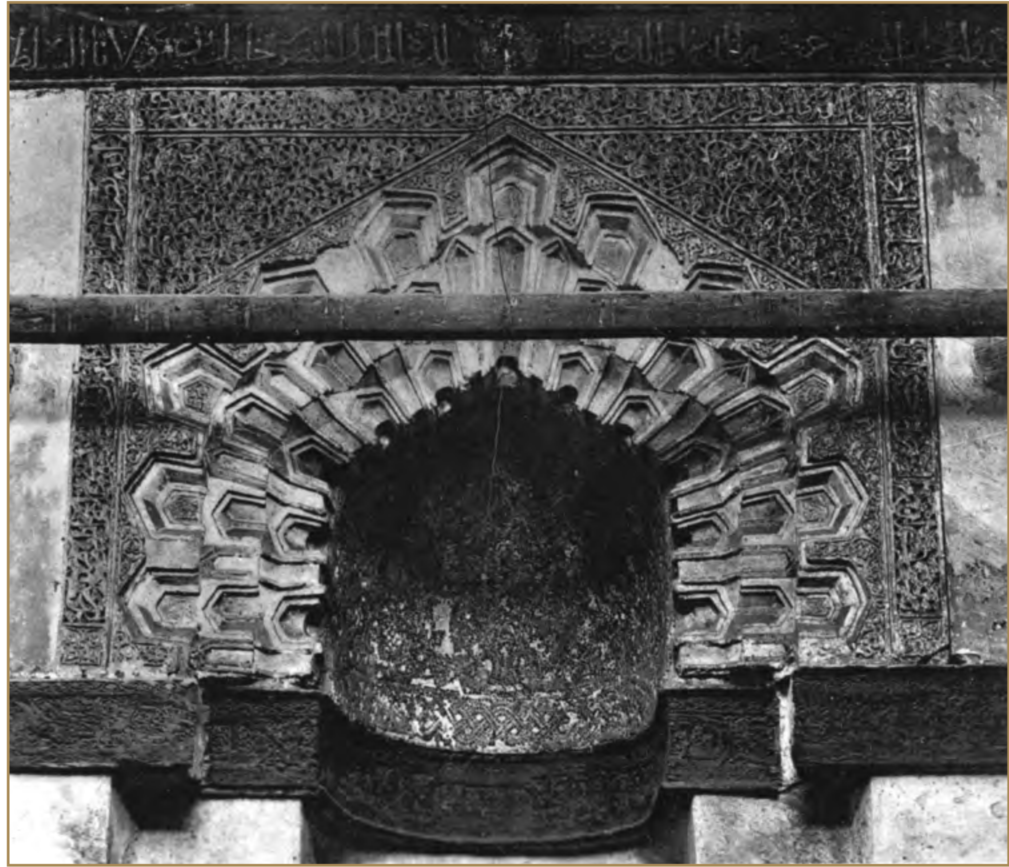
يا واقف على قبري، لا تعجب من أمري، بالأمس أنا كنت مثلك، وأنت غدًا تكون مثلي فاز من اتقى ونال أعلى المراتب وارتقا، وهم أهل الصلاح والتقى، نعم المسكن لمن أحسن

شجر الدر

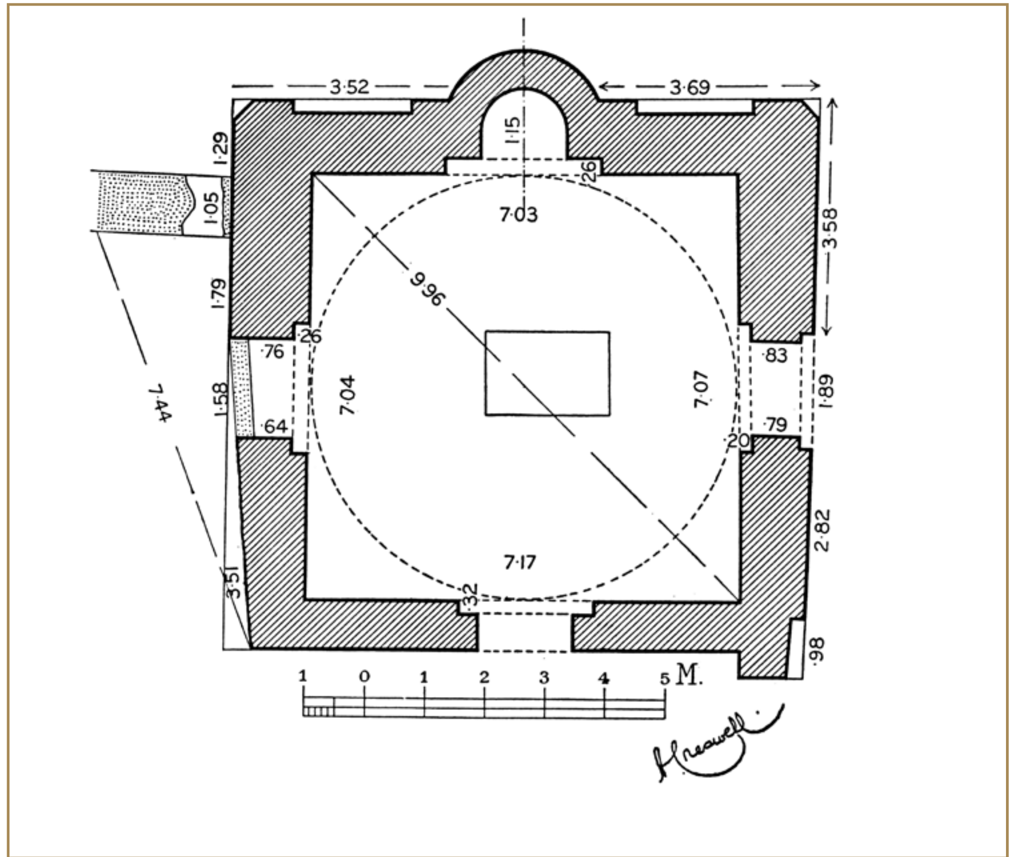
والمنسوب إليها هذا الأثر، سيدة جركسية من جراكسة الشمال اسمها «إينجى أغاسي»، وشجر الدر تعريب اسمها المذكور، وظهر نجم شجر الدر هذه منذ سنة (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، فإنها حينما قتل زوجها الملك الصالح نزعت نفسها إلى أن تخلفه في الملك، فمهدت لذلك السبيل، حتى إذا تم لها الأمر، أخذت تؤسس مملكتها وتثبت دعائمها في الحكم، رغم تألب الشعوب عليها في مصر والشام وبغداد، لكنها مضت في ذلك غير مكترثة بما هنالك، بيد أنها رأت حياتها في آخر الأمر مهددة من كل جانب، فتنازلت عن الحكم مرغمة لأيبك الجركسي (أتابك) - قائد الجيش- وذلك بعد أن عقدت عليه واتخذته بعلاً لها، وكانت تريد من زواج أيبك إشراكها في حكم مصر من وراء ستار، لكن أيبك خالفها في ذلك، وأصرت هي على رغبتها، واشتد النزاع بينهما، فاضطر أيبك لأن يعتزلها، فثارت لذلك وأضمرت الفتك به، فخادعته وتمكنت من قتله، فحنق عليها ولده، وأضمر لها السوء، فلما أسند إليه الحكم خلفًا لأبيه، خدعها كما خدعت أبيه فقتلها كما قتلته، وقد مثل بها، وكانت نهايتها مؤلمة، وقتلت في ربيع الأول سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، ودفنت أشلاؤها تحت هذه القبة، وتحتفظ بعض دور المسكوكات ببقايا من السكة التي ضربت في عهدها مكتوب على وجه نصها:

المستعصمة الصالحية ملكة المسلمين والدة المنصور خليل خليفة أمير المؤمنين[1]

(١) عن سيرة الملكة شجر الدر، انظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مج. ١٦: ٧٠؛ العيني، **عقد الجمان**، مج. ١ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٠): ٢٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٣٧٣-٣٧٩؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**: ٩٥-٩٨.



محراب قبة شجر الدر
«عن كريسويل»



مسقط أفقي لقبة
شجرالدر «عن
كريسويل»

مدرسة بلاط السيفي أوجاي (تكية الهنود)

أثر رقم ٢٣٧ (سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)

هذا الأثر بشارع التبانة تجاه مدرسة الأشرف شعبان جنوبي القاهرة[١]، لم يذكره المقريزي في كتاب الخطط، وذكره السخاوي في الضوء اللامع، ووضح موقعه من شارع التبانة، ذكره أولاً في ترجمة محمد بن محمد النويري أحد علماء الحنفية والقراءات، قال: «ولي التدريس بمدرسة ألجاي تجاه أم السلطان من التبانة وسكنها»[٢].

وذكره ثانيًا في ترجمة محمود بن مصطفى القرماني، قال:«وكذا استقر بعد أبيه في تدريس الأمير بلاط السيفي ألجاي»[٣].

هذا النص وسابقه ألقى ضوءًا كبيرًا على نسبة هذا الأثر إلى منشئه من وجه صحيح لا مجال للشك والغموض فيه، وقد استمرت هذه المدرسة تؤدي رسالتها، حتى قدم الشيخ حسن بن عبد الله التستري الصوفي إلى مصر، فاتخذ منها زاوية استقر بها للذكر والتذكير منذ سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م) إلى وفاته في جمادى الأولى سنة (٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م)، ودفن بزاويته الأخرى بقنطرة الموسكي[٤]، والشيخ حسن المذكور من صوفية العجم من أهالي تستر وهي مدينة بخورستان، أخذ الطريقة عن شيخه الشيخ يوسف بن عبد الله بن عمر ابن علي بن خضر الكوراني المعروف بالعجمي [المتوفى سنة (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)]، ترجم له الشعراني في الطبقات الكبرى[٥].

ولم تبدأ هذه المدرسة تعرف بتكية الهنود إلا منذ أوائل القرن الحادي عشر الهجري، حين قدم الشيخ أحمد محمد معصوم الهندي إلى مصر، واستقر بزاوية الشيخ جاد الله الهندي بالرميلة، وابتاع مكانًا بجانب الزاوية المذكورة، قبلي

(١) تقع هذه المدرسة بعطفة الهنود، المعروفة باسم زاوية الهنود القديمة المتخربة، وتعرف الآن بزاوية علي أغا الرزاز، معطلة الشعائر، شرعت الأوقاف في تجديدها، وبداخلها ضريح الشيخ عبد الله الجويني، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٢٧٦.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم البدر أبو الفضل بن التقي أبي الخير بن شمس الحنفي سبط الشمس محمد بن عبد الله بن حسين النويري، أحد قراء السبع من الشافعية، ولد في سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م)، وصارت له نوبة في باب الحنفي، جاور وولي التدريس بمدرسة ألجاي تجاه أم السلطان من التبانة، وسكنها والإعادة بأم السلطان إلى غير ذلك من الجهات، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٩: ٢٢٧.

(٣) محمود بن مصطفى الجمال التركماني القرماني ثم القاهري الحنفي، استقر بعد والده في مشيخة تربة قراجا خارج باب الوزير، وكذا استقر بعد أبيه في تدريس الأمير بلاط السيفي ألجاي، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٠: ١٤٨.

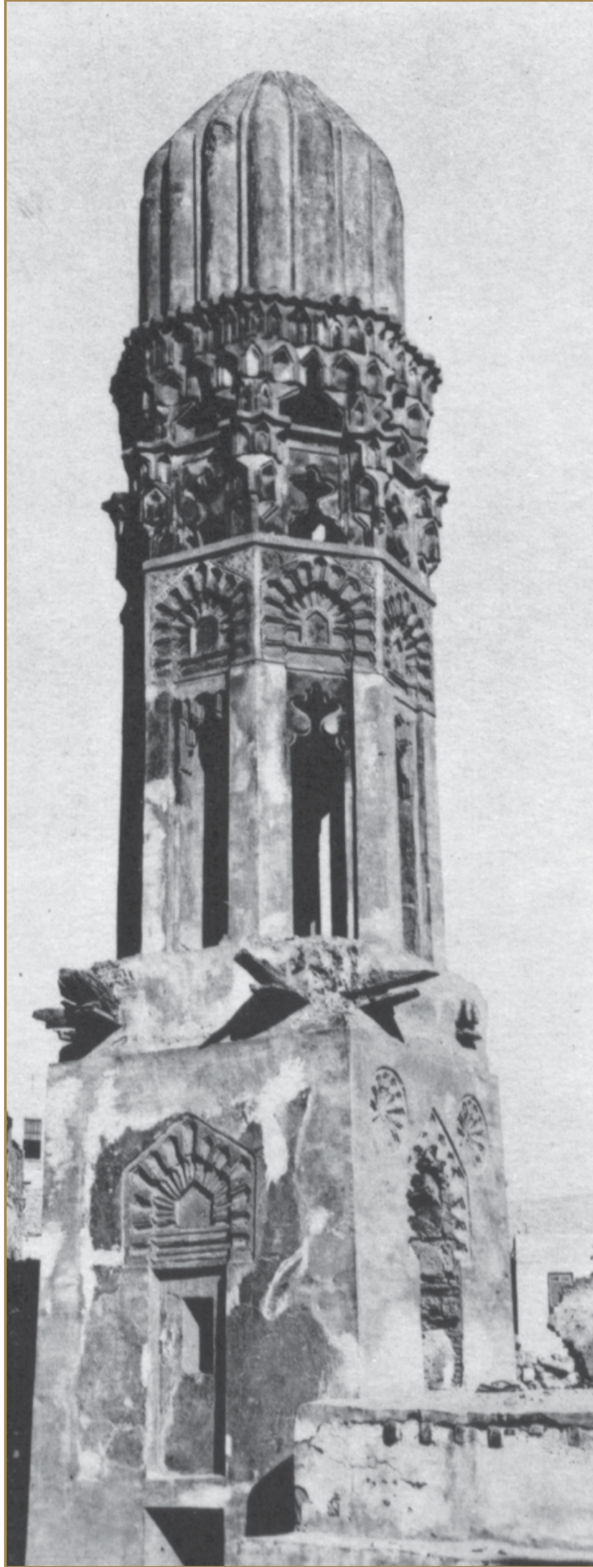
(٤) توفي الشيخ حسن التستري في سنة (٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م)، ودفن بزاويته في قنطرة الموسكي على الخليج الحاكمي، انظر: عبد الوهاب الشعراني، **الطبقات الكبرى**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا (القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٩٧٠): ٣٨١-٣٨٢.

(٥) توفي الشيخ يوسف العجمي ودفن بزاويته بالقرافة الصغرى سنة (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)، انظر: الشعراني، **الطبقات الكبرى**: ٣٧٩-٣٨١.

جامع السلطان حسن وشرقي بيت يشبك، وكانت هذه أول زاوية لصوفية الهنود بمصر، ومحل زاوية الشيخ جاد الله الهندي المذكورة هي جميع الأرض التي تقوم عليها الآن عمارة خوشيار المعروفة بخليل أغا، وكان حدّها الشرقي حمام عرف بحمام الهنود ومحله قسم الخليفة القديم، وبعد وفاة الشيخ معصوم انتقل أصحابه إلى هذا الأثر واتخذوا منه تكية لهم، ومحلاً للذكر والعبادة، كما اتخذوا زاوية أخرى بالصوة (٤ سكة الكومي)، وزاوية بالحبانية من إنشاء الأمير سودون النوروزي، وهي المعروفة حاليًا بزاوية علي الهندي بالحبانية.

وهذا ما تحققته من [السجل رقم ٣٧٣- ٩٦٠- ٣٤٦] ٢٠ من ذي الحجة (١٢٣٨هـ/ ١٨٩٢م)، وهو سجل خاص بالدعاوى الشرعية من محفوظات محكمة مصر، ومن [السجل الآخر رقم ١١٨٠٠- ١٨١٢- ٤٤٢] ٢٨ من صفر سنة (١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م)، وفيها أن دراويش بخارى والسليمانية وأوزبك، ادّعوا أن لهم حق السكن والإيواء بهذه الزوايا وعارضهم في ذلك الهنود، وقدّموا لإثبات دعواهم الفرمان السلطاني الذي خوّل لهم الحق في سكناهم بها الصادر بتاريخ سنة (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م)، والتقرير الصادر في ٢٩ رجب سنة (١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م)، وانتهى الحكم في هذه الدعوى برفض طلب شيوخ بخارى ومن معهم، واستقرار الهنود بزاوية الرميلة، وأولجاي بالتبانة، وسودون بالحبانية.

استمر الهنود بهذه الزاوية والزوايا الأخرى، وكانت المحاكم تصدر لهم تقارير تخوّل لهم حق البقاء فيها، واستقر النظر على هذا الأثر في سنة (١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م) إلى الشيخ



مئذنة زاوية الهنود «عن كريسويل»

محمد البخشي الهنــدي[1]، بالتقرير الصادر في ١٩ محرم من هذه الســنة [المســجل برقم ٣٨- ١٠٩- ٢٢]، ومؤلف هذا الكتاب أدرك بقية من الهنــود بهذا الأثر وبزاوية الحبانية، وصوفية الهنود المذكورين ينتســبون إلى الشيخ قطب الدين البنكالي الهندي، وقدم من أصحابه إلى مصر في سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) الشيخ غريب بن عبد الله الهندي البنكالي، وسكن المدرســة البردبكية برحبة الأيدمــري[2]، ورتب له الملك الأشرف قايتباي من بعض موقوفاته، ما يســدّ به حاجته، وقد تخلف من هذا الأثر مئذنته المربعة، وكانت قبل نصف قرن تستخدم مبخرة حين حلول الوباء بالقاهرة[3].

ومنشئ هذا الأثر كان من جند الملك الظاهر بيبرس الذي تولى الحكم من ســنة (٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م) إلى وفاته في سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، والفن الذي يلابس هذا الأثر لا بعد وهذه الفترة تحقيقًا، وما حققناه عن هذا الأثر يستبعد كل ما تعلق به بشأنه من حدس وتخمين بين دارسي آثار القاهرة.

(١) كانت له زاوية استقر فيها أخيرًا ومات ودفن بها، وكانت قائمة بشارع الركبيين «الركبية»، المسلوك منه إلى شارع دار الخلافة خارج سوق الأساكفة وصليبة ابن طولون، وقد هدمت سنة (١٩٢٩م)، ونقلت رفات البخشي إلى زاوية أخرى على قيد غلوه منها بنفس الشارع. (المؤلف). يذكر علي مبارك أن بشارع الركبية ضريح يعرف باسم «سيدي النجشي»، ربما كان هو المكان الذي نقل إليه رفات البخشي، وربما كان ذلك تصحيفًا للاسم، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقيه**، مج. ٢: ١٨٣.

(٢) رحبة الأيدمري: فيما بين المشهد الحسيني وخزانة البنود، نسبة إلى الأمير بدر الدين بيلبك الأيدمري، أحد أمراء الظاهر بيبرس، ثم المنصور قلاوون، لأن داره عندها، وهي باقية إلى زمن المقريزي، توفي سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)، ودفن بتربته بالقرافة بجوار قبر الشافعي، وكان مملوكًا للأمير عز الدين أيدمر الحلي نائب السلطنة أيام الظاهر بيبرس، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٥١، هامش ٢، ٣.

(٣) الوباء هو المسمي الآن بالكوليرا أو الشوطة وهو مرض عوارضه الإسهال والقيء، ومن أصيب به وكانت منيته لايلبث أكثر من ٢٤ ساعة ثم يموت، والبخور الذي كان يبخر به من هذه المآذن التي من نوع هذه المآذن، وهي مئذنة المدرسة السعدية، ومئذنة المدرسة الصالحية، ومئذنة البيبرسية، هو الطرفا واللبان والصندروس والكافور في بعض الأحيان وقد أدركنا هذا في أول هذا القرن. (المؤلف)

مدرسة الظاهر بيبرس

أثر رقم ٣٧ (سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)

هذه المدرسة بشارع المعز لدين الله «سابقًا بين القصرين»، أنشأها الملك الظاهر بيبرس البندقداري ملك مصر في سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، وكملت في سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م)[١]، وقد تلاشت الآن، وبقي منها جزء فيه الباب العمومي[٢]، ولا يزال حاملًا لاسم الملك الظاهر في عبارة كان يقرأ فيها كاملاً ما نصه:

البسملة: أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة السعيدة مولانا السلطان الأعظم الملك الظاهر السيد الأجل العالم العامل المجاهد المرابط المؤيد المنصور ركن الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين مالك رقاب الأمم سيد ملوك العرب والعجم أبو الفتح بيبرس قسيم أمير المؤمنين أعز الله أحكامه وأدام أيامه ونشر في الخافقين بالنصر

---

(١) يذكر المقريزي أن ابتداء عمارة المدرسة الظاهرية العتيقة كان في ثاني ربيع الآخر سنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦١م)، وكان الفراغ منها في سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م)، في موضع من القصر الفاطمي الكبير، يعرف باسم قاعة الخيم، وباب الذهب، بينما يحددها شافع بن علي بقاعة السدرة، وللمزيد عن تاريخ مدرسة الظاهر بيبرس، انظر: عز الدين بن علي بن إبراهيم بن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**، تحقيق أحمد حطيط (فيسبادن، ١٩٨٣): ٣٤٤-٣٤٥؛ محيي الدين ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تحقيق عبد العزيز الخويطر (الرياض، ١٩٧٦): ٩٠؛ شافع بن علي، **حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية**، تحقيق عبد العزيز الخويطر، ط. ٢ (الرياض، ١٩٨٩): ١٤٥-١٤٦؛ بدر الدين العيني، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تحقيق محمد محمد أمين، مج. ١ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٩): ٣٨٢-٣٨٤؛ بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تحقيق دونالد ريتشاردز (بيروت، ١٩٩٨): ٨٦؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق أولرخ هيرمان، مج. ٨، **الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية** (القاهرة، ١٩٧١): ١٠٣؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٥٠٤، ٦٣٨؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٠٥؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ٢: ٢٦٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٢٠، ٢١٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٣١٢، ٣٤٠؛=

K.A.C. Creswell, "The Works of Sultan Baibars = al-Bunduqdârî in Egypt." *Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale* 26, (1926): 131-143; K.A.C. Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt*. vol. 2. (Oxford: Clarendon Press, 1959): 143-147.

(٢) ظلت هذه المدرسة قائمة في شارع بين القصرين وقد سجل رسمها الرحالة لويس فراسوا كاساس (١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م)، والرحالة ديفيد روبرت (١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م)، حتى هدمت لفتح طريق بيت القاضي الذي اخترق مبانيها، وقد سقطت مئذنة المدرسة في سنة (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م)، ويذكر علي مبارك أنه لم يبق من المدرسة سوى جزء يسير من الإيوان الذي عن يمين المدرسة وكان به المنبر، وهو متخرب، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥١٢، هامش ٢؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ١٠٤؛

Jonathan Bloom, *The Mosque of Baybars al-Bunduqdārī in Cairo*. (Le Caire: Impr. de l'Institut Français d'Archéologie Orientale: 1982): 46.



بقايا المدرسة الظاهرية «عن كريسويل»



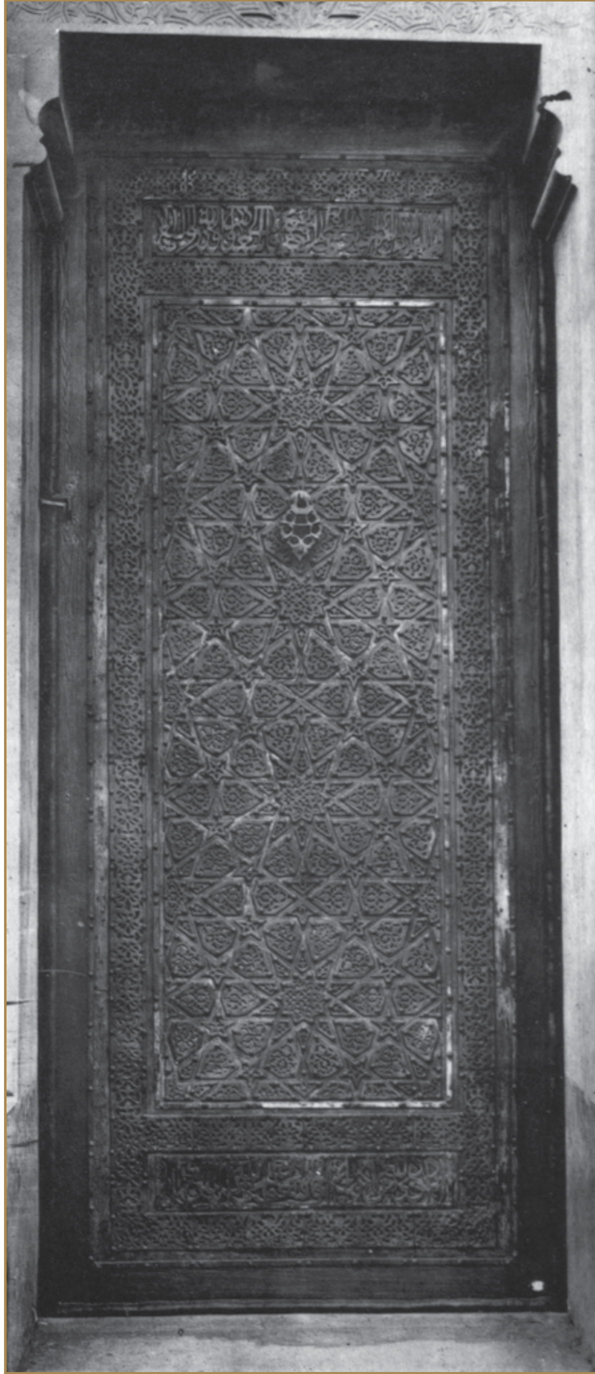
منظر عام للمدرسة الظاهرية سنة ١٨٥٠م «عن كريسويل»

والتأييد ألويته وأعلامه بمحمد وآله وصحبه وذلك
في شهور سنة ستين وستمائه

ويصف المقريزي هذه المدرسة بأن الظاهر خصصها لدرس شتى العلوم والفنون، من فقه على المذاهب الأربعة إلى قرآن وحديث إلى غير ذلك، ويقول: «وجعل بها خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم والفنون، وبنى بجانبها مكتبًا لتعليم الأطفال وتحفيظ القرآن الكريم»(١).

وفي قوله وبنى بجانبها مكتبًا، نستطيع القول منه بأنه هو أول مكتب بني إلى جانب مدرسة إن لم يكن ثمة أسبق منه، وهذا يدحض الرأي السائد بأن أول مكتب بني إلى جانب مدرسة هو مكتب مدرسة قرا سنقر (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) أو مكتب مدرسة فخر الدين عبد الغني (٨٢١هـ/ ١٤١٨م) أو غيرهما.

وقد كانت هذه المدرسة لأكثر من حوالي نصف قرن سليمة بعض الشيء؛ فلما فتح شارع بيت القاضي في أواخر القرن المنصرم أخذ معظمها، والبقية الباقية منها إلى اليوم لا تصلح للاحتفاظ بها كأثر في نظرنا فلو أنها أزيلت أو زحزحت قليلاً لكان خيرًا للمارة ولمنظر الشارع وللأثر الآخر الذي يجاورها.


باب المدرسة الظاهرية بالسفارة الفرنسية بالجيزة «عن كريسويل»

باب المدرسة الظاهرية

ويبدو أن هذه المدرسة لم تسلم من معاول الحملة الفرنسية التي أغارت على القاهرة في سنة (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م)، إذ تؤكد مجموعة من المصادر بقاءها سليمة من الأضرار يدرس فيها ويقرأ العلم حتى حوالي هذا التاريخ، والمرجح أن الخراب بدأ يتطرق إليها- قبيل قيام الدولة العلوية-

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥١٠.

رغم أن الصلاة والشعائر كانت تقام في جزء منها باسم جامع الظاهر، وأخيرًا جامع طاهر.

وقد كان من نتيجة تخريب هذه المدرسة أن امتدت الأيدي إلى ذخائرها ونقائها ومفرداتها من رخام وعمد ونحاس ونحوه، يؤيد ذلك وجود مصراعي بابها النحاسي الجميل على باب دار المفوضية الفرنسية بالمبنى الجديد بالجيزة المقابل لحديقة الحيوانات، وقد نقل إليه من المبنى القديم الذي كان لهذه المفوضية، ولا يزال يحمل اسم الظاهر وتاريخ إنشائه في سنة (٦٦١هـ/ ١٢٦٢م) في عبارة مختصرة عن النص المتقدم.

ونحن لا نأسف على وجود هذا الباب من آثار هذه المدرسة الظاهرية على دار المفوضية الفرنسية كأسفنا لو كان خارج القطر المصري، أمثال تلك المجموعة الهائلة من الأبواب النحاسية الجميلة وغيرها التي تذخر بها متاحف أوروبا مما امتدت إليه الأيدي وسربته إلى الخارج في عصور مختلفة.

وقد تخربت هذه المدرسة وتخلف منها بقايا ونقل بابها النحاسي الجميل إلى مبنى المفوضية الفرنسية بالجيزة، وقرأنا عليه اسم الظاهر في عبارة هذا نصها[1]:

أمر بعمل هذا الباب المبارك مولانا السلطان الأعظم المالك الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس أدام الله أيامه وأعز أحكامه سنة ٦٦١

(١) نقل مصراعا باب المدرسة إلى السفارة الفرنسية بمقرها القديم في عمارة الإيموبيليا، ثم نقلت بعد ذلك إلى مقرها الجديد في شارع مراد بالجيزة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥١٢، هامش ٢؛
Bloom, "*The Mosque of Baybars al-Bunduqdārī in Cairo*": 46.

جامع الظاهر بيبرس

أثر رقم ١ (سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)

هذا الجامع بميدان الظاهر سابقًا، ميدان بهاء الدين قراقوش ظاهر حارة الحسينية أنشأه الملك الظاهر بيبرس البندقداري ملك مصر في سنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م)، وكمل في سنة (٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م)، وقد كان جامعًا فخمًا تغالى الظاهر في زخرفته وأجاد في عمارته إلى حد كبير، قد استعمل فيه أجود أنواع الخشب والرخام ووضع تصميمه على أشكال المساجد الإسلامية، مؤلف من أربعة أواوين بينها صحن مكشوف بكل إيوان منها أروقة تختلف في عددها عن الآخر؛ وبعضها يقوم على أساطين والبعض الآخر على دعامات تحمل عقود، ويتوسط الإيوان الشرقي محراب رفعت فوقه قبة كبيرة، وبالرغم من سقوطها فقد بقيت منها الروضة التي كانت تحملها إلى الآن.

ويصف المقريزي هذه القبة، بأن الظاهر تناهى في زخرفتها وسقفها إلى حد كبير، وقد رغب في أن يجعلها على مثال قبة الملك الكامل للشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد استطاع أن ينفذ هذه الرغبة كما يبدو من آثارها[(١)].

تطورات جامع الظاهر

وقد بقي هذا الجامع حقبة طويلة حافظًا لشكله قائمًا تؤدى فيه الشعائر كاملة، ثم توالت عليه أطوار التجديد فجدده أولاً الملك الأشرف برسباي في سنة (٨٣٤هـ/ ١٤٣١م) وأوقف عليه أوقافًا بينتها حجة وقفه (انظر التربة الأشرفية بالصحراء)، ثم جدده الملك الظاهر أبو سعيد جقمق في سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)؛ وأمر بتبييضه وتبليطه[(٢)].

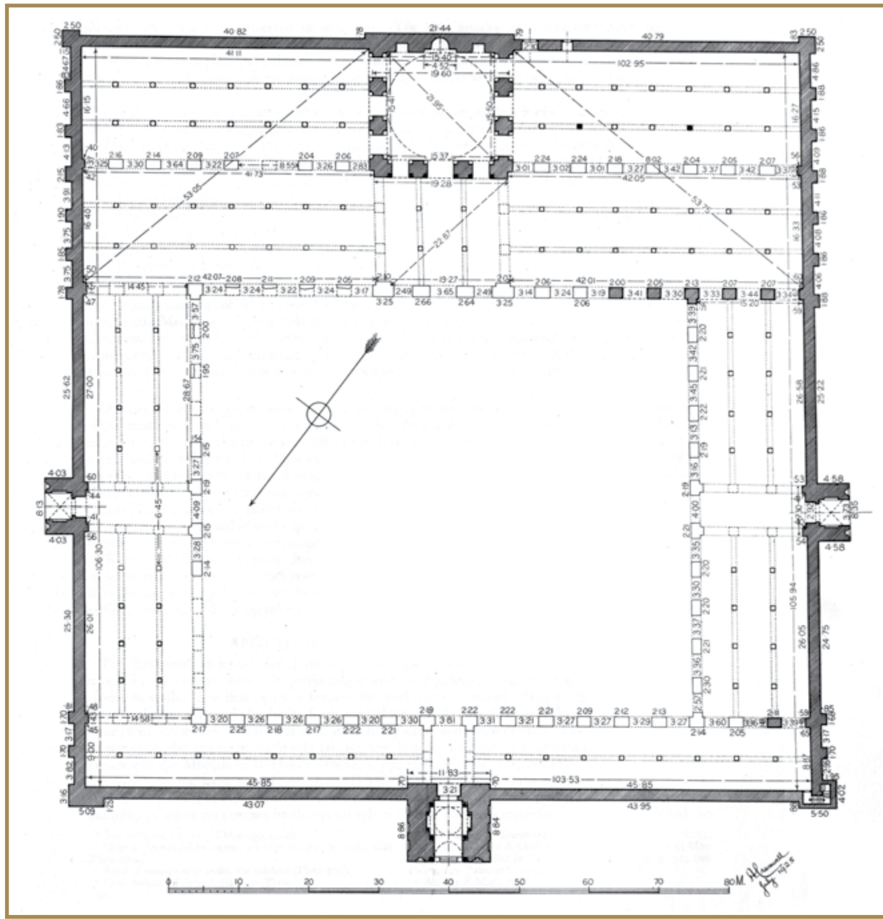
ثم ما لبث أن تخرب جزء كبير منه، وبيعت أنقاضه وأساطينه، فبقي كذلك حتى سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م) فاستعملته الحملة الفرنسية في عهد الجنرال جاك مينو حاكم مصر الفرنسي قلعة سموها «قلعة شولكوسكي» واتخذوا منه معسكرًا، واستعملوا منارته المربعة الفخمة برجًا، وبهذه المناسبة هدموا جزءًا كبيرًا من قواصره وأحدثوا به بنايات أخرى[(٣)].

وفي عهد المغفور له محمد علي باشا أمر باستعماله معملاً لصنع الصابون، وفي ذلك يقول الجبرتي: «وأمر أيضًا

(١) أنشأ الظاهر بيبرس جامعًا بالحسينية في ميدان قراقوش أطلق عليه جامع العافية على قدر جامع مصر في التربيع (جامع عمرو)، انظر: ابن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**: ٣٤٦؛ ابن علي، **حسن المناقب السرية**: ٢٣٩.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٧٣.

(٣) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٦١، هامش ٢؛ الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٣: ٥٦؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ١٠٣-١٠٤.



مسقط أفقي لجامع الظاهر بيبرس «عن كريسويل»

«محمد علي باشا» ببناء جامع الظاهر بيبرس خارج الحسينية وأن يعمل مصبنة لصناعة الصابون مثل الذي يصنع ببلاد الشام، وتوكل بذلك السيد أحمد بن يوسف فخر الدين، وعمل به أحواضًا كبيرة للزيت والقلي»[١].

وفي سنة (١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م) استعملت بعض أنقاضه في بناء رواق الشراقوة بالأزهر الذي بناه الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر، ثم ما لبث أن اتخذته الحكومة المصرية لنفسها، وشيدت به أفرانًا لصنع العيش للجيش المصري[٢]، وعقب الحتلال الإنجليزي لمصر اتخذه

(١) أمر محمد علي ببناء جامع الظاهر بيبرس خارج الحسينية، وأن يعمل مصبنة لصناعة الصابون وطبخه مثل الذي يصنع ببلاد الشام، وأوكل بذلك للسيد أحمد بن يوسف فخر الدين، وعمل أحواضًا كبيرة للزيت والقلي، انظر:الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٤: ٣٩٨.

(٢) يذكر علي مبارك أن مسجد الظاهر قد خرب في أيامه وبني داخل الجامع الفرن المشهورة بفرن الظاهر المعدة لخبز جراية العساكر الجهادية، ثم أزيل منه الفرن الآن، وأزيلت الأتربة التي كانت تحيط به من جميع جهاته، حتى ظهرت جدرانه الأصلية جميعها إلى الأرض، وجعل حوله رصيف من الحجر، وغرست حوله الأشجار، وصار مستقلاً بنفسه غير متصل بشيء من الأبنية والطريق محيط به، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ١٠٤.



المدخل التذكاري لجامع الظاهر بيبرس «عن كريسويل»

الإنجليز مجزرًا لذبائحهم «فعرف بمذبح الإنجليز من حينئذ حتى اليوم».

عناية الملك العادل فؤاد الأول بجامع الظاهر

وما برح أن أصـــدر المغفور له الملك فؤاد الأول رحمه الله في ســـنة (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م) أمرًا بتخلية هذا المسجد مما فيه، وإعداده للصلاة وإقامة الشـــعائر فيـــه، فأصلح جزءًا مـــن الإيوان الشرقي، وفتح له باب منه وغرســـت في صحنه المزدرعات والبســـاتين، وهكذا عادت إلى هذا الجامع ذكراه بفضل عنايـــة المنعم الملك العـــادل فؤاد الأول وســـعاية حكومته الرشيدة.

وأهم ما يســـترعي فيـــه النظر الآن مـــن آثاره الأولى شرفاته بمـــا يحيط بها من زخارف ونقـــوش كتابية بالخط الكوفي المتقن، ثم أبوابه بزخارفها البارزة ونقوشـــها البالغة حد الإتقان.

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى: والمذكرات التاريخية بهذا المسجد مكررة أكثر من مرة، فعلى الباب الغربي مذكرة في خمسة أسطر نصها:

البســـملة... إنما يعمر مســـاجد الله من آمن بالله واليوم الآخر- أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك مولانا الســـلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين سلطان الإســـلام والمســـلمين صاحب القبلتين الآمر بعد الخليفة خادم الحرمين الشريفين أبو الفتح بيبرس الصالحي قسيم أمير المؤمنين خلد الله ملكه وذلك بتاريـــخ الرابع عـــشر من ربيع الآخر ســـنة خمس وستين وستمائة.

المذكرة الثانية: وعلى الباب القبلي مذكرة في ثمانية أسطر ونصها:

البســـملة... أمر بإنشـــاء هذا الجامع المبارك تقربًا إلى الله العظيم وإظهارًا لقـــوة الدين القويم مولانا وسيدنا الســـلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبو الفتح بيبرس قسيم أمير المؤمنين خلد الله ملكـــه وذلك بتاريخ الرابع عشر من ربيع الآخر سنة خمس وستين وستمائة.

المذكرة الثالثة: وعلى الباب البحري مذكرة في ٨ أسطر نصها:

البسملة. اللّٰهُمَّ أعز الإســـلام وجنده. الآمر بعمارة هـــذا الجامع المبـــارك مولانا وســـيدنا الســـلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين ســـلطان الإسلام والمســـلمين أبو الفتح بيبرس الصالحي قســـيم أمير المؤمنين خـــلد الله ملكه وذلك بتاريخ الرابع عشر من ربيع الآخر سنة خمس وستين وستمائة.

ويكتنف هذا الباب الآية الكريمة من سورة النور.

المذكرة الرابعة: في روسم بأعلى محراب القبة في ٤ أسطر:

البســـملة... أمر بإنشـــاء هذه القبة المباركة مولانا الســـلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبو الفتح بيبرس الصالحي قسيم أمير المؤمنين سنة ست وستين وستمائة.

لم يل مصر ملكًا أبعد نظرًا وأحكم سياسة وأعدل حكمًا من بيبرس هذا، فإنه لما قتل سلفه الملك قطز شاه محمود بن مودود الخراساني، وكان لزامًا أن يتولى الملك بعده، نظر إذ نظر فوجد القلوب منصرفة عنه، والشعب المصري غاضبًا عليه، والأعداء محيطة به من كل حدب وصوب؛ ووجد مصر مهددة من كل جانب من أوروبا والشرق.

فلكي تنتظم له المملكة ويستقر له الملك، وتتجه إليه القلوب، ويثبط همم الأعداء ويحول وجهتهم عن مصر، لعب دورًا سياسيًّا هامًّا استطاع بواسطته أن يملك قلب الشعب المصري، ويقود الأمة نحوه ويحوطها بعرشه، وفي الوقت نفسه يجعل من مصر مملكة مقدسة تهابها الأعداء، وتكبر في نظرهم، فبدأ أولاً برفع الضرائب جملة وتفصيلاً، وأمر أن يذاع مرسوم إبطالها على المنابر حتى يتمكن من سماعه أكبر عدد ممكن من الشعب، إذ كانت الجوامع في ذلك الوقت هي مجامع الناس ونواديهم، لا المقاهي والملاهي كما هي الحال الآن.

فكانت هذه المفاجأة غير المنتظرة التي فاجأ بها طبقات الشعب المصري لها أكبر الأثر في النفوس، إذ سرعان ما تناسى المصريون بأثرها فعلته الشنعاء التي ارتكبها بقتل مليكهم المحبوب الذي رد عاديتهم في أوطانهم؛ ثم ما لبث أن فاجأهم بإعادة الخلافة الإسلامية إلى العباسيين؛ وجعل مقرها في المملكة المصرية، وقد أراد من ذلك تمكين قواعد ملكه وتثبيت دعائم دولته، وإرهاب الدول المحيطة به التي كانت ترقبه عن كثب وتريد الإيقاع به كلما سنحت لها الفرص، فجعل من الخلافة حصنًا حصينًا بقبة هذه الأسواء النازلة به، ويكمم أفواه المتكلمين، ويعمي عنه أبصار الناقمين والحاسدين، وبذلك استطاع أن ينجو من كل ما دبر له من مكيدة وسوء[1].

وقد أعطى للخليفة بادئ الأمر من السلطة المطلقة ما جعله يهيمن على كل كبيرة وصغيرة من شئون الدولة حتى أنه كتب اسمه مقرونًا باسمه على السكة بل على عمارته ومتجدداته ومراسيم الدولة وظهائر الحكم إلى غير ذلك.

كيف تثبتت دعائم الملك بيبرس

وقد تمكن بيبرس من هذا الإقدام الذي لم يجرؤ عليه غيره، أن يثبت دعائم ملكه في مصر، ويحيط المصريون بعرشه؛ إحاطة السوار بالمعصم، فتعلقت القلوب بمحبته، ولهجت الألسن بالثناء عليه، واشرأبت له الأعناق، ودان له الملك وأذعن له الكل بالطاعة، وهابته الدول المحيطة به، وهنا تظهر همة ذلك الملك العظيم وعظمته ويعلو نجمه، ويتجلى حكمه العادل وتفيض مبراته وخيراته على أفراد شعبه، فيغمرهم إحسانه وبره، ويعمهم فضله وخيره، ثم يحول الظاهر بيبرس همته عقب ذلك النصر الذي أحرزه والظفر الذي ناله، لرد عادية المغيرين ودفع المكيدين والذياد عن الأوطان وحماية الشعب، فيسترد عكا من الألمان والفرنسيين، ويبعث السرايا إلى أنطاكية فتغزوها، وتعيدها بلادًا إسلامية يخفق فوق ربوعها الهلال، ثم يفتح قيسارية وطرابلس، ويطهر البلاد من الزعماء الخونة، والرؤساء الجهلة، ويحاكمهم بالنفي والتشريد[2].

ثم يؤلف جيشًا يتولى هو قيادته العليا بنفسه، فيسير به إلى أرمينيا، فيفتتحها ويحتل عاصمتها سيس، ثم

(١) عن استرضاء بيبرس للرعية، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٣١١.

(٢) ابن علي، **حسن المناقب السرية**: ١٠٥، ١٨١، ١٨٣، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٠.

يغدو فيفتح صفد ويافا، ومجموعة السواحل الشامية التي اغتصبها الفرنج إلى غير ذلك من فتوحاته وحروباته التي إن ذكرت وجب أن يذكر في طليعتها هزيمته للتتر وردهم خاسئين خاسرين بعد ما أوشك مليكهم «بغا» أن يحتل مصر وينتزع ملكها من بيبرس، هذه ناحية من نواحي عظمة بيبرس في السياسة والدهاء وبعد النظر والحكمة، أما نواحيه الاجتماعية والاقتصادية، فذلك ما لا نستطيع حصره، وحسبنا أنه لما انتهى إليه ملك مصر، كان فاتحة أعماله، أن أمر بإغلاق الحانات وإراقة ما فيها من الخمور، ومنع البغاء العلني، ومنع إعطاء رخص للمومسات، إلى غير ذلك مما كان سببًا في فناء الشعب المصري في حب هذا المليك إلى حد جعلهم يقدسونه كل التقديس[١].

ولا يمكن بحال الإحاطة بما كان لهذا الملك من عناية واهتمام بأمر المحافظة على الآداب العامة وإقامة شعائر الدين بكل الوسائل الممكنة، حتى كانت مصر في عهده قد استردت كل ما فقدته من فضيلة، في العهود الماضية ونعمت بعصر لم تنعم بمثله إلا يسيرًا[٢].

(١) المرجع السابق: ٢٢٢؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٣٢٣.

(٢) عن سيرة الظاهر بيبرس البندقداري، انظر: ابن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**؛ ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٩٠؛ محيي الدين بن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، تحقيق مراد كامل (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي. الإدارة العامة للثقافة، ١٩٦١)؛ ابن علي، **حسن المناقب السرية**؛ المنصوري، **زبدة الفكرة**: ٨٦؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، مج. ٨: ١٠٣؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٥٠٤، ٦٣٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٢٠؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٣١٢، ٣٤٠.

مبدأ تحديد العقوبة الذي أخذ به بيبرس؟

ولقد بلغ الأمر بالملك بيبرس أنه كان ربما يستعين في بعض الأوقات مبالغة في المحافظة على الآداب العامة، بقتل الزاني متى ضبط متلبسًا بالجريمة وأقيمت الشهود العدول عليه، سواء كان متزوجًا أم أعزبًا، وقتل من يكذب متعمدًا، ومن يتجسس، ومن يوقع مفسدة بين جماعة، ومن يعين آخر على الفساد ومن يبول في الطرقات العامة، أو في جوانب المساجد «بيوت الله» أو في ماء جار.

كما كان يحكم بالقتل على من أعطى بضاعة بائرة لتاجر، وهو عالم أنها بائرة، فلم يرشده إلى ذلك، وعلى من وجد عبدًا أو أسيرًا فارًّا، أو جنديًّا هاربًا ولم يمسكه أو يرشد عنه، وعلى من يبلغ فرقة المطافئ التابعة للحكومة أن نارًا اشتعلت في محل أو في جهة ما، وتحركت لها رجال المطافئ فلم يجدوا شيئًا إلى غير ذلك.

وقد اتبع بيبرس في هذه الأحكام القانون الجنكزي الذي وضعه جنكيز خان تشريعًا للمغول، في كتاب عرف «بياسة» كان في القرن التاسع من مخطوطات مكتبة المدرسة المستنصرية ببغداد.

التأمين الاجتماعي في عهد بيبرس

ويذكر المقريزي في ترجمته من الخطط أن الملك الظاهر لما تولى أبطل المظالم «الضرائب» ورفع المكوس «الضريبة الجمركية» وأبطل ما كان سنه سلفه من أخذ الضرائب على التركات الأهلية، وأخذ العوائد من الملاك، والضرائب الشخصية التي كانت فرضتها الحكومة على الأشخاص، وهي دينار في كل سنة أي بما يقدر بنحو ٥٢ قرشًا[٣].

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٣٠١.

ولما سافر إلى دمشق في سنة (٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م) ورأى انتشار المسكرات فيها إلى حد كبير أمر بمنعها وإراقة الخمور وغلق محال بيعها إلى غير ذلك، وقد يكون الظاهر بيبرس قد أصاب في تشديده هذا، وإن كان قد خرج فيه عن الحد الشرعي للعقوبة، إذ أن أقل ما ينتجه وجود البغاء في الأمم الفناء العاجل والهلاك المستديم، كما هو مقرر في مظانه(١).

ولقد عمل بيبرس عقب توليته الحكم على تنمية موارد الثروة فيها فعني بترقية الزراعة والصناعة والتجارة فعم الرخاء وامتلأت خزائن الدولة بالمال، وقد تيسر له بذلك أن يعد جيشًا قويًّا يصد به غارات الصليبيين والمغول التي تطلبت منه أموالاً كثيرة، كما استطاع بهذه الثروة أن يقوم بكثير من الإصلاحات في أنحاء الديار المصرية، وخاصة في قلعة الجبل(٢)، ومدينة القاهرة التي ظهرت في عهده بمظهر القوة وفاقت غيرها من مدن العالم الإسلامي في العظمة والعمران، فكانت دورها محكمة البناء وأسواقها ملأى بالطرف النفيسة والأهالي يرتعون في بحبوحة من العيش(٣).

وكان للزراعة المحل الأول من رعاية بيبرس؛ فإنه أقام الجسور وطهر الخلجان، ونظم الري تنظيمًا منتجًا، كما اهتم بإنشاء القناطر والكباري فبنى قنطرة على بحر أبي المنجا بناحية منية نما بمديرية القليوبية لا زالت آثارها ماثلة للآن(٤).

وبنى قنطرة أخرى على ترعة شبراخيت بالجيزة، فنمت بذلك ثروة البلاد وزادت محصولاتها، وجدد حفر الخليج وبنى قنطرة السباع، وغرس البساتين بالقاهرة وضواحيها نخص بالذكر منهم بستانه باللوق الذي غرسه في سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م)(٥).

---

(١) ابن عبد الظاهر، **الروض الظاهر**، ٣٥٠؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٣٢٦- ٣٢٧.

(٢) أنشأ بيبرس قاعة سميت بدار الذهب بالقلعة، وقبة برحبة الحبارج، وجدد جامع القلعة الذي هدمه الناصر محمد سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، وجدد برج الزاوية المجاور لباب السر، وأنشأ إلى جواره طباقًا للمماليك، وبنى البرج الأحمر، ودارًا لولده السعيد بركة خان برحبة باب القلعة، وعن مجمل أعمال بيبرس في قلعة الجبل، انظر:ابن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**: ٣٣٩-٣٤٢.

(٣) عن أعمال بيبرس المعمارية في مدينة القاهرة، انظر: المرجع السابق: ٣٤٢-٣٤٧.

(٤) قناطر بحر أبي المنجا: بناها الملك الظاهر بيبرس سنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م)، وتولى عمارتها الأمير عز الدين أيبك الأفرم، جددها الأشرف قايتباي في سنة (٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م)، بإشراف البدري حسن بن الطولوني، وماتزال موجودة غربي ناحية ميت نما بمركز قليوب، وبسبب تغيير مجرى بحر أبي المنجا عند هذه القناطر وتركها بغير استعمال طمت عيونها حتى أصبحت قائمة على أرض زراعية، ولا تزال هذه القناطر العظيمة بعناية إدارة حفظ الآثار العربية حافظة لشكلها ومزينة بعد صور للسباع التي هي رنك منشئها، وبحر أبو المنجا أنشأه أمير الجيوش الأفضل بن بدر الجمالي، وقت وزارته للخليفة الآمر بأحكام الله في سنة (٥٠٦هـ/ ١١١٢م)، تحت إشراف أبي المنجا يشعيا اليهودي، الذي كان مشرفًا على أعمال الري في ذاك الوقت، لذا عرف البحر باسم أبي المنجا، ويحدد مكانه محمد رمزي بترعة الشرقاوية من فمها القديم إلى شبين القناطر، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٥٨٤-٥٨٧؛ المرجع السابق، مج. ٣: ٥٠٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٩٣، ١٤٨، هامش ٤؛ المرجع السابق، مج. ٩: ١١٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٤٧٠؛ المرجع السابق، مج. ٣: ٢٤٠؛
Creswell, *The Works of Sultan Baibars al-Bunduqdârî in Egypt*: 143-154; Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt*, vol. 2: 148-154.

(٥) عن منشآت الظاهر بيبرس المائية، انظر: ابن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**: ٣٤٨-٣٥٠.





قناطر اللاهون «عن كريسويل»



قناطر الظاهرية «عن كريسويل»

القناطر الظاهرية(١)

القناطر الظاهرية هي ذلك البناء الأثري الممتد من شارع فم الخليج بالفسطاط حتى نهاية شارع الأقدام قسم الخليفة(٢)، وهو عبارة عن سلسلة من أقبية فوق قناطر عالية مبنية من الحجر ممتد على طول الطريق بمسافة ٣ كيلو متر ونصف، وعددها ٣٥٠ قبوًا، علو كل قنطرة ٣٠ قدمًا، ويبلغ ارتفاعها- مما يلي السبع سواقي بمسافة كيلو متر تقريبًا- ١٧ متر طوليًا، ثم يأخذ هذا الارتفاع في النقصان حتى يصل ارتفاع القنطرة الطولي عن سطح الأرض إلى متر واحد، وتنتهي في طرفها الغربي السبع سواقي بجانب فم الخليج، وفي هذه السبع سواقي سبعة دواليب لرفع المياه من النيل إلى قلعة الجبل والقصور السلطانية.

وهذه القناطر هي التي ينسبها هواة الآثار الإسلامية إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أو إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون أو إلى الملك الأشرف قانصوه الغوري، ورأيت نسبتها من بعض المستعربين الذين ضبطوا في هذه المعالم ضبط عشواء إلى العصر العثماني، وهذا كله خطأ نبهنا إليه المشتغلون بدراسة هذه الشئون منذ كتبنا عن هذا الأثر في كتابنا هذا.

ومنشؤها هو الملك الظاهر بيبرس أنشأها في سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م)، لزيادة ماء القلعة إذ وجد أن السواقي والآبار التي استنبطها صلاح الدين وخلفه من ملوك الدولة الأيوبية غربي وجنوبي القلعة؛ لا تكفي لري القلعة، ولا ينتفع بها لملوحة مائها وتلوثها وقلتها، مع كثرة الحاجة إلى المياه بعد ازدياد حركة العمران التي صارت إليها القاهرة في ذلك العهد، فأنشأ الملك المذكور هذه القناطر على بسيط من الأرض ابتدأ به من جزء كان مغمورًا بماء النيل إلى أواخر سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٨٤م)، وطمه الملك الصالح نجم الدين أيوب في هذه السنة عندما بدأ بعمارة قلعة الروضة، وهذا الجزء هو ما تقوم عليه السبع سواقي، إلى الطرف الغربي من سور الفسطاط البحري بمسافة ٤٠٠ متر والذي يبلغ سمكه نحو الثلاثة أمتار(٣).

(١) أثر رقم ٧٨، سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م)، سنة (٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م).

(٢) هذه القناطر جانبها الذي يلي خط السبع سقايات من جهة الحمراء القصوى، وجانبها الآخر من جهة جنان الزُّهري، وأول من أنشأها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ونصب عليها سباعًا من حجارة، فقيل لها قناطر السباع وكانت عالية مرتفعة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٨٨.

(٣) المرجع السابق: ٥٨١-٥٨٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٣٢٠؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٢٦٩-٢٧١؛ السيوطي، **كوكب الروضة**: ١٣٤-١٣٥.



وقد استخدم الملك الظاهر في هذه القناطر سور الفسطاط البحري، وهو السور الذي شرع في إقامته الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة (٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، إذ كان الناصر صلاح الدين قد رغب في أن يضم مدينة القاهرة إلى الفسطاط ويجعل منها مدينة واحدة؛ فعهد إلى الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي بعمل سور من الحجر يضم المدينتين، فشرع في سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) بتنفيذ هذا المشروع بسور القاهرة[١]، وزاد في مساحتها من جهة الغرب وفي الجهة الشمالية، وسار بالسور الشرقي من نهاية السور البحري غربي ميدان القبق إلى درب بطوط فأرض الصوة، حتى وصل به إلى خلف القلعة من الجهة الشمالية، ثم حيل بينه وبين إتمام هذا المشروع في هذه السنة[٢]، فبقي العمل متوقفًا حتى أمر الناصر صلاح الدين وزيره المذكور بتسوير الفسطاط، فابتدأ ببناء جزء من السور ثم أعقبه ببناء السور البحري، وهو ما أشار إليه المقريزي في السلوك في حوادث سنة (٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، بقوله: «شرع في عمل سور مدينة مصر بالحجر، فلم يبق فقير ولا ضعيف إلا خط فيه مساحة من درب الصفا إلى المشهد النفيسي»[٣].

ودرب الصفا الذي يبتدئ منه هذا السور هو المعروف حاليًّا بشارع مجرى العيون والمدابغ، وفي هذا الدرب كان يقع باب الصفا أحد أبواب هذا السور، ومحله الآن أول شارع الديورة، كان يسلك منه إلى كوم الجارح والفسطاط، وانتهى هذا السور إلى جبانة السيدة نفيسة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وكان في طرفه الشرقي باب آخر عرف بباب المقدم «محل جلوس مقدم عسكر الحراسة»، وكان على قيد غلوة من مسجد السادة المالكية بشارع قرافة السيدة نفيسة، وعرف هذا الباب أخيرًا بباب الزمر، وكان أسفل مسجد أزدمر الدوادار[٤]، وكان يقابله في الطرف البحري من السور باب آخر سماه المقريزي باب مصر أو الكبارة[٥]، كان محله بنهاية شارع الأنور والجيارة شمالاً[٦].

---

(١) المقريزي، **السلوك**، مج.١: ١١٧؛ الحافظ محمد بن أحمد الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق محمد زغلول، مج.٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٤): ٦١؛ أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد ابن العماد العكري، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق محمود الأرناؤوط، مج.٦ (دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٨): ٤٠٠؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج.١، ج.١: ٢٤٢.

(٢) شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي، **الروضتين: في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق إبراهيم شمس الدين، مج. ١(بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢): ٦٨٧- ٦٨٨؛ جمال الدين محمد بن سالم ابن واصل، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق جمال الدين الشيال وسعيد عبد الفتاح عاشور، مج. ١(القاهرة: دار الكتب، ١٩٥٧): ٥٢- ٥٣؛ ابن عبد الظاهر، **الروضة البهية**: ١٩-٢٠؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ١٧٠، ٢٦٤-٢٦٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ١٧٦-١٧٧.

(٣) المقريزي، **السلوك**، مج.١: ٢٠٤.

(٤) الأمير أزدمر علي باي الدوادار الأشرفي: سافر إلى غزة وانتقل منها إلى نابلس، ثم عاد إلى غزة فمات بها على أثر مرض دام أكثر من يومين، وأحضرت جثته إلى مصر في غزة جمادى الآخرة سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م)؛ فدفن في تربته التي أنشأها بالقرب من باب الزغلة، وكان موته في منتصف جمادى الأولى من هذه السنة، كان أميرًا جليلاً رئيسًا حشمًا لين الجانب قليل الأذى، وكان موصوفًا بالشجاعة والفروسية، التحق بخدمة الملك الأشرف قايتباي وتقلب في مناصب الدولة؛ فكان شادًا «ملاحظًا» للشراب خانة «مكان الشراب»، ثم مقدم ألف، ثم ولي الدوادارية الكبرى «كبير حجاب الملك»، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٤: ١١٩-١٢١.

(٥) بناه قراقوش ومنه يسلك الآن من دخل إلى مدينة مصر من الطريق التي تعرف بالمراغة، وهو مجاور للكوم الذي يقال له كوم المشانيق، ويعرف اليوم بالكبارة، وأن موضع هذا الباب غامر بماء النيل فلما انحسر عن ساحل مصر صار الموضع المعروف بالمراغة، وموضع غيط جرف إلى موردة الحلفاء فضاء لا يصل إليه ماء النيل، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ١٦٩-١٧٠.

(٦) المرجع السابق، مج.١: ٢٠٤.







مجموعة رنوك الظاهر بيبرس «عن كريسويل»

وكما اســتعان الملك الظاهر بســور صلاح الدين في اســتخدام هذه القناطر؛ اســتعان أيضًا ببقايا سور المدينة الطولونية الذي كان الملك الكامل قد جدده في ســنة (٦١١هـ/ ١٢١٤م)، واستخدمه للميدان الكاملي، وكان في هذا السور باب آخر عرف بباب الزغلة، وهي كوة مستطيلة يستطيع جندي الحراسة أن يصوب ســهامًا منها ليصيب به من يريد تسلق الســور أو الباب، وقد عرف هذا الباب أخيرًا بباب الخولي، وهو القائم عليه باب قايتباي، ثم عرف بباب القرافة.

وكان الملــك الظاهــر جقمق قد أمر بغلقه في ســنة (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م)؛ حتى لا يتصل أهــالي دب الخولي بالمقابر خشــية امتهانها[١]، فبقي مغلقًا حتى كشــف عنه في سنة (١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م)، والخولي الذي عرف به الباب هو الشــيخ محمد الخولي الشــهير بالجويني، أحد الفقراء الصوفية، وهو مدفون بمســجده بصدر عطفة البيارة بلصق هذا الباب، ودرب الخولي هو الذي كان يعرف بخط الزرايب السلطانية المتصل غربًــا بالمراغة، ثم عرف بشــارع الزرايب وحاليًّا بالوفائي، ومن هذا الدرب كان يتصل الســالك منه إلى نهاية قناطر فم الخليج.

والباب الثاني هــو باب القرافة الحالي، أنشــأه الملك الأشرف قايتباي في الجهة البحرية لباب الزغلة، هي مجموعة أنشأها بهذه المنطقة تألف من هذا الباب ومسجد ومدرسة بأول عطفة البيارة وسقاية ماء وحوض وصهريج وبئر كبيرة عين لهــا بيارة يســتقون للأهالي من مائها بحي الشــافعي والإحياء المحيطة به، وقد أدركنا هذه البئر أسفل الباب قبل تنظيم المنطقــة التنظيم الحالي، وباب القرافة الحالي لا يزال مطبوعًا بطابع هذا الملك مجمل مذكرة تاريخية هذا نصها:

(١) السخاوي، **التبر المسبوك**، مج. ٣: ٩١.



رنك السلطان بيبرس «عن كريسويل»

أمر بإنشاء هذا الباب المبارك سيدنا ومولانا ومالك رقنا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي وذلك بتاريخ شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانية وثمانمائة(١)

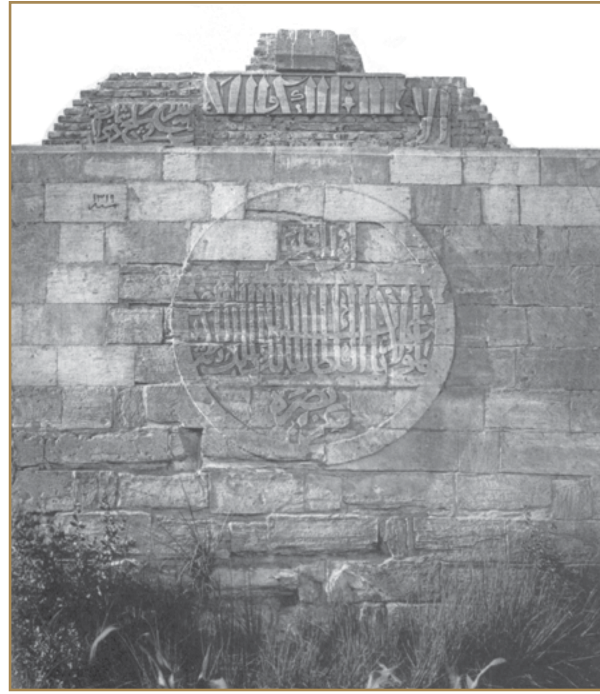
وأدركنا باب هذه المدرسة بأول عطفة البيارة تحمل مذكرة تاريخية على جانبيه هذا نصها:

البسملة... أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة والمسجد المبارك مولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباي بتاريخ سنة أحد وتسعمائة من الهجرة النبوية

وكانت جماعة أهل السنة المحمدية قد اتخذوا منه مصلى لهم في سنة (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م) حتى هدم في سنة (١٣٦١هـ/ ١٩٤٣م) في مشروع تنظيم المنطقة، وقد استطاع الملك الظاهر أن يصل بين السورين ويمد من عليهما القناة، ثم سار بها في طول السور الكاملي حتى باب الميدان، الذي كان يطل على سويقة منعم «شارع الحبالة حاليًا»، ومنه إلى سواقي حدرة البقر «شارع المضفر»، حيث يرفع منها الماء إلى المصنع الظاهري «خزان المياه» الذي بناه لهذا الغرض، ومحله الآن منطقة درب اللبانة وما إليها، ومن هذا المصنع كانت تصل المياه إلى القلعة والميدان، وقد ميز الظاهر بيبرس هذه القناطر برسم تمثال السبع عليها وهو شعاره ولهذا سميت بقناطر السبع(٢)، واشترك معها في هذا الاسم ما أنشأه منها بالجيزة وقليوب، والحمراء الدنيا «قناطر السباع أو ميدان السيدة»، وهذا الشعار على سبعة وعشرين قبوًا من القناطر، وقد بقي منها إلى يومنا ما هو مرئي منها بالجهة الغربية على خط سكة حديد حلوان بدرب الصفا «شارع مجرى العيون الحالي» ونقل بعضها إلى دار الآثار العربية بعد هدم هذه القناطر.

(١) هذا النص يقابله نص آخر بالباب القبلي الشرقي المقابل للميدان المستجد ولطريق صلاح سالم الجديد. (المؤلف)

(٢) ابن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**: ٣٤٩؛ ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ٩١؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٦٣٩؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٨٨-٤٩١، هامش ١.



رنك السلطان قايتباي على القناطر الظاهرية «عن كريسويل»

والمقريزي يسمي هذه القناطر قناطر السباع، ويسمي قنطرة الحمراء القصوى «السيدة» قنطرة السباع، وانفرد ابن دقماق في الانتصار بتسميتها بالقناطر الظاهرية، وقد وضح موقعها من درب معالي أحد دروب الفسطاط، وهو المعروف الآن بشارع الديورة[1].

ويقول المقريزي في السلوك في حوادث سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م) عن هذه القناطر: «أن علاء الدين علي بن حسن الكوراني هدم قناطر السباع التي عمرها الملك الظاهر بيبرس بين القاهرة ومصر، وزاد في سعتها عشرة أذرع وأعيدت أحسن ما كانت، وركبت السباع التي كانت عليها من عهد الظاهر على حالتها»، وأعاد هذا القول نفسه في قناطر هذا الملك التي أشرنا إليها فيما تقدم بميدان السيدة والسد في الخطط[2]، والتي بقيت قائمة إلى سنة (١٣١٧هـ/ ٢٧ يونيه سنة ١٨٩٩م)، ثم هدمت بردم الخليج الكبير.

والنص الوارد له في السلوك لا يدع مجالاً للشك فيه أن المقصود بالقناطر هي هذه القناطر الظاهرية لا قنطرة السيدة، إذ إن ما بين القاهرة ومصر هو المخاريق الكبرى، وهذا يحدده في المصدر ذاته بأن حدها القبلي أي الشرقي الخليج، والشرقي أي البحري للمخاريق الصغرى، والبحري أي الغربي لبستان ابن أبي اليمن، والغربي أي القبلي بشارع مجرى العيون الحالي، وهو ينقل ذلك عن كتاب وقف أبي العباس أحمد بن سيد الأهل الصادر بتاريخ سنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، والمخاريق الكبرى هي شارع السد البراني الواقع شمالي هذه القناطر، وهو الفضاء الذي بين القاهرة والفسطاط، والمخاريق الصغرى هي شارع السد الجواني إلى ميدان السيدة، وهذا لم يدخل في حدود مابين القاهرة ومصر.

وقد بقيت هذه القناطر مستعملة للغرض الذي بنيت من أجله مدة ملوك الجراكسة حتى آخر أيامهم، وآخر من

(١) قناطر السباع أو القناطر الظاهرية: كانت هذه القناطر تلي خط السبع سقايات من جهة الحمراء القصوى من جانب، ومن جانبها الآخر جنان الزهري، وأول من أنشأها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، ونصب عليها سباعًا من الحجارة، فإن رنكه كان على شكل سبع فقيل لها قناطر السباع، ويذكر محمد رمزي أن هذه القنطرة كانت موجودة على الخليج المصري، ومعروفة باسم قنطرة السيدة زينب، وكانت تتكون من قنطرتين، إحداهما تصل ما بين شارع الكومي «امتداد خيرت» وشارع السد، وفي سنة (١٣١٧هـ/ ١٨٩٨م) تم ردم الجزء الأوسط من الخليج، وبردمه اختفت هذه القنطرة من تلك السنة تحت ميدان السيدة زينب، الذي دخل في جزء من شارع الكومي وجزء آخر من شارع مراسينا «عبد المجيد اللبان»، انظر: ابن دقماق،= **الانتصار**، مج. ٤: ٩١؛ ابن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**: ٣٤٨-٣٥٠؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٨٨- ٤٩١، هامش ١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٩١، هامش ٥.

(٢) المقريزي، **السلوك**، مج.٢: ٣٨٥؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٩٠.

جدّدها منهم السلطان الغوري في سنة (٩١٢هـ/ ١٥٠٦م)، ولا يزال اسمه في دائرة بالمربع القائم بميدان فم الخليج[١].

ولم يحدث في عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون من تجديد لهذه القناطر إلا ما ذكره المقريزي في تقوية ما تصدع منها[٢].

والقناطر بمنظرها الحالي تصور لنا عصورًا ثلاثة، لكل عصر طرازه الخاص به، هذه العصور هي عصر الملك الظاهر بيبرس منشئها الأول، ثم عصر الملك الأشرف قايتباي، فعصر الغوري، فالعصر الأول الظاهري مبدؤه من السواقي والدواليب التي جددها الغوري، وينتهي بالقناطر الظاهرية إلى المدابغ حيث تبتدئ القناطر الأشرفية التي أحلها الأشرف قايتباي محل القناطر الظاهرية بعد تقادمها وانهيارها، وهذه تنتهي من حيث بدأت بالمدابغ حتى تتلاقى بالباب الكاملي وبباب السيدة عائشة وهو الباب الشرقي البحري للقناطر الأشرفية التي جددها وأنشأها الملك السلطان الأشرف قايتباي، وقد أثبت الملك الأشرف قايتباي لهذا المشروع الذي قام به في إعادة بناء القناطر الظاهرية بعد انهيار جزءيها القبلي والشرقي، مذكرات تاريخية تشير إلى هذا المشروع، الأولى ترى على الباب البحري الشرقي المجاور لمسجد السيدة عائشة، والثانية ترى على الباب القبلي الشرقي المفضي إلى جبانة السيدة نفيسة القبلية، وثابت بأسكفة هذا الباب نفس النص السابق في سطرين، يكتفهما دائرتان تحملان اسم الملك قايتباي.

ولأهمية هذا الأثر وحرصًا على بقائه كمَعْلَم من معالم القاهرة واعتبار الجزء الغربي منه يحدد الفسطاط من القاهرة، وضعت الحكومة الحالية مشروعًا لترميم هذه القناطر وإعادة ما تصدع منها إلى حالة تلائم ما كانت عليها في عصورها الماضية، فابتدأت بترميم ما وهى من القناطر الأشرفية من حد مساكن عين الصيرة إلى نهايتها، منذ سنة (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م) إلى سنة (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، وإلى شهر أغسطس من هذه السنة وصل التجديد والإعادة إلى ما يوجد منها ممتدًّا إلى شارع السيدة نفيسة، وقدرت له مبلغ ٥٠٠٠ جنيه كميزانية أساسية لهذا المشروع، كما قامت بإعادة بناء ما تصدع من القناطر الظاهرية بالمدابغ حين سقط بعضها على الأهالي في منتصف سنة (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، وظهر أثناء الهدم بقايا من كتابة تشبه ما وجد منها في جامع الظاهر بميدان قراقوش «الظاهر»، منها: «آيات قرآنية يذكر فيها الماء، وأمر بإنشاء هذا...».

وقد عددنا من العيون الحالية والتي لا تزال قائمة إلى الآن ٢٩٩ عينًا إلى الباب الكاملي.

كذلك كان للصناعة النصيب الأوفر من عناية بيبرس وخاصة ما كان متصلاً منها بالحرب وأدواتهم فإن الدولة المصرية في ذلك الحين كانت في حاجة إلى جيش قوي يحمي حدود إمبراطوريتها الواسعة وكان لا بد من تموين هذا الجيش بالملابس والآلات الحربية، فاستطاع بيبرس أن يجعل من مصر حصنًا حصينًا ومعقلاً آمنًا، وبذلك أصبحت مضرب الأمثال في ذلك الوقت.

(١) عن أعمال تجديد للغوري لسور مجرى العيون، انظر: ابن إياس **بدائع الزهور**، مج. ٤: ١١٠.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٩١.

عناية الملك الظاهر بالرياضة والفروسية

وقد بلغ عناية الملك الظاهر بشعبه، أن يسر له كل أسباب الراحة والطمأنينة، وبث في روعه حب الإقدام والجرأة والشجاعة، وكان من أخص أغراضه إيجاد رجال أقوياء، وشباب ناهض، تتوفر فيه عوامل القوة والشجاعة والفروسية، حتى يتمكن من صد كل عادية، ورد كل مغير يغير على حقوق البلاد أو يسطو عليها، فاتجهت عنايته إلى نشر الفنون الرياضية، وبثها في النفوس بطريقة عملية مباشرة، ولكي يحقق تلك الرغبة، ويحصل منها على أكبر عدد من الشعب، من ذوي القوة والبأس.

عمد إلى اختيار أنسب منطقة من ظاهر القاهرة وأعدها ميدانًا لفنون الرياضة من جري إلى سباق إلى لعب بالكرة والرماح، إلى رمي بالقوس والسهام وقفز وتدريب إلى غير ذلك من فنون الرياضة وأنواع الفروسية، وقد عرف هذا الميدان بالقبق، نسبة إلى نوع من الرياضة بلعب الكرة تعرفها الجيوش الحديثة وتلعب بها، كما عرف بأسماء أخرى وموضع هذا الميدان اليوم هو تلك الرقعة الهائلة التي تحد شرقًا بالجبل الأحمر، وغربًا بمدينة القاهرة حتى باب النصر، وجنوبًا بقلعة القاهرة، وشمالاً بأرض المصنع السلطاني والمطرية، وعليها تقوم مجموعة الترب والخوانق والمساجد والربط التي تتكون منها آثار قرافة المماليك وقايتباي والبستان والطويلية والتنكزية حتى سور القلعة الشمالي[1].

وبعد أن أعد المشروع لظهور هذا الميدان بالمظهر الذي أراده بنى له في وسطه شرفة ثم أحدث به مصاطب للملاعبين والمبارزين وتم العمل فيه في آخر سنة (٦٦٦هـ/ ١٢٦٦م)، وصار هذا الميدان واللعب فيه بأنواع الفروسية مطمح أنظار الملك الظاهر، ومنتهى آماله، فكان ينزل إليه بنفسه، ويحث الناس على متابعة هذه الفنون، ودرسها فيه عمليًا وكان لا يبالي بما يصيبه من العناء والتعب سيما في الأيام الصائمة مع اشتداد الحر وزيادة وهج الشمس، فربما كان يقضي في هذا الميدان تحت ضوء الشمس المحرقة زهاء ثمان ساعات من ظهر كل يوم إلى العشاء الأخيرة.

وقد أمدنا المقريزي بمعلومات كثيرة من هذه الناحية من ذلك قوله: «وأقام ينزل في كل يوم من الظهر ويركب منها عشاء الآخرة؛ وهو واقف في الشمس يرمي ويحرض الناس على الرمي والرهان، فما بقي أمير ولا مملوك إلا هذا شغله، واستمر الحال في كل يوم على ذلك حتى صارت تلك الأمكنة لا تسع الناس، وما بقي لأحد شغل إلا لعب الرمح ورمي النشاب»[2].

ولكي يبلغ الملك الظاهر إربه من هذه الظاهرة الشريفة، كان ربما ينازل في هذا الميدان أقل الأفراد من شعبه؛ فكان يقف معه بارزًا بالسيف، والمماليك وعامة

(١) ميدان القبق: ذكر المقريزي أن هذا الموضع خارج القاهرة من شرقيها، فيما بين النقرة التي ينزل من قلعة الجبل إليها، وبين قبة النصر التي تحت الجبل الأحمر، تجاه قبة الأمير يونس الدوادار الظاهري، ويقال له الميدان الأسود، وميدان العيد، والميدان الأخضر، وميدان السباق، وهو ميدان الملك الظاهر بيبرس البندقداري، حيث بنى له مصطبة في المحرم من سنة (٦٦٦هـ/ ١٢٦٦م) عندما احتفل فيه برمي النشاب وحث الناس= على أمور الحرب، ولعب الرمح، ورمي النشاب ونحو ذلك، ويحدد محمد رمزي موقعه الآن بالأرض المشغولة بتربة جبانة باب الوزير وقرافة المجاورين، وجبانة المماليك، وينتهي عند قبة الأمير يونس الدوادار، التي لاتزال موجودة بالجهة البحرية من مدفن السلطان برقوق، وتعرف الآن بقبة آنص والد السلطان برقوق، ويخترقها الآن طريق صلاح سالم، انظر: المرجع السابق: ٣٦٩، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٦٥، هامش ٣.

(٢) المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٥٧٣؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٧٠.

الشـعب وخاصتهم يقف كل منهم مبارزًا أخاه بالسيف أو مسـابقه أو ملاعبه أو ما إلى ذلك، وكنـت ترى في طرف الميدان هذه كتيبة تدرب أخـرى، وهذه فئة تقاتل فئة على سـبيل التجربة، وهذا ينازل ذاك، وهذا فارس يقفز بفرسه، وتلك ثلة من الفرسان تجوب الميدان طولاً وعرضًا، إلى غير ذلك، «فكان كل من أصاب من هـؤلاء وهؤلاء، خلع عليه السلطان وأجازه وكافأه أحسن مكافأة».

ولم يكتف الظاهر بهذا الميدان مع سـعته وعرضه فحسـب، بل أعد الميدان الكاملي الواقـع في غربي القلعة لذلك أيضًا، وخصصه للرياضـة بلعب الكرة، وهو الميدان الذي يسمى بالأسود، وسـماه العثمانيون «قراميدان» وبقي اسمه إلى اليوم يحمله سجن القاهرة.

وبلغ الأمر من ذلك؛ أن الناس على اختلاف طبقاتهم ولعوا بهذه الفنون ولعًا شـديدًا، حتى أنهم صاروا يتباهون ويتفاخرون ويتكاثـرون بهذه الفنون تفاخرهم وتكاثرهم بالمال الذي هـو أعز شيء على النفوس. ويشـير المقريزي إلى ذلك بقـوله: «وتنوع الناس في تبديـل العدد والآلات وتفاخروا وتكاثروا فكانت هذه الأيام من الأيام المشهودة ولم يبقَ أحد من أبناء الملـوك ولا وزير ولا أمير كبير ولا صغـير ولا مفرد ولا مقـدم من مقـدمي الحلقة ومقدمي البحرية الصالحيـة ومقدمي المماليـك الظاهرية البحرية ولا صاحب شـغل ولا حامل عصا في خدمة السلطان على بابه ولا حامل طير في ركاب السـلطان ولا أحد من خواص كتاب السـلطان إلا وشرف بما يليق بـه قدر منصبه، ثم تعدى إحسان السـلطان إلى قضاة الإسلام والأئمة وشهود خزانة السلطان فشرفهم جميعهم ثم كلهم وأصبحوا بكرة يوم الأحد الثامن عشر من شـهر رمضان لابسـين الخلع جميعهم في أحسن صورة وأبهج زي وأبهى شكل وأجمل زينة بالكلوتات المزركشة بالذهب والملابس التي ما سمع بأن أحد جاد بمثلها وهي ألوف وخدم الناس جميعهم وقبلوا الأرض وعليهـم الخلع وركبوا ولعبوا نهارهـم على العادة والأموال تفرق والأسمطة تصف والصدقات تنفق والرقاب تعتق»[1].

آثار الملك الظاهر في العمارة الإسلامية

قدمنا أن الملك الظاهر كان بعيد النظر في اسـتبقاء ذكراه على مـرَّ الأزمان، ماثلة في الأذهـان بصورة عملية مبـاشرة، ولكي يحقق هـذه الفكرة عمـد إلى الإكثار من المنشآت المعمارية حتى يستطيع تنفيذ هذا الغرض المنشود، بَيْدَ أنه أكثر منها كثرة مناسبة،كانت تحتمها عليه الظروف والملابسـات، وبالرغم مـن أن غالب منشـآته قد عثت بها طـوارق الحدثين وأبادتها تصرفـات الأزمان وتقلبات الأهواء، فقد شاءت إرادة الله تعالى أن يبقى منها ما يذكر به هذا الملك إلى جانب أعماله الأخرى.

ونذكر فيما يـلي ثبتًا بأهم المنشـآت الظاهرية التي حدثـت في عصره، من عهد توليتـه الحكم حتى انقراض الدولـة الظاهرية وقيام الدولة القلاوونية محلها، ويشـمل هذا الثبت أهم ما أنشأه الظاهر أو جدده بالأقطار الشرقية، ويلوح أنه سـيبدو منه أن مصر والقاهـرة في هذا العصر الظاهري قد بلغت فيهما العمارة الإسـلامية مبلغًا يقارب العصر الأيوبي من بعض الوجوه.

(١) المرجع السابق: ٣٧٢.

زاوية الخضر

في سنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) أنشأ الظاهر لشيخه الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني العدوي- المتوفى سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) - زاوية بزقاق الكحل خارج باب الفتوح تجاه أرض الطبالة؛ وبنى له قبرًا دفن فيه بعد وفاته، وقد بقيت هذه الزاوية بقبتها الشاهقة حتى القرن الحادي عشر، ثم ما لبثت أن اختفت عن الأنظار، وبقي أثرها إلى اليوم بشارع المنسي وسكة الظاهر[١]، بين مجموعة المباني القائمة على بر الخليج الشرقي [انظر مسجد الخضر][٢].

عمارة الجامع الأموي بدمشق

وفي سنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) أمر السلطان بتجديد الجامع الأموي الذي بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان في سنة (٩٦هـ/ ٧١٥م) بعاصمة الديار الشامية.

مسجد الزهراء

وفي سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م) بلغ السلطان الملك الظاهر أن مسجدًا على باب مشهد السيد الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وإلى جانبه مكان من حقوق القصر بيع وحمل ثمنه للديوان وهو ستة آلاف درهم- فأمر برد هذا المبلغ- وإبقاء المسجد على حاله وتجديد ما وهن منه وإقامة الشعائر فيه، ولا يزال هذا المسجد باقيًا على حاله إلى اليوم، وقد ارتفع منسوب الأرض عليه حتى صار في منخفض منها، وقد سبق هذا التجديد تجديد آخر في سنة (٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م) من الأمير بيليك العلائي نائب صفد في عهد الملك المعز أيبك التركماني-كما جاء بالنص التاريخي الذي يحمله هذا الأثر اليوم.

وفي سنة (٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م) جدد الأمير الناصري محمد ابن بردبك الدوادار هذا المشهد، وبنى فوقه جامعًا فسيحًا لا يزال حافظًا لشكله ووضعه، وأصل هذا المسجد قاعة من قاعات القصر الفاطمي الكبير أضافها إليه العزيز بن المعز في سنة (٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) [انظر ترجمة جامع الناصري محمد بن بردبك بشارع أم الغلام- حارة الغلمان الصالحية سابقًا][٣].

قرية السعيدية

وفي سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م) أنشأ السلطان الظاهر بمديرية الشرقية قرية سماها السعيدية، على اسم ولده الملك السعيد بركة خان، وهي السنة التي اختتن فيها وأقام فيها حفلًا عامًّا شهده المصريون على اختلاف طبقاتهم.

الميدان الظاهري

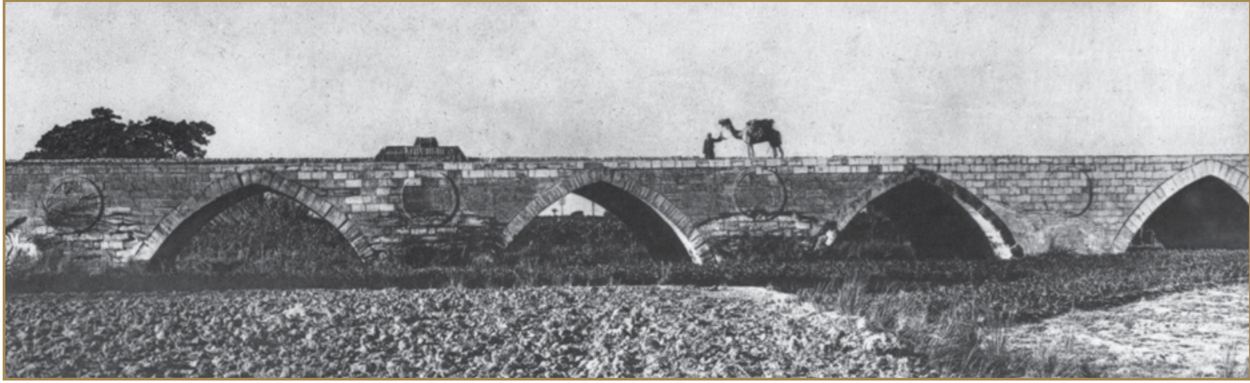
وأنشأ الملك الظاهر ميدانًا فسيحًا في حوالي سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م) يشرف على النيل الأعظم بنهاية أراضي اللوق في محل بستان نور الدولة الربعي، قال المقريزي: «وموضعه الآن تجاه قنطرة قدادار من جهة باب اللوق»، وبهذا التحديد يمكن وضع هذا الميدان في الأرض التي يقوم عليها مبنى المتحف المصري وثكنات الجيش

---

(١) سكة الظاهر وبها مقام سيدي محمد المنسي بالقرب من جامع السيد علي سلام غربي شارع الجيش «الأمير فاروق سابقًا» بالقرب من قسم باب الشعرية. (المراجع)

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٨٠٦- ٨٠٨.

(٣) جامع بردبك الدوادار أو دار الحديث البردبكية: بشارع أم الغلام (حارة الغلمان الصالحية سابقًا)، أنشأها الأمير بردبك الدوادار الأشرفي صهر الملك إينال الأشرفي، في سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م)، واكتملت في السنة التالية، وهي دار للحديث، أنشئت في مكان القاعة الفاطمية التي أنشأها العزيز بالله في القصر الشرقي الكبير، ثم تحولت القاعة إلى مشهد للسيدة فاطمة الزهراء، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٤-٦.



قناطر أبي المنجا «عن كريسويل»

الإنجليزي، لأن قنطرة قديدار كانت تمتد على الخليج الناصري من ملتقى شارع جامع جركس بشارع الحوياتي إلى شارع الأنتيك خانة المصرية[١].

وذكر المقريزي: «أن هذا الميدان تحول في سنة (٧١٤هـ/ ١٣١٤م) إلى بستان عظيم للملك الناصر محمد بن قلاوون، ثم ما لبث أن وهبه لمملوكه الأمير قوصون، فأضاف إليه من الجهة القبلية زربية عرفت بزربية قوصون»، ثم خلص من ذلك إلى قوله: «وقد تلاشى هذا البستان وحكرت أرضه وبنى الناس فوقها الدور التي على يسرة من صعد القنطرة من جهة باب اللوق، يريد الزربية، ثم لما خرب خط الزربية خرب ما عمر بأرض هذا البستان من الدور منذ سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)»[٢].

وخط الزربية الذي يشير إليه هو جميع الأرض المعروفة بالإسماعيلية التي يدخل فيها شوارع السلطان حسين[٣] والأربعين والشيخ يوسف وبركات[٤] ومجموعة الشوارع المعروفة بها، ويتصل بها من الجهة القبلية منطقة أرض جاردن سيتي، وشارع إسماعيل باشا وقصر الدوبارة والقصر العالي- وهي ما يسميها المقريزي بمنشأة الكتبة حتى موردة البلاط شمالي قصر الشهابي أحمد العيني، وكانت هذه الأرض جميعها داخلة في حدود الجزء الغربي من بستان الخشاب[٥].

(١) قنطرة قدادار أو قنطرة المدابغ ومكانها الآن قرب نقطة تلاقي شارع يوسف الجندي «الحوياتي سابقًا» مع شارع صبري أبو علم «جامع شركس سابقًا» حيث كان الخليج الناصري يمر من هذه الجهة، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٨٢، هامش٦؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٩٩.

(٢) المرجع السابق: ٦٢٨- ٦٢٩، هامش ١.

(٣) شارع الشيخ ريحان الآن. (المراجع)

(٤) شارع الشيخ بركات يعرف الآن بشارع الشهيد كمال الدين صلاح. (المراجع)

(٥) زربية وليس زريبة: وهو نوع من الأرصفة المبنية على أوتاد أو دعائم على شاطئ النيل، وقد منح السلطان الناصر محمد للأمير قوصون أرض البستان الذي بالميدان الظاهري، وفيها عمر حمامًا وسوقًا كبيرًا وطواحين وعدة مساكن اتصلت باللوق، وموقعها الآن أرض المتحف المصري، والتي يحدها من الشمال ميدان عبد المنعم رياض ومن الشرق شارع مريت، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**: ٤٣٥-٤٣٦، هامش ٢، ٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٩٣- ١٩٤.

قناطر أبي المنجا

وأنشأ في سنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م) قناطر على بحر أبي المنجا، وهو البحر الذي أنشأه الأفضل شاهنشاه، وزير الآمر بأحكام الله في سنة (٥٠٦هـ/ ١١١٢م) وكان المشرف على حفره وسيره، أبو المنجا يشيعا اليهودي متولي أعمال الري في ذلك الوقت[١]، ولا تزال هذه القناطر إلى اليوم مشرفة على الجهة الغربية لمنية نما أو ميت نما مركز قليوب تحمل شعار الملك الظاهر[٢].

قناطر اللاهون بالفيوم

وأنشأ في سنة (٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م) قناطر بالفيوم وهي القناطر الغربية، وتشكل ثلاثة عيون عرض كل منها ثلاثة أذرع ونصف الذراع وارتفاعها سبعة أذرع، والعين البحرية منها منخفضة بمقدار ذراع ونصف ذراع، وبناؤها من الحجر الدستور، وزواياها من الحديد والرصاص، وقد جددت في سنة ١٢٥٩هـ وأضيفت إليها عيون أخرى في الجهة الشرقية، وبنى المرحوم أحمد باشا طاهر فوق قنطرة منها قصرًا للاستجمام.

جامع الرملة

وفي سنة (٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م) أمر الملك الظاهر بتجديد جامع الرملة، وتجديد قبته ومنارته التي سقطت في سنة (٤٢٥هـ/ ١٠٣٤م) من حادث زلزال، وهو الجامع الذي أنشأه سليمان بن عبد الملك حينما كان واليًا على جند فلسطين من قبل أخيه الوليد، ولم يكمل إلا في عهد عمر بن عبد العزيز.

وفي سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) في عهد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، جدده إلياس بن عبد الله،

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٥٠٧.

(٢) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٦١، هامش ٢؛ الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٣: ٥٦؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ١٠٣-١٠٤.



جامع الرملة «عن كريسويل»

وقد بقيت مئذنة الظاهر هذه حتى سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، فأمر الملك الناصر محمد بن قلاوون بهدمها لظهور خلل بها وإعادتها، فأعيدت على ما هي عليه إلى اليوم، ولا تزال تحمل نصًّا تاريخيًّا للناصر في ثلاثة أسطر [انظر متجددات الناصر].

وبهذا المسجد مقام ينسب إلى سيدنا صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبلصق حائطه الشرقي قبر الشيخ الحافظ أبو عبد الرحمن ابن شعيب النسائي المولود سنة (٢١٤هـ/ ٨٢٩م) المتوفى سنة (٣٠٣هـ/ ٩١٥م).

قرية الظاهرية

وفي سنة (٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م) أنشأ الملك الظاهر قرية بمديرية الشرقية على وادي السدير سماها الظاهرية وعمر بها جامعًا[٣].

ولا تزال هذه القرية إلى اليوم تابعة لمركز الزقازيق معروفة باسمه الضاهرية، ووادي السدير هو الذي يعرف بوادي الطميلات، وبه تفتيش الأوقاف الذي يعرف

(٣) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٢٩١.

بتفتيش الوادي [انظر جغرافية الأستاذ محمد بك رمزي عن البلاد المصرية].

وعلى بعد خمسة كيلومترات من هذه القرية للجهة الشرقية القرية الطولونية، التي أنشأها أحمد بن طولون في سنة (٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، لابنته العباسة وبها ولد ابنه العباس[١].

وهي غير عباسة مركز قوص ومغاغة، وغير عباسة كوم أمبو، وغير عباسة أسوان، المنسوبة إلى العباسة بنت جريج بن سعيد المتوفاة في سنة (٧١هـ/ ٦٩١م)، وقد وجد قبر العباسة هذه بقرافة أسوان الشرقية، ووجد مكتوبًا عليه أربعة عشر سطرًا بالخط الكوفي هذا نصها:

البسملة. إن أعظم مصائب أهل الإسلام- مصيبتهم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم- هذا قبر عباسة ابنة جريج بن سعيد، رحمه الله ومغفرته ورضوانه عليها، توفيت يوم الإثنين لأربع عشر خلون من ذي القعدة سنة إحدى وسبعين، وهي تشهد ألا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم

القصر الأبلق

وأنشأ الظاهر في سنة (٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) قصرًا بدمشق يحاكي في رونقه وبهائه وحسن منظره قصر الخلد الذي كان بدار السلام، ويقول ابن طولون المؤرخ الدمشقي المتوفى سنة (٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)، إنه قصر حاز كل فن عجيب، وسمي بالقصر الأبلق لأنه بني من أسفله إلى أعلاه بالحجر الأسود والأصفر بتأليف يهز الناظر حسن تأليفه الغريب وإحكام صنعه العجيب، وزينت واجهته بتنزيل مائة تمثال أسد باللون الأسود في مثلها بالأبيض ومثلها في الواجهة الشمالية بالأبيض في الأسود.

وفرشت أرضيته بالرخام الملون الذي يعجز الوصف عن إدراك حسنه ونعته، وأزرت جميع حوائطه بوزرة يتخللها ضرب من الرخام الملبس بالصدف والفضة المنسوجة بخيوط الذهب حتى سجف القف وقد أطنب الواصفون في وصف هذا القصر بما لا مبالغة في حده- وقد أراد الملك الناصر محمد بن قلاوون وولده الملك الناصر حسن، أن يبلغا شأن الملك الظاهر في شأن هذا القصر، فأنشأ كلاهما قصرًا سمي الأول منها باسم ذلك القصر[٢]، لكنهما لم يوفقا ما وفق إليه الظاهر في وضع هذا القصر الذي لو أراد الله سبحانه أن يبقى لكان مطاف الزائرين، وكعبة علماء الآثار في الشرق والغرب.

وقد بقي هذا القصر إلى القرن العاشر ثم بدأ يتلاشى حتى دثر نهائيًّا وعلى أرضه تقوم التكية السليمانية التي أنشأها السلطان سليم في حاضرة البلاد الشامية في المرج الأخضر من دمشق.

مشهد سيدنا موسى

وفي سنة (٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) أمر الظاهر ببناء المشهد المنسوب إلى سيدنا موسى عليه السلام الواقع بين بيت المقدس وأريحا.

جسر الغور

وفي سنة (٦٧١هـ/ ١٢٧٢م) أمر الملك الظاهر بعمارة جسر الغور على نهر الشريعة، وهو النهر الذي يشق غور الشام بقرب دامية فيما بينها وبين فراوي، وقد أمر أن يكتب عليه ما نصه:

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ١: ٦٢٨-٦٢٩.

(٢) المرجع السابق، مج. ٣: ٦٦٩-٦٧١.

البسملة. وصلوات على سيدنا محمد وصحبه أجمعين- أمر بعمارة هذا الجسر المبارك مولانا السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس بن عبد الله في أيام ولده مولانا السلطان الملك السعيد ناصر الدين بركة خان أعز الله أنصارهما وغفر لهما وذلك بولاية العبد الفقير إلى رحمة الله علاء الدين علي السواق غفر الله له ولوالديه في شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وستمائة

الجسر الأعظم

وأنشأ ظاهر القاهرة فيما بينها وبين مصر جسرًا من حد مناظر الكبش إلى قناطر السباع ليفصل به بين بركة الفيل وبين بركة قارون، التي عرفت أخيرًا ببركة الحمصانيين وجعل تحته سربًا يمر الماء بينهما، وفي مكان هذا الجسر اليوم الشارع المعروف بشارع مراسينا الممتد من التربة السلارية حتى ميدان السيدة زينب، وكان بحده البحري على البركة قصر بناه الملك الناصر محمد بن قلاوون لمملوكه الأمير بكتمر الحاجب، وقد أدركنا منه بقية من سوره ثم أزيل وغرس في أرضه منتزه على منطقة بركة الفيل[1].

المصنع الظاهري

وأنشأ الظاهر بالرميلة مصنعًا لم يذكر المقريزي ماذا كان يصنع به، وقد عرف الخط الذي كان به بخط المصنع الظاهري ثم بالمصنع، وهو الآن جميع الأرض التي يقوم عليها درب اللبانة الذي يحده شرقًا شارع المحجر، وغربًا مسجد الرفاعي والمدافن الملكية، وشمالاً سويقة العزي (شارع سوق السلاح)، والهلالية (درب حلوات)، وجنوبًا الرميلة وميدان سوق الخيل (ميدان محمد علي) والمدرسة المحمودية.

وفيه من الآثار ما نحتفظ به من عصور مختلفة مثال زاوية تقي الدين العجمي (٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م)، وبوابة زاوية الشريف المهدي (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م)، ومدرسة جوهر الزمام اللالا الأشرفي (٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م)، وأخيرًا مدرسة قانباي السيفي أمير أخور (٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م)، وسنذكر جميع هذه الآثار في أماكنها.

جامع الظاهر بمدينة بعلبك

وفي سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) وهي السنة التي توفي الظاهر في أولها، أنشأ جامعًا عظيمًا بمدينة بعلبك، وكمل بعده، وقد بقي أثره إلى اليوم.

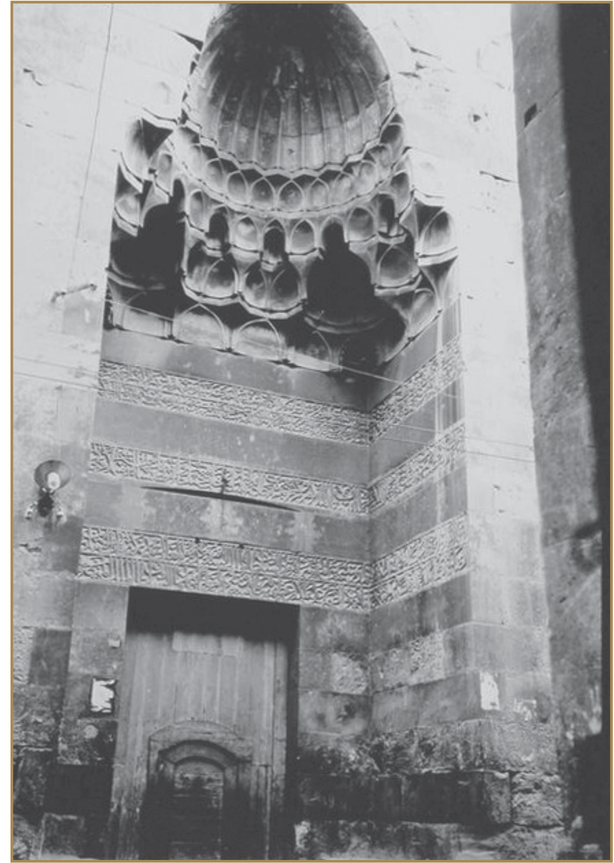
جامع الدسوقي

وفي سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) أمر الملك السعيد بركة خان بن الظاهر، ببناء قبة على قبر الشيخ إبراهيم الدسوقي العالم الصوفي المشهور في هذه السنة.

المدرسة الظاهرية بدمشق

لما توفي الملك الظاهر في المحرم سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) ولم تبن له تربة يدفن فيها لا بمصر ولا بالشام- مع كثرة منشآته وعمائره- أمر ولده الملك السعيد بشراء دار الشريف أحمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالعقيقي العلوي [المتوفى سنة (٣٧٨هـ/ ٩٨٨م)] الواقعة داخل باب الفرج،

(١) المرجع السابق: ٥٥٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٩١، هامش ٤؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٣٢٤.




المدرسة الظاهرية «عن كريسويل»

تجاه المدرسة العادلية بدمشق من ورثة الأمير فارس الدين أقطاي الأتابكي المتوفى بالقاهرة، ثم حولها إلى مدرسة ذات قسمين: قسم للشافعية، وقسم للحنفية[١]، وبنى في جزء منها تربة لوالده وقبرًا وقبة، ولما أشرفت القبة على البناء نقل إليها تابوت والده الملك الظاهر من قلعة دمشق لخمسة أيام مضت من رجب من هذه السنة فدفن بالقبر المذكور، وبعد عامين من تاريخ وفاة الملك الظاهر[٢].

ألحق به ولده الملك السعيد في سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م) بعد خلعه من السلطنة وإقامته بالكرك عاملاً له، فدفن أولاً بمشهد الإمام جعفر الطيار بن أبي طالب بمؤتة المعروفة بقرية المزار من أعمال شرق الأردن الآن[٣]، ثم نقل في سنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) إلى الظاهرية بعد تمام بنائها فدفن إلى جانب والده بالقبة حيث يزار قبرهما إلى اليوم[٤].

وهذه المدرسة لا تزال باقية لليوم بدمشق، وقد اتخذتها الحكومة الشامية مقرًّا للمكتبة العامة، ويؤخذ من

(١) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٧٦.

(٢) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**: ٤٧٥.

(٣) كان الظاهر بيبرس قد عمّر هذا المشهد من قبل، ومؤتة قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٩٤، هامش ٥.

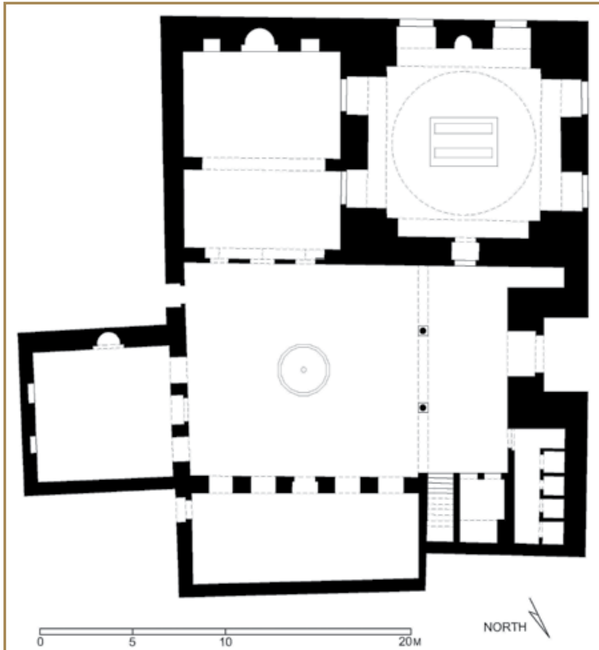
(٤) الحسن بن عمر بن حبيب، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، تحقيق محمد محمد أمين، مج. ١ (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٠): ٥٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٢٥٩؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٦٧٤.



المدرسة الظاهرية بدمشق «عن كريسويل»

الكتابة المنقوشة بأعلى باب المدرسة أن الملك السعيد مات قبل إتمام العمارة، فأتمها من بعده صهره الأمير سيف الدين قلاوون الصالحي الألفي الذي كان أتابكًا لوالده ثم صار سلطانًا لمصر بعد عزل سلامش بن الظاهر الثاني، وهذا نص الكتابة المشار إليها:

بسم الله الرحمن الرحيم. أنشأ هذه التربة المباركة والمدرستين المعمورتين المولى السلطان الملك السعيد أبو المعالي محمد بركة خان بن السلطان الشهيد الملك الظاهر المجاهد ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس الصالحي- أنشأها لدفن والده الشهيد ولحق به عن قريب. فاحتوى الضريح على ملكين عظيمين ظاهر وسعيد وأمر بإتمام عمارتها الملك



مسقط أفقي للمدرسة الظاهرية «عن Archnet»

المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين خلد الله سلطانه.

وفوق هذه الكتابة كتابة أخرى في ثلاثة أسطر ورد فيها ذكر الأوقاف، التي حبست على مصالح المدرستين والقبة في سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) من قبل الملك السعيد، وفوق باب القبة كتابة أخرى تضمنت ذكر الأوقاف التي استجدها السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي على التربة الظاهرية بعد تمام عمارتها، ويؤخذ من مجموع هذه الكتابات أن المدرسة لم تتم إلا بعد أن ارتقى الأمير سيف الدين قلاوون عرش مصر وبقي ملكًا عليها في سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م) و(٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م)، وقد تولى التدريس والإقراء في هاتين المدرستين السعيدتين جملة من العلماء المشهورين من الشافعية والحنفية ورد ذكر بعضهم في تاريخ المرادي وتاريخ المحبي ومصادر التاريخ الشامي، وقد كانت الظاهرية فيما مضى مشهورة بنسبتها إلى الشافعية وحدهم، وكانت من جملة مدارسهم العظمى ذات الشأن الكبير والأوقاف الدارة، وفيها كان يجلس قاضي القضاة الذي كان يحكم في المدرسة العادلية التي تقابلها.

وما برحت كذلك حتى تغيرت معالمها ودثر معظمها، ولم يبقَ اليوم من آثار هذه المدرسة إلا القبة المذكورة ومصلى إلى جانبها، والقبة الأخرى اتخذتها الحكومة الشامية مقرًّا لمطبعة معارف الولاية لطبع ما يراد نشره من مخطوطات الظاهرية فبقيت إلى سنة (١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م) ثم نقلت إلى مكان آخر، وتحول مكانها إلى إدارة عامة، وأضيف إليها جناح من دار كانت تلاصقها لزيادة مساحتها[1].

(١) النعيمي، **الدراس في تاريخ المدارس**، مج. ١: ٢٦٣-٢٦٧.

المكتبة الظاهرية

يبتدئ عهد تأسيس هذه المكتبة من زمن مدحت باشا حاكم دمشق الذي تولى سنة (١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م)، فقد قام رجال حكومته بجمع الكتب المفرقة في الجوامع والمدارس، وضم ما في المكتبات الأخرى كالعمرية وغيرها إلى مكتبة واحدة وذلك تنفيذًا لرغبته إذ كانت ميوله الخاصة متجهة نحو جمع الكتب والعناية بها إلى حد كبير.

وبعد جمع مجموعة الكتب التي أمكن الوصول إليها، اختار لإيداعها القبة الظاهرية، وما كادت تفتح الظاهرية كمكتبة عامة؛ حتى عين أحمد حمدي باشا واليًا على سوريا بدلاً من مدحت باشا، فما أهلت سنة (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م) حتى كانت المكتبة قد أخذت في التجديد وتطورت بنظام آخر كنظام المكتبات العامة، وطبع لها فهرس خاص.

الميدان السعيدي

وأنشأ الملك السعيد، ميدانًا فسيحًا ذكر المؤرخون أنه بين مصر والقاهرة، والذي يؤخذ من كلام المقريزي في الخطط في كلامه على حكر قوصون[2]، الذي كان مجاورًا لقناطر السباع محدودًا بالسبع سقايات وقنطرة المجنونة[3] وجماميز السعدية وخط بستان الزهري، أن المراد من قول المؤرخين بين مصر والقاهرة؛ وهو ما كان محصورًا بينهما من نقطتين:

الأولى؛ النقطة المحصورة بين بساتين الزهري وخط قناطر السباع والسبع سقايات والمخاريق الكبرى حتى قنطرة السد والكوم الأحمر كوم الأشارى وميدان الطيبي

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٨٢-٣٨٣، هامش ٣.

(٣) المرجع السابق: ٥٣٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ٢٣٠، هامش ٢.

وشـــارع الديورة، وما في امتداد ذلك من شـــمال الفسطاط وجنوب القاهرة.

النقطة الثانية؛ المنطقة التي تبتدئ من نهاية شـــارع الزرايب فشارع القبر الطويل فشـــارع المراغة حتى قبيل باب مشهد السيدة نفيسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي المنطقة التي يسميها القضاعي والمقريزي وابـــن دقماق وصاحب المنهل وغيرهم بالمراغة، ويدخل فيها جميع الأرض التي يقوم عليها مشهد السيدة نفيسة بنت زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وما يحيط به من مقابر حتى حوش الشـــيمي، ويكون هذا الحد جميعه هو الفاصل بين القاهرة وبين مصر من بساتين.

والحد الثاني، مـــن غايته حتى شـــارع المدبح، حيث ينتهي الســـالك من هذه المنطقة إلى باب مدينة مصر الذي بناه الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي، وزير صلاح الدين بين كوم المشانيق أو الكبارة شرقي المدبح وبين بستان العالمة المعروف بجنينة السادات الوفائية بشارع فم الخليج «غربًا».

ومن هذا يتضح أن الميدان الســـعيدي، هو الفضاء في شمال أطلال مدينة العسكر بين المراغة والكبارة، أو بعبارة أوضح باب القرافة وبين باب مصر، ويبدو أن الســـعيد أراد أن يحاكي به ميدان الملك الكامل الذي أنشأه في سنة (٦١١هـ/ ١٢١٤م)، وكان مبدؤه من خط الرميلـــة فباب القرافة حتى تربة بيدرا قبيل مشهد الشافعي وقد فصلنا الكلام عليه بما ذكره المقريزي وغيره في هذا الكتاب «انظر الميدان الكاملي».

سويقة الصوابي

وأنشـــأ الأمير علاء الدين أبو الحسن علي بن مسعود الصوابي- مشـــد الدواوين في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري- سويقة خارج باب الفتوح بخط بستان ابن صيرم ذكرها المقريزي[1].

ولا تـــزال هذه الســـويقة معروفة باســـم منشـــئها بالحســـينية، تصل إليها من شارع البيومي ودرب السماكين ودرب عجور وخوخة الهدومية وشارع الأمير فاروق ومنافذ أخرى، ويحدها غربًا جنينة راتب بك الشماشرجي، المعروفة بجنينة الســـبع والضبع لوجود تماثيـــل لهما كانت قائمة على باب هذه الجنينة في وقت ما وقد وجد بعضها مطمورًا تحت الأرض في أول هذا القرن فأودعت بدار الآثار.

وهذه الجنينة هي الجزء البحري من نهاية بســـتان ابن صيرم الذي كان مبدؤه مما يلي بركة جناق بالكداشين مقابل حارة البيازرة، وكان يشغل جميع الأرض التي يحدها «غربًا» زقاق الكحل المعروف بعضه بشارع المنسي وبعضه بسكة الظاهر، وشرقًا درب عجور وســـويقة الصـــوابي والبيومي، «وجنوبًا» خط بركة جناق والكداشين «البغالة» مقابل حارة البيازرة، «وشمالاً» شارع الظاهر.

وكنا نســـلك من هذا البســـتان قبل اقتطاعه بشارع الأمير فاروق المفتتح في ســـنة (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م)، من زقاق يعرف بزرع النوى بمنتصف سويقة الصوابي، فنصل منه إلى زقاق الكحل من نهاية هذا البستان الغربية حيث الشارع المســـمى ببســـتان ابن صيرم [انظر ترجمة جامع الصوابي في هذا الكتاب][2].

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٥٠.
(٢) بجوار مدرسة خليل أغا بشارع الجيش حاليًا. (المراجع)

ابن صيرم

والمنسوب إليه هذا البستان هو الأمير جمال الدين شويخ «تصغير شيخ» بن صيرم أحد الأمراء في عهد الملك الكامل توفي سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م)، وإليه تنسب المدرسة الصيرمية برأس سوق الضببية، وقد اندثرت الآن وبقيت أطلالها ماثلة لليوم تحمل نمرة ١٥ من نفس الشارع، وقد بقي من هذا البستان إلى هذا التاريخ بقية ضئيلة[١].

جامع الصوابي

وبالحد الغربي لهذه السويقة، جامع منسوب إلى صاحب هذه السويقة، أنشأه في نفس الوقت الذي أنشأ فيه هذه السويقة، وبالرغم من أن المقريزي لم يذكره فقد دلت عليه هذه القرينة الظاهرة المتواترة «انظر ترجمة جامع الصوابي في هذا الكتاب».

رباط البغدادية

وأنشأت ابنة الملك الظاهر الأميرة تذكار باي خاتون رباطًا للنساء في سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) بحارة الدرب الأصفر «المنحر سابقًا» بالجمالية، أنزلت به النساء الأرامل وعينت لهن معلمة منهن وشيخة عليهن تدعى الشيخة زينب بنت أبي البركات المعروفة بالبغدادية وبها عرف الرباط[٢]، وأوقفت عليه في سنة (٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م) حصة من قطعة أرض في بر الخليج الغربي ظاهر قنطرة الموسكي عرفت فيما بعد بحكر العلائي[٣].

ويؤخذ من كلام المقريزي أن هذا الرباط بقي عامرًا آهلاً بالنساء المطلقات والمنقطعات حتى سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)، وهي السنة التي أصيبت فيها القاهرة ومصر في عهد الناصر فرج بن برقوق بقحط وجدب ووباء وشراقي أضر الزرع والضرع وأهلك الحرث والنسل، ولم يعهد مثله قبل ذلك التاريخ، ثم بدأ يتطرق إليه الخراب وقل رواده من النساء من ذلك الحين[٤]، لكنه بالرغم من ذلك فقد بقي ماثلاً حقبة طويلة تولى فيها مشيخته من النساء جماعة ذكر بعضها السخاوي في الضوء اللامع[٥].

ويظهر أنه بقي مدة طويلة من الزمن، ثم بدأ يتحول إلى مكتب لتعليم الصغار من البنات وهو على ذلك إلى اليوم[٦]، وقد زرته بحارة الدرب الأصفر رقم ٢٨ فوجدته على هذه الصفة المذكورة ومعلمته لا تزال من النساء، بيد أن معالمه قد تغيرت ورسومه قد تلاشت[٧]، ولم يبق منها إلا

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٠٥.

(٢) المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٧٩٥.

(٣) كانت هذه الأرض قطعة من بستان جليل القدر كان يعرف بحكر العلائي، وأصبح وقفًا للسيدة تذكار باي ابنة الظاهر بيبرس في= سنة (٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م)، على الرباط المنشأ داخل الدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس المعروف برواق البغدادية، وعلى المسجد بحكر الإسلام خارج باب زويلة، وعلى تربتها بجوار مسجد بن عبد الظاهر بالقرافة، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ٤٠١-٤٠٢.

(٤) المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٧٩٦.

(٥) مثل الشيخة حجاب بنت عبد الله شيخة رباط البغدادية، التي توفيت في المحرم من سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٢، ج. ١: ٢٦٩؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٦٦.

(٦) كان هذا الأثر يعرف بزاوية سطوحي وقد اندثر منذ زمن طويل. (المراجع)

(٧) يذكر محمد رمزي أن هذا الرباط قد خرب واعتدى الناس على أرضه، ولم يتخلف منه إلا بقايا قبتين قديمتين تدخل إحداهما في الأخرى، يطلق عليهما اسم زاوية الشيخ عثمان السطوحي، بحارة الدرب الأصفر بقسم الجمالية بالقاهرة، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٦٦، هامش ٣؛ المرجع السابق، مج. ١٢: ١٤٢.

بقايا من قبته الشاهقة التي كانت مماثلة لقبة خوند زينب بنت أيدكين البندقداري بحكر سيف الإسلام[١].

تصحيح خطأ

وفي بقاء هذا الرباط حتى الآن، تصحيح لما ذكره علي مبارك باشا بشأنه [راجع الخطط][٢].

رد زعم

وقد زعم مكس هرتس بك مدير دار الآثار العربية السابق، أن هذه الربط النسوية بنيت لمماثلة ديارات الراهبات النصارى، وهو زعم باطل يرده قول المقريزي في ترجمة هذا الرباط أن الغرض من بنائه إنما كان لتودع فيه النساء اللاتي طلقن أو هجرن حتى يتزوجن أو يرجعن إلى أزواجهن صيانة لهن، ثم بالتالي لوعظ النساء وتذكيرهن وتفقههن... إلخ[٣].

ويؤيد قوله هذا ما جاء في ترجمته لجامع الأندلس، ورباط ست القصور التي بنته الجهة علم الآمرية للنساء الأرامل والمنقطعات[٤]، وهو نفس ما جاء به كتاب الله تعالى في قوله جل شأنه: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [سورة الأحزاب/آيه ٣٤]؛ فالمراد من البيوت في الآية الكريمة هي هذه الربط أو معاهد التعليم النسوية على أية صورة كانت.

وفي أخبار نساء الصدر الأول من الإسلام ما يشهد لهذا الفعل من تعليم العالمة من النساء للمتعلمة، بل لقد كان لهن في المسجد النبوي مكان مستقل عند الحجرات يصلين فيه ويقمن وتسمية الرواية الإسلامية بالصف [انظر حديث قيلة بنت مخرمة في طبقات ابن سعد ٢-٨٣] وفيه: «أن ابنة حاتم حينما قدمت مع قومها أهل اليمن على حضرة النبي ﷺ، أنزلها في حظيرة بالمسجد، وكان يمر عليها غدوة وعشية».

وروينا في البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة الجزء ٤ في باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء بما علمه الله ليس له برأي ولا تمثيل حدثنا مسددنا أو أعوانه عن عبد الرحمن بن الأصبهاني عن أبي صالح ذكوان عن أبي سعيد، قال:«جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال: اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا، فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله ثم قال: ما منكن امرأة تقوم بين ولدها ثلاثة إلا كان لها حجابًا من النار. فقالت امرأة منهن: يا رسول الله أو اثنين قال: فأعادها مرتين وقال: اثنين اثنين»، فإذا اتضح ذلك بطلت هذه القالة.

(١) المعروفة بزاوية الآبار أو المدرسة البندقدارية، كان موضعها قديمًا يعرف بدويرة مسعود، تجاه المدرسة الفارقانية وحمام الفارقاني، أنشأها الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري الصالحي النجمي في سنة (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م)، وجعلها مسجدًا وخانقاه، ودفن بقبة هذه الخانقاه، وهناك قبة ثانية يرجح أيمن فؤاد سيد أنها لزوجته، وقد تخربت هذه المدرسة وجددها ديوان الأوقاف سنة (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م)، وعرفت من وقتها بزاوية الآبار، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٥٦-٧٦٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٣٦٥، هامش ١؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج.٢: ١٦١؛ المرجع السابق، مج. ٦: ٩، ٤٣-٤٤.

(٢) ذكر علي مبارك أن هذا الرباط قد زال بالكلية، وبُني محله في زمنه الحوانيت المتسعة التي على باب الدرب الأصفر، انظر: المرجع السابق، مج. ٦: ١٥٣.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٩٦.

(٤) المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٨٥٦-٨٥٨.

مسجد تذكار بحكر سيف الإسلام

وأنشأت هذه السيدة نفسها مسجدًا آخر بحكر سيف الإسلام ظاهر القاهرة، وأوقفت عليه حصة من حكر في بر الخليج العربي عرف فيما بعد بحكر العلائي، ذكره المقريزي في كلامه على الحكر المذكور[١].

ويبدو أن هذا المسجد لم يستمر طويلاً حتى دثر، وفي مكانه اليوم المنزل رقم١١ من شارع السيوفية، ويجاوره من بقايا هذا المسجد الزاوية المعروفة بالشيخ محمد العناني، وقد ظهر من كلام المقريزي في ترجمته للمدرسة السعدية والخانقاه البندقدارية، وفي ترجمته لحكر سيف الإسلام أن هذا الحكر هو نفس الشارع المسمى الآن بشارع السيوفية المبتدأ من نهاية خط حدرة البقر حتى مفرق الطرق[٢].

تربة تذكار باي

وأنشأت هذه السيدة نفسها تربة بالقرافة الصغرى وقفت عليها حصة من الحكر المذكور، قال المقريزي: «إنها بالقرب من جامع ابن عبد الظاهر»[٣]، وبالبحث عن هذه التربة في جبانة الفخر الفارسي موضع مكان جامع ابن عبد الظاهر ووجد أنها دثرت من أمد بعيد.

جامع مثقال

وأنشأ الطواشي مثقال خادم الأميرة تذكار باي خاتون ابنة الملك الظاهر جامعًا بالجزيرة الوسطى، لا يزال قائمًا إلى اليوم بالجزيرة غربي النيل ظاهر بولاق، وقد جدده ديوان الأوقاف في سنة (١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م) في عهد الخديوي إسماعيل، ويبدو أنه جدد قبل ذلك التاريخ في عهد العزيز محمد علي باشا حينما شرع هو وابنه إسماعيل كامل باشا، في تعمير هذه الجزيرة [انظر الجبرتي][٤].

كما أنشأ غيره من الأمراء الظاهرية مساجد أخرى بقي منها «جامع عز الدين أيبك الدمياطي» بشارع السد وغيره [انظر مجموعة من الجوامع الظاهرية المندرسة أو المحولة].

الرياضة البدنية والفروسية وأثرها في تكوين الشعوب والأمم

وليس من شك أن للرياضة البدنية أثر كبير فعال في تكوين الأمم والشعوب، وإعدادها للقيام بواجباتها الحيوية والوطنية، فهي تكسب الشباب قوة ومتانة والشيوخ صحة ونشاطًا، والهيئات عزة وعزيمة، والأمة اتحادًا وتعاونًا، ويقول الله تعالى في قصة موسى وشعيب عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص/ ٢٦]،

(١) حكر العلائي: يجاور حكر تكان من بحرية، كان بستانًا جليل القدر ثم حكر، وصار وقفًا لتذكار باي خاتون ابنة الظاهر بيبرس، في سنة (٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م)، أوقفته على الرباط الذي أنشأته داخل الدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس المعروف برواق البغدادية، وعلى المسجد الذي بحكر الإسلام خارج باب زويلة، وعلى تربتها التي بجوار جامع بن عبد الظاهر بالقرافة، وصار بعض هذا الحكر لوقف الأمير سيف الدين بهادر العلائي متولي البهنسا في سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، فعرف بالحكر العلائي، أدرك المقريزي هذا الحكر عامرًا وفيه درب الأمير عز الدين أيدمر الزراق جندار ووالي القاهرة، وخرب هذا الحكر في محن سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ١٣٦-١٣٧، ٤٠١-٤٠٢.

(٢) شارع السيوفية: هو ما بين شارع المظفر تجاه مدرسة السلطان حسن بميدان الرميلة، وانتهاءً بسبيل أم عباس بشارع الصليبية، انظر: المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٦٠١- ٦٠٢، ٧٥٦-٧٦٠؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٥٧.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٠١.

(٤) جامع الجزيرة مطل على النيل بجزيرة الزمالك أسفل كوبري ٦ أكتوبر، وهو مجدد من عهد الملك فاروق. (المراجع)

فدل هذا على أن الرجل القوي محبوب عند الله والناس وهو معنى حديث حضرة النبي ﷺ: «المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف».

ومما لا شك فيه أن هذا هو الحق المفترض الذي تؤيده الشرائع وتقره القوانين، وهذه سنة الله في خلقه، وحكمته أراد الخير لعباده، والرجل الذي لا يعنى بالرياضة البدنية مثله كمثل الماء الراكد، تتولد فيه الميكروبات القاتلة؛ فيبقى غير صالح وتتحول حياته إلى أمراض وأسقام، ويبقى في هذه الحالة خطرًا على الأمة وجرثومة يجب الابتعاد عنها، والرجل الضعيف لا يستطيع أن يؤدي رسالته في الحياة، فلا يتمكن من خدمة بلاده وقيامه بالواجب نحو وطنه، فهو والحالة هذه عبء ثقيل على وطنه ونفسه وإخوانه أينما توجه لا يأت بخير.

ولقد اهتم الفاتحون في صدر الإسلام بفنون الرياضة اهتمامًا كبيرًا ظهر أثرها في فتوحاتهم وحروبهم وليس من شك أن ما نالوه من نصر وأحرزوه من ظفر، إنما كان بواسطة عنايتهم بهذه الفنون، فإنها أوجدت فيهم القوة والشجاعة وخلقت منهم رجالاً أقوياء أصحاء استطاعوا أن يخدموا بلادهم ويرضوا ضمائرهم، ولقد كان من أخص أغراض الرسول ﷺ إيجاد الأقوياء والأصحاء في الأمة، وقد ذخرت كتب السنة بالكثير من نصائحه وأحاديثه في هذا الباب خاصة.

أثر الرياضة البدنية في تكوين الأخلاق

ولا ننسى ما للرياضة البدنية من أثر في تكوين الأخلاق وتهذيب النفوس، وتدريب النشء على الفروسية بطريقة منظمة، وخلق الصفات الكاملة في النفوس، مثال الشجاعة والصبر وبذل الجهد والجرأة واستخدام الفكر، والرجولة الحقة، ورفع المستوى الفكري- ثم الاعتماد على النفس وسعة الصدر.

وتحقق هذه الصفات في النفوس ممكن جدًّا، إذا اتجهت العناية إلى الرياضة منذ الصغر، وبواسطتها تتجلى روح التعاون الوثيق ويظهر التضامن القوي بصورة مكبرة، وتنعدم الأنانية، ونستنكر الذات- فيعمل الفرد للجماعة- والجماعة للفرد، وتنتظم الشئون الحيوية، ويصبح الكل قادرًا على أداء وظيفته في الحياة عن طيب خاطر ومن غير ضجر ولا ملل.

وقد وضع الإسلام للمبارزة التي هي أخص أنواع الرياضة نظامًا محكمًا لم توفق إلى وضعه أمة أخرى، وكما أجاز المبارزة بشروطها المقررة، حث على السباق والجري ومسابقة الخيل وحمل الأثقال والانزلاق، وكل أنواع الفروسية.

وصفوة القول إن الإسلام قد أتى بكل أنواع الرياضة، من سباحة ورماية وصيد وقنص وسباق إلى غير ذلك، ولعل أغرب ما أتى به الإسلام من هذا الفن [المصارعة] التي بلغت في هذا الزمن مبلغًا عظيمًا في الدول فقلما تجد دولة تضرب بسهم وافر من الرقي والحضارة إلا وهذا النوع من الرياضة مقرر لديها وتخصص له النوادي والمساعدات والجوائز المادية والأدبية.

الفروسية في الإسلام

فإذا رأينا الملك الظاهر، قد عني بهذه الفنون الرياضية- وعمل على تشجيعها بكل ما أوتي من قوة وسلطان وكرم

وسخاء، فإنما دل ذلك على بعد نظره وعلو همته واستطاعته بتنفيذ مبادئ الشريعة الإسلامية بدقة ونظام.

ولقد تمكن الظاهر أن يتخذ من هذا الميدان حقلاً تدريبيًّا لإعداد رجولة كاملة تظهر منه بالمظهر الأكمل لخير الإنسانية ولسلامة الوطن، واستطاع بمقدرته الفنية في هذا التشريـع، أن يطبق بطريقة عملية أصول هذا الفن تطبيقًا خلقيًّا أولاً وقبل كل شيء، فأخرج في ظرف وجيز من شباب الأمة وشيوخها- كائنات إنسانية كاملة تمكنت بفضل ذلك الغرس الجني، أن تصد أمـام كل نازلة، وأن تقهر كل جبار تحدثه نفسـه بالاعتداء على حقوق الأمة بقلب ثابت وهمة لا يفلها الحديد، فرحم الله هـذا الجحفل الهمام، وأكرم به من ملك حازم عادل، اسـتطاع أن يقود الأمة إليه ويحيطها به عن حب وإخـلاص ورغبة، لا عن جبروت ورهبة، وقد أفردت سيرته بالتأليف وترجمة أكثر من ألف مؤرخ من يوم أن بدأ نجمه حتى لقي ربه حتى هذا اليوم.

النظام الإداري للحكومة المصرية في عهد بيبرس

وإذا ذكرت الأعمـال الإداريـة في المملكة المصرية فوجـب أن نذكر منهـا ما عمله بيبرس، فإنـه لما انتظم له الملك، أخذ يرتب شـؤون دولته وينظم إدارتها، فبدأ أولاً بتنظيم وسائل الدفاع في المملكة، فأعد جيشًا مزودًا بكل المعدات، ونظم البحرية، وأنشأ دار الصناعة، واستكثر من الأساطيل، حتى كانت الدول المحيطة بالمملكة المصرية آنئذ تتطاول أعناقها إلى الأسطول المصري الذي كان قد بلغ مبلغًا عظيمًا، ما جعل مصر في عهد بيبرس سيدة البحار ومالكة زمامها بحق، وكان لا ينثني له عزم، ولا تفتر له همة في إظهار مملكته في هذه الناحية الحربية خاصة بأسمى المظاهر[1].

ويؤكد المؤرخون أن الملـك بيبرس حينما حاول جمع الاكتتاب العام من عامة المصريين وخاصتهم بإفتاء الشيخ عز الديـن بن عبد السـلام مفتي مصر الأسـبق، للدفاع الوطني، بدأ بنفسـه أولاً، فباع كل مـا يملكه من جواهر وحلي وذخائر ونفائس له ولنسـائه، حتى لم يبقى في خزائنه مما يقـدر ويقوم لا كبيرة ولا صغيرة، ولما بلغ ما تحصل من ثمن ذلك شيئًا كثيرًا؛ ووجد أن الدولة تستطيع سد حاجتها منـه في الدفاع الوطني، رفع الضرائـب التي كان قد فرضها على الشـعب المصري لهذا الغرض، وأبطل الاكتتاب العام بالطريقة الرسمية المقررة.

واعتبر هذا الموقف من بيبرس أروع المواقف المحمودة وأهمها وأعظمها- حتى كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وهو يومئذ العالم المنقطع النظير يجله ويتحدث بشأنه، وكان الملك يخافه ويهابه حتى قال قولته المشهورة عند موته: «الآن استقر ملكي» [انظر طبقات الشافعية للسبكي][2].

وفضلاً عن ذلـك فقد كان بيبرس ميـالاً للخيرات حريصًا على تخليد ذكره بصورة عملية مباشرة اسـتطاع أن تبقى ذكراه ماثلة في الأذهان على ممر الأجيال وتعاقب السنين، فأكثر من المنشآت والعمائر في مصر والشام مما سنبينه.

(١) عن إصلاحات بيبرس الإدارية، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٣٢٣.

(٢) المرجع السابق: ٣١٨.

ولما حج في سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) أمر بعد إيابه من الحج بتجديد المسجد النبوي والحرم المكي، ولا يزال طابعه على هذه الآثار المقدسة ماثلاً[(١)].

ويمكن تصوير همة الملك بيبرس وسداد رأيه في هذه المنشآت التي أنشأها وذلك بالنظر إلى ضخامتها وبلوغها مبلغًا معماريًّا لم ير في كل ما تقدمه من عمارات سلفه، وها هو جامعها الذي بقي حافظًا له تلك الذكرى الخالدة ما شاء الله- شاهد عيان لذلك، فإن الناظر إلى هذا الجامع لأول وهلة يحسبه حصنًا أو معقلاً، ولهذا فقد اتخذ هذا الجامع في يوم ما «قلعة»، وما ذلك إلا لمتانته وحصانته، كما يبدو من المذكرة التاريخية التي يحملها هذا الأثر لهذا الملك العظيم[(٢)].

ويظهر من بيبرس أنه كان معتنٍ بتربية أولاده تربية صحيحة، فقد غرس فيهم الفضائل، وأنمى فيهم حب الخير والفضيلة بصورة مكبرة، فقد رأينا لابنته تذكار باي آثارًا من فعال الخير لا زالت ماثلة للعيان تشيد بذكرها إلى الآن، كما أن ابنه سلامش لا يزال من معالم القاهرة ما يحمل اسمه إلى اليوم «انظر المدرسة الكهارية»[(٣)]، وسنذكر منها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

وبالجملة فلم تنجب مصر في ذلك العصر ملكًا كهذا الملك، مات بيبرس بدمشق في يوم الخميس ١٨ من المحرم سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، وتولى بعده ابنه السعيد محمد بركة خان، ثم ابنه العادل سلامش، وكلاهما كان صغيرًا، عين عليهما وصيان هما الأمير بيلبك الخازندار نائب السلطنة[(٤)]، والأمير سيف الدين قلاوون الألفي الذي آل إليه ملك مصر بعد، وتأسست بعده الدولة القلاوونية.

أولاد الملك الظاهر

وخلف الملك الظاهر من الأولاد الذكور أربعة:

محمد بركة خان: أمه بنت الأمير بركة خان، تولى الملك بعد أبيه ولقب بالملك السعيد ناصر الدين، وبقي إلى ربيع الآخر من سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)، فخلعه صهره الأمير سيف الدين قلاوون وعينه حاكمًا لولاية الكرك، فما لبث أن مات

(١) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٩٤.

(٢) المرجع السابق: ١٦١، هامش ٢؛ الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٣: ٥٦؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ١٠٣-١٠٤.

(٣) المدرسة الكهارية: بدرب كركامة بالقرب من الجوذرية، على يمين السالك من الفحامين والغضاريين إلى طواحين الملحيين، وهي دار للشيخ عدي الملك وكيل المأمون البطائحي، ثم انتقلت ملكيته إلى الست الجليلة كهار خاتون واسمها حبيبة ابنة الأمير جمال الدين محمود بن جاكر، وكانت زوجة الأمير الأسفهسلار الكبير فخر الدين عثمان بن قزل استادار الكامل محمد، فوقفتها على الشافعية سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)، وقد احترقت هذه المدرسة في أحداث واقعة الكنائس زمن الناصر محمد سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م)؛ حيث ضبط راهبين خارجين منها بعد صلاة العشاء = وقد أشعلوا فيها النار، وقد حل محلها الآن الجامع المعروف بجامع الجودري بحارة الجودرية المتوصلة إلى جامع بيبرس الخياط، وقد جدد هذا الجامع الشيخ أحمد منة الله المالكي سنة (١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م)، انظر:المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٢٤؛ المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٦٧٨، هامش ٥، ١٠٧١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٦٧، هامش ٣؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٣: ١٧٨؛ المرجع السابق، مج. ٦: ٦٤.

(٤) بدر الدين بيلبك الخازندار: كان مملوكًا للظاهر بيبرس قبل سلطنته، فلما صار سلطانًا خلع على مملوكه وأقامه في نيابة السلطنة في سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، وتولى لبعض الوقت النيابة بالمشاركة مع عز الدين أيدمر الحلي حتى سنة (٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م)، ولما مات بيبرس في دمشق كان بيلبك معه فكتم خبر موته، وسار إلى مصر، وهناك أعلن وفاة السلطان ومبايعة ابنه الملك السعيد، والذي أقره في نيابة السلطنة، فلبث قليلاً حتى مات في سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، وقيل أن بركة خان دس إليه السم، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٥٥٧، ٥٦٧-٥٦٨، ٥٧٠، ٦٤٨؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١: ١١٠-١١٢.

في هذه السنة، وفي سنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) نقل إلى جانب أبيه بالتربة الظاهرية[١]، وتزوج من بنت الأمير قلاوون المدعوة خاتون وهي أخت الأشرف خليل، توفيت في سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)، ودفنت بتربة أم الصالح علاء الدين[٢].

سلامش: أمه أم ولد، أي مستولدة لأبيه، ولي الملك بعد خلع أخيه وعمره سبع سنوات؛ وأقام نفسه بمشاركة آخر وصيًّا عليه، فلبث إلى رجب من سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م) ثم خلعه وسيره إلى أخيه، ثم رده ثانية فبقي محجورًا عليه حتى مات المنصور، فلما تولى الأشرف جهزه هو وأخوه المسعود نجم الدين خضر إلى بلاد الأشكري، وهي المدينة البيزنطية «إستانبول»، فظل مقيمًا بها حتى مات في سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) عن ٢٠ ربيعًا، وكان يوصف بالجمال المفرط وضرب بجمال ثغره المثل.

ولما خلع العادل سلامش ونجحت عملية قلاوون بما قدمه من تمهيدات لا يضارعه فيه مضارع، صفا له الجو من حينئذ فتمت كلمة ربك وتولى الملك قلاوون؛ أسس دولة أنجبت ملوكًا كانوا مضرب الأمثال، وكانت له دولة فاقت على كل الدول واستطاعت أن تبقى في الحكم سنوات كثيرة، ثم دالت دولتها وقامت الدولة الظاهرية الثانية[٣].

المسعود نجم الدين خضر: كان في حياة والده حاكمًا لولاية الكرك؛ ثم انتزعها منه المنصور قلاوون في سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، وعينه في سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) حاكمًا لولاية الشوبك وأعمالها، ولم يكن هذا التعيين من المنصور مقصودًا به غاية سامية، بل كان مراد المنصور تقديم دليل على أنه سليم النية نحو أبناء أستاذه ومليكه، لكن هذا التمويه لم ينطل على شيعة الخضر وحزبه، وقد ظهرت نتيجته حينما أسرع في استقدامه إلى مصر إثر تعيينه محتجًّا بأنه بلغه عنه ما يكره، وقد كان للخضر هذا عند والده المكانة العالية والمحبة الزائدة، فقد بالغ المؤرخون في وصف الحفل الذي عمله لاختتانه في سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) بما يظهر معه ذلك.

أنس وعمر: وكلاهما مات في حياة والده في سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م)، (٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م) ودفنا بقبة الخليفة العباسي التي أنشأها له والده في حوالي سنة (٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م)، وقرأنا على قبريهما مذكرات تاريخية تبتدئ بآي الذكر الحكيم ثم تنتهي بما نصه: الأول:

هـــذا قبر الطفل الشـــهيد أنس بـــاي ولد أبي الفتح بيبرس الصالحي قســـيم أمير المؤمنين . وكانت وفاة

(١) السلطان الملك السعيد بركة (قان) ابن السلطان الملك الظاهر بيبرس الصالحي: توفي بالكرك سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)، ودفن بتربة والده بدمشق بالمدرسة الظاهرية المعروفة بدار العقيقي، تسلطن في حياة والده سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م)، ثم انفرد بالسلطنة لمدة سنتين وخطب له بعد وفاة والده بيبرس في سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، انظر: ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، مج. ١: ٥٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٢٥٩؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٦٤١-٦٥٦؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٧٧٠.

(٢) ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ١٢٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٢٧٢.

(٣) الملك العادل بدر الدين سلامش: حكم مصر ثلاثة أشهر في سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)، وكان له من العمر سبع سنين، وتولى قلاوون الأتابكية على أن يكون له أمر العسكر وتدبير الممالك، ثم أقاله وتولى الحكم عوضًا عنه، وسجنه هو وأخوه خضر، ثم نفاهما الأشرف خليل للقسطنطينية في سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، انظر: ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، مج. ١: ٦٦، ١٠٢، ١٤٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٢٨٨؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٦٥٦- ٦٥٨؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٧٧٠.

الطفل الشهيد سابع ذي الحجة سنة أربع وستين وستمائة . رحمه الله تعالى ورحم المسلمين أجمعين.

الثاني:

هذا قبر الطفل الشهيد عمر بن مولانا السلطان الملك الظاهر العالم العادل ركن الدنيا والدين أبي الفتح بيبرس الصالحي قسيم أمير المؤمنين . وكانت وفاة الطفل الشهيد في ربيع الآخر سنة ثمان وستين وستمائة.

وله من الإناث تذكار وخديجة، والأولى تأخرت وفاتها إلى نصف القرن الثامن، فيبدو أنها كانت حين توفي والدها صغيرة لا تبلغ العشرين، ولها آثار من فعل الخير والبر سنذكرها بعد، وأعرف بالقاهرة أسرة تدعي النسب إليه وتعرف بأسرة بيبرس، بيد أني لم أتحقق من صحة دعواها.

عمران جزيرة الروضة

يعتبر الملك الظاهر بيبرس من ملوك مصر الذين عنوا بجزيرة الروضة واهتموا لها وأولوها عنايتهم فقد ثبت عنه أنه جدد فيها عدة متجددات، ولعل الدافع الأول له على عمران هذه الجزيرة كان بوصف أنه ربي فيها وتنعم بهوائها العليل ونسيمها الساحر، وقد كانت جزيرة الروضة زمن الفتح الإسلامي منطقة حصينة يقابلها في الناحية الغربية من سيالة الروضة الآن الحصون الشرقية الواقعة في أرض الفسطاط والمعروفة باسم بابليون، فلما تغلب فاتح مصر الإسلامية عمرو بن العاص على الحصون الشرقية في الفسطاط لجأ المقوقس «قيرس» إلى جزيرة الروضة واعتصم هو وقومه بالحصون التي كانت قائمة فيها فاضطر عمرو بن العاص إلى مهاجمتها، وقد تخربت بعض أبراجها وأسوارها، وباستيلائه على حصون الروضة تم له فتح مصر فأخذ أصحاب رسول الله ﷺ يشيدون العاصمة الأولى حول فسطاط عمرو[1].

وبنى أحمد بن طولون في الروضة حصنًا «قلعة» لإقامة الجند، ثم كان فيها «دار الصناعة لتشييد السفن الحربية والتجارية وسفن الرحلة والنزهة»، ودام الحال على ذلك إلى زمن الإخشيد محمد بن طغج، فنقل دار الصناعة إلى ساحل الفسطاط، وأنشأ في مكان دار الصناعة من ساحل الروضة بستانًا سماه «المختار»، وبنى فيه قصرًا له ولغلمانه، وكان يفاخر به أهل العراق، وبقي هذا القصر وبستانه إلى زمن المعز الفاطمي وابنه العزيز[2].

ولما تولى الأفضل ابن أمير الجيوش الوزارة للآمر بأحكام الله أنشأ في شمال هذه الجزيرة مكانًا متنزهًا سماه «الروضة» وبنى فيه المناظر البديعة[3].

ومن ذلك الحين عرفت الجزيرة كلها بالروضة، وكانت تسمى قبل ذلك «بالجزيرة»، وجزيرة مصر، وجزيرة الفسطاط؛ ثم جزيرة الصناعة، ثم جزيرة الحصن واشتهرت إلى عهد قريب باسم جزيرة المنيل على اسم قرية في غربها الشمالي تقابل قصر الأمير محمد علي الآن[4].

---

(١) المرجع السابق، مج. ٢: ٦-١٠؛ المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٥٦٨.
(٢) المرجع السابق: ٥٧٢-٥٧٧؛ السيوطي، **كوكب الروضة**: ١١٥-١١٦.
(٣) المرجعين السابقين، مج. ٤، ج. ٢: ٥٧٨؛ ١٢١.
(٤) لم يرد ذكر لقرية بهذا الاسم في هذا المكان، انظر: محمد رمزي، **القاموس الجغرافي للبلاد المصرية: من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥**، مج. ٢، ج. ٣، **البلاد الحالية: مديريات الجيزة وبني سويف والفيوم والمنيا** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤): ١٩-٢٠.

وبعد قتل الأفضل بن أمير الجيوش في سنة (٥١٥هـ/ ١١٢١م) أنشأ الوزير المأمون البطائحي منظرة في هذه الجزيرة بقيت إلى آخر أيام الدولة الفاطمية، وبنى الآمر بأحكام الله في هذه الجزيرة قصرًا على النيل بجوار البستان المعروف بالمختار سماه «الهودج»، وأسكن فيه زوجته «الغالية»، وبينما كان في طريقه إلى قصر الهودج قادمًا من القاهرة المعزية في اليوم الرابع من ذي القعدة سنة (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م) وثب عليه قوم من النزارية عند اجتيازه الجسر الذي يعرف بكوبري الملك الصالح اليوم فقتلوه، فحمل من ثم إلى منظرة اللؤلؤة بشارع بين السورين فاقد النطق وما لبث أن مات، ويقول المقريزي: «إن الهودج بقي متنزهًا للخلفاء الفاطميين بعد الآمر إلى أن خرب وجهل مكانه من الروضة»[١].

وفي سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) آلت جزيرة الروضة بالشراء الشرعي من بيت المال إلى الملك الظاهر تقي الدين عمر الأيوبي ابن أخ الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب المتوفى سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) بخلاط، ونقل منها إلى حماة فدفن بتربة بناها له ابنه المنصور[٢]، وهو الذي تنسب إليه المدرسة التقوية- بالفسطاط- التي كانت في الأصل قصرًا للأميرة تغريد أم الخليفة العزيز بالله، وكانت تعرف بمنازل العز، وهي التي تعرف الآن بجامع شهاب الدين المرحومي [انظر ترجمة هذا الجامع][٣].

وفي سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) أمر الملك الناصر حسن ابن محمد بن قلاوون بتنفيذ مشروع أخيه الملك المظفر في بناء الجسر فيما بين الروضة والجيزة، فشرع في بنائه في شهر المحرم من هذه السنة إلى سلخ ربيع الآخر، وبلغت النفقة عليه مبلغًا جسيمًا جمعتها الحكومة المصرية من ضرائب افترضتها على الأهالي شملت جميع الطبقات والأماكن حتى بيوت الله حتى المرأة العجوز التي لا تبلغ قوت يومها إلا بشق الأنفس «انظر المقريزي»[٤].

وبنى الأمير منجك اليوسفي[٥]، جسرًا آخر يصل الروضة بالجزيرة الوسطى «أرض الجزيرة» غربي النيل

(١) ابن ميسر، **المنتقى من أخبار مصر**: ٧٠، ٩٠؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٥٨٠، هامش ٤؛ المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٥٧٨-٥٨١.

(٢) الملك المظفر تقي الدين أبو سعيد بن نور الدين شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان، هو ابن أخو صلاح الدين يوسف بن أيوب، قدم إلى القاهرة، واستنابه السلطان على دمشق سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، ثم نقله إلى نيابة حماة، وسلم إليه سنجار لما أخذها في سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، ولحق بالسلطان على حلب سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)، فبعثه نائبًا على مصر عوضًا عن العادل أبي بكر، وأنعم عليه بالفيوم، وخرج بعساكر مصر إلى السلطان سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، لأخذ الكرك، ثم أقر على حماة وميافارقين، مات في نواحي خلاط سنة (٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، ونقل إلى حماة فدفن بها في تربة بناها على قبره ابنه المنصور محمد، انظر: المرجع السابق: ٤٥٧- ٤٥٨.

(٣) مدرسة منازل العز: كانت من دور الخلفاء الفاطميين، بنتها أم الخليفة العزيز بالله بن المعز، وكانت تشرف على النيل، وصارت معدّة لنزهة الخلفاء، وممن سكنها حسين بن حمدان إلى أن قتل، وكان بجانبها حمام يعرف بحمام الذهب من جملة حقوقها، وبها سكن المظفر تقي الدين عمر، ثم اشتراها والحمام والإسطبل المجاور لها من بيت المال سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م)، وأنشأ فندقين بمصر بخط الملاحين، وأنشأ ربعًا بجوار أحد الفندقين، واشترى جزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة، فلما أراد الخروج للشام، وقف منازل العز على فقهاء الشافعية، ووقف عليها الحمام وما حولها، وعمر الإسطبل فندقًا عرف بفندق النخلة ووقف عليها، ووقف عليها الروضة، وبها درس شهاب الدين الطوسي، وعماد الدين السكري، انظر: المرجع السابق: ٤٥٦-٤٥٧؛ السيوطي، **كوكب الروضة**: ١٣٠-١٣٣.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٥٥٨-٥٦٠.

(٥) منجك اليوسفي أو سيف الدين منجك السلاح دار: تنقل في خدمة الناصر محمد حتى رتب السلاح دار، ثم كان هو الذي أحضر رأس الناصر أحمد، ومن حينئذ أمر واشتهر وتردد إلى الشام في المهمات، ثم استقر حاجبًا بدمشق في رجب سنة (٧٤٨هـ/ =

تجاه بولاق[١]، وأنشـأ الأمير جهاركـس الخليلي أمير أخور الظاهـري في سـنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م) جسرًا كبـيرًا بنهاية الجزيرة من الغرب ليصل به الروضة بالجزيرة الوسطى[٢].

وهكذا بلغت العناية بهذه الجزيرة في كل ما مر عليها من عصور وكر عليهـا من دهور، مبلغًا عظيمًا، وقد كانت هـذه الجزيرة في كل عصورها منتزهًا عامًّـا ومصيفًا فاخرًا يقصده عظماء القاهرة وملوكها وعلماؤها وأعيانها للتمتع بمناظرها واستنشاق نسيمها العليل وهوائها اللطيف، وقد لزم الإقامة فيها الإمام السـيوطي فلـم يبرحها حتى مات، وسـكنها العالم الصوفي الشيخ علي بن محمد وفا المتوفى سنة (٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، كما سكنها غيره[٣].

قصر العيني

وأنشـأ الشهابي أحمد بن عبد الرحيم بن محمود العيني الظاهري، سـبط الملك الظاهر خشـقدم، وحفيد العالم المشـهور بدر الدين العيني؛ قصرًا فخمًـا في طرف الجزيرة من الشـمال الشرقي[٤]، تجاه منشأة المهراني في سنة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)، ويوصف أنه كان لا يعادله قصر آخر، تناهى المنشئ في زخرفتـه وتنميقه حتى تعالى على جميـع قصور القاهرة ومصر، وقد سـكن به المنشـئ طوال أيام عزه؛ فلما أفل نجمه بدأ هذا القصر يتلاشى، ثم ما لبث أن اختفت معالمه وتغـيرت أوضاعه حتى لم يبق منه غير الأثر، بعد أن اتخذه الأشرف قايتباي مجلس سـمر له ومحـل نزهة وكان يرتاده كثيرًا سـيما في أيام الحرور، وسكن فيه جماعة من الأتراك في العصر العثماني، آخرهم إبراهيم أغا المسـلماني الحاجب وبه عرف القصر[٥].

= ١٣٤٧م)، ثم أعيد واستقر وزيرًا أو أستادارًا في شوال من السنة، فباشر بحرمة ومهابة وتمكن من الدولة، وكان بيبغا روس نائب السلطنة أخوه، وأبطل ديوان العمائر جملة، وكان الناصر استجده، وغير ولاة الأعمال، وفتح باب الأخذ على الولايات والنزول على الإقطاعات، لكن على ترتب ذلك من المفاسد، فحصل من ذلك مالاً كثيرًا جدًّا، ووصل الأوباش إلى المراتب، واستقر العوام وآحاد الباعة في الجندية، فتلاشى أمر أجناد الحلقة بسبب ذلك، وصرف عن الوزارة مرة، وأعيد بعد أربعين يومًا، ثم قبض عليه بعد سفر أخيه إلى الحجاز، وسجن بالإسكندرية، ثم أفرج عنه بعد، وأعيدت له أملاكه، واستقر أمير ألف، فلما كانت كائنة بيبغا روس اختفى، ثم قبض عليه من مطمورة في دار أستاداره، فسجن بالإسكندرية سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م)، ثم أفرج عنه وسار إلى صفد بطالاً في ربيع الآخر سنة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م)، ثم استقر في نيابة طرابلس، ثم ولي حلب سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م)، ومات في سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، انظر: شمس الدين الشجاعي، **تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده**، تحقيق بربارة شيفر، مصادر تاريخ مصر الإسلامية؟ (فسبادن: دار فرانز شتاينر، ١٩٧٨): ٢٦٩- ٢٧٠؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ٣٦٠- ٣٦١؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٩٦- ٣٠٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٨٩، ١٩٣، ١٩٥، ٢١٧- ٢١٩؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ١٤٨- ١٤٩.

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٥٦١.

(٢) سيف الدين جهاركس الخليلي اليلبغاوي: توفي سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٩م) ظاهر دمشق على يد يلبغا الناصري نائب حلب الذي شق عصا الطاعة على الظاهر برقوق، وترك عاريًا ملقى على الأرض مكشوف السوءة عقوبة من الله على رميه لعظام الأموات بالمقبرة التي بنى في مكانها الخان المعروف باسمه بالقاهرة، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ٦٨٥؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣١٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٣٨٣.

(٣) الشعراني، **الطبقات الكبرى**: ٣١٩-٣٢١.

(٤) الصحيح أنه شمال شرقي جزيرة الروضة وتجاهها وهو موضعه الحالي، وقد هدم القصر المذكور منذ حوالي ربع قرن وتجدد مكانه مستشفى جديد. (المراجع)

(٥) قتل إبراهيم أغا بيت المال المعروف بالمسلماني في المحرم من سنة (١١٩٥هـ/ ١٧٨١م)، عندما قبض عليه إبراهيم بك دون أن يعرف السبب، حيث ضربه بالنبابيت حتى مات وأمر بإلقائه في بحر النيل، ثم استخرجت جثته بعد ذلك بعدة أيام في شبرا، فغسل وكفن، انظر: الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٢: ٨٦.

ولما دخلت الحملة الفرنسية إلى مصر في سنة (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م)، اتخذه أطباء الحملة دارًا لعلاج مرضاهم وجرحاهم، وفي سنة (١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م) خربه العسكر الفرنسيون رأسًا على عقب، وأخذوا أخشابه ونقضوه حتى لم يبق منه كما يقول الجبرتي: «ولا الجدران»[١].

فظل كذلك حتى سنة (١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م) فأمر العزيز محمد علي باشا بتجديده وتعميره على النظام العثماني، ثم عهد إلى المسيو أنطوان برتلمي كلوت المعروف بكلوت بك أن يتخذ منه مقرًّا لمدرسة الطب ومستشفى للعلاج، فاتخذ منه المذكور قسمين: قسم للرجال أطلق عليه قسم صحة الرجال، وآخر للنساء، وفي سنة (١٢٤١هـ/ ١٨٢٦م) أمر محمد علي باشا بأن يتخذ من هذا القصر جناح لمدرسة الجهادية الحربية التي أنشأها في هذا التاريخ، إلى جانب مدرسة الطب فبقيت به حتى سنة (١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م)، ثم نقلت منه إلى أبي زعبل، وبقي القصر مستشفى عامًّا ودارًا عموميًّا للعلاج حتى اليوم، ولما ضاق بالمرضى اضطرت وزارة الصحة لإنشاء أجنحة أخرى على مقربة منه، فأنشئت جملة مشافٍ ودور للعلاج «انظر كتابنا الطب الإسلامي»[٢].

والعيني المنسوب إليه هذا القصر- هو شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم بن بدر الدين محمود العيني- وأمه هي بنت الأمير أبرك الجكمي وأمها شكر باي الناصرية- جركسية الأصل، كانت من سرايا الملك الناصر فرج، فأعتقها فتزوجت الملك الظاهر خشقدم، وهو إذ ذاك أمير- فلم تلبث معه حتى طلقها- فتزوجت بعد بالأمير المذكور، وظلت معه حتى مات، عن ولد وبنت، فتزوجها الظاهر خشقدم مرة ثانية، وكفل ولديها ورباهما حتى كبرت البنت، وتزوجت بابن البدر العيني وخلفت منه الشهابي أحمد ولم يتزوج عليها حتى ماتت في عصمته سنة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م).

فلما تولى الملك الظاهر خشقدم حكم مصر وصار ملكًا عليها- قرب الشهابي أحمد إليه وأغدق عليه نعمه، وأنعم عليه بتقدمة ألف ثم عينه أمير أخور كبيرًا ثم أمير مجلس، وصار كما يقول ابن إياس: «هو صاحب الحل والعقد في تلك الأيام، وعلت منزلته علوًّا كبيرًا».

وما برح يتقلب في النعم حتى أذهب الله بدولة الظاهر خشقدم، وحلت محلها دولة الأشرف قايتباي فابتدأ يضطهده خوفًا من سطوته وشيعته، فقبض عليه ثم سجنه واستصفى أمواله وعذبه بأنواع من العذاب المؤلم حتى قاسى الشدائد والمحن، وأفضى به الأمر أخيرًا إلى هجرته من مصر إلى الحجاز بعد وفاة الملك الأشرف قايتباي- إثر الإفراج عنه، ولم يعد يتحمل البقاء في مصر سيما بعد وفاة ولده الناصر محمد بن العيني، فسافر إلى مكة، وبقي بها متقاعدًا متنقلاً بينها وبين المدينة حتى مات في سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)، وبلغ السلطان الغوري خبره، فأرسل في هذه السنة رسولاً يحضره إلى مصر، فلما دخل المدينة وجده قد مات، ترجمه ابن إياس في تاريخ مصر، والسخاوي في الضوء اللامع، وهو إذ ذاك حي وقد أطال في ترجمته[٣].

عناية الحكومة المصرية بجزيرة الروضة

وقد توجهت أنظار أولي الأمر من وزارة الأشغال إلى الروضة اتجاهًا جديًّا فأصلحوا منها جانبًا كبيرًا، حتى

(١) الجبرتي، المرجع السابق، مج. ٣: ٣١٦.

(٢) أ. ب كلوت بك، **لمحة عامة إلى مصر**، ترجمة محمد مسعود، مج. ٢ (القاهرة: دار الكتب الخديوية، د.ت.): ٦٢٩-٦٣٠.

(٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١: ٣٤٥-٣٤٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٤٢٥، ٤٧٣؛ المرجع السابق، مج. ٣: ١٠؛ المرجع السابق، مج. ٤: ٥٧.

انتظمت وعادت إلى شبه حالتها الأولى، ومنذ سنوات قليلة أقامت حائطًا لطيفًا وحواجز حجرية لشارع النيل على ضفة النهر الكبير من جسر الروضة المعروف بكوبري عباس الثاني إلى جنوب الجزيرة، وأنشأت على النيل الكبير بنهاية أرض السادات سلمًا من حجر مزدوجًا ينحدر إلى النيل، ووضعت مشروعًا لانتزاع ملكية بعض المباني القائمة بالجزء الجنوبي من الجزيرة لتحويله إلى متنزه عام.

أما الجانب الشمالي من الجزيرة فقد كان في زمن العزيز محمد علي باشا بستانًا عظيمًا أنشأه لولده الخديوي إبراهيم باشا، وبنى به قنطرة بقيت آثارها إلى عهد غير بعيد، وقد أدخل سمو الأمير محمد علي باشا هذا البستان في قصره، ثم تتابع أمراء دولته إنشاء القصور والبساتين بهذه الجزيرة حتى كثر عمرانها في عهده، بيد أنه لم يدم طويلاً حتى تطرق إليها الخراب لهجرتها، فلما أعادت الحكومة إنشاء الجسور «الكباري» الثلاثة بينها وبين الفسطاط والجيزة، وبين المنيل وبين منشأة المهراني ومنشأة المكتبة، وبستان الخشاب- وهي التي يعرف أولها بكوبري الملك الصالح، ثم كوبري عباس والثالث كوبري محمد علي، ابتدأ العمار يعاودها مرة أخرى فأقبل الناس على البناء فيها.

وفي سنة (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م) بنى الأمير محمد علي- ولي العهد بالمملكة المصرية- قصره العظيم في هذه الجزيرة مقابل قرية المنيل، وهو قصر شاهق فسيح الأرجاء، روعي في بناء بابه ومدخله النظام المغربي على طراز جامع الحلوي لتأثر الأمير به عندما حل ركبه بمدينة تلمسان في سنة (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)، وبنى في مؤخره جامعًا جميلاً على النيل جمع إلى الطراز المغربي في مئذنته المربعة وإلى الطراز العثماني في سقفه، وأنشأت فيها منذ أعوام مصلحة مباني الحكومة مبنى مستشفى فؤاد الأول، في بقية أرض بستان إبراهيم باشا من حد خرطوم الجزيرة الشمالي، ممتدًا إلى مقابل قصر الأمير من الزاوية الغربية، وفي أواسط هذه الجزيرة قصر علي باشا شريف ويتصل به أرض زراعية واسعة المساحة ينتظر أن تعرض للاستبدال، ويبنى عليها مبان جديدة ليكمل عمار أواسط الجزيرة كما ملأ العمران شمالها وجنوبها.

شوارع مستجدة بالروضة

وقد سمت مصلحة التنظيم بهذه الجزيرة جملة مسميات ترتبط بماضيها، وقد وفقت في البعض منها والبعض الآخر لم تضعه في محله، مثال ذلك: سمت الميدان الواقع في أواسط القسم الجنوبي من شارع المنيل؛ بميدان المماليك البحرية، وسمت شارعًا يخترق شاطئ الجزيرة من جهة الغرب إلى شاطئها الآخر الشرقي، بشارع المماليك البحرية.

وأطلقت على شارع ممتد من جسر أو كوبري الملك الصالح الممتد بين هذه الجزيرة وبين دار النحاس وشارع عمرو بشارع الملك الصالح، وأطلقت على شارعين بين الشاطئ الغربي من الجزيرة وبين شارع المنيل «شارع المقياس وشارع الإخشيد»، وسمت المنطقة الشارعة في شرقي المنيل «شارع دار الصناعة»؛ كما سمت شارعًا على المنيل بشارع المظفر، ومجموعة هذه الشوارع كلها ممتدة بين الشمال والجنوب من الجزيرة، ويخترقها من الشرق إلى الغرب شارع أطلقت عليه «شارع المختار».

جامع مؤنسة خاتون (المدرسة القطبية)

جامع أثري رقم ٤٨ (سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م)

هذا الجامع بنهاية شارع خان أبو طاقية «خط باب سر المارستان سابقًا»، حيث الرحبة التي عرفت فيما مضى برحبة كوكاي من حقوق حارة زويلة[١]، يعرف بجامع محب الدين أبي الطيب نسبة إلى ناظره[٢]، وهذه التسمية حديثة منذ عهد قريب كما يبدو من كلام معاصره علي مبارك باشا[٣]، وهو مذكور في خطط المقريزي باسم المدرسة القطبية، وقد وضعه في هذه المنطقة وجعله من حقوق حارة زويلة أي حارة اليهود؛ وظهر مما وضحه أن المقصود بها حارة اليهود القرائين الذين يسكنون في آخر حارة زويلة من جهتها الشمالية بنهاية شارع الخرنفش، وهو على هذا الوضع إلى اليوم بيد أن مجموعة من المباني طغت على الجزء الواقع في غربي وبحري هذه المدرسة فقطعت المرور بينه وبين الحارة المذكورة.

والتي أوصت بإنشاء هذه المدرسة في سنة (٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م) هي الأميرة عصمة الدين مؤنسة خاتون المعروفة بالقطبية ابنة الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب، وشقيقه الملك الأفضل قطب الدين أحمد، والأميرة درية خاتون والدة الشيخ علي الرفاعي، وصفية خاتون صاحبة حلب وغيرهم، وهي التي كانت تسكن بقاعة ست الملك بنت العزيز بالله الفاطمي التي آلت بعد زوال الدولة الفاطمية إلى دار للسكنى، سكنها أخيرًا الأمير فخر الدين جهاركس ثم الأمير إقبال العلائي، ثم حولت بعد إلى المارستان المنصوري، وتوصف المنشئة لهذا المسجد بأنها كانت عالمة فاضلة سمعت الحديث من الحافظ أبي العباس أحمد بن محمد الظاهري المتوفى سنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م) بالقاهرة، وخرج لها جزءًا في أحاديث ثمانيات حدثت بها، وما برحت كذلك حتى توفيت في شهر ربيع الآخر سنة (٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م)، وأوصت قبيل وفاتها ببناء هذه المدرسة وأوقفت عليها أوقافًا واشترطت أن تخصص للشافعية والحنفية[٤].

---

(١) رحبة كوكاي: بحارة زويلة، عرفت بالأمير سيف الدين كوكاي السلاح دار الناصري توفي سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)، ويسلك إليها من الخرنفش، انظر: المرجعين السابقين، مج. ٣: ١٥٨، هامش ٢؛ مج. ١٠: ٢٤١.

(٢) الشيخ محمد بن عبد الكافي بن عبد الله بن أبي العباس أحمد بن علي بن محمد محب الدين، وربما لقب شمس الدين أو الطيب بن الجمال الأنصاري العبادي البنمساوي، نسبة لقرية ببنمسوية الشهيرة ببني سويف، وإليها نسب بالسويفي القاهري، نزيل القطبية، الشافعي، ولد في (٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م) بالقاهرة، حفظ القرآن عن الشمس القاياتي، والشهاب بن البدر الحنفي، والصلاح البلبيسي، مات بالقاهرة سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، انظر: السخاوي، الضوء اللامع، مج. ٨: ٧٣.

(٣) أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ١: ١٩- ٢٣.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢:٥٦٩.

والمؤكد أن هــذا الجامع هو نفس المدرســة القطبية المذكورة لتطبيق هذا الوصف على مــا ذكره المقريزي أولاً، ثم لما جاء في حجة الملك الأشرف برســباي بشــأنها، وهي غير المدرســة القطبية الأخرى الســابقة عليها التي بدرب الحريري حارة الملطي رقم (...) من شارع الحمزاوي [انظر هذه المدرسة][1].

وقد رأينا في بعض المصــادر الحديثة القول بأن هذه المدرســة من منشــآت العصر العثماني المتأخر، وهو قول ينقضــه الدليل العلــمي الصحيح، وقد قيل اســتنادًا على رواية لبعض المستشرقين الذين خبطوا في هذه المعالم خبط عشواء.

وصف هذا الجامع

وقد تــوالى على هذا الجامع التخريــب، لكنه بالرغم من ذلك لا تزال منه بقيــة أهمها إيوانه الشرقي، وهو الجزء المتخلــف من آثار هذه المدرســة، ونــرى في منبره المطعم بالصدف وســقفه بســماواته ومحرابه الرخام الدقيق بعض المحافظــة على شــكله، وكذلك نرى في واجهتــه ومدخله تغيرات زمنية بعض الشيء، أمــا ميضأته والإيوان الغربي وأرضيتــه وصحنه ومســاكنه فكلها متخربــة، وهو مقام الشعائر للجمعة والجماعات.

(١) المرجع السابق: ٤٦٨.

جامع البقلي (الخانقاه السعيدية)

أثر رقم ١٥٦ (سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)

بشارع البقلي قسم الخليفة (القبيبات أو سويقة البقلي سابقًا) جنوبي القاهرة، أنشأ هذه الخانقاه الملك السعيد بركة خان بن الملك الظاهر بيبرس في سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، بعد إنشائه للميدان، للشيخ علي البقلي الأحمدي الذي عرفت به إلى اليوم[١]، وهذا ما يثبته النص التاريخي الذي يحمله ضريح الشيخ علي المذكور فيه ما يلي:

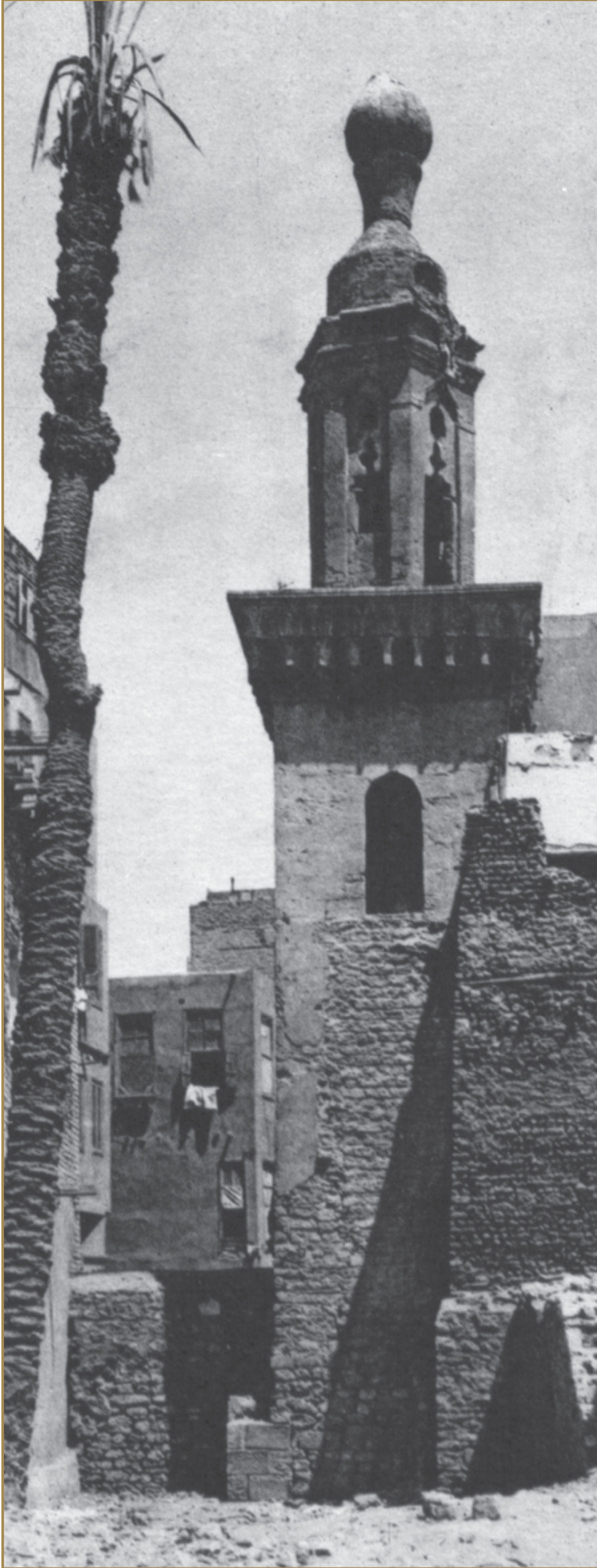
كل من عليها فان. هذا ضريح الشيخ الصالح الورع الزاهد العابد المجذوب عن رسول الله الشيخ علي البقلي المجذوب لرسول الله. توفي إلى رحمة الله تعالى في شهر جمادى الأولى في سنة ست وتسعين وستماية غفر الله له

وقد عمد مهندس هذا الأثر إلى تسقيف أواوينه الأربع بقباب صغيرة معقودة، وهذا مأتى تسمية الأثر بجامع القبيبات وقد تعدى هذا الاسم إلى الخط، وقد تخلف في هذه الخانقاه المئذنة المربعة ذات القمة الأسطوانية وهي الجزء الأثري، وضريح الشيخ البقلي، وقد جددت وزارة الأوقاف ما تخرب من هذا الأثر في سنة (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م) وأعادت تعمير المسجد، وإلى الملك السعيد تنسب بعض الآثار التي أنشأها أو أنشئت له، ومنها مدرسة عمر الجودري بالكهارية، والجسر الأعظم بجزيرة أبي غنيم المسلمي بحكر المرسين[٢] «شارع مرسينا قسم السيدة»[٣]، ومسجد محلة

(١) يذكر علي مبارك هذا المسجد باسم جامع البقلي، بشارع البقلي بالسيدة عائشة بالخليفة، وهو متخرب وبه مصلى صغير وميضأة وخلاوى، وله منارة وبداخله ضريح، وجد به لوح من خشب منقوش فيها، هذا ضريح الشيخ علي البقلي توفي في شهر جمادى سنة ست وستين وستمائة (٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م)، وبه صهريج متخرب، ووقفه نصف منزل ومصبغة بجواره، يصرف عليه من إيرادهما، بنظر الشيخ أحمد الدهشوري، بينما يذكر صاحب المزارات تاريخ بناؤها (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) في العنوان، ويعود لنسبتها لسنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) في النص التأسيسي، بينما ينسبها عاصم رزق إلى حسام الدين لاجين (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٤: ١٣٧-١٣٨؛ عاصم رزق، **أطلس العمارة الإسلامية**، مج. ٢، ج. ١ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢): ٢٨٠.

(٢) مرسين إسكلة بساحل آسيا العثمانية، نسب إليها الشيخ علي المرسيني الذي عرف به الخط المذكور، وخفف إلى مرسينا، وكان فيما سبق يعرف بخط جزيرة أبي غنيم، وهو الآن شارع الشيخ عبد المجيد اللبان. (المؤلف)

(٣) شارع مراسينا: ذكر المقريزي في خططه الجسر الأعظم الذي كان يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل، ثم صار شارعًا مسلوكًا يمشي فيه من الكبش إلى قناطر السباع، بينما يحدده علي مبارك بداية من آخر حدرة الحناء، وينتهي لآخر شارع اللبودية، وبه من جهة اليمين ورشة الحوض المرصود، ثم درب الشمسي، ويذكر محمد رمزي أن الجسر المذكور لايزال طريقًا عامًّا يعرف الآن بشارع مراسينا، ويوصل بين ميدان السيدة زينب حيث=


مئذنة جامع البقلي «عن كريسويل»

مرحوم، والجامع الســعيدي بخان الخليلي، وقرية السعيدية بالشرقية، ومن الآثار ما درست معالمه لتخربه، مات الملك السعيد في ربيع الثاني سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)، ودفن مع أبيه بالتربة الظاهرية بدمشق[١].

= كانت قناطر السباع وبين جامع الجاولي الواقع تحت قلعة الكبش، وهناك يتقابل مع شارع الخضيري، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ١٦١؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٣٢٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٩١، هامش ٤.

(١) ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، مج. ١: ٥٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٢٥٩؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٦٧٤.

مدرسة أم الملك الصالح

أثر رقم ٢٧٤ (سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)

هذه المدرسة بشارع الأشرف رقم١٧ «سابقًا درب السباع» قسم الخليفة، أنشأها الملك المنصور قلاوون في سنة (٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) برسم زوجته أم الملك الصالح علاء الدين علي الذي كان مرشحًا للملك بولاية العهد من أبيه، فمات في سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) ودفن بهذه المدرسة، وتولى بدله أخوه الأشرف خليل[١].

ولما توفيت المنشئة في سنة (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) دفنت تحت القبة، كما دفنت بها أم الناصر محمد بن قلاوون كما في النجوم الزاهرة، ثم نقلها ابنها الناصر إلى مدرسته بالقاهرة مع ابنه أنوك[٢]، وفي سنة (٧٦١هـ/ ١٣٦٠م) دفن بها الملك الصالح صالح بن الناصر محمد بن قلاوون[٣].

وفي سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) توفيت ابنة الملك المنصور قلاوون أخت الملك الأشرف خليل- وهي زوجة الملك السعيد بركة خان بن الملك الظاهر بيبرس البندقداري تزوج بها في سنة (٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) في حياة والده[٤].

وسماها ابن دقماق في الانتصار في كلامه على هذه التربة بخاتون، وخاتون ليس باسم ولعل اسمها كان فاطمة، يؤيد وجود هذه القرينة الظاهرة إلى اليوم في تسمية هذه التربة بفاطمة خاتون في الضريح الموجود بالزاوية الشرقية القبلية تحت القبة وعليه كساء أخضر أحدث سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)[٥].

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج. ٧: ٣٧٧.

(٢) يذكر ابن تغري بردي أن الناصر محمد بن قلاوون نقل رفات أمّه من التربة المجاورة للمشهد النفيسي من الناحية الشرقية إلى مدرسته بالنحاسين سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، بينما يعلق عليها محمد رمزي بأن المقصود بها قبة الخلفاء العباسيين، في حين يحددها صاحب المزارات بقبة أمّ الصالح علي المجاورة لها، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ٢٠٨، هامش ٣.

(٣) يذكر ابن دقماق أن الصالح صالح دفن بهذه القبة بعد سنة (٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م)، بينما يحددها ابن تغري بردي بتربة عمه الملك الصالح علي بن قلاوون في سنة (٧٦١هـ/ ١٣٦٠م) المعروفة بالخاتونية بالقرب من المشهد النفيسي خارج القاهرة، وهذه القبة تكون في نظر من يكون زمامًا للآدر السلطانية، انظر:=

= ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ١٢٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ٩٥-٩٨، ٢٨٧؛ المرجع السابق، مج. ٧: ٢٧٢-٢٧٣، هامش ٢؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢، ج. ٣: ٦٨٠.

(٤) ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ١٢٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٢٧٢.

(٥) ذكرها ابن دقماق باسم التربة الخاتونية، بينما ذكرها المقريزي باسم تربة الصالح علي، وحدد موضعها بالقرب من المشهد النفيسي فيما بين القاهرة ومصر، بجوار المدرسة الأشرفية، حيث وكل بعمارتها الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، انظر: ابن دقماق، **الانتصار**، مج. ٤: ١٢٥؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٨٥، هامش ٢.


منظر عام لقبة فاطمة خاتون «عن كريسويل»

وقد بقي من آثار هذه المدرسة قاعدة القبة، ثم المنارة وباقيها دثر من أمد بعيد، وقد عملت بها إصلاحات آخرها سنة[1].

وفي هذه القبة دفن الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون[2]، الذي تولى الملك من سنة (٧٤٣ -٧٤٦هـ/ ١٣٤١-١٣٤٥م) [انظر ابن إياس][3].

وفي عـــصر هذا الملـــك أبرمت أول معاهـــدة تجارية بين المملكة المصريـــة وبين جمهورية البندقيـــة، وتوثقت الصلات بين مصر وأوروبا قاطبة، وســـمحت حكومة مصر للدول الأجنبية بإرســـال ممثلين من دولها وقناصل إلى مصر، فأرسلت كل دولة ســـفيرًا لها وقنصلاً، وعقدت معاهدات للتحالف مع الدول بالطرق الدبلوماسية.

(١) ذكرها علي مبارك باسم مدرسة تربة أمّ الصالح، أنها أصبحت في زمنه تعرف بتكية السيدة نفيسة، وقد سكنها جماعة من الأتراك وبنوا فيها بيوتًا وخلاوي، وبقي من آثارها القديمة القبة التي على تربة أم الصالح وهي متهدمة، والمنارة التي يقال لها المبخرة، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١٠؛ عاصم محمد رزق، **أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة**، مج. ٢،ج. ١ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣): ٩٠.

(٢) وهذه التربة لم يدفن بها الصالح إسماعيل حيث دفن في القبة المنصورية إلى جوار جده المنصور قلاوون ووالده الناصر محمد في سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)، وبذلك فقد خلط محمد رمزي في تعليقاته بأن هذه القبة تحوي رفات ثلاثة ملوك ألقابهم الصالح، انظر:ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ٩٥-٩٨، ٢٨٧؛ المرجع السابق، مج. ٧: ٢٧٢-٢٧٣، هامش ٢؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢، ج. ٣: ٦٨٠.

(٣) عن سيرة الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١: ٤٩٨-٥٠٦.



جامع المنصور قلاوون

أثر رقم ٤٣ (سنة ٦٨٣-٦٨٤هـ/ ١٢٨٤-١٢٨٥م)

هذا الجامع بشارع المعز لدين الله «النحاسين سابقًا»، أنشأه إلى جانب بنايات أخرى ملك مصر السلطان المنصور قلاوون الصالحي في سنة (٦٨٣-٦٨٤هـ/ ١٢٨٤-١٢٨٥م) كما تنص عليه المذكرات التاريخية الآتية، وقد ترجم المقريزي لهذا الجامع باسم المدرسة المنصورية[١].

ويؤخذ مما ذكره أن هذا الجامع كان مدرسة حافلة بمجموعة من النوادر التي لا توجد في غيرها كمتحف للآثار والمخلفات القلاوونية، ومكتبة عامة ومدرسة للطب والعلوم الشرعية إلى غير ذلك، وقد تخلف من هذه المدرسة بقية كبيرة كالقبة ما عدا غطاؤها، والمئذنة المربعة الجميلة، والجامع ما عدا بعض إيواناته، والكثير من تفاصيلها باق على حاله[٢].

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥١٣-٥٢٤.

(٢) المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٧١٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٣٢٥-٣٢٦، هامش ٢؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٣٥٣؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٢٢٦-٢٢٨؛ عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**، مج. ١: ١١٤-١٢٣؛ Max Herz Bey, *Die Baugruppe des Sultans Qalaun in Kairo* (Hamburg, 1919); Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt*, vol. 2: 190-212.

تطورات التجديد على هذا المسجد

أول عمارة تذكر في هذا الأثر هي العمارة التي قام بها ولده الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) عقب الزلزلة التي حدثت بالقاهرة في سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)، فجدد الدور الثالث من المئذنة كما جاء بالمذكرة التاريخية الآتية[٣]، وأنشأ سبيلاً صدقة على روح والده، بزاوية الوجهة الشرقية إلى جهة الشمال.

وفي سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)، جدد الملك الأشرف برسباي ملك مصر من (٨٢٥-٨٤٢هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م)، وقف المارستان المنصوري وزاده وجدد بعض مفردات من القبة والمدرسة المنصورية، وأضاف إلى وقف الملك المنصور وقف الأميرة جانم زوجة الأمير يشبك الخزينة دار الأشرفي.

وفي سنة (٨٩٩هـ/ ١٤٩٤م) أمر الأمير أزبك من ططخ الأشرفي أتابك العساكر بالديار المصرية بتجديد عمارة المدرسة المنصورية وتجديد البيمارستان، وعمل على الفسقية التي بها قبة، وجدد بها منبرًا وأقام بها خطبة يقول ابن إياس: «ولم يعهد قبل ذلك أن أحدًا من الأتابكة قبله أقام بها خطبة، ولقد رام الأتابكي أيتمش البجاسي في

(٣) المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٩٤٤.



قبة ومدرسة المنصور قلاوون «عن كريسويل»

دولــة الناصر فرج بن برقوق في ســنة (٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م) أن يفعل ذلك فتعسر عليــه، وأفتاه بعض العلماء بأنه لا يجوز له ذلك، وأن فيه مخالفة لشرط الواقف فرجع عن ذلك»[١].

وفي ســنة (١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م) عين الأمير عبد الرحمن كتخدا ناظرًا على أوقاف المارستان والمدرسة بمقتضى حكم شرعي صادر من المحكمة الصالحية بتاريخ ســنة (١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م)، فجدد أوقافهما وأضاف إليهما زيادات أخرى من عقارات وغيرها، ثم وضع في سنة (١١٧٥هـ/ ١٧٦١م) مشروعًا كبيرًا لإصلاح القبة والمدرسة والمارستان، وتجديد ما وهن منهــا فحال دون تنفيــذه موانع، فاضطــر لأن يترك القبة المنصورية بغير غطــاء بعد ما أزال غطاءها المتهدم، ثم بدا له حجزها بسقف، ولم يعد عمارة قبة الصحن، وجدد بعض أجزاء من المارستان ووقف عند هذا الحد، وقد أشار المؤرخ الجبرتي إلى هذه العمارة بقوله: «وجدد المارستان المنصوري، وهدم أعلى القبة المنصوريــة الكبيرة والقبة التي كانت من خارج الفســحة، ولم يعد عمارتها بل ســقف قبة المدفن فقط، وترك الأخرى مكشــوفة، ورتب له خيرات زيادة عن البقايا القديمة»[٢].

والظاهر أن الأمير عبــد الرحمن كتخدا لم ينفذ هذا المشروع لإقالته من النظر على أوقاف الجامع والمارســتان، طبقًا لقــرار الحكم الشرعي الصادر مــن محكمة الصالح الشرعية بتاريــخ ســنة (١١٧٥هـ/ ١٧٦١م)، إذ كان يعارضه بعض المســتحقين في هذه الأوقــاف المنصورية من الورثة ومن غيرهم، وتوجد تفاصيل واســعة عن هذه القضية في

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٣٠١.

(٢) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٢: ٩.

جملــة وثائق محفوظة بــدار المحفوظات بــوزارة الأوقاف وبسجلات المحكمة العليا الشرعية[٣].

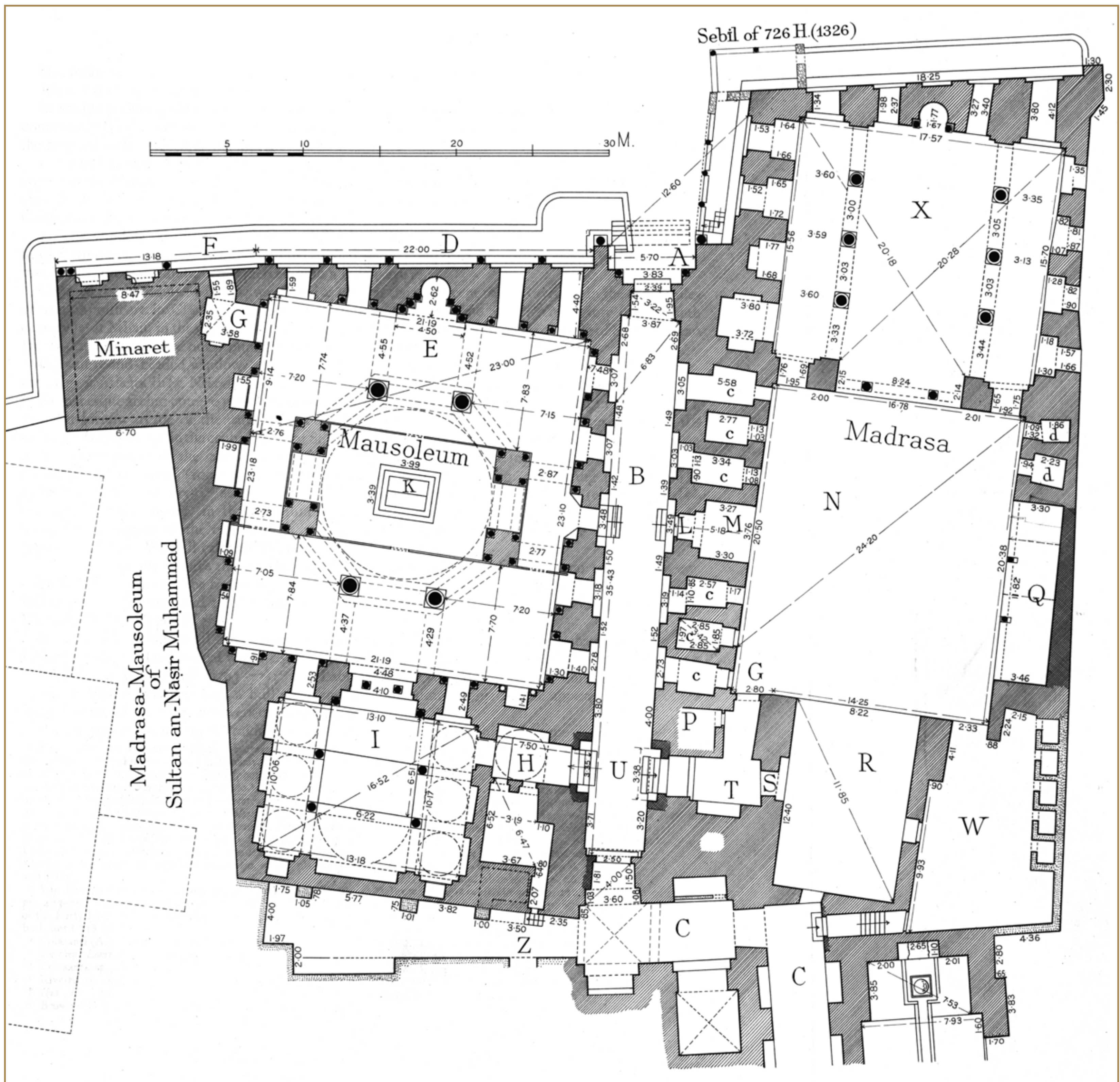
ويبدو من كلام المقريزي في الخطط والســخاوي في كتاب أوقاف مصر أن الأعيان الموقوفة على هذه العمارات الثلاث بلغت شــيئًا كثيرًا، منها وقــف المنصور قلاوون، ووقــف ولده الأشرف خليل (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، وولده الناصر محمد (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، وحفيده الصالح إسماعيل بن الناصر محمد (٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م)، ثم حفيده الآخر أبو بكر بن الناصر محمد (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، وقد بلغ إيراد هذا الوقف الســنوي حوالي ألفين من الجنيهات.

ولــم يقتصر الحبــس على هذه العمــارات من أولاد المنصــور وأحفاده فحســب بــل تعدى غيرهــم؛ فيؤكد السخاوي أن الملك الأشرف برسباي بلغ وقفه على مصالح هذه المدرسة والمارستان مبلغًا كبيرًا، وهو ما يؤيده ما ورد في حجة الأشرف برسباي المحفوظة بدار الكتب بالقاهرة[٤].

وفي سنة (١٢٣١هـ/ ١٨١٦م) تصدى الأمير سليمان أغا السلحدار في عصر العزيز محمد علي باشا لتجديد مقصورة مقام السلطان قلاوون وإجراء بعض الإصلاحات في التربة،

(٣) ورد في حجة الإنشاء والوقف الصادرة بتاريخ ٢٩ رمضان سنة (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م)، ٢١ رمضان سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، (٢-١٥-حفظ)، ومن الحجج المحفوظة بالأوقاف في أدراج، وهي أربع آخرها محرر في ٢٤ من رجب سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م)، حصر شامل لجميع الأعيان الموقوفة على المدرسة والقبة والبيمارستان، ومنها ربع العلمي بحارة الفحامين رقم٣، وقيسارية الفاضل التي آلت بالتحكير إلى المرحومة نفيسة خاتون المرادية، وهي المعروفة بوكالة التفاح بشارع السكرية بالقاهرة، ولعبد الرحمن كتخدا كتاب تنفيذ وتقرير على هذه الموقوفات محرر في ١٥ من ذي الحجة سنة (١١٧٤هـ/ ١٧٦١م). (المؤلف)

(٤) هذه الرواية تخص مدرسة الأشرف برسباي نفسها ولا تخص المدرسة القلاوونية، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج.٣: ٨-٩.



مسقط أفقي لقبة ومدرسة المنصور قلاوون «عن كريسويل»

ولم يتجدد بعد هذا التاريخ في هذا الأثر ما يذكر غير هذه العمارة الأخيرة التي تناولت إعادة غطاء القبة وبعض أجزاء من داخل المسجد من إيوانه الشرقي، ثم تقوية أعالي المئذنة أخيرًا في سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م).

وصف هذا المسجد

والداخل إلى هذا المسجد من بابه العمومي يصل إلى باب على يساره بعد اجتياز ممر، ومنه إلى صحن مكشوف وإيوان شرقي كبير بصدره محراب محلى بزخارف كثيرة من قطع الرخام الملون باللون الأحمر والأسود والأبيض ومن الفضة، وليس في أواوين المدارس الإسلامية في القاهرة ما يماثل هذا الإيوان ارتفاعًا واتساعًا وحسن وضع ودقة نظام وزخرفة جميلة وغيرها، بيد أن إيوان مدرسة السلطان الناصر حسن وإن تفوق عليه بميزات فنية ظاهرة، إلا أن هذا الإيوان بالنظر إلى طابعه الخاص وصبغته البادية عليه تجعلنا نعتبره نموذجًا قائمًا بذات يبدو فيه الفن الإسلامي متشحًا بمسحة من الجمال، تلفت النظر وتسترعي الانقياد.

المذكرات التاريخية

المذكرات التاريخية بهذا الأثر توجد بكثرة في أماكن شتى، وهذه أهمها:

الباب العمومي للجامع: ٢ سطر

أمر بإنشاء هذه القبة الشريفة المعظمة والمدرسة المباركة والبيمارستان المبارك مولانا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي. وكان ابتداء عمارة ذلك في ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة والفراغ منه في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وستمائة.

باب القبة: ٤ سطر

أمر بإنشاء هذه القبة الشريفة المعظمة مولانا وسيدنا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين أدام الله أيامه وحرس أنعامه ونشر في الخافقين ألويته وأعلامه. وكان ابتداء عمارتها سنة ثلاث وثمانين وستمائة، والفراغ منها في صفر سنة أربع وثمانين وستمائة للهجرة المحمدية النبوية.

النوافذ: وعددها سبع

أمر بإنشائه مولانا وسيدنا السلطان الأعظم الملك المنصور العالم العادل سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين أعز الله أنصاره. وكان ابتداء عمارتها في صفر سنة أربع وثمانين وستمائة؛ وانتهاء عمارتها في جمادى الأولى من السنة المذكورة.

المئذنة: جوانبها الأربع

البسملة... اللَّهُمَّ جدد الرحمة والرضوان على روح الملك المنصور رحمه الله. أمر بتجديد هذه المئذنة مولانا السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون الصالحي عند ظهور الزلزلة وسقوط أعاليها في شهور سنة ثلاث وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام.

روسم في جانبها البحري: مما يلي جامع الناصر

البســملة... في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اســمه - إلى- الآصال. أمر بتجديد هذه المئذنة في أيام ولده مولانا الســلطان الملك الناصر أبي الفتح محمد، وذلك عنــد ظهور الآيات المنزلة وســقوط أعاليها عند حدوث الزلزلة {في شــهور سنة ثلاث وسبعمائة من الهجرة المحمدية}

روسم بالباب العمومي:

أمر بإنشــاء هذه المدرســة المباركة السعيدة مولانا وســيدنا الســلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين أدام الله أيامــه وحرس أنعامــه ونشر في الخافقين ألويته وأعلامه وســتمائة . والفراغ منها (في جمادى الأولى من السنة المذكورة للهجرة المحمدية).

طراز الواجهة:

البســملة... أمر بإنشاء هذه القبة الشريفة والمدرسة والبيمارســتان المبارك تقربًا إلى الله سبحانه وتعالى ســيدنا ومولانا الســلطان الأعظم الملك المنصور العالم العامل المؤيد المظفر المجاهد المنصور ســيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين سيد الملوك والســلاطين ســلطان الأرض ذات الطول والعرض ملك البســيطة ســلطان العراقين والمصرين ملك البرين والبحريــن وارث الملك ملكك ملوك العرب والعجم صاحب القبلتين خادم الحرمين الشريفين قلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين أدام الله نصره وأعز أنصاره وأعلا مناره وضاعــف اقتداره . أوحد الملــوك العصرية صاحب الديــار المصرية والأعمال الفراتية والجهات الحجازية والديار الشامية سلطان الإسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين ناصر الحق بالبراهين كــنز الفقراء والمســاكين ذخر الآملين- كهف الضعفــاء والمنقطعين منصف المظلومين من الظالمين قاتــل الكفرة والمشركــين قاهر الخوارج والمتمردين ســيف الدنيا والدين قــلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين أدام الله أيامه . وكان ابتداء ذلك في بعض شهور سنة ثلاث وثمانين وانتهاؤه في بعض شهور سنة أربع وثمانين للهجرة النبوية.

باب التربة:

جددت لجنة حفظ الآثار العربية المنشــأة في سنة ١٣٠٩ الهجريــة هذه التربــة المباركة . فرممت بعض جدرانها وأصلحت فسيفساءها ورخامها وأكملت الناقــص منهما وخفضــت أرضيتها إلى مســتواها القديم وجددت بعض شبابيكها وزخارفها الجصية وأعادت سقوفها إلى أصلها وركــبت فوقها قبة على شــكل القباب التي كانت تصنع وقت إنشائها وبقي العمل فيها رويدًا رويدًا من ســنة ١٣٢٠ إلى ســنة ١٣٣٠ على أيــام خديو مصر الأفخم وملاذها الأكرم الحاج عباس حلمي باشــا الثــاني، بلغه الله منتهى الأماني بجاه سيدنا محمد {أكرم أنبيائه وأصفيائه}

المقــام:

مقام به نور من الله مكنون
وناظره بالأمر والنهي مأذون
تجلى عليه الله بالقرب أرخوا
بقرب التجلي في نعيم قلاوون ١٢٧١

طراز بسقف سبيل الناصر:

البسملة.... أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك المبرور المنسوب لمولانا السلطان الشهيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبوالفتح محمد بن مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي في شهور سنة ثلاث وسبعمائة .

مذكرة بمرسوم يخص الوقف المنصوري:

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد وآله . لما كان بتاريخ يوم الإثنين سابع عشر ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة في نظر المقر السيفي قاني تمر برز المرسوم الشريف السلطاني الملكي المنصوري . خلد الله ملكه أن ينعم على مستحقي ريع وقف البيمارستان المنصوري ما يخص بيت المال السلطاني من إرث من يتوفى من أرباب وظائفه ومباشريه وسكان أوقافه نعمة مستمرة على الدوام والاستمرار لا يغير حكمها ولا يدرس رسمها ولعنة الله على من يسعى في تبديله أو إبطاله، فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه .

نظرة فنية إلى هذه المدرسة

لا يكاد الناظر إلى هذه المدرسة من الوجهة الفنية ينعم النظر فيها مليًّا حتى تأخذه الدهشة كل مأخذ، إذ أنه يرى فيها جديدًا، ويرى أن العمارة الإسلامية أخذت تشق طريقًا في النظام المدرسي لم تكن لتعرفه من قبل، ويبدو ذلك ظاهرًا جليًّا في الزخارف التي أدخلت على هذه المدرسة في محرابها ووجهتها وبلاطها وزخارفها وما إلى ذلك.

وقد يكون هذا الفن قد سبق دخوله هذا العصر الذي ظهرت فيه هذه المدرسة بهذا المظهر الأنيق العجيب إلى مصر والقاهرة في وقت لا يمكننا تحديده بالضبط، بيد أننا مع الأسف لم نعثر على ما يحقق لنا هذه الفكرة، مما هو ماثل لدينا من الآثار الإسلامية المسبوقة على هذا الأثر.

والمجموعة من البلاطات والرخام التي تكسو محراب هذه المدرسة تكاد تبلغ في الدقة والإتقان مبلغًا عظيمًا، وقد كانت نموذجًا لما حدث بعدها من هذا الطراز، ونستطيع القول بأن المهندس الذي وضع مسقط هذه المدرسة ورسم نموذجها تمكن أن يحكم عقله تحكيمًا دقيقًا حتى استطاع أن يظهر فيها هذا الفن الجديد بهذا المظهر الخلاب، ولعل ذلك كان من وحي الأمير كهرداش المنصوري مباشر عمارة هذه المدرسة من قبل السلطان.

والقول السائد بأن هذه النقوش السوداء التي ظهرت في البلاطات الرخام بالمحراب والواجهة الأرضية ظهرت لغرض سياسي قول يفتقر إلى دليل، إذ المفروض أن العصر الظاهري المسبوق على العصر القلاووني بقرابة ربع قرن تقريبًا أولى بهذا المظهر السياسي من غيره، ونحن نرحب بهذه الفكرة إن وجد لها ما يعضدها، ولا ننسى ونحن نذكر ذلك أن عناصر غريبة من فن سابق دخلت على هذه المدرسة، وتبدو هذه العناصر ظاهرة في المفردات التي نقلت إلى هذه المدرسة من قلعة الروضة الصالحية المنشأة في سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)[١].

بقي أن نقول إن المهندس الذي أراد أن يظهر محاريب المساجد بهذه الصورة الفريدة في نوعها استطاع أن

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٥٨٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٢٧٢.

يتفنن فيها حتى أظهرها بالمظهر اللائق به، وساعده الفن في الظروف التي تعسر عليه فيها جلب هذه البلاطات السوداء أو الحمراء من الرخام، أن يصنعها من مادة المعجون المصمغ، ويستعملها في نفس التكسية التي استعمل فيها قطع الرخام الملون، وكان القصد من ذلك بطبيعة الحال الإكثار من الزخرفة وتنوعها والتفنن فيها؛ ومع وجود هذا الفن الجديد من الزخرفة في ذلك العصرلم يترك المهندس المسلم الزخرفة بالجص التي كانت من أول وقت في الإسلام هي أولى ما تصبو إليه نفسه، فبالرغم من ذلك استطاع أن يجمع بين هذا الفن وذاك، وحسبنا تقديم دليل شاهد على ذلك وجود هذه الزخارف الجصية في نفس هذا الأثر إلى جانب الزخارف الرخامية.

ولم ينسَ المهندس في كلتا الحالتين الزخرفة بغضائر القاشاني وقطع الفصة المشجرة والملونة، ويدلنا على ذلك مبلغ التقدم في فن العمارة الإسلامية ورقيه وبلوغه الشأو البعيد حتى تطلعت الأنظار إليه، وظهر في الغرب أكثر منه في الشرق، وصفوة القول إن هذه المدرسة المنصورية وقبتها وبقاياها مرآة صادقة من جمال الفن الإسلامي تظهر فيه سائر الفنون الدقيقة والصناعات الراقية بمنظر لا يعادله منظر آخر، وفي وسعنا أن نجعلها مدرسة للفن في الوقت الذي نجعلها فيه مدرسة للعلوم الشرعية، وكلية جامعة للطب؛ ومثوى لأعظم الملوك وأعرفهم بأحكام الدين والسياسة، ومتحفًا للآثار الإسلامية ومخلفات الملوك العظام، ومسجدًا جامعًا لإقامة الشعائر التي تنتظم بها الحياة الاجتماعية.

والمدخل إلى قبة هذه المدرسة من باب تجاه باب المسجد المذكور، وهي حافلة من الداخل بمجموعة من الزخارف الجصية والرخام و الفصة والزجاج الملون بما يحقق لنا هذه الفكرة بجلاء، ويتوسط القبة تابوت من خشب مشغول تجمعت فيه نواحٍ دقيقة من الفن الإسلامي تظهر في شغل الخشب بشكل رائع جدًّا، وتحت هذا الصندوق قبر المنصور قلاوون وابنه الناصر محمد وبعض أحفاده ممن تولى ملك مصر بعده.

والمارستان الذي كان يجاور المدرسة لم يبق من آثاره إلا بقية صغيرة، وقد أقيم على أنقاضه في سنة (١٩٣٤م) مارستان للرمد، سمي باسم مستشفى قلاوون الرمدي.

ترجمة المنشئ

والملك المنصور قلاوون منشئ هذا الأثر هو أحد ملوك مصر البارزين، يوصف بالشجاعة وعلو الهمة تولى الملك بعد الملك العادل سلامش في (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م) وبقي إلى سنة (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م)، وفي أيامه استخلص كثيرًا من البلاد الإسلامية في الشام، وله مآثر وخيرات كثيرة من عمائر وصلات وغيره، وما برح كذلك حتى مات في سنة (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م) ودفن بالقلعة أولاً ثم نقله ابنه الملك الأشرف خليل الذي تولى الملك بعده إلى هذه القبة فدفن بها.

ومنذ تولي قلاوون ملك مصر وجه همته للقضاء على المغول أولاً، فاستطاع بمقدرته الفنية وشجاعته النادرة وسياسته الرشيدة ووفرة جيشه المدرب أحسن تدريب، المزود بأحدث الآلات الفنية، أن يرد كيد هذا العدو المفاجئ المغير في نحره وأن ينتصر عليه انتصارًا باهرًا، ظهر أثره في موقعة حمص سنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م)، ثم بالتالي عمد إلى تجديد المحالفات مع دول أوروبا قاطبة بالطرق الدبلوماسية فأبرم أولاً معاهدة صداقة مع إنجلترا ثم أخرى مع دولتي فرنسا وبروسيا وعقد معهما محالفة لمدة عشرة

أعـــوام، كان من أهم شروطها وقف رحى الحرب المســـتعرة بينـــه وبينهما، وقد قامت الدولتان بدفع غرامة الحرب التي فرضها عليهما قلاوون عن طيب خاطر، ونظير ذلك التمسا منـــه فتح كنيســـة القيامة بالقـــدس؛ ففتحها على شروط مبينة، وزاد على ذلك بأن عمد إلى إبراز مرســـوم ســـلطاني يحتم على المســـلمين في مصر عامـــة ألا يتعرضوا للكنائس في مـــصر والقاهرة بالتخريب ولا بأذيـــة أي ذمي كان، كما استعمل معهم وسائل أخرى من تعاليم الإسلام ومبادئه في معاملة أهل الكتاب، وظل هذا المرسوم معمولاً به إلى عهد ولده الناصر محمد بن قـــلاوون، فحدثت حوادث عاد فيها المسلمون في مصر والقاهرة إلى إبراز مرسوم آخر من الناصر بمثل هذا الغرض نفسه.

وبعد مضي خمس ســـنوات من هذه المعاهدات أي في ســـنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، أبرم معاهـــدات أخرى حربية مع جنوة وقشتالة وصقلية، وفي عصره توالت البعثات السياسية والحربية لملوك أوروبا بالموالين للمملكة المصرية وتبودلت بينهما مراسلات ومكاتبات سياســـية وحربية معًا في جملة شـــئون ومهام ترتبط بها حكومة مصر بحكومات أوروبا، وهكذا اســـتطاع هذا الملك أن يســـجل لمصر وحكومتها في ذاك الزمن صفحة بـــارزة مطوية؛ تبين عن كشب مدى علاقة المملكة المصرية بدول أوروبا في ذلك العهد المبكر[١].

(١) عن سيرة الملك المنصور قلاوون الصالحي الألفي، انظر: ابن حبيب، **تذكرة النبيه**:٤٨-١٢٩؛ العيني، **عقد الجمان**: ١٢-٢٠؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٧٧٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٣٢٥-٣٣٢.



منظر عام لمدرسة المنصور قلاوون «عن فييت»

مسجد الآبار (المدرسة البندقدارية)

قبة أثرية ١٤٦ (سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م)

هذا المسجد بشارع السيوفية «حكر سيف الإسلام سابقًا» تجاه مدرسة بيبرس الفارقاني، ذكره المقريزي في الخطط وسماه بالخانقاه البندقدارية، ونسبه إلى الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري الصالحي النجمي، أنشأه في سنة (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) برسم مدرسة للصوفية وتربة[(١)].

والمنشئ لهذا الأثر كان في بادئ أمره من موظفي حكومة الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم تقاعد بعد موته وقتًا، حتى عينه الملك المعز أيبك التركماني في سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) نائبًا للسلطنة، وأضاف إليه ولاية المظالم وأجلسه بالمدارس الصالحية، ولما آل ملك مصر إلى مملوكه السلطان الظاهر بيبرس عينه نائبًا لحلب في سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، وبقي كذلك في عهد خلفه وأقره المنصور قلاوون على وظيفته، ثم نقله إلى مصر في سنة (٦٦١هـ/ ١٢٦٣م) وعينه أميرًا بها «طبل خاناه»، وما برح حتى مات في سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) ودفن بقبة هذه المدرسة، وقد أدرك تسعة ملوك لمصر أولهم الصالح نجم الدين، وآخرهم الملك المنصور قلاوون، وهذا لم يتفق لأمير مثله.

ولا يزال على قبره تابوت من خشب خرط مشغول قوام زخرفته الكتابية آية الكرسي في طراز، ثم آية ١٨٥ من سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ... إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ وتنتهي بما نصه:

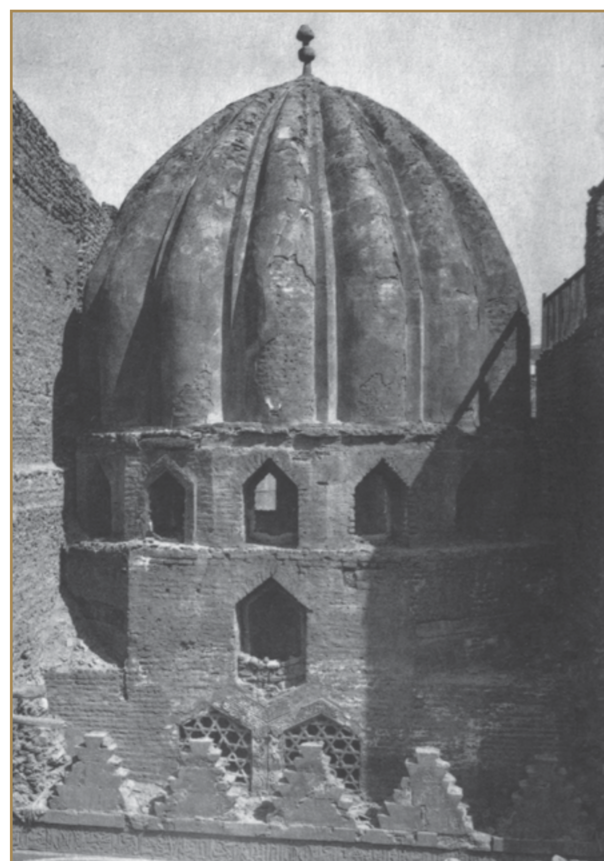
هذا قبر الفقير إلى الله تعالى الراجي عفو الله الأمير
علاء الدين أيدكين البندقداري الصالحي النجمي
جعله الله محل عفوه وغفرانه وإحسانه

وعرف بالبندقدار نسبة إلى وظيفته في بادئ أمره، إذ كان بندقدارًا، أي من الجند الحاملي لنوع من السلاح يسمى البندق، وهو أشبه شيء بما نعرفه بهذا الاسم الآن؛ بيد أنه يختلف عنه شكلاً، وقد لصقت هذه النسبة نفسها، بمملوكه بيبرس الذي آل بعد محنته في سنة (٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م) إلى مليكه الصالح نجم الدين[(٢)].

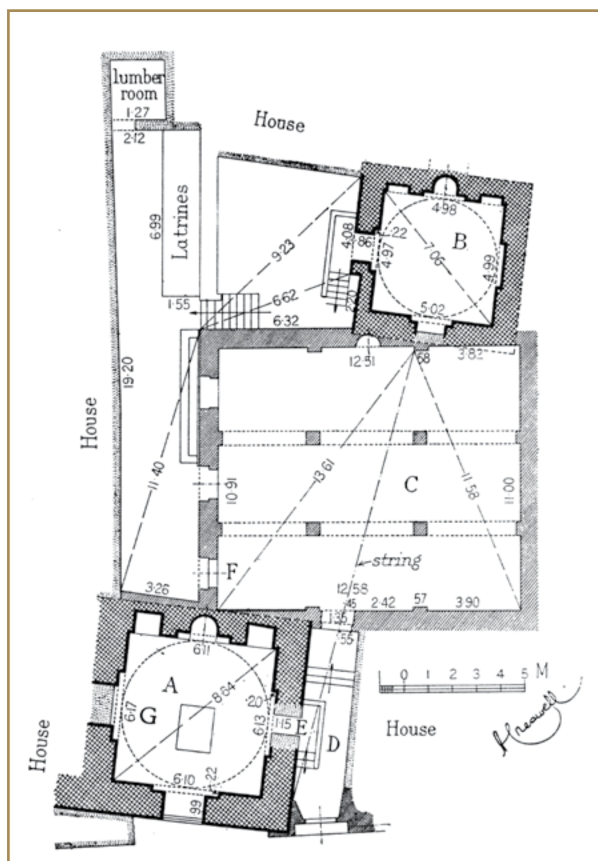
وقد أنشأ المذكور هذه المدرسة في عهد الملك المنصور قلاوون، ويبدو أنها كانت مدرسة فاخرة متسعة بيد أنها دثرت رغم أنها بقيت حتى القرن العاشر وأخذ معظمها في الشارع البحري؛ ولم يتخلف منها سوى مصلى حديثة

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٥٦-٧٦٠، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٣٦٥، هامش ١؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٦١؛ المرجع السابق، مج: ٦: ٩، ٤٣-٤٤.

(٢) عن سيرة الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٧٣٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٣٦٥، هامش ١.



قبة المدرسة البندقدارية «عن كريسويل»



مسقط أفقي للمدرسة البندقدارية «عن كريسويل»

الوضع في جانبها القبلي ثم هــذه القبة المذكورة وقبة أخرى تبعــد عنها قليلاً، دفنت فيها فيمــا يقال خوند زينب بنت أيدكين المذكور، وقد احتجبت عن الأنظار بالحائط الشرقي للمسجد، ونصل إليها باجتياز دار الوضوء، وكلتا القبتين من نوع القباب المضلعة المقتبســة من نظام القباب الفاطمية، وقد امتازتا بالزخــارف الجصية من الخارج والداخل، وقوام زخرفتهــا معًا آيات الكرسي، وتنتــهي قبة أيدكين بعد قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] بما نصه:

أنشــأ هذه القبة المباركة المقــر الأشرف الصالحي الأمــيري الكبــيري المخـدومي المحـترمي الملكي المنصوري أيدكين البندقداري بتاريخ ســنة ثلاث وثمانين وستمايه

وقد كان هذا الأثر إلى منذ ســتين عامًا، في حالة يرثى لها بعد أن ظل مدرسة للصوفية يدرس فيها هذا الفن حتى القرن العاشر وما بعــده، فكانت قبة أيدكين مطمورة تحت أنقاض من المباني طغت عليها بصورة منكرة، وكانت القبة الأخرى مجهولة ومختفية عن الأنظار فبذل الأســتاذ مكس هرتس بك بمســاعدة صديقنا الأســتاذ يوسف أحمد همة كبــيرة في إزالة تلك المباني الحاجبة بعد العثور عليها، وقام ديوان الأوقاف بدوره بإنشــاء هذه المصــلى الصغيرة، وتم العمل في ســنة (١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م)، وبهذه العملية ظهر هذا الأثر واضحًا جليًّا وبدأت الفكرة عنه في جلاء ووضوح.

مسجد أحمد الميافارقيني (المدرسة القاصدية)

أثر رقم ١٠

هذا المسجد الصغير الكائن بشارع باب النصر رقم١٠، لم يذكره أحد من الباحثين في الآثار الإسلامية حتى اليوم، وأفادنا المقريزي تسميته فقط إذ سماه في كلامه عرضًا بالمدرسة القاصدية، وجعل في مكانه رحبة سماها برحبة الجامع الحاكمي[1].

وبإغفال المقريزي لهذا الأثر وسكوت الباحثين عنه بات حلقة مفقودة عند المشتغلين بآثار القاهرة، لكن بالرغم من هذا نستطيع القول بأن هذا الأثر بالنظر إلى تفاصيله المعمارية لا يسبق أواخر القرن السابع أو أوائل الثامن الهجري، إذ أن قبته الجصية المضلعة ذات الزخارف والمقرنصات من الداخل والخارج تماثل في شكلها بعض القباب التي تحتفظ بها من هذا التاريخ وأقربها إلينا قبة أيدكين البندقداري (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) بحكر سيف الإسلام «شارع السيوفية»، وقبة الزاوية العدوية ثم قبة جامع أحمد المهمندار (٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م).

أما القول بأن هذه القبة فاطمية لتقاربها من طرز القباب الفاطمية، فقول تنقضه الزخارف الكتابية التي تحيط برقبتها من الظاهر، إذ أنها مغايرة للزخارف الكتابية الفاطمية تمام المغايرة. ويبدو ذلك واضحًا جدًّا بالتأمل في نفس الخط. ولا يمكن أن يقال إن الفاطميين استعملوا هذا الخط النسخي المشجر في زخرفة مبانيهم كما تدل عليه آثارهم الماثلة لدينا إلى اليوم.

والذي نميل إليه، هو أن هذه القبة كما قلنا، لا يمكن أن تتعدى هذا التاريخ، كما أنه لا يمكن القول بأنها فاطمية أو أيوبية، وفي وسعنا القول بأنها محصورة بين عصر الملك الظاهر بيبرس البندقداري، وبين عصر الملك المنصور قلاوون، حتى عصر ولده الملك الناصر محمد بن قلاوون؛ أي من سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) حتى أواسط القرن الثامن، بيد أنه لا يمكننا وضعها في العصر الظاهري لاعتبارات ظاهرة، أهمها تلك الفروق المعمارية البادية في هذه القبة التي تخالف نوع القباب الظاهرية، ومع الأسف لا يوجد لدينا من القباب الظاهرية التي يمكن الاستدلال بها على هذه النظرية إلا قبة واحدة، ثم بواق ضئيلة جدًّا من قبة أخرى، وهذه لا يمكن معها تصوير ما كانت عليه من تفاصيل.

أما القبة الكاملة فهي قبة الخليفة الحاكم العباسي المحاذية لقبة المشهد النفيسي، وهي من بناء الظاهر في سنة

---

(١) أشار المقريزي في الخطط إلى بقايا هذه المدرسة في معرض حديثه عن موقع باب النصر فيقول: «كان باب النصر أولاً دون موضعه اليوم، وأدركت قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربي بحيث تكون الرحبة التي فيما بين المدرسة القاصدية وبين بابي جامع الحاكم القبليين خارج القاهرة»، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٧١.

(٦٦٣-٦٦٤هـ/ ١٢٦٥-١٢٦٦م)، كمـا دلت عليه النصوص التاريخية الموجودة بهذا الأثر، وتذكرنا هذه القبة بالنظر إلى طرزها بقبة أخرى تبعد عنها قليلاً بنفس المنطقة، وهي قبة الملكة شجر الدر المبنية في سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) [انظر هذه القبة].

فنظام هـذه القبة يخالـف نظام قبـة القاصد تمام المخالفـة، ويظهر أن الملك الظاهر قد بلـغ به التأثر بقبة الشافعي التي بناها الملك الكامل بن العادل في سنة (٦٠٨هـ/ ١٢١١م)، مبلغًـا جعله لا يفكر في تصوير غيرها، فقد كانت قبة جامع العافية بميدان قراقوش وهو جامع الظاهر على ما ذكره المقريزي تماثل هذه القبة بعض المماثلة، ولو أنها كانت عارية عن الكسوة التي تغطي قبة الشافعي[١].

كذلك كان للظاهر قبة أخرى بناها في سـنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، لشـيخه الشيخ خضر المهراني المتوفى سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) بزقاق الكحل، كانت أقرب إلى الشبه بقبة الشافعي من قبـة العافية [انظـر قطف الأزهار لابـن أبي السرور البكري][٢].

وهـذا الاعتبار وحده يجعلنـا في حل لأن نضع القبة القاصديـة في عصر تلا عصر الظاهر، ولا شـك أن عصر الدولـة القلاوونية هو العصر المناسـب، وهو نفس العصر الذي بنيت فيه قبة أيدكين المماثلة لهذه القبة تمام المماثلة بلا فارق بينها غير الحجم، كما بنيت فيه القبتان المذكورتان آنفًا، وقد ظهرت جميعها في عصر الملك المنصور قلاوون، ثم في عصر ابنه الملك الناصر محمد.

هذا ما وصل إليه درسنا وبحثنا عن هذا الأثر، وثمت ما هو أحرى بالذكر من هذا في نفس الأثر فقد لفت نظرنا وجـود بقية من كتابات بالجص في دائـر القبة من الداخل تشبه أن تكون وقفية، يقرأ فيها ما يلي:

... به تعالى أحمد من أهالي ميافارقين وأوقف عليه ثلاث...

وعثرنا على بقية من نص آخـر مكتوب على نوع من الرخام الأزرق بالقلم الأبيض، بأسـلوب يشـابه الكتابة الواردة بأسكفة الخانقاه البيبرسية (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)، ومذكرة المدرسـة الملكية (٧١٩هـ/ ١٣١٩م)، ثم المدرسة المهمندارية (٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) وقرأنا في هذه البقية من هذا النص المفقود ما يلي:

{.... لي أحمد الميافارقيني .... ثلاثين وسبعمائة}

والمؤكد أن هذا النص كان مودعًا بجانب الباب العمومي المفقود للمسجد، ومن حسن الحظ أن الجزء المتخلف منه جاء موضحًا لتاريخ إنشـاء هذا الأثر في عبارة ظاهرة، وهو سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م) أو بضع وثلاثين؛ وتفيدنا هذه العبارة أنه أنشئ في عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون.

وهذا ما يطابق نظريتنا فيما ذكرنـاه آنفًا، وليس ثمة ما يدعـو إلى الغرابة في وضع هذا الأثر في هذا التاريخ فهذه مجموعة من الآثار الإسلامية، تحمل قبابًا ليس بينها وبين هذه القبة أي فارق زمـني أو معماري خلا بعض فوارق التزامية يسـيرة، وقد جاءت هذه القبة على صغرها منسـجمة غاية الانسـجام فظاهرها مضلع بترتيب دقيـق وبمنطقها طراز مقوم بزخارف كتابية من القـرآن الكريم، تظهر فيها آيات الكرسي من سورة البقرة، وداخلها يلفت النظر بالمقرنصات الجصية التي تتدلى من زواياها الأربع، ثم بشبابيكها الثمانية المصنوعة من الزجاج الملون المـزدوج الذي يترقرق فيه ماء الألوان بشكل يدعو إلى التأمل، وبالرغم من أنها فقدت غالب

(١) المرجع السابق، مج. ٤، ج. ١: ١٨٩.
(٢) المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٨٠٦-٨٠٨.

زخارفها الطرازية فإن ما تبقى منها أكثر وأعظم مما فقد، ويتوسط القبة قبر دفن فيه أحمد الميافارقيني هذا منشئ هذا الأثر بعد سنة (٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م).

ويقوم على هذا القبر صندوق من الرخام المسنون المقوم بزخارف كتابية يقرأ فيها آيات الكرسي تحيط به من جوانبه الأربع. وثمة بعض بقايا أخرى بنفس الأثر بيد أنها خفيفة، ولا بد أن يكون المنشئ جاء إلى القاهرة في عصر الملك الناصر قاصدًا «أي سفيرًا» لبعض ملوك الشرق ثم استقر بها حتى مات؛ وقد أغفل المؤرخون ذكر هذا القاصد فلم يذكروه فيمن وفد إلى مصر في عصر الملك الناصر.

ويتصل بهذه القبة مسجد صغير يصلى فيه، يبدو من تفاصيله أنه متغاير تغايرًا بعيدًا عن الأثر، وربما كان هو كل ما بقي من مساحة المدرسة القاصدية، ويؤكد الوزير علي مبارك باشا أن هذا المسجد جدد في حدود القرن التاسع فقد نقل لنا نصًّا تاريخيًّا فقد الآن، ورد فيه ما يلي[1]:

جدد هذا المسجد المبارك من فضل الله تعالى العبد
الفقير المقر بالعجز والتقصير الراجي عفو ربه علي
بن حسين سنة تسعماية

ويلوح أن منشئ هذه المدرسة قصد أن يجعل منها معهدًا للقراءات وتربة لدفنه فقد أفاد الحافظ السخاوي أن هذه المدرسة ظلت مستعملة للقراءات حتى عصره، وكان شيخها إذ ذاك الشيخ ناصر الدين القاصدي «انظر الضوء اللامع»[2].

ميافارقين

وميافارقين البلد الذي نسب إليه منشئ هذا الأثر، هي من أكبر مدن ديار بكر بن وائل بالموصل واقعة على نهر دجلة غربًا بقرب آمد وهي مدينة شهيرة الذكر، أسسها الملك قسطنطين ملك الروم وبقيت في حوزة ملوك الروم حتى حين، ثم آلت إلى مملكة الفرس في عهد الملك قباد ابن فيروز الساساني فسماها باسمه وجددها ابنه الملك أنو شروان، وفي آخر حكم الدولة الساسانية، تغلب عليها الملك هرقليوس ملك الروم؛ فأعادها إلى مملكته فبقيت تابعة للدولة الرومانية الشرقية، حتى فتحها عياض بن غنم بقيادة الحكم بن هشام في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في سنة (١٨هـ/ ٦٣٩م) وبنى بها مسجدًا جامعًا.

وكانت هذه المدينة في أول الفتح الإسلامي تابعة لحكومة مصر، وتولاها بنو حمدان في عصر الدولة الإخشيدية والعصر الذي سبقه مباشرة وبنو أيوب طوال مدة الحكم الأيوبي في مصر، وتولاها منهم المظفر غازي بن العادل بن أيوب في سنة (٦٠٨هـ/ ١٢١١م) وبقيت ولايتها في عقبه زمنًا، ثم بقيت بعد ذلك تابعة لمصر بالسيادة من ذلك العهد حتى آخر دولة المماليك الأخيرة، بيد أنها خرجت عن الطاعة جملة مرات، واستردها الملك الأشرف برسباي في سنة (٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م) ثم شقت عصا الطاعة ثانية في عهد الملك الأشرف قايتباي فجرد إليها حملة كبيرة بقيادة الأمير يشبك الدوادار، فقاوم العصاة مقاومة شديدة، ولكنه لم يسترد المدينة، فبقيت منعزلة عن المملكة المصرية بالجفاء والعصيان، ولم تذعن بالطاعة تمامًا إلا للسلطان سليم العثماني في سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)، ومن حينئذ آلت إلى المملكة العثمانية، وهي الآن تابعة لحكومة العراق منذ استقلالها.

---

(١) ذكر علي مبارك هذه المدرسة ضمن الزوايا، وأطلق عليها زاوية القاصد، وحدد موقعها بجوار باب النصر بين باب العطوف ووكالة الحتو عند سوق العصر، الذي يباع فيه عتيق الثياب ونحوها، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١١٢.

(٢) ذكر السخاوي اسمه في معرض حديثه عن علي بن محمد بن عمر البطائحي، ولم يترجم له، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢.

وقد قاست هذه المدينة أهوالاً شديدة في عصور مختلفة، فأصابها أولاً غزو الروم لها في سنة (٢٣١-٣٤٨هـ/ ٨٤٥-٩٥٩م) طمعًا في استرجاعها وضمها إلى مملكتهم، بيد أنهم لم ينجحوا في هذه الغزوة لتغلب المسلمين عليهم وإجلائهم عنها بقوة السيف، ثم أغار عليها التتار في سنة (٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م) في عهد الملكة شجرة الدر، وأخذ هولاكو صاحبها الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب أسيرًا واستبقاه في القلعة بأهله وعشيرته وحاشيته، فبقي محجورًا عليه إلى سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) فمات في سجنه، وقد تولى حكم هذه المدينة مدة طويلة تبتدئ من سنة (٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م) بعد موت والده مباشرة، ولما أغار التتار عليها فر هاربًا إلى دمشق مستنجدًا بالملك الناصر صلاح الدين يوسف فوعده بالنجدة بيد أن كلاهما أخفق، فاحتلها هولاكو نهائيًّا ولبث بها حينًا، ثم عادت ثانية إلى حكومة مصر في سنة (٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م)، حتى استقل بها بنو أيوب إلى سنة (٨٦٦هـ/ ١٤٦٢م)، وآخر من تولاها منهم الملك الصالح زين العابدين بن علي بن محمود بن العادل[1].

مسجد القاصد بباب اللوق

وقد يلتبس على بعض الباحثين القاصد هذا بالقاصد الآخر، صاحب مسجد وبستان القاصد، والذي يؤخذ من كلام المقريزي، أن القاصد الثاني هو أحد «سفراء- قصاد» التتار الذين وفدوا على الملك الظاهر بيبرس في سنة (٦٦١هـ/ ١٢٦٣م) من قبل الملك بركة خان التتري، فأنزلهم السلطان بأراضي اللوق وهي جميع الأرض المحصورة بين أرض المنيرة جنوبًا «بستان الخشاب- منشأة المهراني سابقًا»، وبين خط الدكة وأرض المقس شمالاً «شارع كامل ونوبار- ثم شارع إبراهيم باشا- الجمهورية حاليًّا»[2].

ثم بنى لهم مساكن أسكنهم بها وأقطعهم مساحة كبيرة من هذه الأرض، دخل فيها جميع الحكر المعروف بالساباط وبنى لكبيرهم القاصد مسجدًا وغرس له بستانًا ومنذ ذلك الوقت عرف الحكر المذكور آنفًا بحكر القاصد، وصار هذا الاسم علمًا على جميع المنطقة المحصورة بين شارع قنطرة قديدار والحوياتي، وبين شارع عماد الدين[3].

ولا يزال مسجد القاصد باقيًا متغايرًا بنفس هذه المنطقة بالشارع المعروف بالشيخ عبد الدائم «بن عنان» رقم٢٤ وبداخله ضريح يعزى للقاصد هذا «انظر هذا المسجد»[4]، وهذا المسجد لم يذكره المقريزي ودلت عليه القرينة الظاهرة، وهو غير المسجد الآخر الذي سماه بمسجد غيط القاصد، ووضعه خلف قنطرة قديدار التي كانت واقعة بآخر شارع جامع جركس وهو الذي عرف بالحوياتي أخيرًا، ثم دثر وبقي منه ضريح الشيخ محمد الحوياتي حتى أواخر القرن المنصرم «انظر هذا الجامع وجامع القاصد»[5].

(١) زكريا محمد بن محمود القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد** (بيروت: دار صادر، ١٩٩٨): ٥٦٥.

(٢) عن باب اللوق، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٨٨-٣٨٩، هامش ٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٦: ٣٠، هامش ٤؛ المرجع السابق، مج. ٧: ١٩٦، هامش ٦؛ المرجع السابق، مج. ٩: ١٩٣، هامش ٢.

(٣) قنطرة قدادار أو قنطرة المدابغ ومكانها الآن قرب نقطة تلاقي شارع يوسف الجندي «الحوياتي سابقًا» مع شارع صبري أبو علم «جامع شركس سابقًا» حيث كان الخليج الناصري يمر من هذه الجهة، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٨٢، هامش٦؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٩٩.

(٤) شارع عبد الدايم أطلق عليه شارع عبد العزيز جاويش متفرع من شارع التحرير بالقرب من قصر عابدين، وشارع القاصد هو المسمى بشارع محمد محمود. (المراجع)

(٥) ضريح الحوياتي كان على ناصية شارع الحوياتي (شارع يوسف الجندي) وشارع محمد محمود، وقد اندثر. (المراجع)

جامع الأشرف خليل

قبة أثرية رقم ٢٧٥ (سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م)

هذا الجامع بشارع الأشرف «درب السباع سابقًا»، أنشأه الملك الأشرف خليل بن الملك المنصور قلاوون في سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م) برسم تربة، وبدأ بإنشائه في أواخر سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م) وكمل في سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)، وهو إذ ذاك وليٌّ للعهد وسلطان على مصر بالنيابة في حياة والده، وهذا ما يبدو ظاهرًا من كلام صاحب النجوم الزاهرة، فقد ذكر أنه بويع له بالسلطنة وولاية العهد في شوال سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م) بعد وفاة أخيه الصالح علاء الدين علي، ويؤيده ما ورد في المذكرة الآتية من ألقابه وألقاب أبيه[١].

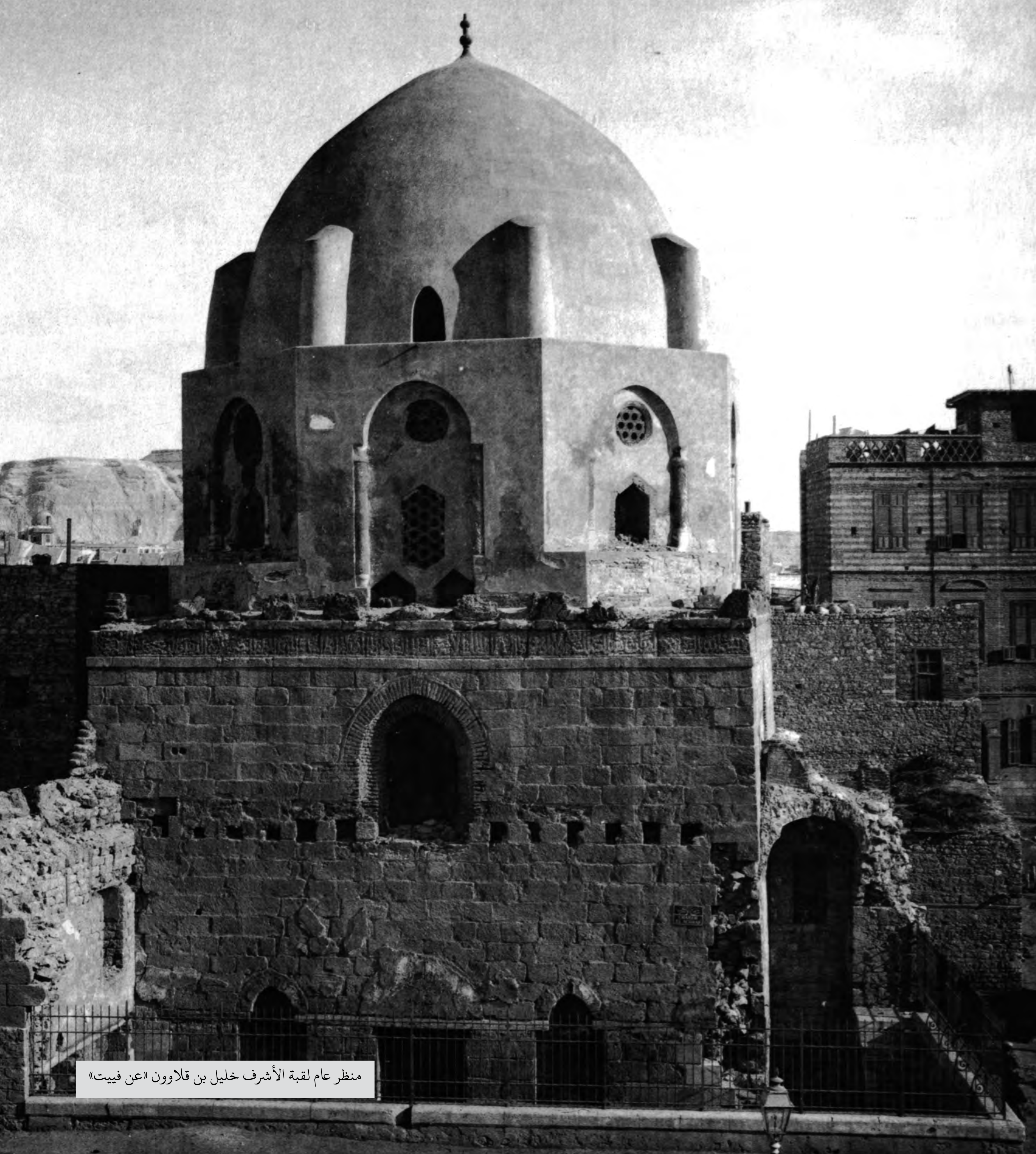
وقد تخلف من هذا الأثر قبة جميلة من نوع القباب القلاوونية؛ كانت نموذجًا لمهندس القبة الحديثة لقبة جامع السلطان حسن في سنة (١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م)، وأخيرًا لقبة التربة المنصورية الحديثة، وقد تجدد من هذه القبة بعض أجزاء من أسفلها في أول سنة (١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م).

(١) ذكر المقريزي أن الأشرف خليل بنى هذه القبة بالقرب من المشهد النفيسي وقت أن كان وليًّا للعهد، في سنة (...) وتسعين وست مائة، بينما يشير النص التأسيسي للقبة لسنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)، بعد عام واحد من التاريخ الذي ذكره صاحب المزارات، انظر: المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٦٧٣-٦٧٦، هامش ١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ٢٥، هامش ١؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦ :٤-٥.

مذكرة القبة الأشرفية

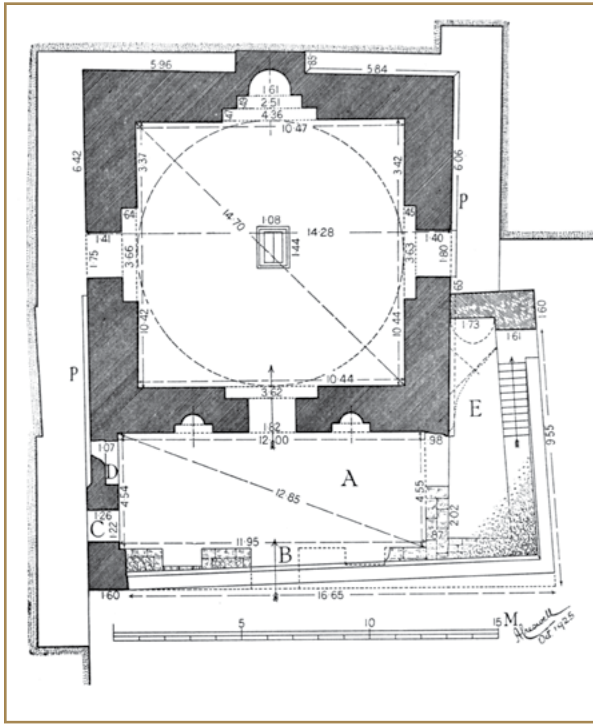
ويعلو واجهة هذه القبة طراز دائر مكتوب فيه ما نصه:

البسملة... أمر بإنشاء هذه القبة الشريفة مولانا وسيدنا السلطان الملك الأشرف العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر المؤيد المظفر صلاح الدنيا والدين قاتل الكفرة والمشركين قاهر الخوارج والمتمردين مبيد الطغاة محيي العدل في العالمين منصف المظلومين من الظالمين كنز الفقراء والمساكين كهف الضعفاء والمنقطعين ناصر الحق بالبراهين محيي ملة سيد المرسلين حامي حوزة الدين أبو الفتح خليل ابن مولانا وسيدنا السلطان الأعظم الملك المنصور العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر المؤيد المظفر المنصور سلطان العرب والعجم مالك رقاب الأمم سلطان الشام واليمن ملك البحرين. خادم الحرمين الشريفين صاحب القبلتين ملك الديار المصرية والجهات الحجازية والأعمال الفراتية والديار الشامية أوحد الملوك العصرية بهلوان جهان قسيم أمير المؤمنين سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين قاهر



منظر عام لقبة الأشرف خليل بن قلاوون «عن فييت»

الخوارج والمتمردين قلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين أدام الله أيامه وحرس أنعامه- وذلك في شهور سنة سبع وثمانين وستمائة.



مسقط أفقي لجامع الأشرف خليل «عن كريسويل»

ترجمة المنشئ

والأشرف خليل الذي ينسب إليه هذا الأثر هو أحد ملوك مصر من الدولة القلاوونية تولى الملك استقلالاً بعد وفاة والده المنصور قلاوون في سنة (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م) وبقي إلى سنة (٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م)، ويوصف بالحزم والكياسة وعلو الهمة وبعد النظر، حارب الفرنج وقاتلهم قتالاً شديدًا حتى استخلص منهم عكا وصور ومعظم السواحل الشامية، ووقع له من الفتح والنصر ما لم يقع لملك غيره، وما برح في محاربة وقتال وفتح لبلاد إسلامية مغصوبة حتى قتل من مماليك والده في هذه السنة، وتولى الملك بعده الملك القاهر بيدرا الأشرفي ساعة زمان ثم قتل، وفي عصره كانت العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المملكة المصرية وبين دول أوروبا منتظمة، ولم تظهر مصر كمملكة مستقلة ذات سفراء وقناصل وممثلين لها في الغرب ظهورها في عصر هذا الملك(١).

(١) عن سيرة الأشرف خليل بن قلاوون، انظر: ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، مج. ١: ١٣٦-١٦٧؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٧٧٢-٧٧٣؛ العيني، **عقد الجمان**، مج. ٣: ٢٠٦-٢١٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ٣-٥، ٢٥.

جامع حسام الدين طوران طاي (أبو الفضل) المدرسة الحسامية

قبة أثرية رقم ١٨٦ (سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)

هــذا الجامع بعطفة الصاوي، شــارع درب ســعادة «سابقًا خط المسطاح - الوزيرية»[١]، كان في الأصل مدرسة أنشئت في سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، وسماها المقريزي بالمدرسة الحسامية، وقال إنها تنسب إلى الأمير حسام الدين طرنطاي المنصوري نائب السلطنة بديار مصر، أنشأها إلى جانب داره وجعلها برسم الفقهاء الشافعية، ثم ترجم لمنشئها[٢].

وقد تخلف من هذه المدرسة قبة تسودها البساطة من الخارج، بيد أن داخلها حافل بالزخارف والنقوش الكتابية وغيرها، ومقرنصاتها في غاية الإبداع والإتقان، وبها محراب محلى بزخارف ونقــوش جصية جميلــة، وبرقبتها زخارف قرآنية من سورة الأعراف، ويتوسط القبة تابوت من خشب خرط مشغول، محلى بنقوش كتابية تنتهي بمذكرة تاريخية، وببعض أجزائه تصليــح حديث، وللقبة ثلاثة أبواب، باب إلى ظهر بيت بالســنانكلي الذي كان دارًا للمنشئ المذكور فيما مضى، ثم آل إلى الأمير عثمان كتخدا القازدوغلي ومنه إلى الأمير ســليمان زوج الأميرة شويكار قادن المشهورة، ثم باب آخر بحري وهو البــاب العمومي، وعلى يمين الداخل باب آخر يتوصل منه إلى غرفة مستطيلة بصدرها إلى الجهة البحرية، قبر دفن فيه الشــيخ أبو الفضــل الوزيري، ولها شباك يطل على الإيوان الشرقي للمسجد، ويجاور هذه القبة، مسجد مرتفع عن مستوى الطريق يصعد إليه بدرج، تنتهي بباب نصل منه إلى داخل المسجد بعد اجتياز ممر صغير.

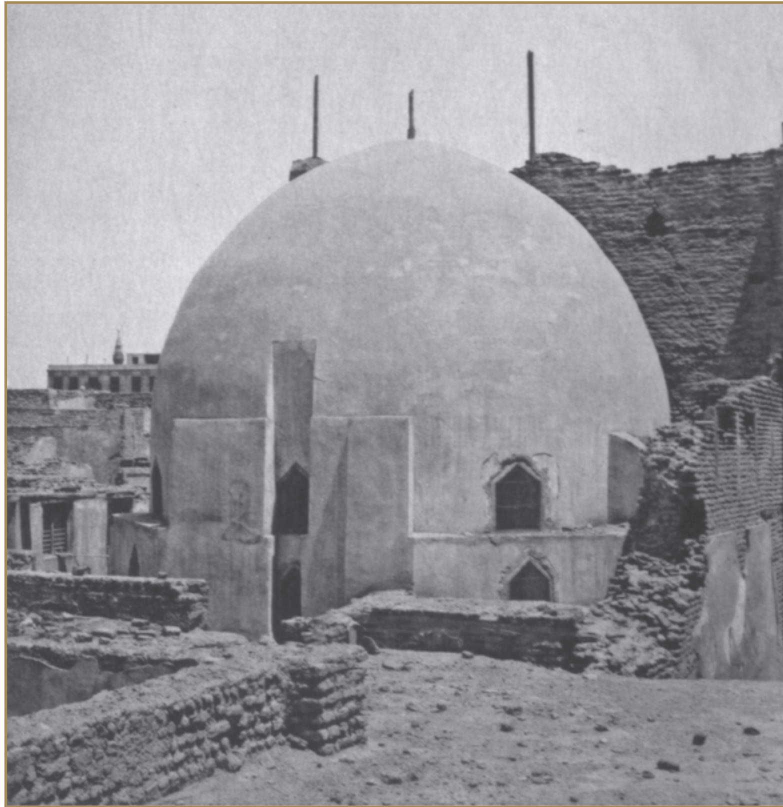
وهذا المسجد يشــتمل على بلاطتين، تحملها أساطين ذات أقواس يحــدق بها صحن مكشــوف وبينهما مرافق المســجد، وبالجانب الشرقي، محراب من حجر تعلوه قطعة فصة مستديرة ويجاوره المنبر وبالجانب الغربي باب المسجد وسدة للتبليغ، ولها باب بالطرف القبلي، ويقابل هذا الباب، باب آخر يصل إلى المئذنة وهي أسطوانية الشكل على الطراز العثماني المتأخر[٣].

وينسب إنشاء هذا المسجد إلى الأمير عثمان كتخدا قازدغلي، صاحــب الآثار المعروفة به المتوفى قتلاً في ســنة (١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م)، وهو ما تنــص عليه المذكرات التاريخية الآتية، وقد عرف هذا المســجد بأبي الفضل، لإقامة الشيخ أبي الفضل شــمس الدين محمــد بن إبراهيــم بن عثمان الخطيب الوزيري أحد علماء المالكية المتوفى ســنة (٩٠٣هـ/

(١) رقم هذا الأثر٥٩٠ بدليل آثار مدينة القاهرة.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٤٨.

(٣) أبو العمايم، **آثار القاهرة**، مج. ١: ٢٨١- ٢٨٢.



قبة جامع حسام الدين طوران طاي «عن كريسويل»

١٤٩٧م)، فيه قبل حدوث عمارته الأخيرة[١]، وهو المدفون فيما يقال بالتربة البادية الذكر[٢].

وقد سبقه إلى الإقامة به الشيخ علي بن عبد الله ابن أبي بكر الأردبيلي القبريزي أحد علماء الشافعية بالقاهرة، دخلها سنة (٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م)، وسكن بها في حياة

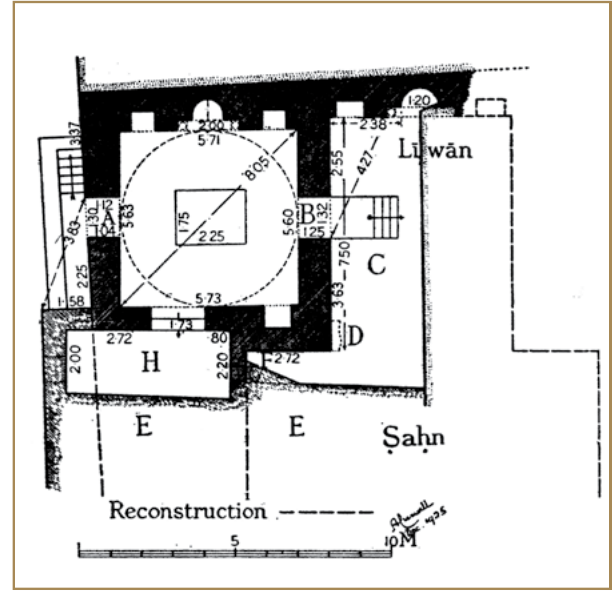
(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٢٦٠.

(٢) يعرف موضع المدرسة الحسامية اليوم بجامع أبي الفضل بحارة الصاوي من درب سعادة، ولا يزال يوجد بجوار هذا المسجد قبة أثرية تحتها قبر الأمير طوران طاي الذي دفن فيه بعد نقل جثته من القرافة، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٣٨٤، هامش ١.

ابن منشئها، وما برح حتى مات في سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) (انظر مرآة الزمان لليافعي وابن إياس).

وهذا المسجد لم يذكره علي مبارك باشا في الخطط، وإنما نقل ترجمة المدرسة الحسامية المذكورة في المقريزي وظن أنها جامع الجمالي يوسف، كما ذكر في وضع آخر من الخطط، أن المدرسة الحسامية دثرت، وهذا وذاك خطأ كما ترى وأحرى بنا أن ننبه إليه[٣].

(٣) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١٣-١٤.



مسقط أفقي لجامع حسام الدين طوران طاي «عن كريسويل»

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى: على التابوت تبتدئ بالبسملة ثم بآية الكرسي ثم بما نصه:

البسملة.... كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام. هذا قبر العبد الفقير إلى الله تعالى الأمير الأجل حسام الدين طرنطاي الملكي المنصوري. توفي يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة سنة تسعة وثمانين وستمائة.

المذكرة الثانية: في إزار بنصف الإيوان الشرقي من الجهة القبلية ممتدًا إلى النصف الغربي.

البسملة.... أول سورة الفتح- إلى قوله مصيرًا- جدد هذا المسجد المبارك من فضل الله تعالى الأمير عثمان جاويش تابع المرحوم كتخدا قصضغلى سنة ١١٤٠

المذكرة الثالثة: في إزار بنصف الإيوان المذكور مارًّا بالصحن إلى السقف الغربي وهي نفس المذكرة السابقة، بيد أنها تبتدئ بالبسملة وآية سورة النور (إلى قوله تعالى **بغير حساب**).

المذكرة الرابعة: في إزار أيضًا بالنصف الغربي البحري. تبتدئ بالبسملة. ثم بآيات الكرسي- إلى قوله تعالى (الحميد- صدق الله العظيم) ثم النص المذكور، مختتمًا بجملة- وكان الفراغ سنة (١١٤٠هـ).

ضريح سحاب- مدفن السنانكلي

وفي ظهر هذا الجامع مباشرة بيت الأمير طرنطاي منشئ هذا الأثر، وقد سكن فيها الأمير عثمان كتخدا القازدوغلي، ثم آلت إلى الأمير عثمان بك السنانكلي حاكم مدينة جرجا في عهد العزيز محمد علي، ثم لأخيه محمد بك ثم لورثتها من أفراد هذه الأسرة، وفي جانبها إلى جهة الجنوب ضريح يعرف بحبيب النجار، وهو عبارة عن مدفن به خمس ترب، دفن في أحدها عثمان بك السنانكلي المذكور وشقيقه، وفي باقيها طائفة من أفراد هذه الأسرة، وأخرى للخدم، اشتهرت بأحدهم المدعو سحاب، وظهر من كلام الجبرتي في تاريخه أن الشيخ حبيب هذا قديم وجدوه بهذه المنطقة، حتى أنه سماها باسم خط الشيخ حبيب «انظر مسجد الشيخ حبيب بشارع المنجلة».

منشئ هذا المسجد

ومنشئ هذا المسجد هو الأمير حسام الدين طرنطاي تولى نيابة السلطنة في المملكة المصرية، في عهد الملك المنصور قلاوون في سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)، وفي سنة (٦٨٥هـ/

١٢٨٦م) تـولى قيادة الحملـة الموجهة إلى الكـرك لمحاربة الثائريـن بها فرجع منها ظافرًا، فزاد السـلطان في قربه ثم بعثه مرة أخرى إلى احتلال صهيون فأخذها وأتى بصاحبها أسيرًا إلى القاهرة، وما برح طرنطاي موضع رعاية السلطان حتى مات، وتولى ابنه الأشرف خليل مكانه فامتهنه وقبض عليه وسـجنه لكراهة وعداء قديم بينهما ذكره المقريزي، فما برح مسـجونًا حتى مات في هذه السـنة، وظل جسده في السـجن ملقى على الأرض بغير دفن لمدة ثمانية أيام، ثم أخذ فألقي في القرافة، فأخذه شـيخ تربة أبي السعود بن أبي العشائر بسفح المقطم[١]، وهو المدعو الشيخ عمر بن يعقوب ابن أحمد السـعودي المتوفى في جمادى الآخرة سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) فدفنـه بها بعد أن كفنه وجهـزه، فلما تولى الملك العادل كتبغا في سـنة (٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م) أمر بنقل جثته إلى هذه القبة فدفن بالقبر الذي كان قد أعده فيها لنفسه[٢].

(١) تقع زاوية أبي السعود بن أبي العشائر بجبانة سيدي علي أبي الوفا الواقعة تحت جبل المقطم شرقي جبانة الإمام الليث، وفي الشمال الغربي لمقام الشيخ سلامة أبي طرطور، وجامع السادات الوفائية، وما تزال شواهدها موجودة، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٣٨٤، هامش ١؛ المرجع السابق، مج: ٨: ٢٨٣؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٥٠، هامش ١.

(٢) عن سيرة الأمير حسام الدين أبو السعود طرنطاي بن عبد الله المنصوري، نائب السلطنة، انظر: ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، مج. ١: ١٣٦-١٣٧؛ العيني، **عقد الجمان**، مج. ٣: ٢٦-٣٢؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٤٨-٥٥٢؛ المنصوري، **زبدة الفكرة**: ٢٧٤-٢٧٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ٣٨٣-٣٨٤.

مدرسة آق بغا آص المنصوري (رباط أحمد بن سليمان)

أثر رقم ٢٢٥ (حوالي سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

هذه المدرسة بعطفة سليم باشا من حارة درب حلوات بنهاية المنطقة التي عرفت سابقًا بحارة الهلالية بسويقة العزي «شارع سوق السلاح الآن»، نسب إلى الشيخ أحمد ابن سليمان بن أحمد بن سليمان بن إبراهيم بن أبي المعالي ابن عباس الرفاعي، ينتهي نسبه إلى السيد عثمان الرفاعي سبط السيد أحمد الرفاعي الكبير [المتوفى سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)]، كان المذكور من مشايخ الرفاعية ومن أفراد أسرتها، أخذ عن والده السيد أحمد بن سليمان المعروف بالبطائحي الكبير شيخ الرواق بأم عبيدة، ثم دخل مصر وأقام بها شيخًا للحديث ومذكرًا على الطريقة الرفاعية؛ وأنشئ له هذا الرباط في حياته، وكان يقرأ به الميعاد والحديث، وصار للناس فيه اعتقاد كبير.

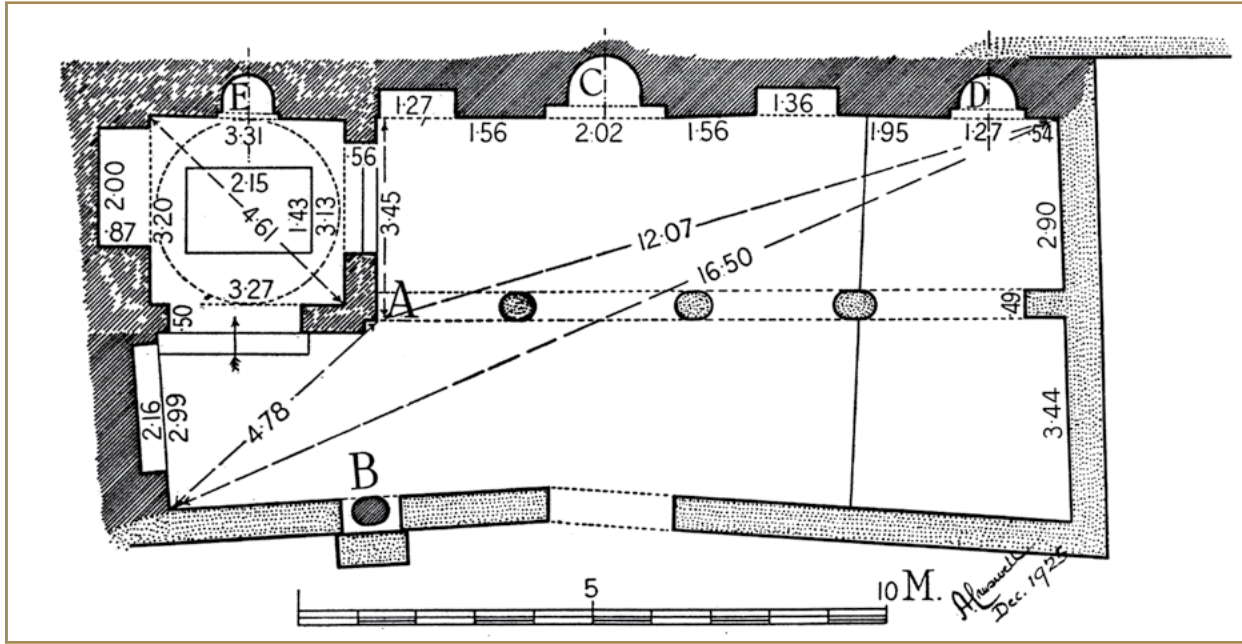
ومنشؤه هو الأمير آق بغا آص المنصوري[1]، أنشأه في حوالي سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) برسم مدرسة للشافعية، وعمل بها مشيخة للتصوف عين لها الشيخ أحمد بن سليمان المذكور- وبنى إلى جانبها رباطًا لسكنى الصوفية وأودع فيها مكتبة جمعت الكثير من نفائس الكتب ونوادرها[2].

بيد أنها لم تمكث طويلاً حتى تبددت وبقي من مخلفاتها نسخة من صحيح البخاري في جزأين «فقد الأول منها»، وعليها سماعات من الحافظ أبي ذر الهروي وابن عساكر وغيرهما، وقيل إن آق بغا آص المذكور بذل في شرائها عشرة آلاف دينار.

ويوصف الشيخ أحمد بن سليمان هذا بأنه كان ذا سمت حسن وقبول عظيم، وكان معاصرًا لابن عمه الشيخ علي بن أبي القاسم الرفاعي المدفون بالزاوية الرفاعية «جامع الرفاعي» المتوفى في حدود القرن السادس وكان كلاهما شيخًا لهذه الطريقة الرفاعية، وما برح الشيخ أحمد بن سليمان مقيمًا بهذا الرباط حتى توفي في يوم الإثنين السادس من

(١) الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير علاء الدين كتبغا - يلبغا «آقبغا» آص المنصوري: شاد الدواوين وإستادار السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، قبض عليه لما أسندت الأتابكية إلى إستدمر الناصر لعداوة بينهما، حيث سجن بالإسكندرية سنة (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)، ثم رسم السلطان بالإفراج عنه سنة (٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م) وولاه الأتابكية، غير أنه لم يحسن سياسته ناحية السلطان، إذ تحقق له أنه يريد الانقضاض عليه، فنقم عليه وسجنه ثم قتله في نفس العام= وتولى الأتابكية من بعده إستدمر، ثم طقتمر النظامي، ثم ملكتمر المحمدي، ويلبغا المنصوري، ثم منكلي بغا الشمسي، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢١٢، هامش ٢؛ المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٦٥٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٢: ١٣٦؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ٣٦٧.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٩٧-٧٩٨.



مسقط أفقي لمدرسة آقبغا آص المنصوري «عن كريسويل»

شهر ذي الحجة سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، وبنيت له تربة بجانب الرباط من الجهة الشـمالية، رفعت فوقها قبة محكمة وأقيم على قـبره ذلك التابوت الفاخر، وتاريخ وفاته، هذا هو الذي جاء بالنص التاريخي الآتي.

وقد بقي هذا الرباط بعد وفاة شـيخه معقلاً للسادة الرفاعية حتى اليوم، وظل يعرف بالمدرسـة الأقبغاصية أو مدرسة آقبغا آص مدى حين، ثم عرف برباط ابن سليمان، وهو الاسم الذي جاء في خطط المقريزي وسكن فيه السيد شـمس الدين أبو عبد الله محمد البصري الحريري بن علي ابن عبد المحسـن السـبط الثالث للسـيد أحمد الرفاعي المذكور، قدم المذكور شـيخًا للسـادة الرفاعية البطائحية من بصرى إلى مصر بعد وفاة الشـيخ فسـكنه إلى أن توفي به، وخلفه فيه أولاده وهم أبو الحسـن علي ومحمد ثم شعبان وعلي.

وصف الرباط

وهذا الرباط هو البقية الباقية من هذه المدرسـة وهو الآن زاوية صغيرة بالمنطقة المذكورة معروفة بزاوية الشـيخ القيسـوني لأن بها ضريح القيسوني[١]، وآخر يقال له ضريح الشـيخ عبد الله- ثم بالزاوية الرفاعية[٢]، والمدخل إليه من باب غربي منخفض عن الأرض ومنه إلى بلاط شرقي، أهم ما يلفت النظر فيه محرابه الجصي الجميل من نوع المحاريب المعـاصرة- ويقوم سـقف هـذا الرباط على أسـطوانتين

(١) هو الشيخ عبد الله بن محمد بن بيرم الميموني المعروف بالقوصوني، نسبة لسكناه بخانقاه قوصون بالجبانة الناصرية، استقر بهذا الرباط إلى وفاته في شعبان سنة ٨٥٧هـ، وبه عرف درب القوصوني، المحاذي للمدرسة الأقبغاصية من الجانب الشمالي، وهو ما يسمى درب البغاددة، ثم شارع الغندور حاليًّا بسوق السلاح. (المؤلف)

(٢) رزق، **أطلس العمارة الإسلامية**، مج. ٢، ج. ١: ٢١٠.



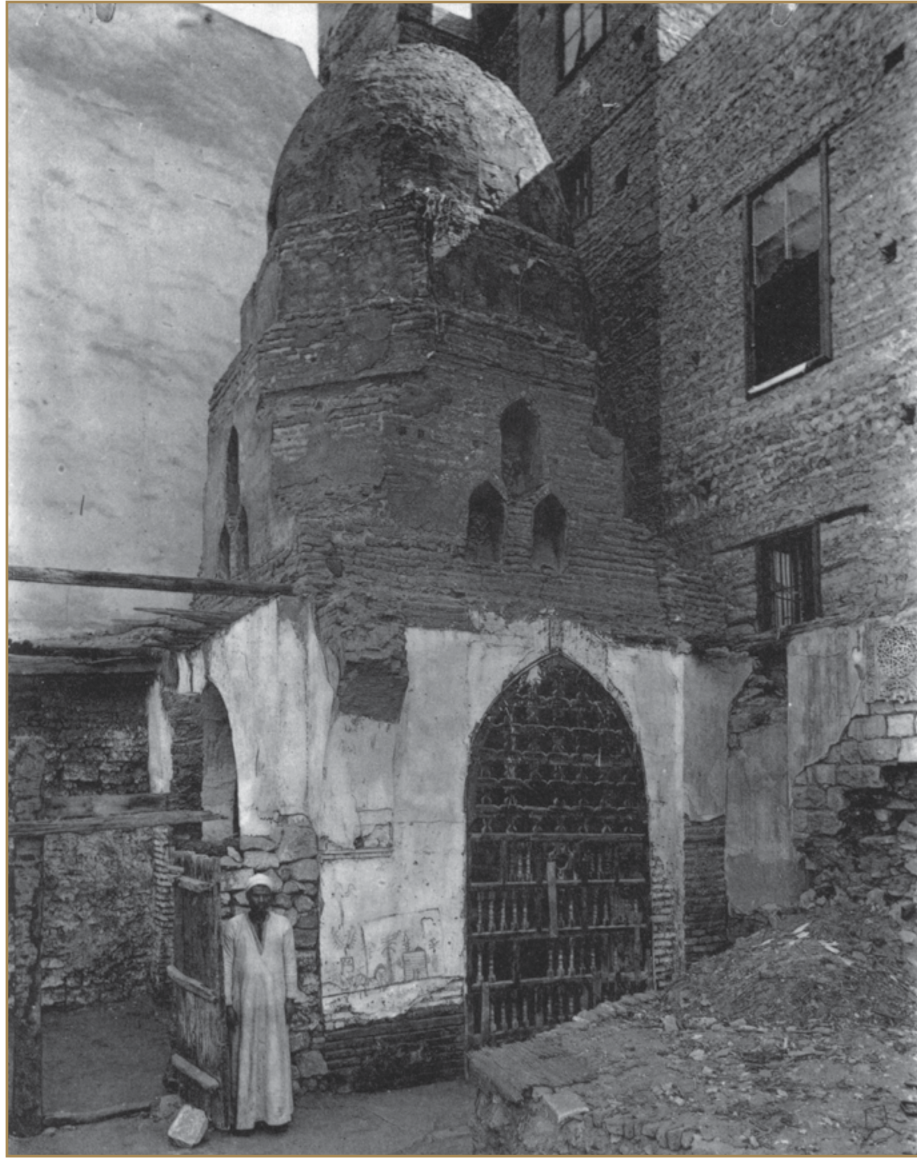
محراب مدرسة آقبغا آص المنصوري «عن كريسويل»

سميكتين من الطوب المطلي بالجص- وفي الجانب البحري منه مقصورة بداخلها ضريح الشيخ.

وأهم ما تخلف من هذا الرباط، قبته الحافلة من الداخل بالزخارف الجصية الجميلة والمقرنصات والنقوش القرآنية من سورة الروم وغيرها- وهي شبيهة بقباب معاصرة- أهمها قبة الزاوية العدوية، بيد أنها صغيرة وقاعدتها مربعة ومحمولة على عقدين من جانبيها القبلي والغربي- ويتوسط الجزء الشرقي منها محراب محلى بزخارف جصية وآيات قرآنية وكتابة كوفية.

ويتوسط أرضية القبة تابوت من خشب مشغول، ملبس بالسن ومحلى بزخارف كتابية في طراز دائر بالصندوق يبتدئ بالبسملة ثم بآية الكرسي إلى أن تنتهي من الجهة القبلية بمذكرة تاريخية في ثلاثة أسطر نصها:

البسملة... كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة بغير حساب، هذا قبر الشيخ الصالح الإمام العالم شيخ مشايخ المسلمين سيدنا محي الدين أبو العباس أحمد بن سليمان الرفاعي توفي يوم الإثنين السادس من شهر ذي الحجة سنة تسعين وستمائة



منظر عام لمدرسة آقبغا آص المنصوري «عن كريسويل»

ومن خــارج القبة رحبة بالجهــة القبلية فيها قبران عليهما تركيبتــان متهدمتان يبدو أنهما أنشــئتا في عصر متأخــر- في أحدهمــا الشــيخ القوصــوني المحرف عن القيســوني- والآخر فيه الشــيخ الحريري وأولاده ويعرف بالشيخ عبد الله، قد سقطت مئذنة هذا الرباط المربعة منذ خمسين عامًا، وقد كانت تماثل- قبة الخانقاه البيبرسية بعض المماثلــة- والمؤكد أن هذا الأثر بحاله الآن ليس من شــك أنه كان يشــمل جميع الأرض الفضاء المحيطة به من ناحيته القبلية والغربية، ثم جميع الأرض التي قامت عليها مجموعة البيوت القائمة في هذا الجانب.

هذا ما وسعنا ذكره من أمر هذا الرباط- بقي أن نقول إن المقريزي قد غاب عنه ما ذكرناه بشــأنه، أما علي مبارك باشــا فلم يعن بالبحث عنه بل لم يهتد إلى طريق الوصول إليه بهذه المنطقة[١].

(١) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج.٦: ١٥٢.

جامع الناصر محمد بن قلاوون (المدرسة الناصرية)

أثر رقم ٤٤ (سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م)

هذا الجامع بشارع المعز لدين الله- سابقًا بين القصرين، أنشأه في بادئ الأمر السلطان الملك العادل كتبغا المنصوري في سنة (٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م)، ولم يتمه فأتمه الملك الناصر محمد بن قلاوون من سنة (٦٩٨-٧٠٣هـ/ ١٢٩٩-١٣٠٣م)[١].

ويصف المقريزي هذه المدرسة، بأن بابها كان في الأصل بابًا لمعبد غير إسلامي بعكا، وذكر سبب مجيئه إلى مصر في سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) في عهد الملك الأشرف خليل ابن قلاوون، ثم إيصاله للملك الناصر قال: «وعمل بها قبة لكنها دون قبة أبيه»[٢]، وعكا أو عك ومعناها الرمل المحرق، مدينة من أهم المدن في القطر الشامي أسسها الملك أوكوريس مؤسس العائلة الرابعة والعشرين سنة (١٥٦٠ قبل الهجرة)، ويقال إن هذا الباب كان مركبًا على أول كنيسة بنيت بها في هذا العهد.

والناظر إلى واجهة هذه المدرسة ومئذنتها وقاعدة القبة وإيوانها الراقي بمحرابه الجميل وزخارفها الأندلسية الطراز وتصميمها على هذا الوضع، يجد أنها كانت مدرسة حافلة جامعة لكثير من المحاسن المعمارية، وهي الآن غير عامرة بالصلوات.

والداخل إلى بابها يجد على يمينه بابًا آخر يصل إلى القبة التي دفن الناصر فيها أمه «سكزباي»[٣]، ثم ابنه أنوك [المتوفى سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)] عن ثمان سنوات، ويجاور القبة بأعلى الباب مئذنة مربعة محلاة بزخارف جميلة أندلسية الطراز، وبها مجموعة نقوش وكتابات، أما القبة فقد سقط غطاؤها من زمن بعيد، وبأعلى وجهة الباب طراز به مذكرة تاريخية نصها:

أمر بإنشاء هذه القبة الشريفة والمدرسة المباركة

مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبي المعالي محمد أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره بمحمد وآله الطاهرين وذلك في شهور سنة خمس وتسعين وستمائة وصلى الله على محمد

وبأعلى الباب روسم في سطرين نصهما:

البسملة... أمر بإنشاء هذه القبة الشريفة والمدرسة المباركة السلطان الأجل الملك الناصر ناصر الدنيا

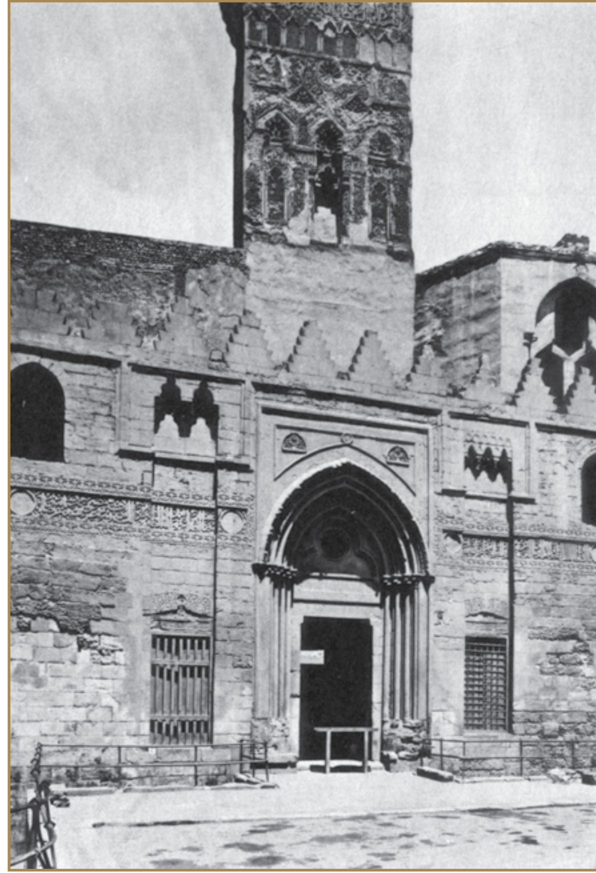
---

(١) المقريزي، **السلوك**، مج. ١: ٩٥١؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٢٤-٥٢٦؛ العيني، **عقد الجمان**، مج. ٤: ٢٩٧-٢٩٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ٢٠٨-٢٠٩؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٨٩؛ المرجع السابق، مج. ٥: ٣٠٢؛ المرجع السابق، مج. ٦: ٤٢.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٢٤-٥٢٦.

(٣) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ٢٠٨.





مدخل مدرسة الناصر محمد بن قلاوون «عن كريسويل»



والدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي قدس الله روحه ونور ضريحه وذلك في شهور سنة ثمان وتسعين وستمائة.

ترجمة المنشئ

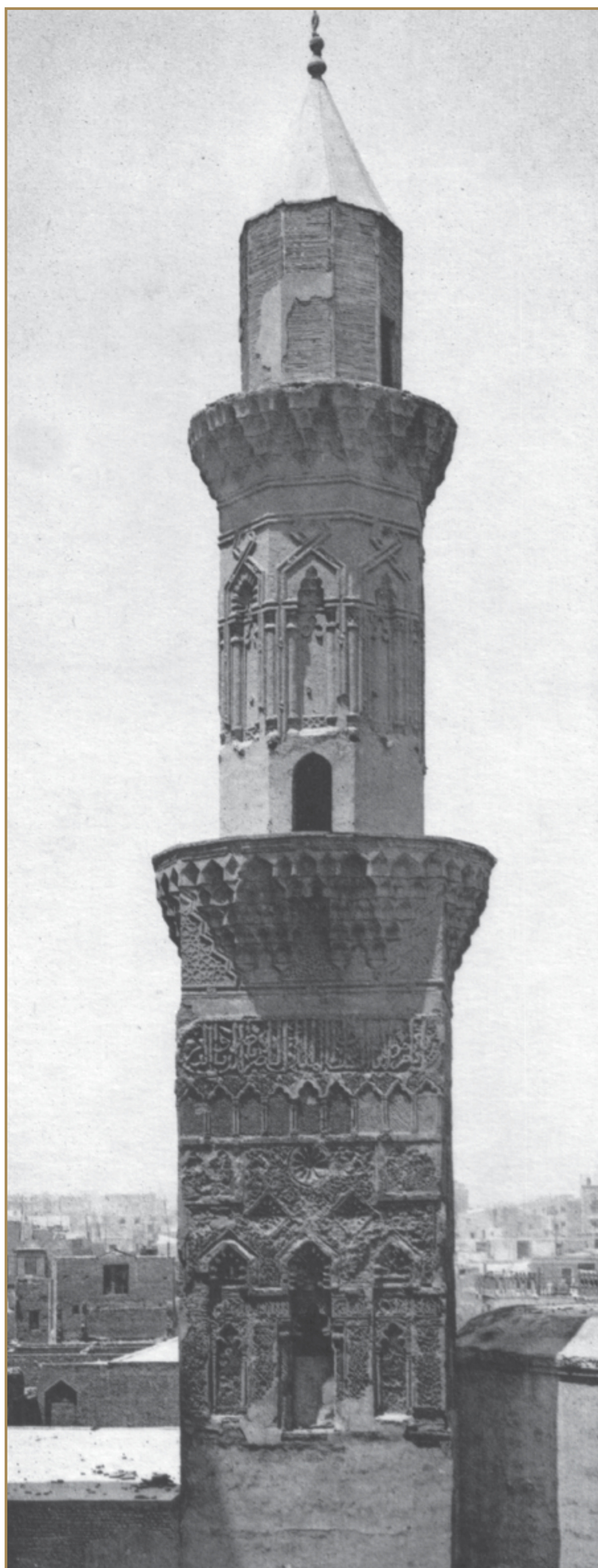
كان الناصر محمد بن قلاوون منشئ هذا الأثر ملكًا عظيمًا كريمًا جوادًا يوصف بالحذق والكياسة وعلو الهمة، أحدث في زمنه إصلاحات كثيرة وكانت شئون مصر الداخلية في عصره منتظمة، وقد بسط الله له العيش ومد في ملكه حتى زاد حكمه على مدة أربعين سنة، تولى في خلالها ثلاثة ملوك غيره لكن لم يستقم لهم الملك كما استقام له، وظلت مصر في عهده بلا ملك مدة ٤٠ يومًا حتى بويع له وعاد إلى ملكه فبقي به إلى سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) ثم مات ودفن بقبة أبيه.

وقد كانت هذه المدة التي قضاها في الحكم، سببًا في تأثره بفن معماري آخر غير الفن الذي رأيناه في هذا الأثر، ويبدو واضحًا بالمقارنة بين جامعه هذا وجامعه الآخر الآتي، ومن الإصلاحات الداخلية الهامة التي سجلها التاريخ لهذا الملك العظيم، حفره للخليج الناصري لتقوية الخليج الكبير، وإكثاره من القناطر والكباري والميادين والمتنزهات العامة، وتنظيم شئون مصر الداخلية تنظيمًا عمليًا وسهره



على راحة شعبه، وفضلاً عن ذلك فقد كان ملكًا تقيًّا عادلاً كريمًا يباشر أمور دولته بنفســه، ونعمــت مصر في أيامه نعمة كبيرة وسعدت سعادة عظمى، وكان فاتحة أعماله حين تــولى الملك أن عمد إلى إلغاء الضرائب الفادحة التي كانت الحكومة السابقة قد أثقلت بها كاهل الأهالي، فألغى ما كان مفروضًــا منها على الفقراء والمعوزين الذين لا طاقة لهم على أدائها لقلة ذات يدهم، ثم عدل المفروض منها على الأغنياء بنسبة ملائمة.

وبالتالي عمد إلى إصدار أمر بمنع شرب الخمر نهائيًّا، وشــدد تشــديدًا بالغ الحد في المحافظة على الآداب العامة، وفي عصره أخذت العلــوم والمعارف تنتشر بطريقة منظمة وبعمل مباشر- وكان هو بدوره يشجع العلماء بصورة عملية، ويغدق عليهم وعلى عامة الكتاب بالمال والجوائز والمكافآت إلى غير ذلك، وقد تمكن الناصر في خلال المدة التي أقامها في الحكم، أن يجعل مــن مصر قاعدة حربية ذات حصانة ومناعة فزودها بكل المعــدات الحربية الحديثة، وبالتالي عمد إلى فرض قانون للتجنيد شــبه إجباري، وبذلك تحول أكبر عدد ممكن من الشــعب- إلى جبهة عسكرية مدربة أحسن تدريب تســتطيع تلبية نداء الوطن عند حلول أي حادث أو طارق، وبهذا الاســتعداد وتلــك اليقظة وهذا الشــعور الحي الذي كمن في نفس السلطان الملك الناصر اســتطاع بكل هذه العوامــل أن يقهر أعظم جيش مغير على بلاده- كان يهدد العالم أجمع، وهو جيش غازان التتري فرده على أعقابه خسر الدنيــا والآخرة، ثم أعاد ما اغتصبه ذلك العدو الجبار المفاجئ من السواحل والبلاد الشامية على المملكة المصرية.

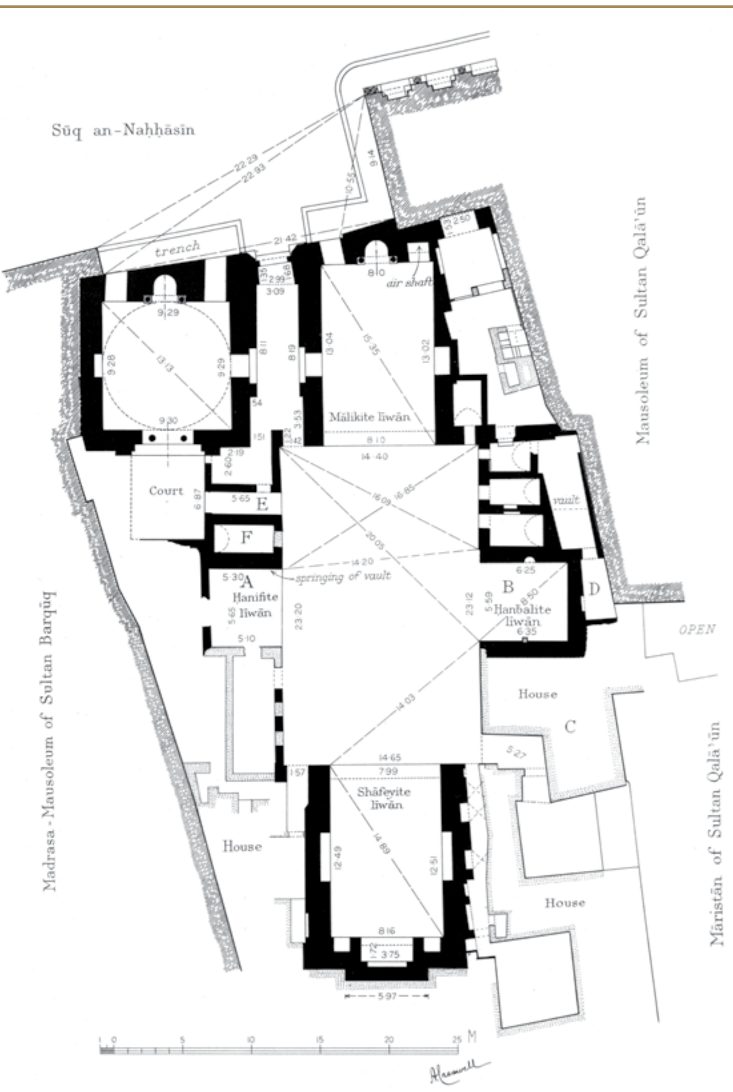


مئذنة جامع الناصر محمد بن قلاوون «عن كريسويل»

وممــا يجدر ذكره في هذا الصــدد أن الأمة المصرية قد برهنــت على صدق محبتها لهذا المليــك المحبوب بأن عمد

أغنياؤهـا إلى التنازل عـن ثلث ما يملكـون من مال أو عقار أو متـع إلى الحكومة المصرية، بتجهيز المقاتلة بالعدد والآلات لمحاربة هذا العدو المغير، فكان النصر وكان الظفر، ورد الله كيـد العدو في نحره وعاد خاسـئًا حسـيرًا، ومنذ ذلـك الوقت بفضل تلك الهمة العاليـة والعزيمة الصادقة من الملك والشـعب كبرت مصر وحكومتها في نظر الدول الغربية، فتمكنت العلاقات بينها وبين أوروبا إلى حد كبير، وأوفدت الدول والملوك رسـلها وسفراءها إلى الملك الناصر بالهدايا والتقادم؛ وتمكنت الروابط بينهما وظهرت المملكة المصرية بما يجب أن تظهر به.

هذه نظرة عامة على حيـاة الملك الناصر، أما إذا أردنا أن نتكلم عن حياته الخصوصية وما كان فيه من ترف وبذخ وما أسـبغ عليه من نعم الله وآلائه، فذلك ما لا نسـتطيع حصره وتفصيله، وحسبنا أن قصوره كانت لا تعادلها قصور ملوك أخرى لا في الشرق ولا في الغرب، فهذه قصوره السبعة التي كانـت بالقلعة، كان فيها من الوصيفات المولدات ألف ومائتي وصيفة سـوى ما عداهـن من النسـاء من بقية الأجنـاس (انظر المقريزي)، أضف إليهـا قصوره الأخرى المتفرقة بمـصر والقاهرة وظواهرهما، ومـع هذا كله فقد كان ملكًا صالحًا قابضًا لدينه شـديدًا في أحكام الله محافظًا على الصلوات والصلاة الوسـطى عابدًا قانتًا فرحمه الله من ملك عادل، وبالجملة فإن للناصر محمد بن قلاوون سيرة لا تتحملها هذه العجالة، وقد أفردت بالتأليف(١).



مسقط أفقي لمدرسة الناصر محمد بن قلاوون «عن كريسويل»

(١) عن سيرة الملك الناصر محمد بن قلاوون، انظر: العيني، **عقد الجمان**، مج. ٣: ٢٢٢-٢٢٣؛ الشجاعي، **تاريخ الملك الناصر**: ١٠١-١١٩؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، مج. ٨: ٣٥٢؛ موسى بن محمد بن يحيي اليوسفي، **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**، تحقيق ودراسة أحمد حطيط (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٦)؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٧٧٤- ٧٧٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ٤١.

زاوية تقي الدين العجمي

(سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م)

هذه الزاوية بدرب اللبانة «سابقًا خط المصنع الظاهري» بميدان محمد علي «الرميلة»؛ أنشأها الملك حسام الدين لاجين المنصوري ملك مصر، الذي تولى الحكم من سنة (٦٩٥-٦٩٨هـ/ ١٢٩٦-١٢٩٩م)، للشيخ تقي الدين رجب بن أشيرك المعروف بالعجمي التركستاني الأصل في سنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م)، وأوقف عليها أوقافًا اشترط في وقفيتها أن تكون خانقاهًا وسكنًا للشيخ المذكور ولخلفائه وأولاده في الطريق من بعده، ورباطًا أو ملجأ لمن لا أهل له ولا ولد، وأنشأ تربة بسفح المقطم لدفن جماعة الصوفية التابعين له، وقد دفن بها جماعة من أصحابه منهم الشيخ سليمان العجمي شقيق الشيخ تقي الدين المذكور.

مسجد الأعجام بالقرافة

وقد عرفت هذه التربة بعد حين بمسجد الأعجام أو الأعاجم [انظر ابن تغري بردي والضوء اللامع] وذلك لكثرة من دفن فيها من الأعجام من شيوخ هذه الزاوية أمثال الشيخ حسن العجمي وجماعة آخرين [انظر تحفة الأحباب للسخاوي].

ويؤكد الحافظ السخاوي في الضوء اللامع أن هذه التربة تجاه جامع محمود بسفح المقطم، ووضعها شمس الدين ابن الزيات وعلي السخاوي في التحفة ما بين هذا الجامع ومشهد أخوة يوسف المعروف باليسع وروبيل بصحراء ابن الفارض، وقد بحثنا عن هذه التربة في هذه المنطقة فوجدناها قد دثرت وبقي أثرها شرقي المشهد المذكور [انظر مزارات وآثار القرافة].

وفي سنة (٧١٤هـ/ ١٣١٤م)، أنشأ الناصر محمد بن قلاوون بفناء هذه الزاوية مصلى وهي ما تشير إليه المذكرة التاريخية الآتية، والمدخل إلى هذه الزاوية من باب مرتفع عن الأرض يصعد إليه بدرج ثم نجتاز ممرًّا صغيرًا نصل منه إلى باب آخر، فرحبة؛ فمصلى يكتنفها من الجانبين مساكن للصوفية، وإلى جانبها غرفة بها ضريح الشيخ تقي الدين المذكور ثم غرفة استقبال.

وفي سنة (٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م)، رسم الملك الظاهر أبو سعيد جقمق لإستاداره زين الدين يحي بتجديد باب للزاوية فتجدد الباب الحالي، وكان شيخ الزاوية لذلك العهد الشيخ علي نور الدين الخراساني المعروف بالمحتسب الذي تولى بعده في المشيخة الشيخ محمد حافظ بن علي اليعقوبي، وظل حتى مات في سنة (٨٦٦هـ/ ١٤٦٢م) ودفن بتربة العجمي بالقرافة «انظر الضوء اللامع»، وفي سنة (١١٨٩هـ/

١٧٧٥م) جدد شيخ الزاوية لذلك العهد، ضريح الشيخ تقي الدين وبيضه[١].

المذكرات التاريخية

وبهذه الزاوية ثلاث مذكرات تاريخية:

الأولى: في روسم بالمصلى المذكور وفيها ما نصه:

البسملة... أمر بإنشاء هذا المصلى المبارك مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين بن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون ابتغاء لوجه الله أعان الله من أعان على دوامه واستمراره ولعن الله من سعى في قطعه وإبطاله وكان ذلك في سنة أربعة عشر و سبعمائة.

المذكرة الثانية: بأعلى الباب الثاني.

البسملة... هذه الزاوية المباركة أنشأها من صدقات مولانا السلطان الملك المنصور أبي الفتح لاشين تقبلها الله منه للشيخ تقي الدين العجمي وقفًا مؤبدًا على الفقراء السالكين طريق الأعجام الغربا العزب المنقطعين إلى الله تعالى دون المتأهلين وجعل النظر له ومن بعده لمن اختاره وذلك في شهر صفر سنة سبع وتسعين وستمائة.

المذكرة الثالثة: بجانبي الباب العمومي المجاور لباب زاوية الشريف مهدي بقي منها.

... العالي أستادار بإشارة مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق عز نصره بتاريخ سنة سبع وأربعين وثمانمائة.

(١) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٦١.

ترجمة الشيخ تقي الدين

وللشيخ تقي الدين هذا ترجمة في الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر، وترجمه المقريزي في الخطط، وأفاد كلاهما أنه الشيخ تقي الدين رجب بن أشيرك التركماني شيخ الزاوية التي بالرميلة تحت القلعة، كان شيخًا مسنًّا قدم القاهرة واتخذ الزاوية المذكورة، وصار مأوى للفقراء الواردين من العجم وله مهابة ووجاهة واستمر إلى أن جاوز الثمانين، ولد سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م)، وتوفي في رجب سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م)[٢].

وأفادني شيخ هذه الزاوية وهو الأستاذ الشيخ يونس، أن الشيخ تقي الدين هذا قجاقي الأصل من قبائل تركستان الروسية، ومن هنا تظهر علاقة الملك حسام الدين لاجين والناصر به، إذ هما أبناء جلدته وتسميه بعض الروايات بالبسطامي نسبة إلى بسطام، ويبدو أنه جاء من تشابه اسمه مع الشيخ تقي الدين البسطامي شيخ هذه الزاوية في أوائل القرن العاشر الهجري [انظر الكواكب السائرة للغزي][٣].

بيد أن السخاوي صاحب الضوء؛ يسمى هذه الزاوية بزاوية التقي العجمي ويسميها في موضع آخر بالزاوية البسطامية.

(٢) ذكره ابن حجر باسم الشيخ رجب بن اشترك التركماني شيخ الزاوية التي بالرميلة تحت القلعة، ولد في سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م)، وتوفي في الثامن من رجب سنة (٧١٤هـ/ ١٣١٤م)، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ١٠٧؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ١٤١، هامش ٥.

(٣) ذكر محمد رمزي أن هذه الزاوية باتت تعرف باسم تكية العجمي، أو تكية تقي الدين البسطامي، نسبة للشيخ محمد البسطامي أحد مشايخها السابقين، المتوفى في رمضان سنة (٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م)، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ٢٨، هامش ٤؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٨١٢، هامش ٢.

زاوية الشيخ عز الدين العجمي

وللشـــيخ تقي الدين العجمي هذا زاوية أخرى، نسبت إلى بعض فقرائه أنشـــأها له الأمير ســـيف الدين طغاي في (٧٢١هـ/ ١٣٢١م)، وأسكن بها أحد خلفاء الشيخ تقي الدين المدعو الشـــيخ عز الدين العجمي، وما برح مقيمًا بها حتى مات في ســـنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، ثم بعد حقبة استولى عليها المدعو الشـــيخ إبراهيم الصائغ حتى سنة (٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م)، فنسبت له [انظر ترجمة هذه الزاوية بخطط المقريزي][١].

وهذه الزاوية بالجسر الأعظـــم تطل على موضع بركة الفيل بشـــارع مراسينه تجاه جامع لاشـــين، وقد بقي منها قبة تحتها قبران أحدهما يعرف بالشـــيخ عز الدين والآخر بنصر الدين الزيلعي.

ترجمة النعماني

ويذكر السخاوي في الضوء اللامع ترجمة لعمر بن محمد النجم النعماني، فيقول في ترجمته ما خلاصته: «قدم القاهرة في سنة (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)؛ فنزل في زاوية التقي رجب العجمي تحت قلعة الجبل، فلم يلبث أن مات في الرابع من صفر من هذه السنة، فدفن بتربة التقي العجمي المذكور»[٢].

ويظهر من قوله الأخير أنـــه دفن في التربة التي أشرنا إليها بســـفح المقطم، إذ لو كان دفـــن بالزاوية لأوضح ذلك؛ لكن ذهب قول فريق من الناس ومنهم علي مبارك باشـــا، أن النعماني هذا بالزاوية وليس بالقرافة[٣].

بيـــد أن الذي نميـــل إليه، هو دفنـــه بالقرافة بالتربة المذكورة لا بهذه الزاوية، وهذا تؤيده جملة اعتبارات ظاهرة أهمها قول الســـخاوي المعاصر له- ثم ســـكوت السخاوي صاحب التحفة عنه- وأخيرًا عدم وجود ضريح له بالزاوية.

(١) رجح علي باشا مبارك أن هذه الزاوية هي المكان الذي يوجد لصق حوش إبراهيم جركس في مقابلة منزل حسين باشا الذي كان ناظرًا لمطبعة بولاق والواقعة على يسار المار في شارع مراسينا «عبد المجيد اللبان حاليًّا» في اتجاه ميدان السيدة زينب، انظر: المرجع السابق، مج. ٤: ٨١٥-٨١٦، هامش ١؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٣٢٤؛ المرجع السابق، مج. ٦: ٤٤-٤٥.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ١٣٦.

(٣) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٦١.



الفصل الثالث

المزارات الإسلامية في القرن الثامن الهجري

جامع قراسنقر (المدرسة القراسنقرية)

قبة أثرية رقم ٣١ (سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م)

هذه المدرسة بشارع الجمالية «رحبة العيد - خط دار الوزارة»[١]، أنشئت على قطعة من الأرض التي كانت تقوم عليها دار الوزارة الفاطمية[٢]، ومنشؤها هو الأمير قراسنقر ابن عبد الله الجوكندار «أي حارس الملك» المنصوري نائب السلطنة المصرية في عهد السلطان حسام الدين لاجين.

وذكرها المقريزي في الخطط؛ وأفاد أن منشئها المذكور أنشأ بجوار بابها مسجدًا معلقًا ومكتبًا لإقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز، وجعل بها درسًا للفقراء، ووقف على ذلك داره التي كانت بحارة بهاء الدين (شارع بين السيارج حاليًا)[٣].

وقد تخلفت من هذه المدرسة قبة مضلعة من الطوب المطلي بالجص متوسط الحجم، وقد استخدمت في وقت ما منزلاً من منازل البريد في القرن الثامن الهجري[٤].

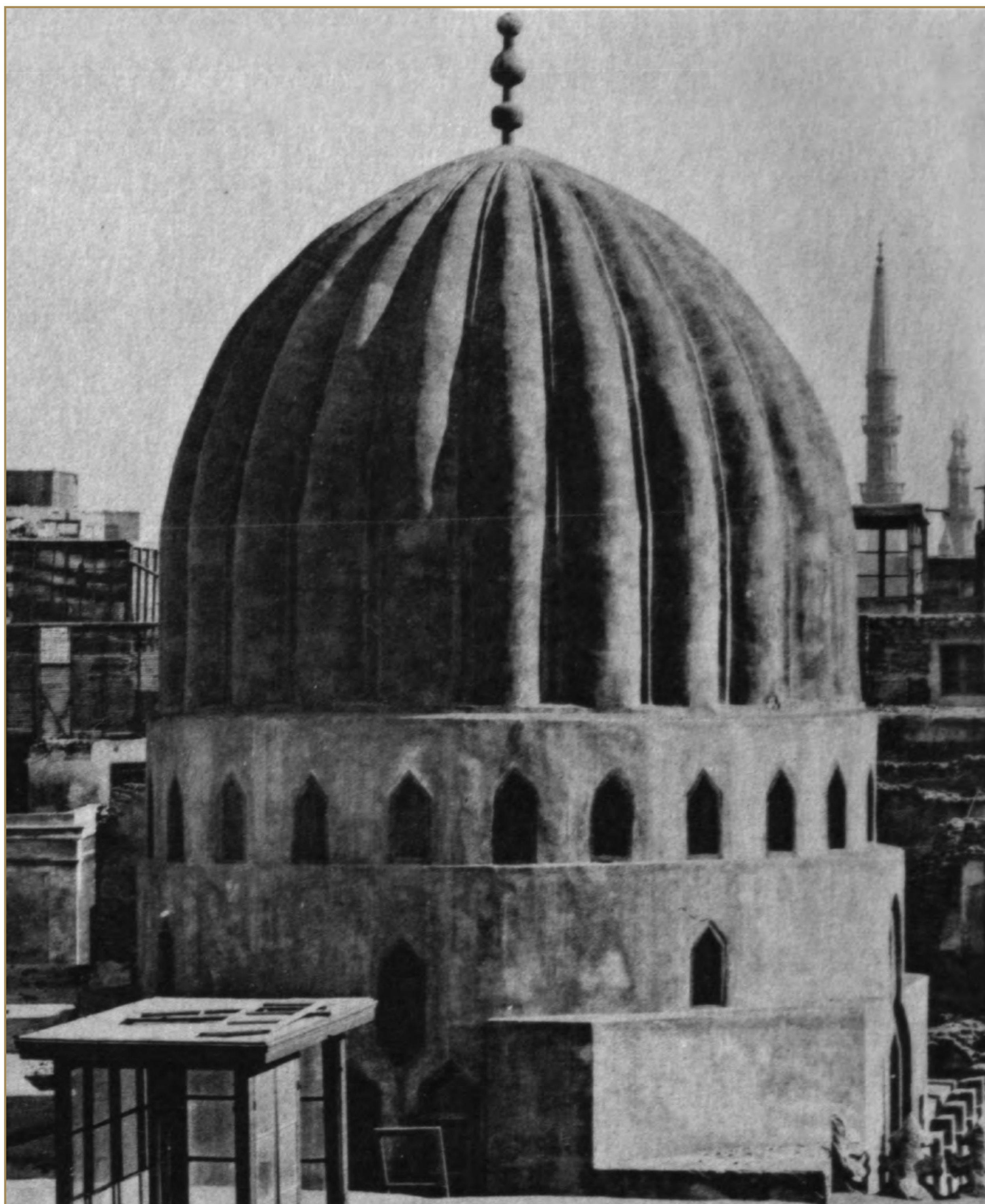
وكان منشئ هذه المدرسة في بادئ أمره من حاشية السلطان المنصور قلاوون ثم عينه نائبًا لحلب، وفي عهد السلطان حسام الدين لاجين تعين نائبًا للسلطنة المصرية، ثم أفل نجمه وما برح أن مات بالمراغة من عمل أذربيجان

(١) رحبة باب العيد: أولها باب الريح من أبواب القصر الفاطمي، والذي هدمه جمال الدين الأستادار سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، ومكانها في زمن المقريزي القيسارية المستجدة، ومنه كان يخرج الخليفة الفاطمي لقضاء صلاة العيد في مصلى العيد خارج باب النصر، وهي الآن تقع في المنطقة التي يحدها من الغرب شارع حبس الرحبة وشارع بيت المال، ومن الجنوب شارع قصر الشوق، ومن الشرق حارة قصر الشوق، ومن الشمال حارة الزاوية وحارة المبيضة، انظر: تقي الدين أبو العباس أحمد ابن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: المعروف بالخطط المقريزية**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مج. ٤، ج. ٢ (لندن: دار الفرقان، ٢٠٠٣): ١٤٩-١٥٠، هامش ٢؛ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق إبراهيم علي طرخان، مج. ٤ (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣): ٥٠، هامش ٢.

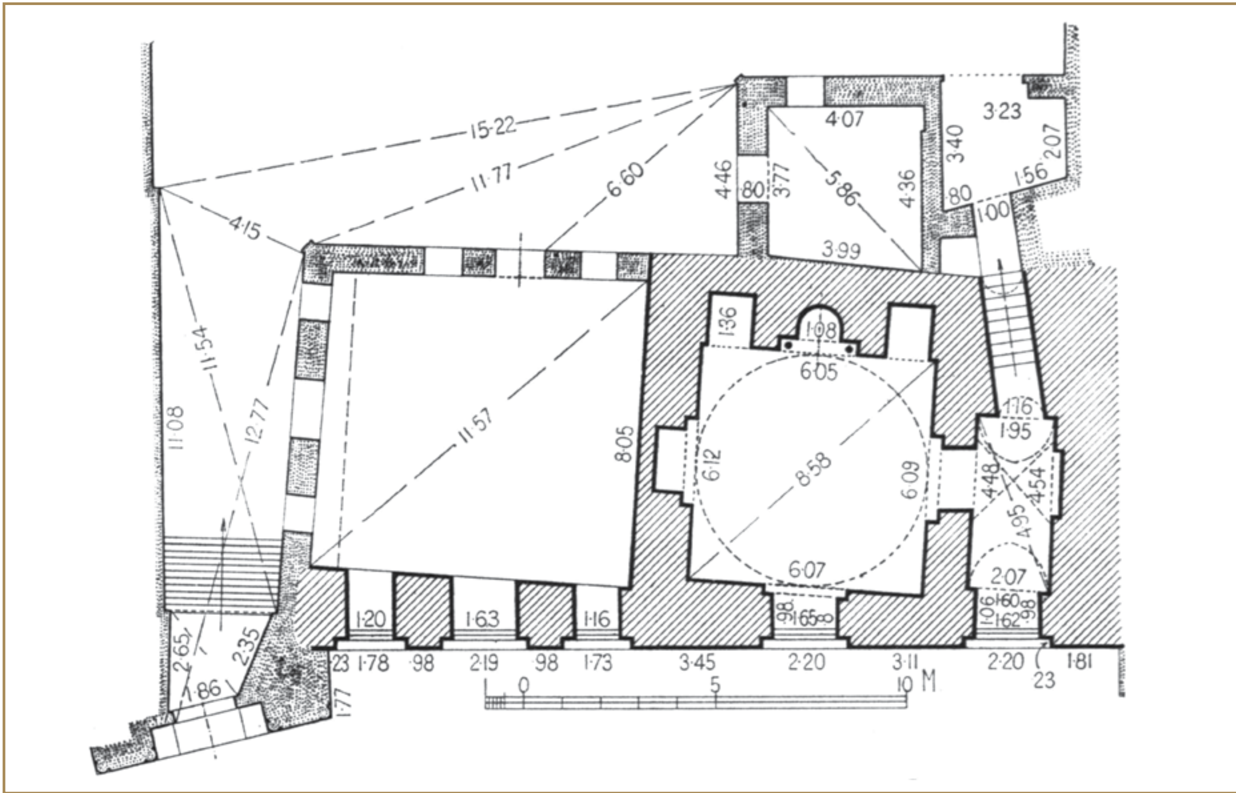
(٢) عن دار الوزارة الفاطمية الكبرى، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٤٣٨- ٤٤٢.

(٣) حارة بهاء الدين: كانت خارج باب الفتوح الذي وضعه القائد جوهر، ثم أصبحت داخل باب الفتوح الذي وضعه أمير الجيوش بدر الجمالي، وحد هذه الحارة عرضًا من باب الفتوح إلى خط خان الوراقة بسوق المرحلين، وحدها طولاً فيما وراء ذلك إلى خط باب القنطرة، وكانت هذه الحارة تعرف بحارة الريحانية والوزيرية، وهما طائفتان من طوائف عسكر الخلفاء الفاطميين، فإن بها كانت مساكنهم، وقيل لها أيضًا بين الحارتين، ثم عرفت في الدولة الأيوبية بحارة بهاء الدين، وهو الأمير بهاء الدين قراقوش، وموقعها الآن من الشرق شارع المعز عند الحد الجنوبي الغربي لجامع الحاكم، ومن الغرب شارع الجيش شمال ميدان باب الشعرية، ويتوسطها شارع بين السيارج من الشرق إلى الغرب، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣-٤.

(٤) المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٥٥٦-٥٥٨.



منظر من الخارج لقبة المدرسة القراسنقرية «عن كريسويل»



مسقط أفقي للمدرسة القراسنقرية «عن كريسويل»

سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٦م)[1]، وقد بقيت هذه المدرسة تحت نظر ورثته إلى منتصف القرن التاسع، وفي جانب هذه القبة تقوم مدرسة الجمالية الأميرية، وبواجهتها الغربية روسم حديث كتب به ما نصه:

هذه المدرسة التي أنشأها الأمير قراسنقر المنصوري
نائب السلطنة سنة ٧٠٠ من الهجرة قد تجددت
وجهتها على يد لجنة الآثار العربية في عصر خديوي
مصر عباس حلمي الثاني سنة ١٣٣٠

(١) شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق سالم كرنكو، مج. ٣ (حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٠): ٢٤٦-٢٤٧.



منظر من الداخل لقبة المدرسة القراسنقرية
«عن كريسويل»

محراب المدرسة القراسنقرية «عن كريسويل»

جامع سلار (الخانقاه الجاولية)

أثر رقم ٢٢١ (سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)

هذا الجامع بشارع مراسينا بخط الجسر الأعظم[١]، وله باب آخر من قلعة الكبش، يعرف بجامع سنجر الجاولي، اشترك في إنشائه اثنان من الأمراء، هما: الأمير سلار الظاهري والأمير سنجر الجاولي، وتم العمل في أواخر سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، وعرف بتربة سلار أولاً؛ ثم بخانقاه الجاولية[٢]، وفي حجة صرغتمش صاحب الأثر الآتي ذكره المحررة في ٢٧ رمضان سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) بتربتي المقر السيفي سلار والمقر العالي سنجر الجاولي.

(١) الجسر الأعظم: يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل، ثم صار شارعًا مسلوكًا يمشى فيه من الكبش إلى قناطر السباع، بينما يحدده علي مبارك بداية من آخر حدرة الحناء، وينتهي لآخر شارع اللبودية، وبه من جهة اليمين ورشة الحوض المرصود، ثم درب الشمسي، ويذكر محمد رمزي أن الجسر المذكور ما يزال طريقًا عامًّا يعرف الآن بشارع مراسينا، ويوصل بين ميدان السيدة زينب حيث كانت قناطر السباع وبين جامع الجاولي الواقع تحت قلعة الكبش، وهناك يتقابل مع شارع الخضيري، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٥٥٢؛ علي مبارك، **الخطط التوفيقية** الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط. ٢، مج. ٢ (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٠): ٣٢٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٧: ١٩١، هامش ٤.

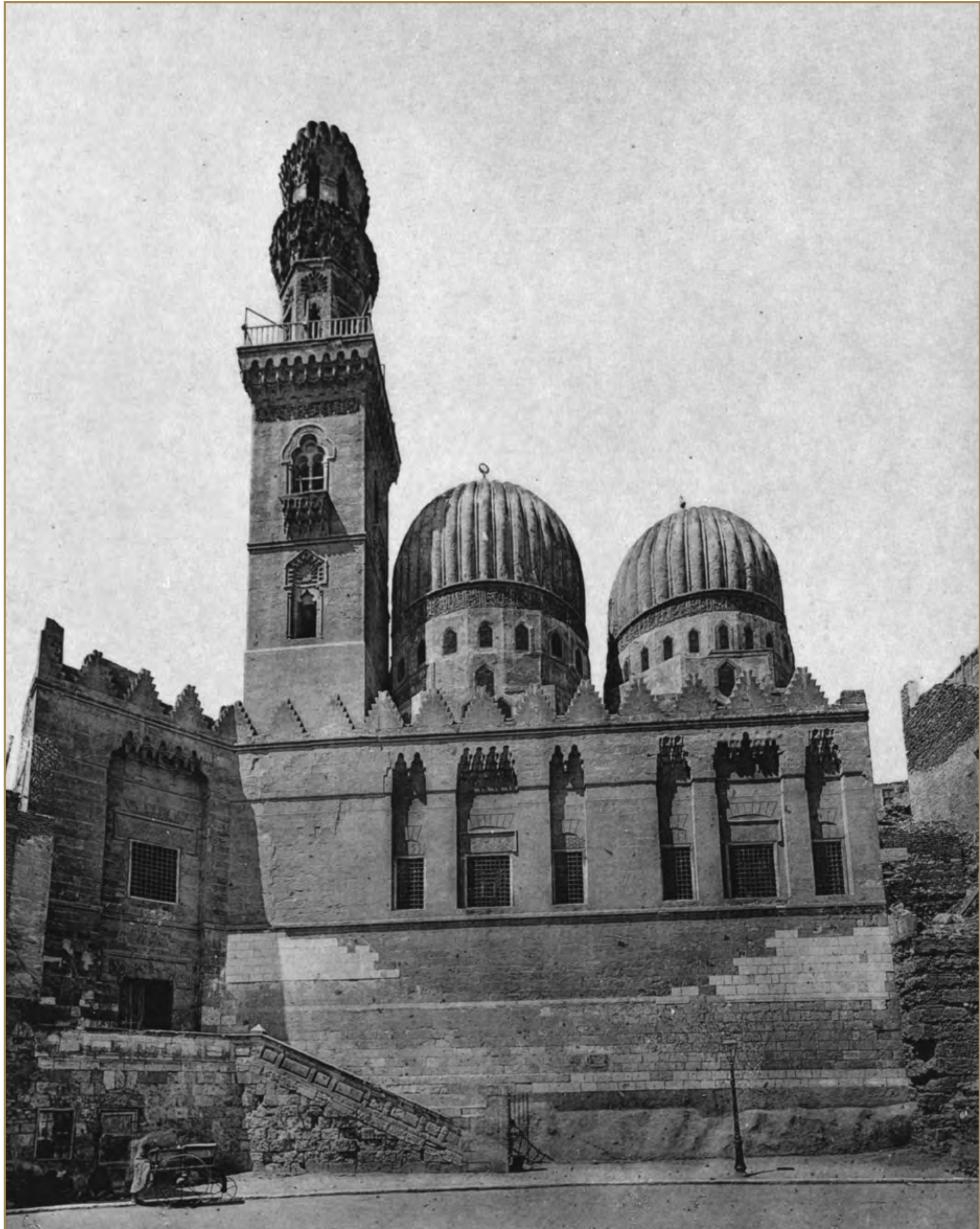
(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٠٤.

وصف هذا المسجد

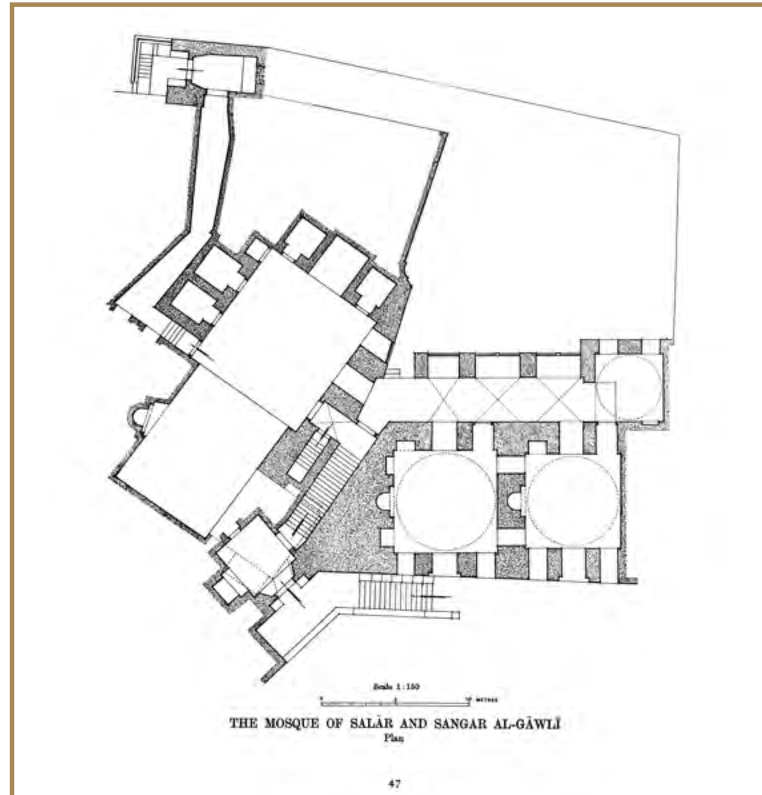
والداخل إلى هذا المسجد من بابه الغربي الكائن بشارع مراسينا بخط الجسر الأعظم، يصل إليه بعد اجتياز درجات، ومنها إلى باب شاهق، ثم إلى رحبة صغيرة تنتهي بدرجات، فيواجهنا ثلاثة أبواب، إحداها باب الضريح، والآخر باب المسجد، يجاوره باب صغير يصل إلى المئذنة. وداخل التربة يشتمل أولاً على صالة مستقلة يعلوها سقف بعقود من حجر، ولهذه الصالة شرفات كبيرة من الجص تطل على رحبة مكشوفة داخلها سبعة قبور متهدمة[٣]، وفي حائطها الشرقي بقية من زخرفة كتابة يظهر فيها قوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران/ ١٨٥]، وأول القبور، قبر متهدم له شاهدان، مكتوب على أحدهما الآية المتقدمة وتاريخ وفاة الشيخ الشارمساحي.

وفي الجانب الآخر من الصالة باب يحمل مذكرة تاريخية في ثلاثة أسطر، ومنه نصل إلى قبة محكمة عالية ظاهرها مضلع من الطوب المجصص، وداخلها حافل بمجموعة فنية من الزخارف الهندسية، ومحرابها دقيق جدًّا تظهر فيه قطع

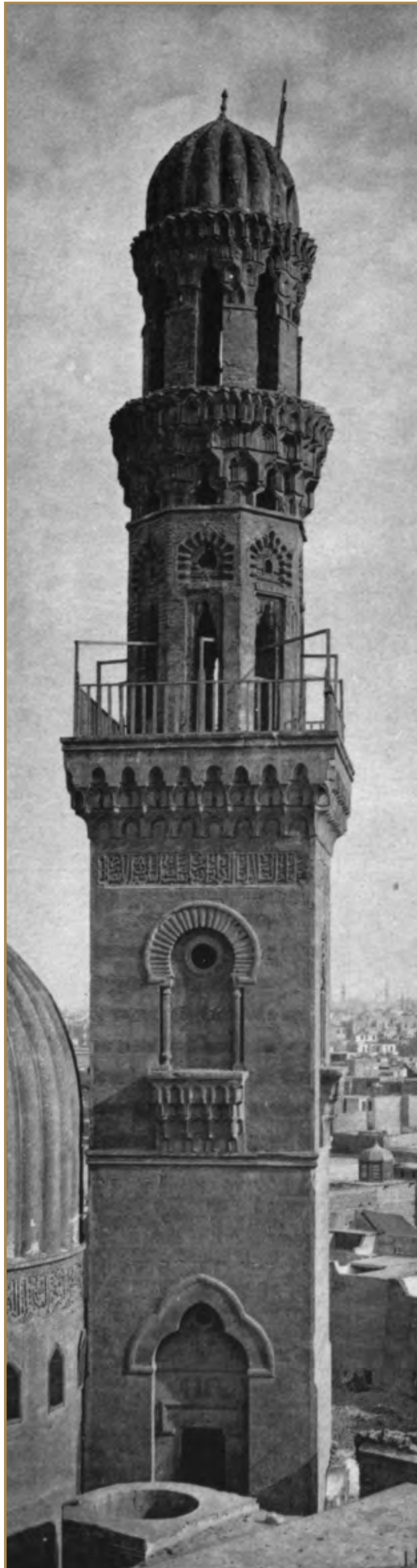
(٣) هذه الرحبة بحالة سيئة ومتهدمة الآن.



منظر من الخارج لقبة وخانقاه سلار وسنجر الجاولي «عن فييت»



مسقط أفقي لقبة وخانقاه سلار وسنجر الجاولي «عن مساجد مصر»



مئذنة قبة وخانقاه سلار وسنجر الجاولي
«عن كريسويل»



تاج عمود بسلم مئذنة قبة وخانقاه سلار وسنجر الجاولي «عن كريسويل»

الرخام الملون بالأحمر والأسود واضحة جدًّا، ويعلوه إزار قوام زخرفته الكتابية آيات كريمة من سورة البقرة تظهر فيها آية الكرسي(١)، ويحيط برقبة القبة طراز قوام زخرفته الكتابية آيات كريمة من سورة آل عمران وتنتهي بمذكرة تاريخية لسلار، كانت ظاهرة قبل سنة (١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م)، وقد حل محلها كتابة أخرى حديثة.

ويتوسط القبة صندوق من الخشب المحشي، يبدو أنه من عهد سلار لقدمه ولوجود بعض حشواته رغم ما طرأ عليه من تغيير وتبديل(٢)، ومن هذه القبة نصل إلى القبة الأخرى من باب غربي، وهي تماثل القبة الكبيرة إلا أنها أصغر منها حجمًا وأقل زخرفة من الداخل، وفي جانبها القبلي باب آخر يحمل مذكرة ثانية لسنجر، ويجاور هذا الباب إيوان تعلوه قبة صغيرة من الحجر المربع ومن داخلها مقرنص، ويتوسطها قبر دفن فيه الشيخ الذاكر الذي ترجمنا له هنا وعرفنا عن شخصيته.

ويتألف من هاتين القبتين مع المئذنة المربعة الجميلة والواجهة البحرية- منظرًا يدعو إلى التأمل والإعجاب بهذا الفن التتري الجميل الذي أدخله سلار إلى القاهرة، فاعتبر نموذجًا بعد لآثار أخرى، أما داخل المسجد، فيتألف من إيوان شرقي تحيط به زخرفة كتابية من القرآن الكريم يظهر فيها قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ [الفرقان/ ٦١]؛ ويقابله إيوان آخر أصغر منه حجمًا، وبينهما صحن، وفي الجانب الشرقي بقايا من خلاوي الصوفية ومساكنهم.

(١) هذا الإزار غير موجود الآن.

(٢) هذا التابوت غير موجود الآن.

وقد كان هذا المسجد قبل سنة (١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م) لا منبر فيه، وكان مغلقًا لتخرب قسم كبير منه، فجدد حتى عاد يقارب ما كان عليه بالأمس من بعض الوجوه.

أطوار التجديد على هذا المسجد

أول تجديد طرأ على هذا المسجد، هو ما قام به سنجر في سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، وسنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)، فقد نظم أوقاف الخانقاه وزاد فيها زيادة كبيرة، وأسكن فيها جماعات الصوفية، وعمل بها درسًا للشافعية وآخر للحديث، ثم بنى القبة الحجرية المذكورة وبنى تحتها قبرًا لدفن شيوخ الصوفية النازلين بها، وبنى في الجانب القبلي من المدرسة دارًا لسكناه، وأوقفها على مصالح الخانقاه، وبنى إلى جانبها مقبرة لدفن جماعات الصوفية.

وقد ابتدأ هذا الأثر يظهر باسم الخانقاه الجاولية من أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع، وزادت أوقافه زيادة كبيرة، كان من أثرها أن هرعت إليها الطلاب من كل حدب وصوب، وبقيت مسكنًا للصوفية حتى القرن الحادي عشر الهجري، وكانوا يتنعمون فيها بمبرات وخيرات من هذا الوقف وغيره.

وأضاف الملك الأشرف قايتباي إلى وقفها، وقفًا آخر في سنة (٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)، وبنى لصوفيتها دارًا بالكبش تلاصقها دار أخرى في جوار جامع بن طولون(٣)، واشترط في كتاب وقفه أن يصرف ريع هذه الدار على مصالح المدرسة الجاولية، ولا تزال هذه الدار باقية لليوم تحمل نص هذا

(٣) هذه الدار كانت موجودة في النصف الأول من القرن العشرين، وقد اختفت الآن.

الوقف، وفي غرة ربيع الأول سنة (١٢٧٣هـ) جدد سقف الأثر ودور قاعته[١].

ولم يطرأ على هذا الأثر أي تجديد آخر يذكر بعد هذا التاريخ حتى سنة (١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م)، فجددت منه مواضع كثيرة كانت متخربة، وفي سنة (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م) أعيد بناء السلالم الموصلة إلى داخل المسجد، وتجددت دار الوضوء على النظام الحديث، وعملت بجدرانه أعمال تقوية.

المذكرات التاريخية

أولاها مذكرة الباب الغربي ونصها:

البسملة. إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله عمل هذا المكان المبارك في شهور سنة ثلاث وسبعمائة[٢].

المذكرة الثانية: على باب ضريح الأمير سلار

البسملة. كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام هذه تربة العبد الفقير إلى الله تعالى سيف الدين سلار نائب السلطنة المعظمة الملكي الناصري المنصوري المستغفر من ذنبه الراجي عفو ربه رحم الله من دعا له بالرحمة ولجميع المسلمين عمل هذا المكان المبارك في شهور سنة ثلاث وسبعمائة[٣].

المذكرة الثالثة لسنجر:

البسملة. كل من عليها فان ويبقي وجه ربك ذو الجلال والإكرام هذه تربة العبد الفقير إلي الله تعالى علم الدين سنجر بن عبد الجاولي استادار العالية الملكي الناصري المنصوري المستغفر من ذنبه الراجي عفو ربه رحم الله من دعا له بالرحمة ولجميع المسلمين عمل هذا المكان في شهور سنة ثلاث وسبعمائة[٤]

منشئ هذا الأثر

قلنا إن هذا الأثر اشترك في إنشائه اثنان من الأمراء[٥]: فأولهما هو الأمير سيف الدين سلار الظاهري التتري الجنس، جاء إلى القاهرة أسيرًا في سنة (٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م)، فاستخدمه الملك الظاهر بيبرس ثم عينه أميرًا وما برح حتى انقرضت الدولة الظاهرية، وقامت الدولة القلاوونية، فخدم عند الملك الصالح علاء الدين علي ابن المنصور قلاوون ولي عهد المملكة المصرية، ثم حظي عند والده بمرتبة جليلة، وما لبث أن تعين نائبًا للسلطنة في عهد الملك الأشرف خليل بن قلاوون، وفي سنة (٦٩٦هـ/

(١) إضمامة رقم ٢٧٠ صفحة ٢٧٨ قلم الحفظ بمحكمة القاهرة. (المؤلف).

(٢) Max Van Berchem, Matériaux pour un Corpus inscriptionum Arabicarum, Première partie, Egypte, *Mémoires publiés par les membres de la mission archéologique française au Caire 19* (Paris: Leroux, 1894-1903): 157.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق: ١٥٧-١٥٨.

(٥) أفاد المقريزي في السلوك هذا بقوله: «وكان سلار صديقًا للجاولي شديد المحبة له من قديم، حتى أن كلاً منهما عمر مدرسة على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش، مجاورة لمدرسة الآخر، وعمل لنفسه مدفنًا بحذاء مدفن الآخر، وفي السجل المشار إليه أنهما أخوان (المؤلف)، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٢٤.

١٢٩٦م) عينه الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري «أستادارًا».

ولما تولى الملك الناصر محمد بن قلاوون الحكم عينه في سنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م) نائبًا للسلطنة بالديار المصرية، ومن هذا التاريخ يبدو نجم هذا الأمير يعلو علوًّا زائدًا، وتقبل عليه الدنيا بخيرها وبرها، وتنقاد له البلاد والعباد فيحكم ويدبر الأمور، بما يعجز عنه الملك، وقد أبدى في هذه المدة من الأعمال ما جعله حديث الخاص والعام في كل مجلس ومحفل، ولهجت ألسنة الناس بالثناء عليه، من ذلك: أنه استطاع في سنة (٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م) أن يرد عادية المغيرين من جند غازان التتري، وجعلهم خاسئين خاسرين منكصين على أعقابهم.

وفي سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) أنزل بجند التتار المغيرين على المملكة الشامية بلاء مستطيرًا ورد عاديتهم وهزمهم شر هزيمة، ولما أمن جانبهم، طلب من الملك في سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) الإذن له بالحج؛ فحج وأدى الفرائض والمناسك، وتقرب إلى الله تعالى في الأقطار الحجازية بأنواع كثيرة من المبرات والصلات؛ فحمد صنيعه هناك من العام والخاص. والمتأمل في سيرته يجد فيه رجلاً ذا دهاء ومكر وسياسة غامضة، وحرص زائد وفراسة وفطنة، وقد استطاع بدهائه وحنكته أن يحافظ على مركزه رغم كل محاولة، فإنه لما علم بأن الملك الناصر مستثقل من نفوذه ويريد التخلص من دهائه بأية حيلة، دبر له مكيدة فطن لها سلار؛ فراح يعمل جهده في عزل الناصر بطريقة لا ينازعه فيها منازع، فتمكن في ظرف وجيز أن يعزله عن الملك بإرادته واختياره حتى لا يثير الخواطر نحوه فيصله الأذى ما يذهب بسطوته ونفوذه، ثم رشح للملك زميله بيبرس، بعد تنازل الملك الناصر عن الحكم مباشرة، وقد كانت الأبصار محدقة به هو نفسه، والأنظار متجهة لترشيحه، وهو مع ميله وتطلعه إلى الملك آثر بيبرس، لا نزاهة في الملك وإنما الحاجة في نفسه، ظهرت آثارها مباشرة بعد فترة من الزمن قصيرة من تولية بيبرس، حتى إذا عاد الناصر إلى الملك ثانية، كان سلار نائب السلطنة في عهد بيبرس هو بذاته نائبها ورئيس الحكم في المملكة، ومدبر الدولة وصاحب السطوة والمهابة في عهد الناصر للمرة الثانية.

وما برح سلار يلعب أدواره السياسية الهامة، ونجمه يزداد في كل يوم أقبل وأدبر علوًّا، حتى طوح به القدر وهوى نجمه في هوة سحيقة، فجرى عليه ما لم يجر على بشر، وذاق من صنوف العذاب أشكالاً حتى مات بآخرته جوعًا في سنة (٧١٠هـ/ ١٣١٠م)، قال ابن شاكر الكتبي في وفياته: «وأذن السلطان للجاولي أن يتولى خزانته وجنازته ودفنه، بل ثروة الملك نفسه، ومع ذلك راح يتضور جوعًا».

وحين مات هذا الأمير استصفى الملك لنفسه ما شاء من أمواله وممتلكاته، ثم عهد إلى صديقه سنجر بوضع يده على ما تبقى، فأراد سنجر أن يبرهن على إخلاصه ووفائه لصديقه الراحل في هذه المرحلة الأخيرة في آخر عمره زيادة كبيرة.

ولسلار غير هذا الأثر؛ قصر بالقاهرة وقد تخلفت منه بقية ذكرناها في هذا الكتاب، ومنهم الخان المنسوب له بدمشق ويعرف بالخان الأحمر، ويحمل مذكرة تاريخية باسمه مؤرخة بمستهل جماد الأول سنة (٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)، كان قد كلف نائبه بالشام بكتمر السيفي بإقامته، فعهد به إلى المهندس ناصر بن يوسف[(١)].

(١) عن سيرة الأمير سيف الدين سلار الظاهري، انظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مج. ٢، ق. ١ (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، ١٩٧٠): ٩٧؛ محمد=

والجاولي الذي نسب إليه هذا الأثر، هو سنجر بن عبد الله الظاهري، يكنى أبا سعيد الآمدي، ولد بآمد سنة (٦٥٢هـ/ ١٢٥٢م)، ثم اتصل بعد بلوغه العشرين من عمره بخدمة الملك الظاهر بيبرس، ثم صار بعده للأمير جاول المنسوب إليه، وفي عهد الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري تعين دودارا له، وفي سنة (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) أضاف إليه نظارة أوقاف جامع أحمد بن طولون، ولم يبدأ نجمه يظهر إلا في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون، فابتدأ أميرًا أولاً ثم ترقى حتى صار استادارًا عاليًا، وفي سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م) غضب عليه الملك الناصر بدسيسة من بيبرس الجاشنكير، فأقاله من وظيفته ونفاه إلى الشام، وعين بدله الأمير أيدمر الخطيري، وفي سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) اشتد غضبه عليه، فاستصفى أمواله وسجنه، فقضى طويلاً في السجن ثم ما لبث حتى عفى عنه، وعينه في سنة (٧١١هـ/ ١٣١١م) نائبًا لمدينة غزة وبعض السواحل الشامية وناظرًا على أوقاف الحرمين الشريفين، فلبث كثيرًا من الزمن، ثم أقيل من وظيفته وحضر إلى القاهرة مغضوبًا عليه من الملك الناصر ثانية، فسجنه فظل يرسف في قيود الأسر، حتى أفرج عنه وأطلقه ورسم بتعيينه أميرًا على أربعين جنديًّا، ثم ما لبث أن رقاه إلى أمير مائة.

وبقي متقاعدًا في آخر عمره لبلوغه سنًّا عالية، بيد أن الملك الناصر عينه مقدم ألف «براني» تكريمًا له، ثم ناظرًا للبيمارستان المنصوري، ولما مات الملك الناصر، وتولى بدله الملك المنصور أبو بكر، ثم أخوه الملك الأشرف كجك، ثم الملك الناصر أحمد، وأخيرًا الملك الصالح إسماعيل ابن الناصر، أقره على وظيفته مع قيام غيره بها نيابة عنه لكبر سنه، فما برح حتى مات في التاسع من رمضان سنة (٧٤٥هـ/ ١٣١٤م) عن ٩٣ سنة.

وقد امتاز هذا الأمير، بميزة لم يشاركه فيها سواه من أمراء عصره السابقين واللاحقين- وإن كان بعضهم يوصف ببعض ما اتصف به- هذه الميزة هي جمعه بين العلم والإمارة في آن واحد، فقد بلغ تعلقه بالعلم وشغفه به أن صار يذكر في المحدثين الحفاظ كما يذكر في علماء الشافعية ورجال التصوف إلى جانب تعداده في كبار الأمراء والقادة، فيقول السبكي في ترجمته: «إنه سمع مسند الشافعي بالكرك على دانيال، ووصفه بأنه كان يستحضر كثيرًا من نصوص الشافعية، وذكر له من مصنفاته شرح مسند الشافعي، قال: إنه جمعه من شروح الرافعي وابن الأثير، وشرح النووي على صحيح الإمام مسلم، وكانت له مجالس عالية يجتمع عليه فيها كبار علماء القاهرة، يسمعون دروسه في الحديث، ومن أبرز من سمع عليه من كبار الحفاظ والمحدثين الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم العراقي [المتوفى سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)]، سمع عليه في سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م) وهو إذ ذاك مراهقًا» أفاده السخاوي[1].

= ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق إحسان عباس، مج. ٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٧٣): ٨٦-٨٩؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٢٧٢.

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الزين أبو الفضل الكردي الرزاني الأصل المهراني المصري الشافعي المعروف بالعراقي، ولد أبوه ببلدة رزانان من أعمال أربيل، جاء لمصر وتعلم على يد الشيخ بن حجون الشافعي شيخ خانقاة رسلان بمنشية المهراني، ولد صاحب الترجمة في سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) بالمنشية المذكورة، وسمع عن الأمير سنجر الجاولي في سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) والقاضي تقي الدين الإخنائي المالكي، ولي التدريس في عدة مدارس منها: دار الحديث الكاملية،=

وله مصنفـــات في الحديث، أشـــهرها وأهمها شرحه على صحيح مســـلم، كانت منه نسخة خطية بمكتبة الشيخ الشـــعراني في القرن العاشر، وتحتفـــظ دار الكتب المصرية ببعض مصنفاته الحديثيـــة، وأورد بن الملقن في ترجمته من طبقات الصوفية، ما يســـتدل منه على أنه كان صوفيًّا بارعًا، نبغ في هذا العلم نبوغه في العلوم الأخرى، وبلغ به الأمر أنه خـــرج عن جميع ما يملك من مال وعقار، ووقف غالبه على الخانقاه الســـلارية، وعرف وقفه بوقف الجاولي، ويبدو أنه كان شيئا كثيرًا، كما ظهر من كلام المؤرخين[1].

آثاره

وله من الآثار الشامية مدرسة للشافعية، وبنى مسجدًا وبيمارستان وخانًا، بكل من غزة وحماة والكرك والقدس، وقد أنشأها ما بين ســـنة (٧٢٣ إلى ٧٢٥هـ/ ١٣٢٣- ١٣٢٤م)، وأنشأ في سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م) مسجدًا بمدينة الخليل عليه الســـلام «حبرون» ظاهر السور السليماني من جهة الشرق، وكملـــت عمارته في ســـنة (٧٢٠هـ/ ١٣٣٠م)، وهو مســـجد ظريف سقفه عقود مدببة مرفوعة على اثنى عشر أسطوانة من الرخام، وجدرانه جميعها مـــؤزرة بوزرة من الرخام، ولا يزال هذا المسجد قائمًا بالخليل في جوار المسجد الإبراهيمي يحمل نصًّا تاريخيًّا جاء فيه:

أنشأ هذا المســـجد المبارك أبو سعيد سنجر الجاولي ناظر الحرمين الشريفين ونائب الســـلطنة المعظمة وكان الابتداء في عمارة هذا المســـجد في ربيع الآخر سنة ثماني عشرة وسبعمائة وانتهت العمارة منه في ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة

ويلي ذلك كتابة أخرى نصها:

عمر ذلك من خالص ماله ولم ينفق فيه شـــيئا من مال الحرمين الشريفين

وأنشـــأ دارًا بباب النصر كان يســـكنها في أول القرن الثامن، ثم هجرها بعد حين من ســـفره إلى الشام، ولما قدم إلى القاهرة في المرة الأخيرة أنشـــأ في سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) دارًا أخرى بجانب تربة سلار بالكبش، سكنها إلى آخر أيام حياته وفيها مات[2]، فدفن بتربتـــه المجاورة لتربة صديقه الأمير ســـلار، وبقيت التربة الأخرى خالية بغير دفن فيها حتى دفن فيها الشيخ إبراهيم الذاكر.

= والظاهرية القديمة، والقراسنقرية، وجامع أحمد بن طولون، والفاضلية. توفي في سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م) بالقاهرة، ودفن بتربته خارج باب البرقية، انظر: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مج. ٤ (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢): ١٧١-١٧٨.

(١) عن سيرة الأمير علم الدين سنجر الجاولي، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ١٧٠-١٧٢؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٠٧-٦٠٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٠٩-١١٠؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، تحقيق محمد محمد أمين، مج. ٦ (القاهرة: الهيئة المصـرية العامة للكتاب، ١٩٨٨): ٧٤-٧٦؛ محمد بن أحمد بن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، مج. ١، ق. ١ (القاهرة: مطابع الشعب، ١٩٦٠): ٥٠٤؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **تحفة الأحباب وبغية الطلاب** (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٦): ١١١.

(٢) دار الأمير علم الدين سنجر الجاولي تجاه الخان المجاور لوكالة قوصون، جعلها وقفًا على المدرسة المعروفة بالجاولية بخط الكبش جوار الجامع الطولوني، عرفت في زمن المقريزي بقاعة البغاددة، لسكنى عبد الصمد الجوهري البغدادي بها سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢١٠.

مدافن العلماء والصوفية بالمدرسة الجاولية

يبدو أن الرحبة التي أشرنا إليها في وصف هذا الأثر كان الغرض من وجودها أن تعتبر مقبرة لمن يموت من الصوفية الساكنين بهذه الخانقاه، يدل على ذلك وجود بعض بقايا من القبور التي وجدت بها في عصور مختلفة، بيد أنه لا يسعنا القول بأن الدفن فيها سبق القرن التاسع بحال من الأحوال، وقد عددنا من هذه البقية الباقية من القبور المذكورة، سبعة قبور بعضها ظاهر والبعض الآخر درس واختفى، وقد استطعنا أن نعرف من أصحاب هذه القبور جماعة منهم.

الشارمساحي

الشيخ أحمد بن علي بن أبي بكر الشارمساحي- أحد علماء الشافعية، ترجمه السخاوي في الضوء اللامع، وقال: «إنه سمع «صحيح مسلم» وسيرة «ابن سيد الناس» على ابن الفوي، وأخذ القراءات عن العسقلاني وآخرين، كما سمع على آخرين ومهر في الحاوي مع مشاركة في فنون أخرى، وكتب على مجموع الكلائي شرحًا حافلاً في مجلد، ثم خلص إلى أنه توفي في رجب سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، ودفن داخل المدرسة الجاولية»[١].

الشيخ الذاكر

والشيخ الذاكر آنفًا هو الشيخ إبراهيم بن عبد الله الذاكر الصوفي شيخ هذه الخانقاه في أوائل القرن العاشر الهجري، وهو من شيوخ الشعراني، ترجمه في «طبقاته الوسطى»، قال: «ومنهم الشيخ الصالح القدوة الملك الشيخ إبراهيم الذاكر- رفيق الشيخ شهاب الدين الوفائي- جلس في الجاولية لنفع المريدين - وأخذ عنه خلائق من المصريين والمغاربة والعجم والشام، وأقبل الخلائق على الاعتقاد فيه إلخ»، وكان المذكور رفيقًا للشيخ تاج الدين عبد الوهاب الذاكر المديني المدفون بمدرسة الدود الجاشنكير بالقاهرة خارج باب زويلة، ووفاته في حوالي سنة (٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، واشتهر هذا القبر به فهو يعرف إلى اليوم بسيدي الذاكر، ولم يذكره علي مبارك باشا في خططه ولا غيره ممن كتب عن هذه الخانقاه[٢].

تصحيح خطأ ورد مزاعم

يحوم حول الأثر أثارة من الشكوك والأوهام في بعض النقط الرئيسية التي تتصل بهذا الأثر مباشرة من ناحيتيه: التاريخية والفنية معًا، وقد لاح لنا ونحن ندرس هذا الأثر من كل نواحيه علميًّا وعمليًّا، أن ليس ثمت أي مبرر لفرض الشكوك والاحتمالات، وها نحن أولاء بيَّنا ما يدحض هذه المزاعم من وجه ثوبه القشيب، متشحًا بوشاحه الطبيعي، بيد أنه لا يفوتنا أن ننبه الأذهان إلى هذه المغالطات حتى

---

(١) أحمد بن علي بن أبي بكر الشهاب بن النور بن الزين الشارمساحي ثم القاهري الشافعي المقري الفرضي: وشارمساح من أعمال دمياط، ادعى أن عمره جاوز المائة بأربعين سنة، وأعانه على ذلك الهرم، فهرع إليه من لا يحصى، ثم تبين لهم حيث روجعت فيه فساده وظهور الخلل فيه بالكشط في أرواق عرضه وغيرها، فانكشف المعظم عنه، وقد حفظ العمدة والشاطبيتين والحاوي، وهو برع في الفرائض والحساب والقراءات ومهر في الحاوي والنحو، دفن داخل الجاولية، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ١٦-١٧.

(٢) يذكر الشعراني أنه توفي سنة نيف وعشرين وتسعمائة، ودفن بزاويته بجوار حمام الدود خارج باب زويلة، انظر: عبد الوهاب ابن أحمد الشعراني، **لواقح الأنوار في طبقات الأخيار المعروف بالطبقات الكبرى**، تحقيق خليل المنصور (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧): ٤٦٧-٤٦٨.

يزول هذا الالتباس، وتظهر هذه الحلقة المفقودة في صفحة هذا الأثر وضاءة الجبين.

يعلق علماء الآثار في الشرق والغرب على هذا الأثر أهمية عظمى من ناحيته الفنية، وقد بلغ من اهتمامهم به أن تصدى للتأليف فيه - استقلالاً- أكثر من واحد، فقد رأيت فيه رسالة بالإنجليزية، وأخرى بالفرنسية. وهو جدير بهذا الاهتمام، وحري بهذا التفكير؛ إذ لا يضارعه أي أثر آخر من آثار القاهرة لا في جمال منظره، ولا في روعته وبهائه؛ بيد أن الذي نريد الإشارة إليه، هو أن كلاً من هؤلاء استطاع أن يصور هذا الأثر بصور مختلفة وبفنون متباينة، وفيها ما لا يدلي برأي صحيح عن الناحية الفنية التي امتاز بها هذا الأثر، ولو أنهم رجعوا إلى كتاب العربية من المسلمين، لاستنار بهم السبيل، ولمهد لهم طريق الوصول إلى الفن الذي لابس هذا الأثر من وجه صحيح. فهذا ابن شاكر الكتبي من مؤرخي المائة الثامنة توفي سنة (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) قد أوضح لنا السبيل في ترجمة سلار منشئ هذا الأثر بما قدمناه آنفًا، والمتأمل في هذا الأثر يجد أن أبرز ما يبدو فيه ينطق صراحة بفنه الذي أتى به سلار من مسقط رأسه مع اختيار سنجر له، وهو الفن التتري الإسلامي الذي بدأ يحل بالقاهرة من سنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦١م) ويظهر فيها بجلاء بعد السبعمائة، أضف إلى ذلك أن كل قطعة من مفردات هذا الأثر في داخله وخارجه، عدا قبة سنجر الحجرية طبقًا لها صلة كبيرة بهذا الفن التتري، تظهر به بالغة الحد الأقصى، وهذا يكفي وحده لتصحيح هذه النظرية وتقرير الحقيقة عنه من طريق واضح.

بقي القول فيما ذكره المقريزي بشأنه، وعلق عليه علماء الآثار تعليقًا أوقع فيه المقريزي نفسه في ورطة الخطأ والذهول وبوتقة الوهم والنسيان، ويظهر نبل مقصد المقريزي وسمو غايته، فيما ذكرناه آنفًا، ومهما يكن في الأمر من شيء فالنقل يحيل القول بأن: سنجر أراد بإيصال أنواع المبرات والخيرات التي أسداها إلى تربة صديقه الحميم الذي عاش كلاهما للآخر، ومشاركته له في بنائها نزولاً على إرادة سلار- أن يطفئ نار سلار من هذا الأثر، الذي أنفق فيه كلاهما بسخاء وكرم، ولكنها إرادة الله تعالى، والظروف التي لابست هذا الأثر منذ أواخر القرن التاسع، حينما بدأ يظهر باسم «الخانقاه الجاولية» بدلاً من تربة «سلار» على أنه في استطاعتنا إطلاق اسميهما على هذا الأثر ولا غبار عليه؛ إذ قد ثبت من طريق لا يقبل الشك وليس فيه غموض أن كلاً منهما ساهم في عمله، بل أن سنجر استطاع بما مد في عمره أن يزيد في المساهمة على صديقة سلار بما أوقف عليه وأحدث به.

وحسبنا هذا الدليل الحسي الذي يحمله الأثر إلى اليوم مقررًا لهذه الحقيقة، وبالرغم من أننا ندافع عن المقريزي في هذه الناحية، فإنا نؤاخذه في ناحية أخرى؛ فقد أشار في ترجمة سنجر أنه كان صنيعة الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون في قتل أخيه الناصر أحمد بالشام، حينما ثار عليه في سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) وقد جاء برأسه إليه في القاهرة مغتبطًا بهذه الفعلة الشنعاء وهذا الإقدام الخطير، وهذا قول مردود، ترده اعتبارات ظاهرة، وردت في ترجمة سنجر هذا في طبقات الشافعية للسبكي وطبقات الصوفية لسراج الدين بن الملقن، مع مصادر أخرى[1].

وأولى هذه الاعتبارات بالذكر، وجود سنجر الجاولي بالقاهرة في هذه السنة التي أجهز فيها أخ على أخيه حبًّا في المطامع والشهوات، وانقيادًا للغواية والشر، شيخًا كبيرًا قد بلغ العقد العاشر من عمره، وقد فاجأه الموت في هذه السنة نفسها، ولما تتم بعد- كما بيناه في ترجمته.

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٠٧-٦٠٩.

جامع بيبرس الجاشنكير (الخانقاه البيبرسية)

أثر رقم ٣٢ (سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)

هذا الجامع بشارع الجمالية «سابقًا خط دار الوزارة»، أنشأه السلطان الملك المظفر بيبرس المعروف بالجاشنكير «ومعناه مقدم السماط» على أنقاض دار الوزارة الفاطمية، وتم إنشاؤه في سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)، وقد ترجم له المقريزي في الخطط، وأفاد أنه بني على مساحة تقدر بنحو ٥٦٠٠ مترًا مربعًا، ويؤخذ مما ذكره أن شباك القبة الموجود به إلى اليوم أصله من آثار الدولة العباسية غنمه المظفر أرسلان البساسيري في سنة (٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م) بعد غلبة الخليفة القائم بأمر الله العباسي، وأتى به إلى الخليفة المستنصر الفاطمي في غنائم أخرى، فبقي حتى عمر الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي دار الوزارة الفاطمية، فأخذه واستخدمه فيها، ثم ما لبث أن أدخله بيبرس المذكور في قبة هذه الخانقاه.

وقد استخدم فيها بيبرس علاوة على الشباك المذكور- مفردات من دار الأمير عز الدين أيبك الأفرم بمصر (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، ودار الوزير هبة الله بن ساعد الفائزي (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) بمصر أيضًا، وأخيرًا دار الأنماط التي كانت بالجودرية بالقاهرة، معدة لعمل ضرب من البسط، له خمل رقيق يستر به المخدع، وهو ما نسميه بالجبلان أو اليود، ونستخدمه في تكسية المخادع أيضًا.

ويقول المقريزي عن بيبرس: «بنى إلى جانبها رباطًا، أقام به مائة جندي»[1]، ومنه تعلم عناية ملوك مصر السابقين، بالترفيه عن حياة الجنود وتثقيف عقولهم وتهذيبهم، ومكافحة الأمية فيهم بما يقوي الروح المعنوية في نفوسهم بصورة مباشرة، وإنها لفكرة نبيلة تبعث النشاط في الجندي المحارب بصورة سريعة ومنتجة، ولقد تنبهت إليها دول أوروبا في هذه الأيام الأخيرة وفي طليعتها إنجلترا، والرباط الذي يشير إليه دخل بعضه في فندق سليمان أغا السلاح دار (١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م)، المجاور لقبة المدرسة شمالاً[2].

وصف المسجد وتجديده

لم يطرأ على هذا الجامع أي تجديد يذكر، بعد عهد منشئه، خلا ترميمات، لم تغير من أوضاعه شيئًا، رغم أنه مر به عصر أفل فيه نجم هذه الخانقاه أفولاً كاد يذهب برسومها، سيما بعد خلع بيبرس مباشرة، ولم تبدأ تظهر مرة

(١) المرجع السابق: ٧٣٢-٧٤٠.
(٢) زال هذا الرباط الملحق بالخانقاه، ومكانه الآن الوكالة التي أقامها سليمان أغا السلاح دار سنة (١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م)، ولا تزال بقاياها موجودة بجري الخانقاه وتعرف باسم حوش عطي، بشارع الجمالية، انظر: المرجع السابق: ٧٣١، هامش ٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ١٧٤، هامش ٤.



الصحن وخلاوي الصوفية داخل خانقاه بيبرس الجاشنكير
«عن مساجد مصر»

ثانية، إلا في سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) في عهد الناصر، في نفس الوقت الذي صفا فيه الجو للناصر، بعد موت منشئها.

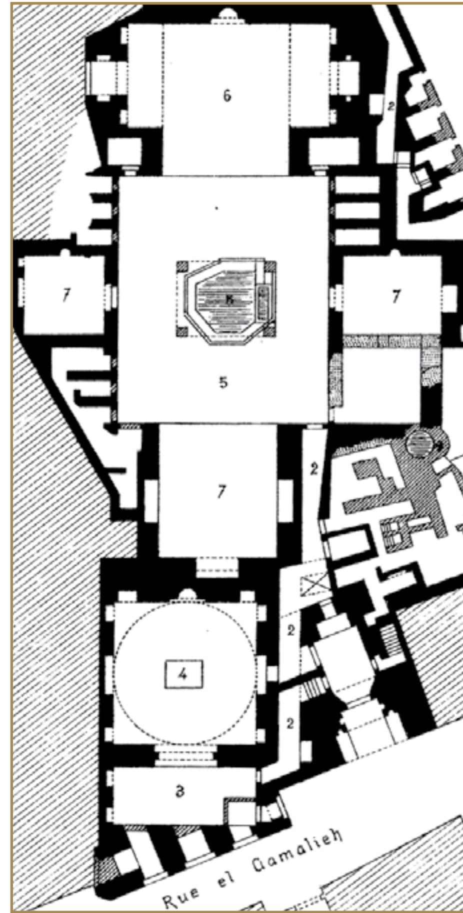
وقد تمكنت أن تقوم بوظائفها حسب شرط الواقف، بيد أنهـا بالرغم من ذلك لم تمكـث طويلاً حتى اختلت إدارة أوقافهـا، ورغب الطلاب عنهـا، وإن ذلك في عهد الملك الأشرف شعبان بن حسين، في سنة (٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م)، ومن ذلك الحين، بدأت تأخذ في التناقص تدريجيًّا حتى بطل وقفها نهائيًّا في سنة (٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م)[١].

وبقيت كذلك، حتى عهد الملـك الأشرف قايتباي، فعين دواداره الكبير الأمير يشـبك مـن مهدي الظاهري ناظرًا على أوقافها، فأخذ هذا الأمير يسترد أوقافها المغتصبة، وينظم إدارتها ويرتب شؤونها، وجدد منها بعض ما كان في حاجة إلى التجديد، فعاد إليها الطلاب وسـكنها الصوفية، واستردت ماضيها نوعًا ما.[٢]

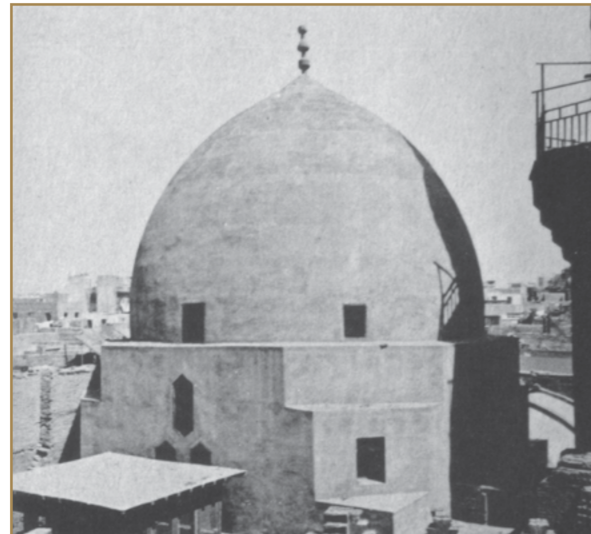
وبقيت كذلك حقبة طويلة من الزمن، حتى قل طلابها، بتحويل أوقافها إلى الأزهـر، في حدود القرن الحادي عشر، غير أنه لم ينقطع سكنى الصوفية بها حتى الأمس القريب.

والداخل إلى قبة هذا المسجد يصل إليها من باب على يسار الداخلي من باب المسجد العمومي، يؤدي إلى حاجز من خشب مخروط، فيه فرجة مكتوب في أعلاه:

البسـملة، (إن المتقين في مقام أمـين.....) إلى آخر سـورة الدخان - وبأسـفله: وافق الفراغ من هذه القبة والخانقاة في شـهر رمضان المعظم سـنة تسع وتسعمائة[٣]



مسقط أفقي لخانقاه بيبرس الجاشنكير «عن لجنة حفظ الآثار العربية»


قبة خانقاه بيبرس الجاشنكير «عن كريسويل»

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٤٠.
(٢) ٢٦ شوال سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م)، هامش ع ٢، ن ٢١- ٢٢ حفظ (المؤلف).
(٣) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 162.

وأرضيتها مرخمة بمناظر تماثـل المحاريب، وحيطانها مؤزرة بوزرة رخام، بارتفاع ٣ أمتار و٦٠س- وبعضها مجصص والبعض الآخر مرخم بأشـكال مستطيلة، في بعضها كتابات كوفية مربعة، تتكون من اسمه ﷺ «محمد» أربع مرات.

والأعمدة الحاملة لها تسـترعي النظر لجمالها، محرابها يكتنفه أسـطوانتان، أعلاها عقد وبأسفله قناطر صغيرة محمولة على أسـطوانات، وبأعلا المحراب طراز من رخام، كتب فيه آية قوله تعـالي- ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ إلخ، [البقرة/ ١٤٤].

وفي هذه القبة مجموعة فاخرة من الزخارف الكتابية، من سـورة تبارك الذي بيده الملك، ومقرنصات من الآجر، وتتكون من أربعة صفوف، وبأعلاها شرفات، والمنارة بأعلى مدخل الباب العمـومي، وهي مربعة، يبلغ أحد أضلاعها ٥ أمتـار و٣٠ س، وكلهـا مبنية بالآجـر، والدورة العليا فيها مقرنص- مكـون من ثمانيـة أضلع: أربعة فـوق المربع الأصلي، وأربعة أخرى، وفي وسـط بدن الدورة الثانية نوافذ صغيرة بمقرنصات، وتنتهي بقمة خوذية، ثم بعشاري.

والداخل إلى المسـجد يتوصل إليه مـن ممر أرضيته مفروشـة بالرخام، وفي نهايته باب صغير يؤدي إلى الميضأة، فإذا عبرنا إلى الصحن نرى الإيـوان الشرقي الكبير، ونرى عن يمينه ويسـاره خوختان، وفي مقابله إيوان آخر بالجهة الغربية يماثله، وفيه ثلاث خوخ، وبالإيوان الشرقي محراب من حجـر، يجاوره منـبر حديث مكتوب عليـه آية قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ إلخ [الأحزاب/ ٥٦] (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م)، وفي الركن القبلي منصة قارئ حديثة.

وفي الجانبين: القبلي والبحـري مجنبتان يتوصل إليها بابين صغيريـن وفي كل منهما محـراب، وللمجنبة القبلية طاقتان تطلان على دورة المياه الحديثة، وفوقها مسـاكن الصوفية، ولها شرفات مزخرفـة قوامها مقرنص، تطل على الصحن، وتحت هذه المسـاكن خـلاوٍ للصوفية، وفي كل صف منها أربعة.

وآخر من أدركناه سكن بهذه الخلاوي من الصوفية، هو: الشيخ محمد أمين البغدادي شيخ الطائفة النقشبندية، رحمه الله المتوفى سنة (١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م)، وما برح ساكنًا بها منذ حلوله القاهرة إلى أن انتقل إلى بيت له بجهة العباسية. «انظر ترجمته في الجزء الآتي من هذا الكتاب».

وسـقف المسـجد جميعه عقود مدببة، وبابه الكبير الذي يلفت النظر بجماله وزخرفته، يكتنفه أربعة أشـكال زخرفية تماثل المحاريب، وبكل محراب منها أسطوانتان، وبجانبي الباب أسطوانتان أخريان أكبر منها.

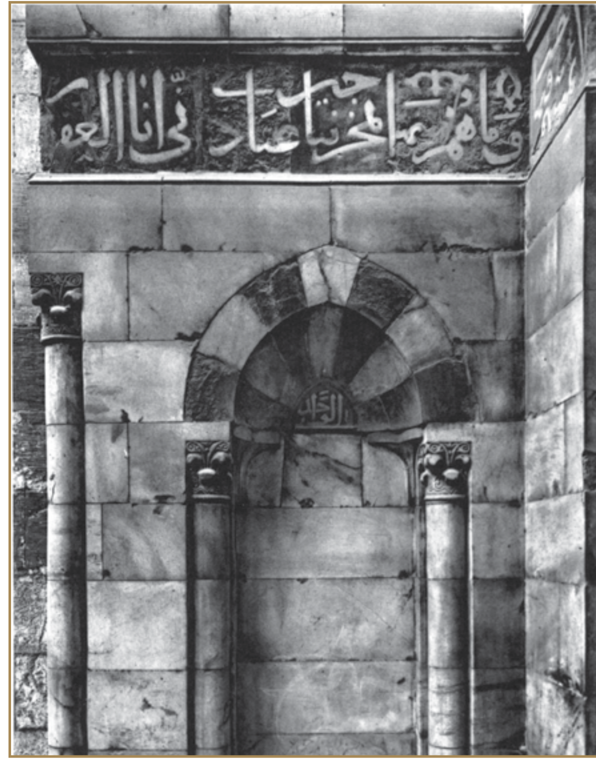
ومكتوب على جانبي الباب:

البسـملة.(ونزعنا ما في صدورهـم من غل إخوانا علي سرر متقابلين* لا يمسـهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين* نبئ عبادي أني غفور رحيم...)

وعلى مـصراعي الباب النحاسي، كتابـة يقرأ فيها ما نصه:

أمر بإنشاء هذه الخانقاه السـعيدة من فيض فضل الله تعالى وجزيل عطائه وإحسانه لجماعة الصوفية راجيًا بذلـك... العبد الفقير ركـن الدين بيبرس المنصوري.





جانب المدخل الرئيسي لخانقاه بيبرس الجاشنكير «عن كريسويل»



الباب الرئيسي لخانقاه بيبرس الجاشنكير «عن كريسويل»

المذكرات التاريخية

تعمد الناصر محمد بن قلاوون تشويه المذكرات التاريخية التي كانت بهذه المدرسة للمنافسة التي كانت بينه وبين منشئها، وأهم هذه المذكرات الآن، هو ذلك النص التاريخي المتقدم؛ ثم الطراز المثبت بأعلى الوجهة ونصه:-

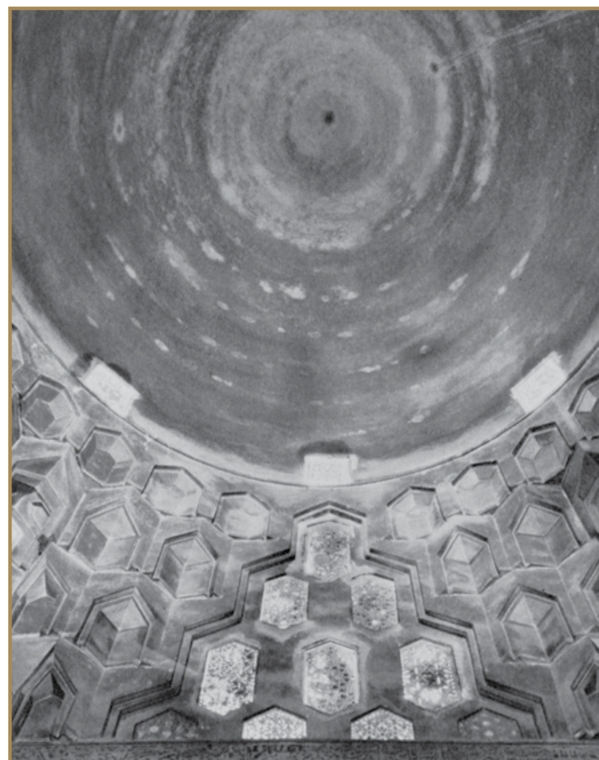
«البسملة... (في بيوت أذن الله - إلى قوله تعالى بغير حساب) من سورة النور. أمر بإنشاء هذه الخانقاه السعيدة وقفًا مؤبدًا على جماعة الصوفية، من فيض فضل الله تعالى وجزيل إحسانه، راجيًا بذلك عفوه وغفرانه، العبد الفقير إلى الله تعالى....... ركن الدين بيبرس المنصوري، عبيد الله والفقير إليه الراجي رحمته يوم القدوم عليه، ضاعف الله ثوابه وزكى أعماله ويسر له ما بسط من المعروف آماله بمنه وكرمه وأفضاله وصلى الله على سيدنا محمد[1].

وأهم ما يذكر من أطوار التجديد على هذه الخانقاه، هي العمارة التي أجريت بها في سنة (١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م)، فقد تناولت ما سقط من أركان القبة، وإعادة رخام الأرضية، وبناء قبر بيبرس، وإتمام ما فقد من مصراعي الباب، وتكملة نقوشها الكتابية بخط الأستاذ يوسف أحمد، إلى غير ذلك. وقد بلغت نفقات ذلك، حوالي الألف وخمسمائة جنيهًا مصريًّا.

وفي سنة (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م) أحدث بها المنبر و الدكة، الموجودان الآن. وفي سنة (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م) أضاء السيد سالم بازرعة المسجد جميعه بالكهرباء. وفي سنة (١٣٥٨هـ/

(١) المرجع السابق.





القبة من داخل خانقاه بيبرس الجاشنكير «عن كريسويل»

١٩٣٩م) رمم الجدار الشرقي وجانبي الباب الكبير، وبعض أماكن أخرى.

ترجمة المنشئ

وبيبرس منشئ هذا المسجد يعتبر من ملوك مصر البارزين، كان شديد على المنكرات، حريصًا على نشر الفضيلة، وتنعمت مصر في أيامه على قصرها تنعمًا كبيرًا، وحظيت بقسط وافر من الهناء والسعادة والرفعة، يقول المقريزي في ترجمته: «وفي أيامه أبطل الخمارات من بلاد الشام، وكبست أماكن الريب والفواحش بالقاهرة ومصر وأريقت الخمور، وبالغ في إزالة الفساد، وخف المنكر وخفي الفساد» (انظر الخطط والدرر الكامنة).

تولى بيبرس الملك من سنة (٧٠٨ - ٧٠٩هـ/ ١٣٠٨-١٣٠٩م)، وخلفه الناصر للمرة الثالثة، وقد انتقم منه انتقامًا غريبًا، ومات في هذه السنة فدفن بتربة الفارس أقطاي أولاً، ثم بتربة أبي السعود، ثم انتقل إلى قبره بهذه المدرسة، وقد تمكن بيبرس على قصر مدته في الحكم بأن يرد عادية المغيرين على البلاد المصرية، من الفرنجة، فعهد إلى تحصين ثغر دمياط واتخذ منه قاعدة عسكرية، وأنشأ بينه وبين قليوب جسر أتم العمل منه في أواخر سنة (٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)، فلما عمد الفرنسيون بقيادة حاكم قبرص- أن يشن الغارة على المصريين؛ ويهاجم مملكتهم، وجد بيبرس قد قطع عليه السابلة، وغلق دونه الأبواب، وقال: هيت لك، فبهت الذي كفر وفر خاسئًا وهو حسير لا يلوي على شيء.

وقد فشلت تلك الحملة الصليبية تمامًا بفضل يقظة الملك الجحفل، الذي حقق مراد الله تعالى في قوله جل شأنه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال/ ٦٠][١].

---

(١) عن سيرة المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير، انظر: أبو بكر عبد الله بن أيبك الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق هانس روبرت رويمر، مج. ٩، **مصادر تاريخ مصر الإسلامية** (القاهرة: سامي الخانجي، ١٩٦٠): ١٥٦-١٨٩؛ الحسن بن عمر ابن الحسن بن عمر بن حبيب، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، تحقيق محمد محمد أمين، مج. ١، ٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦): ٢٨٧-٢٩١؛ ١٧-١٨؛ المقريزي، السلوك، مج. ٢: ٤٥-٧١؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٤١-٧٤٣؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٥٠٢-٥٠٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ٢٣٢-٢٧٧؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٤٦٧-٤٧٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٤٢٣-٤٣١.

جامع جوهر المدني

أثر رقم ٢٧٠ (سنة ٧١٤هـ/ ١٣١٤م)

هذا المسجد الصغير الكائن بشارع الركبية «الركبيين» رقـــم٤٥، هو عبارة عن مدفن تعلـــوه قبة من الطوب المطلي بالجص، ذات شرفـــات في جوانبها، مفرغـــة بالجص وهي إحدى القباب التي امتازت بهذا التفريغ الهندسي الجميل، أنشـــأه الأمير جوهر النـــاصري في ســـنة (٧١٤هـ/ ١٣١٤م)، وواجهته المطلة على الشارع كتب عليها طراز فيه ما نصه:

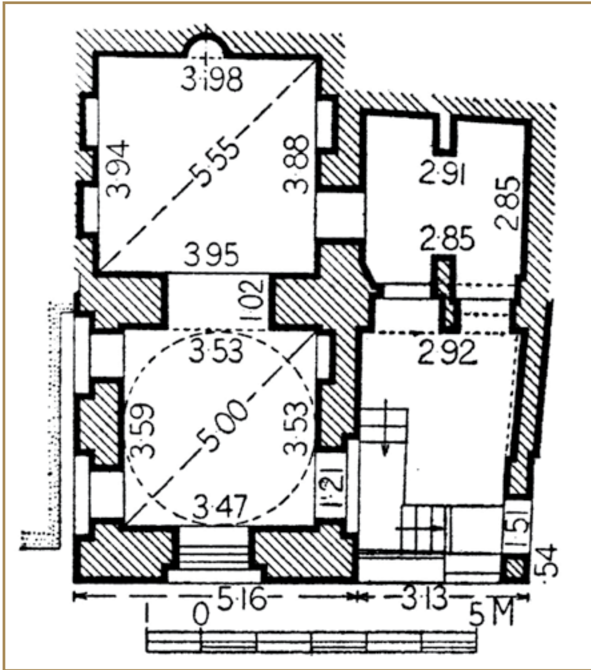
البسملة... أمر بإنشاء هذا المكان المبارك الفقير إلى الله تعالى صفي الدين جوهر الملكي الناصري تقبل الله عمله، وبلغه في الدارين أمله في مســـتهل سنة (أربعة عشر وسبعمائة)

وهذا الأثر لم يذكر في المصادر التي عنيت بهذا الشأن من عهد المقريزي إلى اليوم، واســـتطعنا أن نقف على ترجمة لمنشـــئه في الدرر الكامنـــة لابن حجر، ومـــن تحفة المحبين والأحباب فيما للمدنيين من الأنساب للأنصاري وخلاصتها:

ترجمة المنشئ

أنـــه صفي الدين جوهر بن عبـــد الله المدني الناصري مقدم المماليك الناصريـــة؛ كان دينًا خيرًا له حرمة وصولة، وكان النـــاصر يعتمد عليـــه، وقد ولاه نظـــر الخدم بالحرم النبوي الشريف، وقـــدم القاهرة وما برح بها حتى مات في سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م) ودفن بمسجده هذا [1].

وقد تجدد من هذا الأثر في ســـنة (١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م)، جزء من الواجهة القبلية، وفيها الباب.



مسقط أفقي لجامع جوهر المدني «عن كريسويل»

(١) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٥٤٤.



قبة جامع جوهر المدني «عن كريسويل»

جامع الجوكندار

أثر رقم ٢٤ (سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م)

هذا المسجد بشارع أم الغلام (سابقًا حارة الغلمان الصالحية)[١]، يعرف بزاوية حلومة، أنشأه الأمير سيف الدين آل ملك الجوكندار في سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م) إلى جانب داره[٢].

وصف المسجد

والمدخل إلى هذا المسجد من باب كتب عليه في رخام أسود بقلم أبيض ما نصه:

البسملة، أنشأ هذا المسجد المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى آل ملك الجوكندار الناصري الراجي عفو الله تعالى ومغفرته بتاريخ سنة تسعة عشر وسبعمائة للهجرة النبوية على صاحبها السلام

(١) حارة الغلمان الصالحية: عرفت بغلمان الصالح طلائع ابن رزيك، وهي موضعان: الصالحية الكبرى والصالحية الصغرى، وموضعهما فيما بين المشهد الحسيني ورحبة الأيدمري وبين البرقية، وكانت من الحارات العظيمة، عن شارع أم الغلام، وحارة الغلمان الصالحية، ودرب القزازين (درب ملوخيا)، وما بهم من منشآت وآثار، انظر: المقريزي: **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٢؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٢٣٤-٢٣٩.

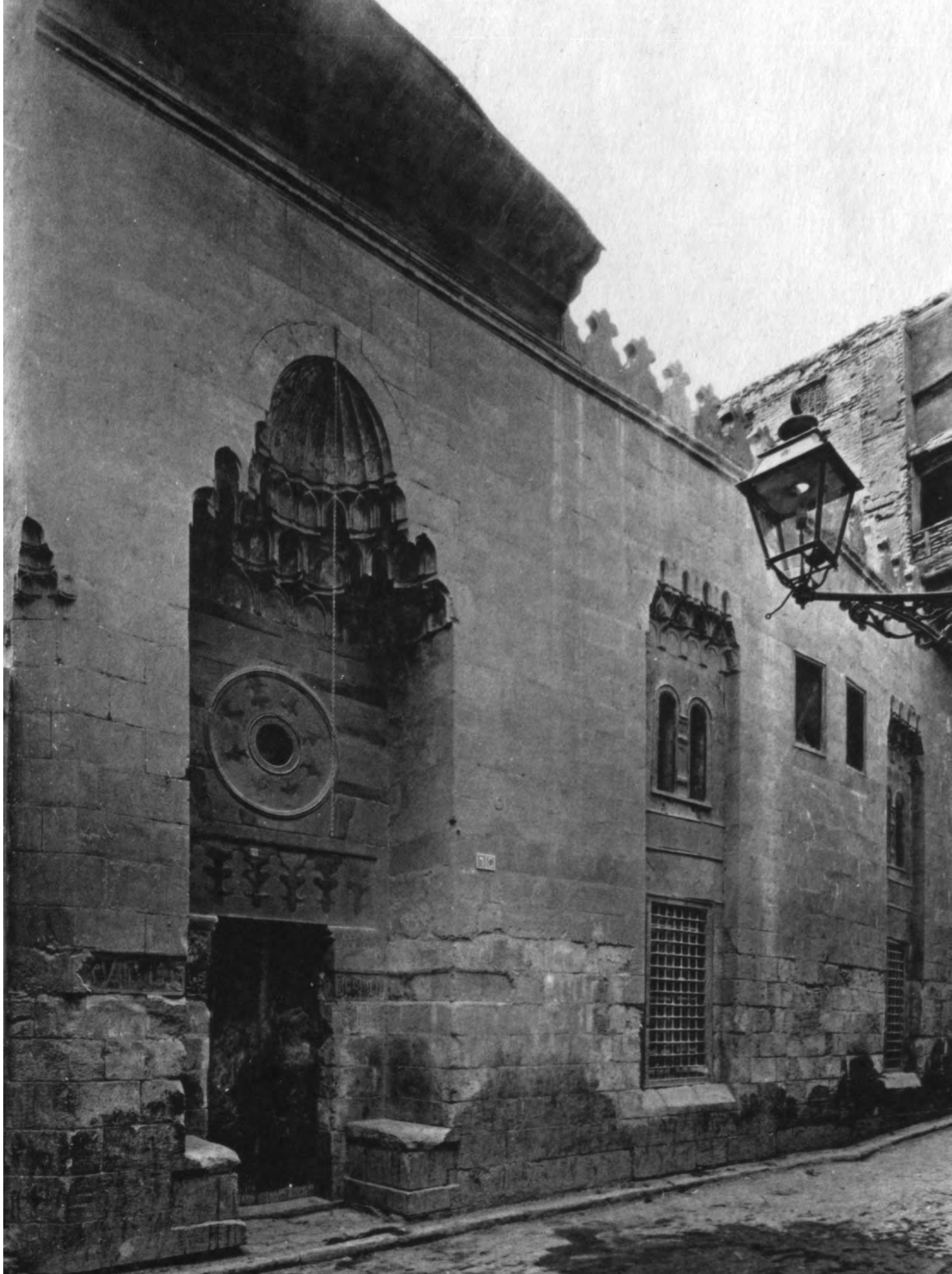
(٢) يذكره المقريزي في المدارس باسم المدرسة الملكية بخط المشهد الحسيني بقسم الجمالية، والمعروفة عند العامة بزاوية الست حالومة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٧١-٥٧٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٣٣٣؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٦٩-٧٠.

وداخله يشتمل على أربعة أواوين: اثنان متوازيان، يقابل أحدهما الآخر، الشرقي: وفيه منبر حديث يجاوره محراب من قطع الرخام الملون الدقيق، والغربي: وفيه حجرات إحداها مستعملة كضريح يعزى لشيخة تدعى حلومة حدث منذ أكثر من نصف قرن، ويبدو أنها السيدة التي كانت تلازم هذا المسجد قبل نهاية القرن الثالث عشر الهجري، كما يؤكد ذلك الوزير علي مبارك باشا[٣].

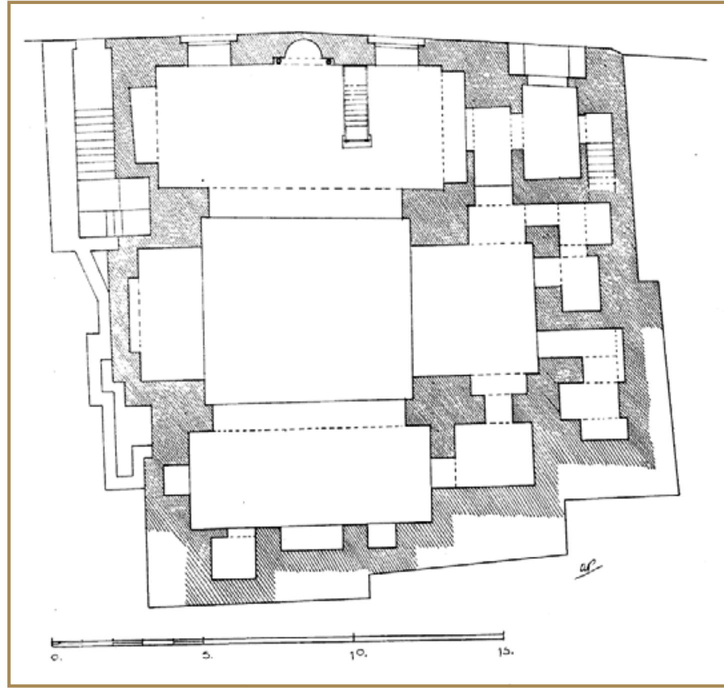
ويجاور هذا الإيوان إيوان بحري يقابله إيوان غربي، وكلاهما يتساوى في الحجم؛ بيد أن الإيوان البحري يفصله عن صحن المسجد حاجز من خشب مشغول، مكتوب بأعلاه بعد البسملة:

إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله - إلى قوله تعالى المهتدين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(٣) زاوية حلومة أو حالومة: بخط المشهد الحسيني، على يسار السالك من جهة الباب الأخضر إلى أم الغلام، شعائرها مقامة وفيها ضريح للشيخ موسى اليمني، وهي مكان المدرسة الملكية، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٧٦، هامش ٤؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٦٩-٧٠.



واجهة جامع آل ملك الجوكندا
«عن كريسويل»



مسقط أفقي لجامع آل ملك «عن لجنة الآثار العربية»



تفاصيل الزخارف الجصية لجامع آل ملك «عن كريسويل»



إيوان بجامع آل ملك «عن كريسويل»

ومن هذا الإيوان نصل إلى الباب العمومي، بعد اجتياز باب آخـــر وآخر صغير، ويحيط بالأواويـــن الأربعة صحن مغطى بســـقيفة حديثة، والظاهر في هذا الجامع على شكله الحالي أن به تغييرًا طفيفًا في بعض مرافقه، أما بابه العمومي فهو حافظ لشـــكله، يعلـــوه عقد مقرنص، وقـــوام زخارفه الداخلية طراز منقوش بآيات قرآنية من سورة البقرة.

ترجمة المنشئ

ومنشـــئ هذا الأثر هو الأمير ســـيف الدين آل ملك الناصري الجوكندار (أي صاحب حرس الســـلطان المختص بحراسته)، كان في بادئ أمره مملوكًا للأمير سيف الدين قلاوون «ملك مصر بعـــد» ثم لابنه علي، ثم صار يتقلب في الوظائف الحكومية حتى عين نائبًا لمدينة حلب في عهد الناصر أحمد، ثم أقيل فقدم القاهرة؛ فبقي متقاعدًا برهة، ثم عينه الصالح إســـماعيل نائبًا للسلطنة في المملكة المصرية؛ فأقام حينًا، ثم انتقل إلى دمشـــق في مثل وظيفته في عهد الكامل شـــعبان، ثم انتقل منها إلى صفد، وما برح حتى اســـتقال من وظيفته ورغب في الحضـــور إلى القاهرة، وبينما هو في طريقه إليها إذ دبرت له مكيدة من نائب غزة، فقبض عليه ثم أرســـله إلى الإسكندرية، وفيها مثل به فكانت منيته في (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م).

ويوصـــف بأنه كان أميرا دينًا كيسًـــا، لم يُـــوَلَّ نائبًا للسلطنة شديدًا على المنكرات محافظًا للآداب العامة بصورة عملية مباشرة مثله، وينسب له من الآثار غير هذا المسجد، المدرسة الملكية أو جامع آل ملك بشارع نجم الدين خارج باب النصر[١]، ثم مســـجد آل ملك أيضًا الذي بني في محل خزانة البنود[٢]، بمنزل العفيفي رقم٦ بشـــارع قصر الشوك [انظر هذين المســـجدين]، وتربيعـــة بالوراقين تجاه تربيعة جاني بك آلت إلى الأمير طراباي الشريفي ثم إلى يعقوب بك وهو اسمها الحالي[٣].

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٤٦-٢٤٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٠٨، هامش ٣؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٤: ٩٣.

(٢) خزانة البنود: هي الآن زقاق يعرف باسم خط خزانة البنود، على يمين من سلك من رحبة باب العيد يريد درب ملوخيا، وكانت في عهد الدولة الفاطمية خزانة من جملة خزائن القصر يعمل فيها السلاح، ويقال أن الخليفة الظاهر بن الحاكم هو من أمر بها، ثم احترقت في سنة (٤٦١هـ/ ١٠٦٨م)، فعملت بعدها سجنًا للأمراء والأعيان إلى أن انقرضت الدولة فأقرها ملوك بني أيوب سجنًا، ثم عملت منزلاً للأسرى من الفرنج يسكنون فيها بأهلهم وأولادهم في أيام الناصر محمد بعد عودته من الكرك، فلم يزالوا بها إلى أن هدمها الأمير آل ملك الجوكندار نائب السلطنة سنة (٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م)، فاختط الناس موضعها دورًا، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٣٩٥-٤٠١؛ مج. ٣: ١٠٤، ٥٩٩.

(٣) سيف الدين آل ملك الجوكندار: من المماليك المنصورية، اعتمد عليه الناصر محمد في أمور كثيرة، كان جامعًا للمال محبًّا للخير، بنى هذه المدرسة والجامع المعروف به بالحسينية، وحفر بالحجاز عدة آبار، وهدم خزانة البنود، قتله الكامل شعبان بن الناصر محمد بالإسكندرية سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)، انظر: المرجع السابق، مج. ٤، ج. ١: ٢٤٦-٢٤٧؛ ج. ٢: ٥٧١؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٤١١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٧٥-١٧٧؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٨٥-٨٨؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١: ٤٩٩-٥٠٠.

جامع الأمير حسين

أثر رقم ٢٤ (سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م)

هذا الجامع[١] أنشأه الأمير شرف الدين حسين بن أبي بكر بن إسماعيل بن جندر بك الرومي في سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م)[٢]، قال المقريزي في ترجمته: «أنه قدم مع أبيه من بلاد الروم في سنة (٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م)، واختص بالأمير حسام الدين لاجين المنصوري قبل سلطنته، فعينه أمير شكار «أمير الصيد» [توفي في ٧ محرم سنة (٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م)] ودفن بهذا الجامع»[٣].

والمدخل إلى هذا الجامع من بابين: أحدهما للجهة القبلية وتعلوه المنارة، وهي من المنارات التي اكتسبت نموذجًا خاصًّا يباين نماذج العصر الذي بنيت فيه[٤]، وبأعلاه عتب هذا الباب مذكرة تاريخية نصها:

البسملة... إنما يعمر... إلى المهتدين، أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك من فضل الله ومن جزيل عطائه العبد الفقير إلى الله تعالى حسين بن جندر بك عفا الله عنه، وذلك في شهور سنة تسعة عشر وسبعمائة[٥]

ومن هذا الباب نصل إلى باب آخر غربي يجاوره باب دورة المياة الخاصة بهذا المسجد، وداخله مرفوع على سقف تحمله دعامات وأساطين، وفي الجهة الشرقية منه حجرة بها قبر المنشئ، وعليه قبة من طوب.

ويظهر من المخلفات الزخرفية الباقية من هذا المسجد في جدار القبلة والتربة، أنه كان معتنى به من هذه الناحية، وهي تعطينا فكرة واضحة عن إحلال الذوق الفاطمي والمدنية الفاطمية، في الفن المعماري التي أتى بها الفاطميون من بلاد المغرب «مدن الفن» المحل الأرفع عند المصريين وعند الدول الأخرى التي خلفتهم.

وقد كان هذا المسجد إلى عهد الوزير علي مبارك باشا متخربًا، فلم يلبث أن تجدد منه الباب المذكور، وأحدثت به دورة مياة حديثة، وهو قائم إلى اليوم، تصلى فيه الجمعة والجماعات[٦].

---

(١) تم تغيير رقم تسجيل الأثر إلى ٢٣٣.

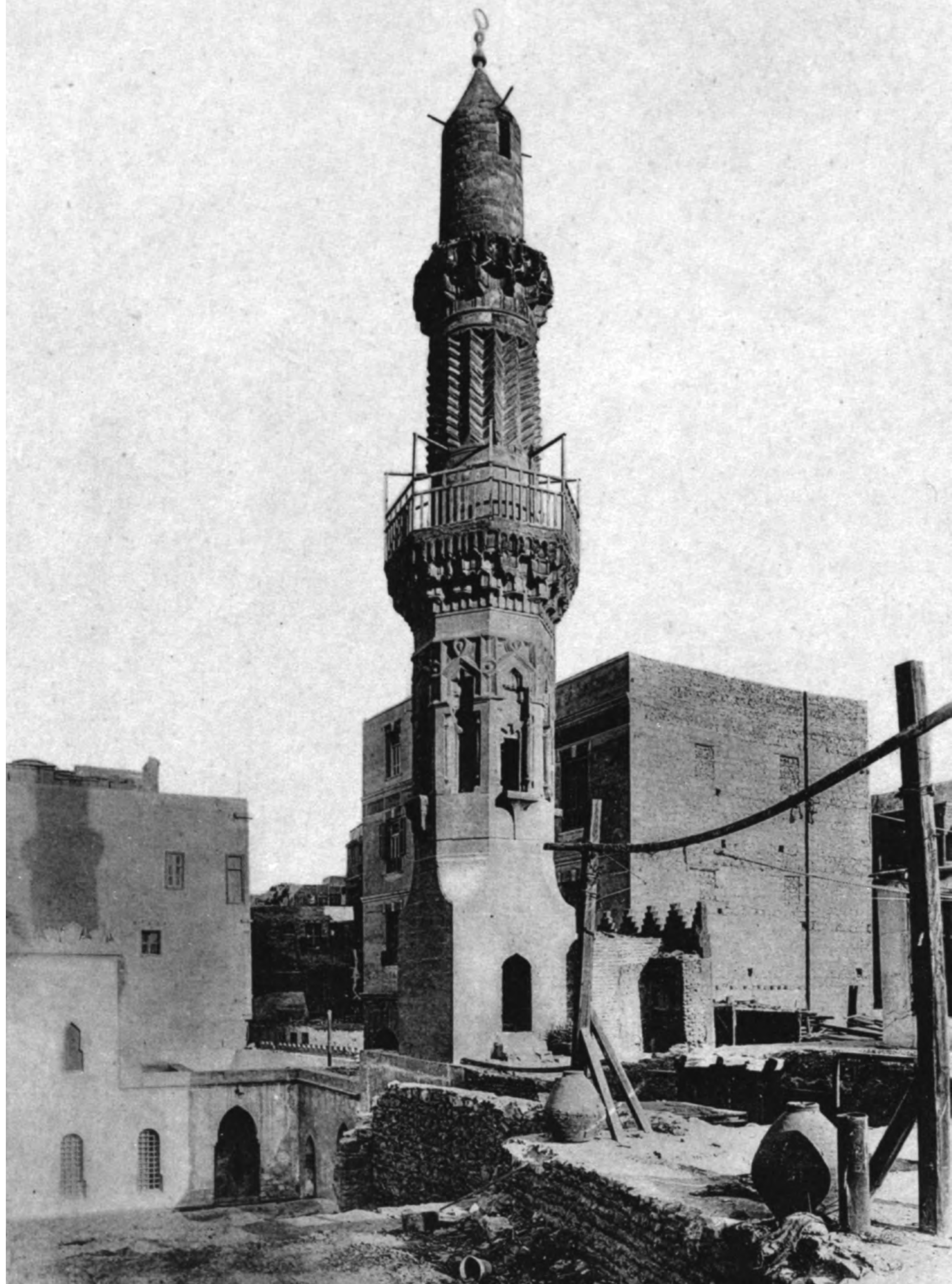
(٢) أنشئ هذا الجامع بحكر جوهر النوبي، وهو يقع الآن غربي الخليج (شارع بورسعيد)، أمام محكمة جنوب القاهرة الابتدائية، وخلف مبنى دار الكتب ومتحف الفن الإسلامي في شارع الأمير حسين بالمناصرة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٤٧- ١٤٨؛ مج. ٤، ج. ٢: ٢١٥-٢١٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٦٢، هامش ٢.

(٣) للمزيد عن سيرة الأمير حسين الرومي، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٤٧-١٤٨؛ مج. ٤، ج. ٢: ٢١٥-٢١٦؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٥٠-٥٢؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٥: ١٥٢-١٥٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٧٦.

(٤) هذا المدخل هو الرئيسي وكانت تعلوه منارة، وقد تم هدم الباب والمنارة لاتباع خط التنظيم، حتى قام المهندس محمود الطوخي بترميم الجامع واكتشف بالصدفة النقش التاريخي الذي كان على الباب ملقى بين الأنقاض.

(٥) قرأها فان برشم حيدر بك وليس جندر كما نقل صاحب المزارات عن المقريزي، انظر:
Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 169.

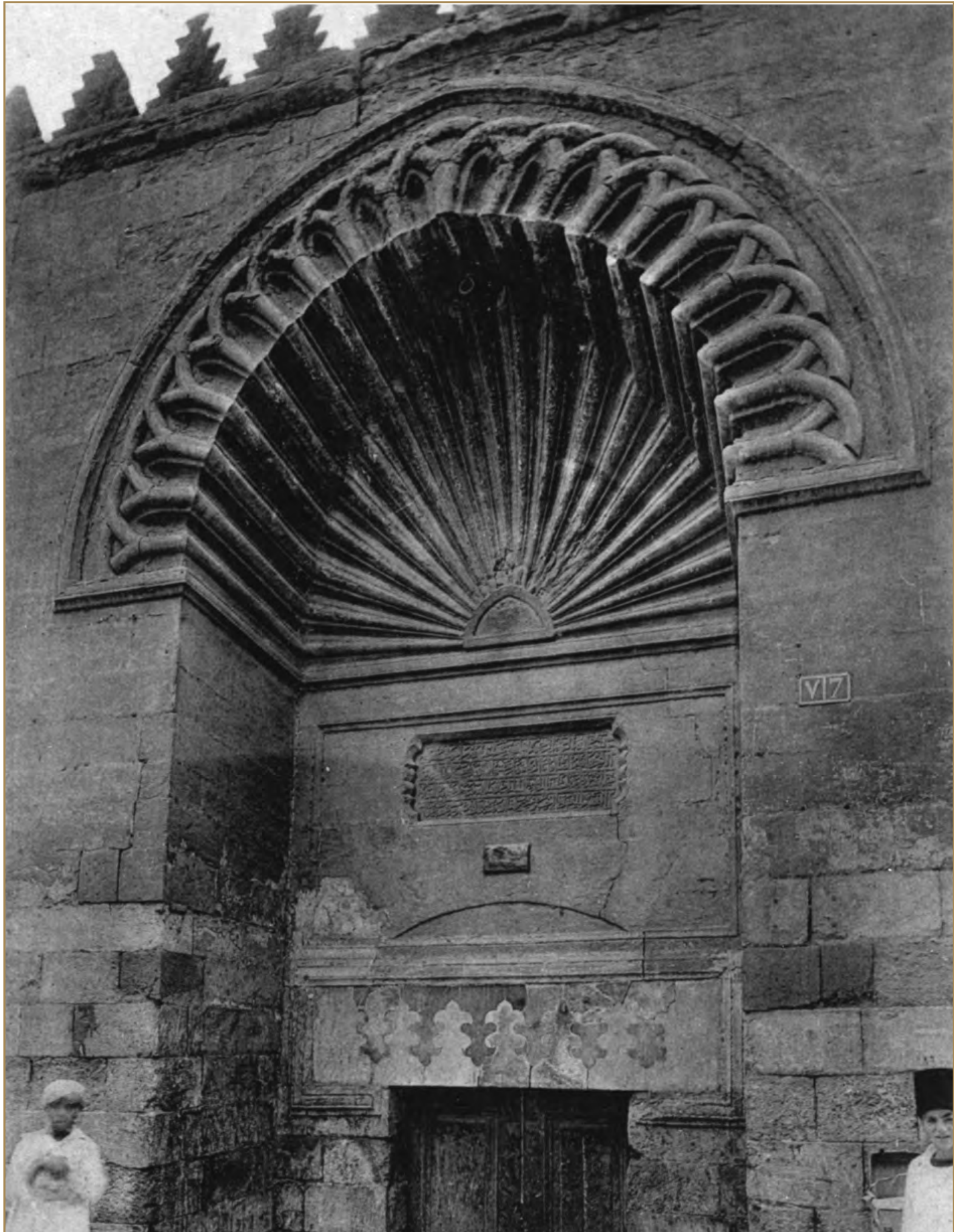
(٦) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٤: ٢٠٣.



مئذنة جامع الأمير حسين
«عن فييت»



محراب جامع الأمير حسين
«عن لجنة حفظ الآثار العربية»



مدخل جامع الأمير حسين
«عن فييت»

جامع شمس الدين سنقر السعدي (المدرسة السعدية)

أثر رقم ٢٦٣ (سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م)

هذا الجامع بشارع السيوفية رقم٣٣ «بستان وحكر سيف الإسلام سابقًا»، أنشاه الأمير شمس الدين سنقر السعدي الناصري نقيب المماليك السلطانية في عهد الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م)، ويقول المقريزي: «إنه أنشأ إلى جانبه رباطًا للنساء»[١]، وهذا يجعلنا نميل إلى القول بأن هذه المدرسة أنشئت كخانقاه للصوفية من الرجال والنساء، ورباطًا للسكنى ثم مدرسة ومسجدًا ومدفنًا، بيد أن الرباط والمسجد، دثرا وبقيا أثرهما في الجانب القبلي للقبة[٢].

وفي تاريخ إنشاء هذا الأثر خلاف بين المقريزي وبين المذكرة التاريخية بقبة هذه المدرسة، فالمقريزي يقول أنه أنشئ في سنة (٧١٥هـ/ ١٣١٥م)، لكن الكتابات الواردة بالأثر تنتهي بتاريخ (٧٢١هـ/ ١٣٢١م).

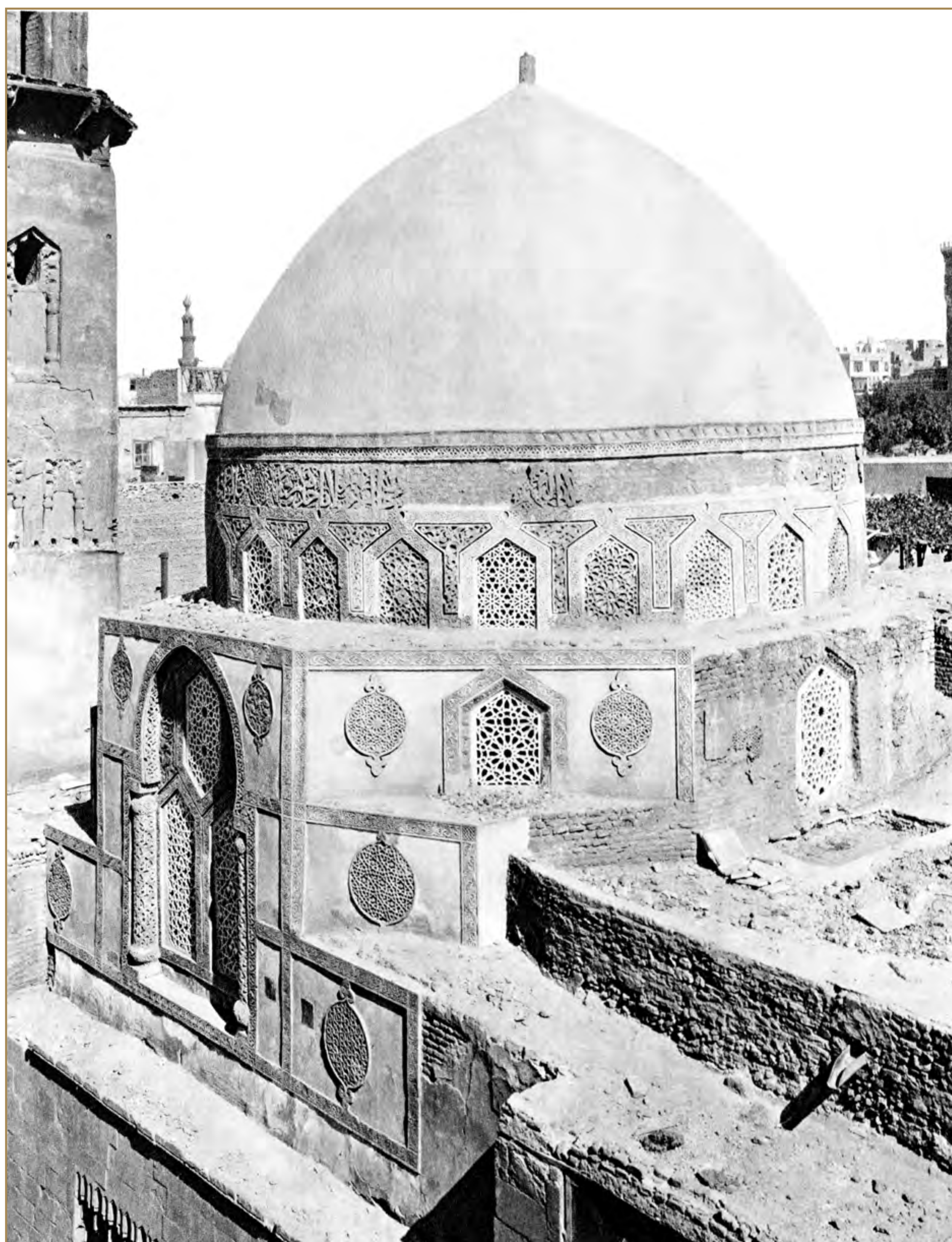
ونحن وإن كنا نرجح النص التاريخي لاعتبارات ظاهرة، لكن هذه الكتابات التي تتضمن مقامة من مقامات الحريري، ثم انتهاء التاريخ بالرقم لا باللفظ، يدع لنا مجالاً لتطرق الشك في أن هذه الكتابات قد تكون حدثت بعد التاريخ الذي أنشئ فيه هذا المسجد، لكن سرعان ما يختفي هذا الشك ويزول، وإذا تحقق لدينا أن اضطرار كاتب الدعاء لأن يظهر التاريخ بالرقم الهندي بدل كتابته لفظًا وذلك لضيق المساحة وانتهائها عند حد الطراز بحيث لا يمكن كتابته في موضع آخر أليق من هذا الموضع.

تطورات التجديد علي هذا المسجد

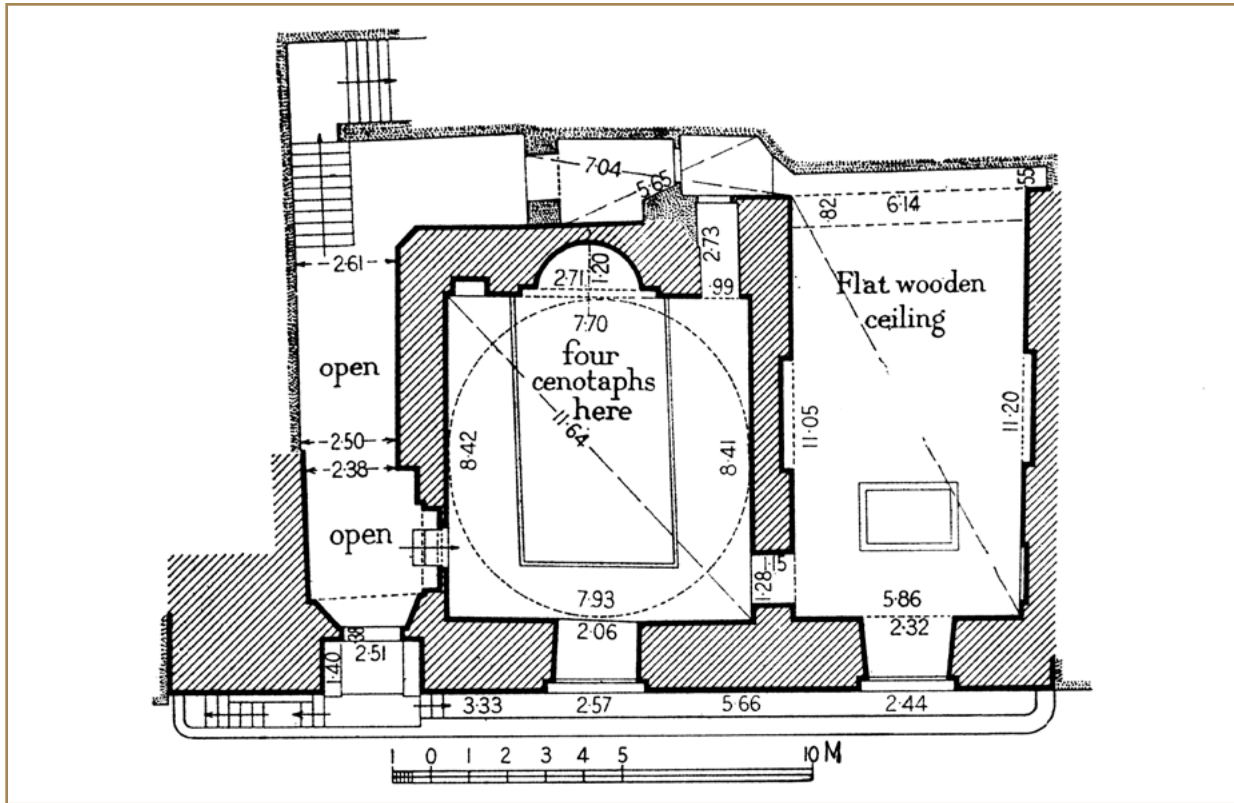
أول تجديد طرأ على هذه المدرسة، هو ما قام به السيد ناصر الدين صدقة بن عبد الله الحراني المعروف بالشرابيشي نسبة إلى الشرابيش-وهو غطاء للرأس يشبه الطربوش إلا أنه مثلث الأركان-كبير تجار القاهرة في سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)، وهو ما يشير إليه الحافظ بن حجر في الدرر الكامنة في ترجمة السيد صدقة هذا بقوله: «صدقة الشرابيشي كان من رؤساء القاهرة من ذوي الأموال الواسعة، وكان كثير

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٠١-٦٠٢.

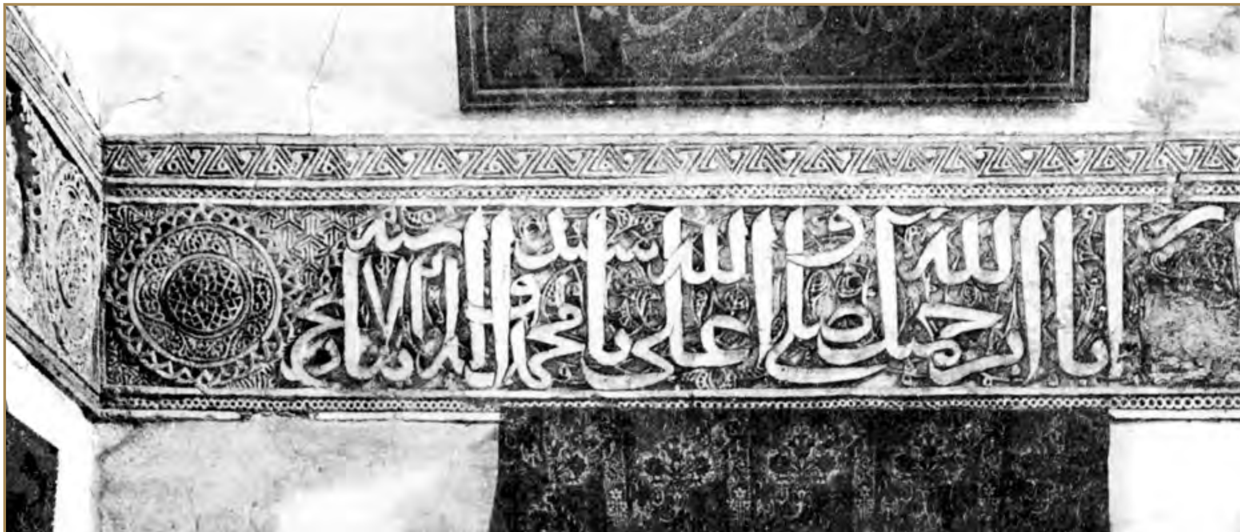
(٢) المدرسة السعدية: خارج القاهرة بقرب حدرة البقر، على الشارع المسلوك فيه من حوض ابن هنس إلى الصليبة (شارع السيوفية حاليًا)، فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل، كان موضعها يعرف بخط بستان سيف الإسلام، وهي في زمن المقريزي في ظهر إسطبل قوصون المقابل لباب السلسلة من قلعة الجبل، بجوار باب سر الإسطبل المذكور، بناها الأمير شمس الدين سنقر السعدي نقيب المماليك السلطانية في سنة (٧١٥هـ/ ١٣١٥م)، وتحولت هذه المدرسة في العصر العثماني إلى تكية للدراويش المولوية، انظر: المرجع السابق، هامش ٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٣٣٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ق. ١: ٢٤، ٤٥٨؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٦٠.



منظر عام لمدرسة السعدية
«عن كريسويل»



مسقط أفقي المدرسة السعدية «عن كريسويل»



نقش كتاب بالمدرسة السعدية «عن كريسويل»

المعروف، وقف على الخانقاه السعدية وقفًا، وعلى الجامع الأزهر وغير ذلك، توفي في سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)»[١].

وقبر صاحب الترجمة، باق بقبة هذه المدرسة إلى اليوم، ومكتوب على تابوته:

البسملة، كل من عليها فان هذا ضريح السيد الشريف الورع الزاهد العابد الشيخ صدقة الشرابيشي تغمده الله برحمته وذلك بتاريخ مستهل ربيع الأول سنة خمس وأربعين وسبعمائة

وقد كانت ترجمة السيد صدقة هذا حلقة مفقودة من تاريخ هذا الأثر عن المشتغلين بآثار القاهرة، بيد أننا استطعنا الوصول إليها رغم كل محاولة، وقد كان هذا القبر الذي دفن فيه السيد صدقة هذا معدًّا لأن يدفن فيه الأمير شمس الدين سنقر منشئ هذه المدرسة كما يبدو من الكتابة التي تحيط به الآتي ذكرها، لكنه لم يدفن لموته بعيدًا عن القاهرة، والظاهر أن حفيده المدعو حسن بن أحمد صدقة المترجم في الضوء اللامع دفن بهذه القبة[٢]، كما دفن بها جده من قبل، وهذا يؤيده القول بوجود هذا الاسم في هذا الأثر معروفًا باسم قبر السيد حسن الشريف أو حسن صدقة، وزعم فريق من الناس أنه أخو السيد أحمد البدوي، وهو زعم باطل، زعموا مثله أيضًا في قبة الأمير حسن جوربجي مستحفظان خزينة دار المملكة المصرية (١١٢٥هـ/ ١٧١٣م)[٣]، وادعّوا أنه حسن الأكبر المواجه لجامع حماد الخبيري (١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م)، كما سمي الشارع نفسه [انظر ترجمة وقبة وجامع حسن الأكبر بهذا الكتاب] و[انظر ترجمة السيد أحمد البدوي].

وقد ظهرت هذه النسبة للسيد حسن صدقة هذا منذ عصر الخديوي عباس الأول في شوال (١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م) [انظر وثائق الخديوي عباس التي جمعها الأمير محمد علي].

مسجد الشرابيشي بالقرافة

وللسيد صدقة هذا أثر آخر بالقرافة- أنشئ في سنة (٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م)، وقد سماه المقريزي بجامع الحراني، ووضعه في الجهة البحرية لجامع الشافعي[٤]، ويسميه الحافظ ابن حجر بزاوية الجبرتي، وظهر من كلام السخاوي في تحفة الأحباب والسكري في الكوكب السائر- أنه هو نفس المسجد المدفون به الشيخ عبد الله الجبرتي[٥]، ثم الشيخ عيسى بن الشيخ عبد القادر الجيلاني، ثم السيد علاء الدين القادري الحموي، وطائفة من هذا الفرع القادري، وقد سماه في موضع بتربة صدقة الشرابيشي، وفي موضع آخر بجامع الحراني، ولا يزال هذا المسجد باقيًا حتى اليوم حسب وضعه في الجهة الغربية البحرية لجامع الشافعي بصحراء أبي رمانة[٦].

(١) المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٦٧٥؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٢٠٥؛ زين الدين عبد الباسط بن خليل ابن شاهين، **نيل الأمل في ذيل الدول**، تحقيق عمر تدمري، مج. ١ (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٢): ١٠٣.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٩٣.

(٣) المذكور هو ابن السيد محمد هاشم جوربجي بن السيد محمد زين العابدين الشهير بجميزة، آلت إليه نقابة الأشراف بمصر كأبيه وجده، وابتنى له بيتًا بجي بركة الضرابي، سكنه مدة حياته ومات، بعد وفاته دفن بجانب منه، وهذا ما تحققته في= حجة وقف السيد حسن المذكور الصادرة بتاريخ ٢٢ من ذي القعدة (١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م)، وذكر بصفحة ٢٩٩ في هذا المصدر أنه جدد زاوية بحدرة الكماجيين على شاطئ البركة كانت تعرف بالأربعين وشحاذة، [السجل رقم ٤١٢] (المؤلف).

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٣٢٥.

(٥) الشيخ عبد الله الجبرتي الزيلعي، أحد الصلحاء المعتقدين، مات في المحرم سنة (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م)، انظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مج. ١ (القاهرة: دار إحياء الكتب، ١٩٦٧): ٥٢٧؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ٢٢٣.

(٦) السخاوي، **تحفة الأحباب**: ٣٦٦.

وهو نفس الحوش المعروف بالشيخ يوسف السندي الملقب بأبي الرمانة، وقد جدده أولاً الأمير تغري بردي القادري الدوادار في سنة (٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م)[١]، ثم أعاد تجديده الوزير محمد باشا زاده حاكم مصر العثماني في سنة (١١١٢هـ/ ١٧٠٠م)[٢].

ثم جددته الأميرة زينب هانم، بنت الخديوي إسماعيل باشا، شقيقة الأمير إبراهيم حلمي، وزوجة منصور باشا يكن صاحب سراي المحافظة بالقاهرة في سنة (١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م)[٣]، وقد أوسعنا الكلام عنه في هذا الكتاب (انظر الجزء الثالث من القسم الثاني الخاص بمزارات ومساجد القرافة الجنوبية).

(١) تغري بردي من يلباي الظاهري القادري الحنفي الخازنداري الأستادار: ولد قبيل (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)، تولى الخازندارية ليشبك من مهدي الدوادار، وصار المتولي لعمائره، وجدد عدد من المساجد والجوامع، مثل: جامع الخشابين، والمسجد المقارب له والمقابل لدرب الركراكي من المقس، وجامع بالكبش للسلطان، وزاوية الشيخ شرف الدين بالحسينية، والمشهد النفيسي، ومشهد غانم بسويقة اللبن، ومطهرة الجامع الأزهر، وجدد أوقاف سعيد السعداء كالحمام والمدرسة والمطهرة، وجامع الغمري والكاملية، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٣٠-٣١.

(٢) هو قرة محمد باشا، تولى في سنة (١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، تولى إعمار العديد من المباني بالقاهرة، مثل: مقام الأربعين بجوار قراميدان، حيث أنشأ فيه جامعًا بخطبة وتكية لفقراء الخلوتية من الأروام، وعمر إلى جواره حمامًا، وعمر بالقرافة مقام عبد القادر الجيلاني، وعمر صهريجًا داخل القلعة بجوار نوبة الجاويشية، عزل في سنة (١١١٦هـ/ ١٧٠٤م) برامي محمد باشا عوضًا عنه، انظر: السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١٧٢.

(٣) الأميرة زينب هانم بنت الخديو إسماعيل: شقيقة الأمير إبراهيم حلمي، وزوجة الأمير إبراهيم أحمد باشا، توفيت سنة (١٢٩٢هـ/ ١٨٧٤م)، ولعل المؤلف يريد الأميرة توحيدة هانم زوجة منصور باشا يكن، توفيت سنة (١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م). (المراجع)

أوقاف المدرسة السعدية

وقد أوقف على هذه المدرسة في أوقات مختلفة عدة أوقاف وحبوس، أولها وقف المنشئ، وهو جميع إقطاعاته بالنحراوية[٤]، ثم وقف السيد صدقة الشرابيشي، وهو ما يشير إليه ابن حجر في ترجمته.

وفي ١٧ صفر سنة (١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م)، أوقف الأمير يوسف سنان باشا- بمقتضى وقفية محررة في هذا التاريخ- أوقافًا دخل في ضمنها داره التي تلاصق هذه المدرسة من الناحية القبلية بلصق الدار التي كانت في ملك الأمير قوصون ثم آلت إلى يشبك ثم إلى أقبردي[٥] (انظر جزء الدور).

(٤) النحراوية (النحريرية): قرية من أعمال الغربية، أسس حكرها الأمير شمس الدين سنقر السعدي، وبالغ في عمارتها ثم خرج عنها فعمرت للسلطان، واتسع أمرها حتى أنشئ فيها زيادة عن ثلاثين بستانًا، ووصل حكرها لكثرة سكانها إلى ألف درهم فضة لكل فدان، وصارت بلدًا كبير العمل، يبلغ في السنة ما بين خراجي وهلالي ثلاث مائة ألف درهم فضة، عنها خمسة عشر ألف دينار ذهبًا، وكانت بديتها ضيعة من إنشاء نحرير الأرغلي الإخشيدي، المعروف بابن الشويراني، وبه عرفت، وردت في بعض المصادر باسم النحرارية بالتحريف، ثم حرف للمرة الثانية للنحارية، وهو اسمها الحالي، وهي تابعة لمركز كفر الزيات، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ١: ٦١٣، ٦٧٦؛ محمد رمزي، **القاموس الجغرافي**، مج. ٢، ق. ٢ (د.م.، د.ت.): ١٢٢-١٢٣.

(٥) قصر قوصون: المعروف بإسطبل قوصون، وهو مجموعة من مبانٍ كان يقيمها بعض كبار الأمراء المماليك من أجل سكنه وأسرته ومماليكه وخيوله، حيث كان الإسطبل يحتوي على قصر وبيوت للمماليك وإسطبلات للخيل ومخازن لحفظ السروج، وهو من إنشاء الأمير علم الدين سنجر الجمقدار، ثم أخذه منه قوصون، وضم إليه إسطبل الأمير سنقر الطويل، واستمر عامرًا طيلة فترة حكم الناصر محمد، ثم نهب على يد العوام في فتنة الأمير أيدغمش مع قوصون سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، واستمر خرابًا حتى وفاة الأشرف شعبان، حيث جدده بركة الزيني في سنة (٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م)، ثم خربته العامة في فتنة بركة مع برقوق، وصار هذا القصر نزلاً لكل من يتولى منصب أتابك العسكر، وفي سنة (٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م) أخذ الأمير يشبك من مهدي هذا=

وفي ١٨ شوال سنة (١١٢٥هـ/ ١٧١٣م)، أوقف عليها الأمير يوسف بك- أمير اللواء الشريف وأمير الحج- أوقافًا من أطيان وغيره، بعضها يقع في هذه المنطقة وفي غيرها، وقد بينتها حجته المؤرخة بهذا التاريخ، وفي ٢٣ رمضان سنة (١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م)، أوقف الأمير إبراهيم طائفة جلبان أوقافًا من إقطاع وأعيان كانت في ملكه، ورصد لها مالًا مقررًا وتاريخ حجة وقفه مؤرخة في هذا التاريخ بمقتضى حجة شرعية مصدق عليها من محكمة «قوصون الشرعية» بالشارع الأعظم بخط السروجيين، وهذه الحجة والحجج السالفة الذكر محفوظة جميعها بسجل محفوظات المحكمة الشرعية العليا.

المذكرات التاريخية

ليس لدينا من المذكرات التاريخية لهذه المدرسة غير المذكرة التي وردت بآخر الكتابات المحيطة برقبة القبة من الداخل، وهي تبتدأ بالبسملة، ثم المقامة الحادية عشر «السماوية» من مقامات القاسم بن علي الحريري البصري، المولود سنة ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م [المتوفى سنة (٥١٦هـ/ ١١٢٢م)]، وهي للوزير جلال الدين علي بن أبي العز وزير المسترشد بالله، [المتوفى سنة (٥٢٢هـ/ ١١٢٨م)].

كما يوجد بأسفل هذه المقامة- مقامة أخرى هي المقامة التنسية، وتنتهي بالنص التاريخي، وهو:

وصلى الله على سيدنا محمد وآله، بتاريخ سنة (٧٢١هـ)

وهذا نص هذه الكتابات مع التكملة من المقامات:

لمثل هذا فليعمل العاملون، فاذكروا الله أيها الغافلون، وشمروا أيها المقصرون، وأحسنوا النظر أيها المتبصرون، مالكم لا يحزنكم دفن الأتراب، ولا يهولكم هيل التراب، ولا تعبؤون بنوازل الأحداث، ولا تستعدون لنزول الأحداث، ولا تستعبرون لعين تدمع، ولا تعتبرون بنعي يسمع، ولا ترتاعون لإلف يفقد، ولا تلتاعون لمناحة تعقد، يشيع أحدكم نعش الميت، وقلبه تلقاء البيت، ويشهد مواراة نسيبه، وفكره في استخلاص نصيبه، ويخلي بين ودوده ودوده، ثم يخلو بمزماره وعوده، طالما أسيتم على انثلام الحبة، وتناسيتم اخترام الأحبة، واستكنتم لاعتراض العسرة، واستهنتم بانقراض الأسرة، وضحكتم عند الدفن، ولا ضحكتم ساعة الزفن، وتبخترتم خلف الجنائز، ولا تبخترتم يوم قبض الجوائز، وأعرضتم عن تعديد النوادب إلى أعداد المآدب، وعن تحرق التواكل، إلى التأنق في المآكل، لا تبالون بمن هو بال، ولا تخطرون ذكر الموت ببال، حتى كأنكم قد علقتم من الحمام بذمام، أو حصلتم من الزمان على أمان، أو وثقتم بسلامة الذات، أو تحققتم مسالمة هادم اللذات، كلا ساء ما تتوهمون، ثم كلا سوف تعلمون.

وتحت هذه الكتابات كتابة أخرى هذا نصها:

مسكين ابن آدم، وأي مسكين، ركن من الدنيا إلى غير ركين، واستعصم منها بغير مكين، وذبح في

= قصر قوصون وزاد عليه، ثم لما عين الأمير فخر الدين أقبردي بن علي باي الدوادار أتابكًا في سلطنة الملك الأشرف قايتباي- سكن هذه الدار كغيره من الأتابكة وبه عرف، ثم أصبح يعرف بالبيت الكبير عند حدرة البقر في آخر عصر المماليك الجراكسة، وما زالت بقايا هذا القصر موجودة خلف مدرسة السلطان حسن بين شارعي مناخ الوقف ومحمد كريم (قره قول المنشية سابقًا)، ويطلق عليه العامة حوش بردق، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٣٥-٢٣٨، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٠٠، هامش ١، ١١٠-١١١، هامش ٤، ١٢١؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٣١٥؛ مج. ١٠: ٢٧٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣٠٤، ٣٢٦.

حبها بغير سكين، يكلف بها لغباوته، ويكلب عليها لشقاوته، ويعتمد فيها لمفاخرته، ولا يتزود منها لآخرته، أقسم بمن مرج البحرين، ونور القمرين، ورفع قدر الحجرين، لو عقل ابن آدم، لما نادم، ولو فكر فيما قدم، لبكى الدم، ولو ذكر المكافآت، لاستدرك ما فات، ولو نظر في المآل لحسن قبح الأعمال.... يا عجبا كل العجب، لمن يقتحم ذات اللهب في اكتناز الذهب، وخزن النشب لذوي النسب، ثم من البدع العجيب أن يعظك وخط المشيب، وتؤذن شمسك بالمغيب، ولست ترى أن تثيب وتهذب المعيب.

وصف هذا الأثر

للوصول إلى هذا الأثر منفذين: الأول من باب غربي يحمل رقم٣١ تنظيم من نفس الشارع، وهو باب تكية المولوية، ومنه بصعود بضع درجات إلى رحبة، فبستان ملاصق لجدار بيت قوصون أو يشبك، ثم نصل من الناحية البحرية إلى مصلى تابعة لوزارة الأوقاف يتصل بها دار وضوء، ونصل إلى القبة من باب يجاورها بعد اجتياز عدة درجات، ومنها إلى باب صغير في الجانب البحري منها، وداخلها يتوسطه منصة عليها أربع قبور مكسوة بالأخضر بالزي الرومي، الثلاثة الأول منها لمشايخ من المولوية، ذكر لنا منهم الجبرتي في وفياته الشيخ أحمد المولوي[١].

والرابع المحاذي للمحراب، هو قبر الأمير شمس الدين سنقر، الذي كان مزمعًا أن يدفن فيه، ودفن فيه الشيخ صدقة وحفيده حسن، وعليه صندوق من أنفس الصناديق الموجودة بهذا المدفن والذي يليه؛ إذ أنه من الخشب الخرط المشغول المطعم، ويرتكز على قاعدة من الطوب، وهو أشبه شيء بالأضرحة التي استخدمت في عصر الدولة الفاطمية والأيوبية والمنصورية مع وجود التغاير الزمني فيه، بيد أن شيوخ المولوية، أقاموا له سنامًا على نحو ما يفعلونه في قبور شيوخهم.

والقبة من داخلها وخارجها محلاة بالزخارف الجصية والكتابات والنقوش، وقالبها منسجم وبها أثر تصليح حديث، وواجهتها تلفت النظر[٢]، وقوام زخرفتها الكتابية آيات كريمة، وفي الجانب البحري منها باب يؤدي إلى مدفن، يتوسطه قبر دفن فيه السيد محمد بهاء الدين المولوي، شيخ هذه التكية في أوائل القرن المنصرم [توفي سنة (١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م)]، وصدر مرسوم بدفنه في هذه التكية من الخديوي عباس حلمي الثاني، وبعد وفاته بعامين في سنة (١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م)، قام خلفه بتجديد قبور الشيوخ الثلاثة وكسوتها مع قبر السيد صدقة[٣]، ويلي ذلك إلى الجهة الشرقية، مساكن ومقاعد شيوخ هذه الطريقة أتباع الشيخ محمد جلال الدين الرومي، وقد حلت بهذه المدرسة من سنة (١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م)،

(١) أحمد المولوي: شيخ المولوية بتكية المظفر [توفي في ٢٧ ربيع الآخر (١١٨٤هـ)/ ٢٠ أغسطس (١٧٧٠م)] انظر: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، التاريخ، المسمى، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، مج. ٢ (القاهرة: دار الطباعة، ١٨٨٠): ٥٧١؛ وجاء في بعض المواضع باسم الشيخ أحمد الملوي، انظر: المرجع السابق، مج. ١: ١٥٠؛ مج. ٢: ٤٥٩، ٤٦٠.

(٢) تعتبر أعمال الترميم التي أجريت على هذا الأثر من أدق أعمال الترميم التي أجريت في آثار مصر الإسلامية في الفترة الأخيرة على يد المركز المصري الإيطالي للترميم والآثار. (المراجع)

(٣) هو السيد مصطفى فخر الدين، وفي مدة مشيخته أصدرت المحكمة الشرعية في سنة (١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م) بناء على طلب أحمد باشا علي وزير الأوقاف قرار بفصل السيد مصطفى عن أوقاف التكية المولوية وإقصاء الدراويش منها، «راجع ما ذكرناه في هذا الصدد في ترجمة الشيخ إبراهيم داده المولوي في وفيات سنة (١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م) في كتابنا: **تكملة تاريخ الجبرتي**، مج. ٢ (د.م.، د.ت.): ٩٣». (المؤلف)

وبقيت بها حتى (١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م)، ثم أقصيت عنها إلى مكان آخر، عند ما اتجهت الفكرة إلى محاربة هذا النوع من الرهبنة، اتباعًا لقواعد الشرع الشريف ومبادئ تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وقد قال تعالى في حق هؤلاء وأمثالهم ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد/ ٢٧]، وفي الحديث الصحيح «لا رهبانية في الإسلام».

أما باب القبة الأصلي فهو يجاور هذا الباب المذكور، وهو باب شاهق تكثر فيه المقرنصات بصورة تدعو إلى الإعجاب والدهشة، ويعلوه من الجانب البحري مئذنة جميلة ذات منظر منسجم متزن من النوع المسمى عند القاهريين بالمباخر، وهي أرشق المآذن التي من هذا النوع، وهذه المئذنة تصور لنا بوضوح جمال الفن الإسلامي.

ترجمة المنشئ

لم تطالعنا المصادر التاريخية بترجمة وافية لمنشئ هذا الأثر، وغاية ما فيها أنه كان نقيبًا للمماليك السلطانية، وأنه كان صاحب خيرات ومبرات، وحول إقطاعه إلى بلدة سماها «النحراوية»، وأنه بنى هذه المدرسة ومسجدها على مقربة منها [انظر المدرسة البشيرية][1].

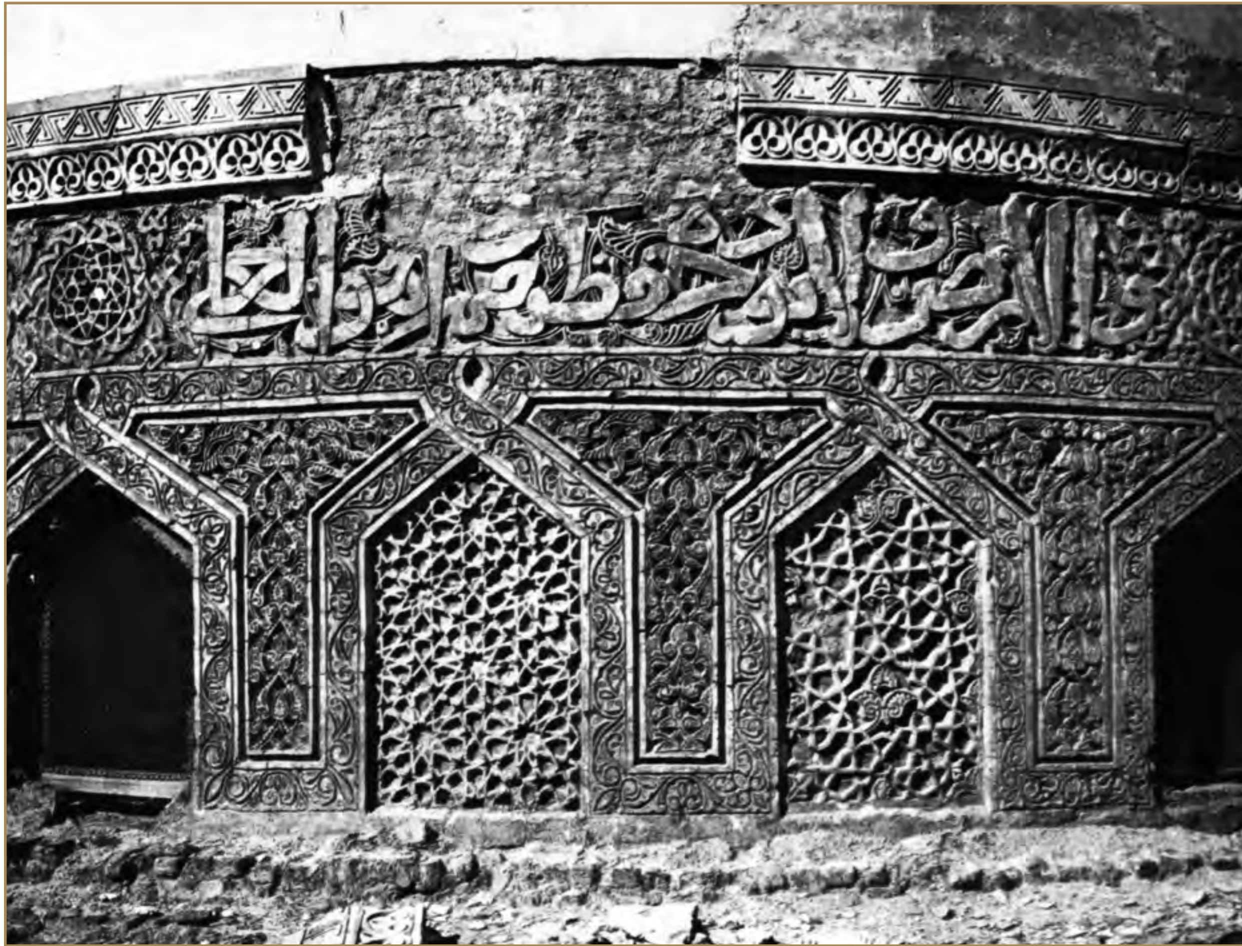
ومات بطرابلس من البلاد الشامية في سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) على رواية المقريزي، وسنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) على رواية ابن إياس، ويقول الحافظ ابن حجر في ترجمته في الدرر: «أنه تولى نقابة الجيش، وكان له بالنحراوية ٣٠ بستانًا كان يزرعها ويحصدها بيده وبإشرافه عليها، ولما نقم عليه الأمير قوصون، نفاه إلى طرابلس الشام فظل منفيًّا من سنة (٧٢٣- ٧٢٨هـ/ ١٣٢٣- ١٣٢٧م)، ثم مات»[2].

وفي وفاته بعيدًا عن مدرسته هذه بقي القبر الذي أعده لنفسه خاليًا من الدفن حتى أراد الله سبحانه أن يدفن فيه السيد صدقة وحفيده، وهذا ما تشير إليه المذكرة التاريخية المدونة بهذا التابوت ونصها:

البسملة، أمر بإنشاء هذا المكان المبارك الأمير الأجل الكبير المحترم المخدومي المجاهدي المرابطي المثاغري المؤيدي المظفري المنصوري عمدة الملوك اختيار السلاطين المقدمي الاسفهسلاري العوني السيدي المنعمي المتفضلي الأعزي الزيني الأوحدي الأثيري الأمجدي الأكملي الظهيري الكفيلي المعيني السندي الدرعي الزعيمي العالمي العاملي الزاهدي الغياثي الهمامي المقدمي مقدم الأمراء المماليك السلطانية الشمسي شمس الدين سنقر السعدي الملكي الناصري المنصوري أدام الله سعادته.

(١) أقام الأمير سنقر السعدي في هذا الموضع من حكر الخازن مسجدًا مطلاً على بركة الفيل عرف به، والذي هدمه الأمير سعد الدين بشير الجمدار الناصري، وبنى في موضعه المدرسة البشيرية سنة (٧٦١هـ/ ١٣٥٩م)، ثم تحولت إلى زاوية عرفت بزاوية نور الظلام، وبها ضريح الشيخ نور الظلام، وهي تجاه دار الأمير مصطفى باشا رياض، وهي مخربة غير مقامة الشعائر، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦١٠-٦١١؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٣٣٥.

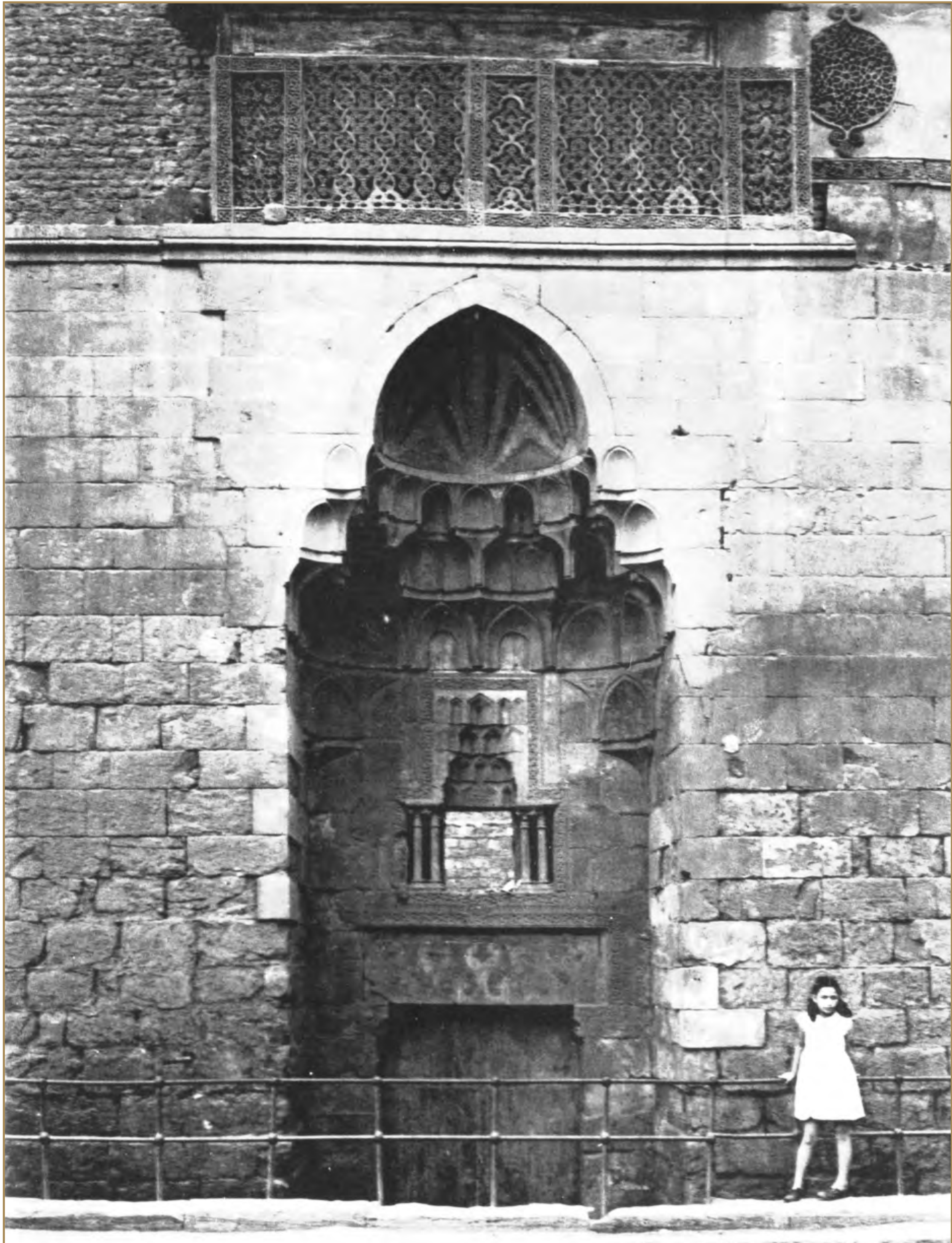
(٢) شمس الدين سنقر السعدي: ولي نيابة الجيش، ثم أخرج إلى طرابلس في سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، وهو الذي عمر ناحية النحرارية فكان له فيها ثلاثون بستانًا، وعمر بالقاهرة المدرسة السعدية بخط حدرة البقر، وكان سبب إخراجه غضب قوصون منه، فأقام بطرابلس إلى أن مات في سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ١: ٦١٣، ٦٧٦؛ مج. ٤، ج. ٢: ٦٠١-٦٠٢؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ١٧٦-١٧٧؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٤٥٨.



زخارف القبة من خارج المدرسة
السعدية «عن كريسويل»



إطار زخرفي بعتب باب المدرسة
السعدية «عن كريسويل»



مدخل المدرسة السعدية
«عن كريسويل»

مسجد سنجر المظفري

قبة أثرية رقم ٢٦١ (سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م)

هذه القبة بشارع السيوفية (سابقًا حدرة البقر)، أنشأه الأمير علم الدين سنجر المظفري المنصوري في سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م)، كان في بادئ أمره من مماليك السلطان قلاوون، ثم خدم ابنه الملك الناصر محمد، واختص بالمظفر بيبرس الجاشنكير، وبه عرف، توفي سنة (٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م)، وقبره تحت هذه القبة مكتوب عليه في سطرين:

هذا قبر الفقير إلى الله تعالى علم الدين سنجر المظفري، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته. وكانت وفاته بتاريخ سابع عشر شهر صفر سنة اثنين وعشرين وسبعمائة

وهذه القبة مع بقائها حافظة لشكلها لم يذكرها أحد من المؤرخين من عهد المقريزي حتى اليوم، ودلت عليها المذكرة البادية الذكر، وقد وهم فيها ابن إياس، حيث جعلها للمظفر قطز ملك مصر[١]، وتبعه بعض الكتاب، وهو مخالف لما ذكر في الكواكب السيارة في الكلام على المظفر قطز، وظهر من كلام السخاوي صاحب التحفة أنها كانت تعرف في عصره باسم منشئها سنجر[٢].

وذكرها علي مبارك باشا في الخطط في عدة مواضع بعبارات مختلفة لا تمت إلى الحقيقة بشيء[٣]، ولعل ما ذكرناه عنها جاء مصححًا لذلك.

والمدخل إلى هذه القبة من باب صغير، ثم مدخل يتوسطه قبر المنشئ، والقبة من القباب الحجرية المضلعة من متمنطقة من ظاهرها وباطنها بزخارف كتابية من سورة البقرة، وإذا اعتبرنا أن قبة يلبغا التركماني الكائنة بالقرافة الناصرية هي أول قبة حجرية مضلعة ماثلة لدينا إلى اليوم، كانت هذه القبة هي الثانية.

---

(١) يذكر ابن إياس أن المظفر قطز دفن بالقرين ثم نقل لمدرسته بحدرة البقر، انظر: المرجع السابق: ٣٠٨.

(٢) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الأنصاري بن الزيات، **الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة** (بغداد: مكتبة المثنى، [--١٩]): ٢٨٠.

(٣) ينسب علي مبارك ضريح الشيخ المضفر إلى الملك المظفر قطز، وإن ذكر أنه داخل هذا الضريح رأس الأمير سنجر الذي ذكره السخاوي الحنفي، وقد هدم علي باشا مبارك هذه الزاوية عند بنائه لبيته المجاور لها، وجدده وإن لم يغير قبته، وجعل له كل سنة مولدًا ليلتين مع مولد السيدة نفيسة، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٧٩، ١٨٠-١٨١.



منظر عام لقبة سنجر المظفري
«عن لجنة الآثار العربية»

جامع المهمندار

أثر رقم ١١٥ (سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)

هذا الجامع بشارع الدرب الأحمر «البرادعيين سابقًا»، أنشأه الأمير أحمد شهاب الدين بن الجمالي يوسف بن أقوش العزيزي المهمندار، ناظر دار الضيافة ونقيب نقباء الجيوش المنصورة في عهد الناصر محمد بن قلاوون برسم مدرسة، ووقف عليها أوقافًا واشترط أن تخصص للصوفية والحنفية، وتم إنشاؤها في سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)[1].

والمدخل إليه من باب بحارة اليانسية ومن بابه العمومي، وهو باب يعلوه مقرنص وعلى جانبيه زخرفة كتابية محفورة في رخام أسود بقلم أبيض يظهر فيها آية قوله تعالى:

بعد البسملة... إنما يعمر إلى المهتدين صدق الله العظيم

وداخله يشتمل على غرفة مربعة ذات ثلاث مجنبات، في المجنبة الأولى رواق تحمله ساريتان من الرخام الأبيض، بأسفل كل منها قاعدة رخامية، وعلو كل سارية منها تاج مقرنص، وفي جانبيها قوسان يرتكزان على جانبي الرواق، وفي صدر الرواق محراب في جانبيه ساريتان صغيرتان من الرخام الأبيض، يجاوره من الخشب المنجور العادي.

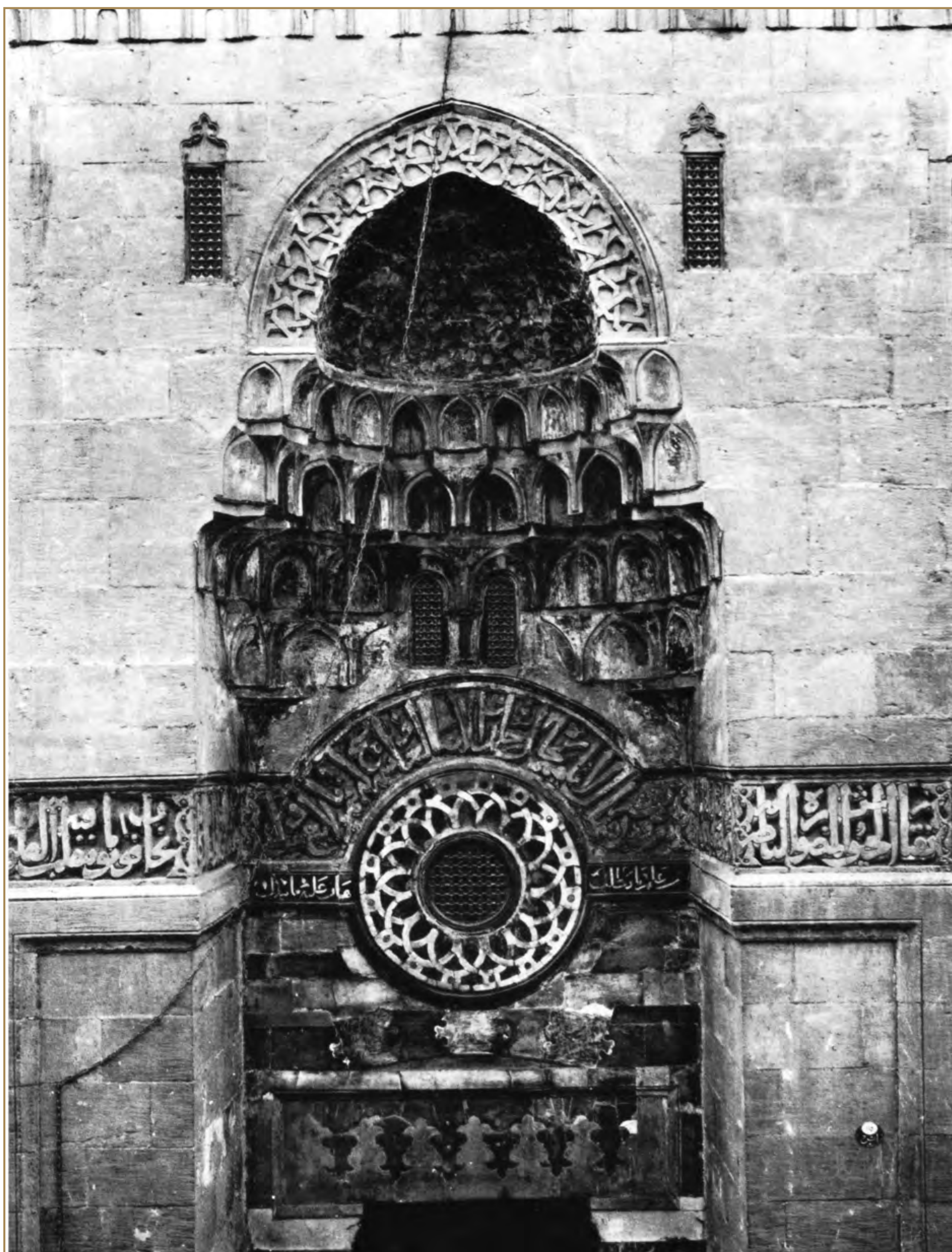
وسقف الرواق بسماوات مزينة، وقد فقدت زينتها لقدمها، ويعلو الواجهة الشرقية ثلاث كوات إحداها مستديرة، وكلها مفرغة بالزجاج الهوائي الذي يترقرق فيه ماء الألوان المتزاوجة ما بين أحمر قاني وأصفر فاقع وأخضر قاتم.

وفي الشمال والجنوب رواقان من الرواق الشرقي يحمل كل منهما سارية ذات قوسين وسقفها عادي، وفي الغرب إيوان قصير تعلوه دكة تأذين وتبليغ، ويجاوره من الجانبين باب يصل إلى المئذنة، وآخر إلى دار الوضوء، ويحيط بالمسجد من جوانبه الأربعة صحن مربع مغطى بسقيفة ذات منفذ حديثة الصنع.

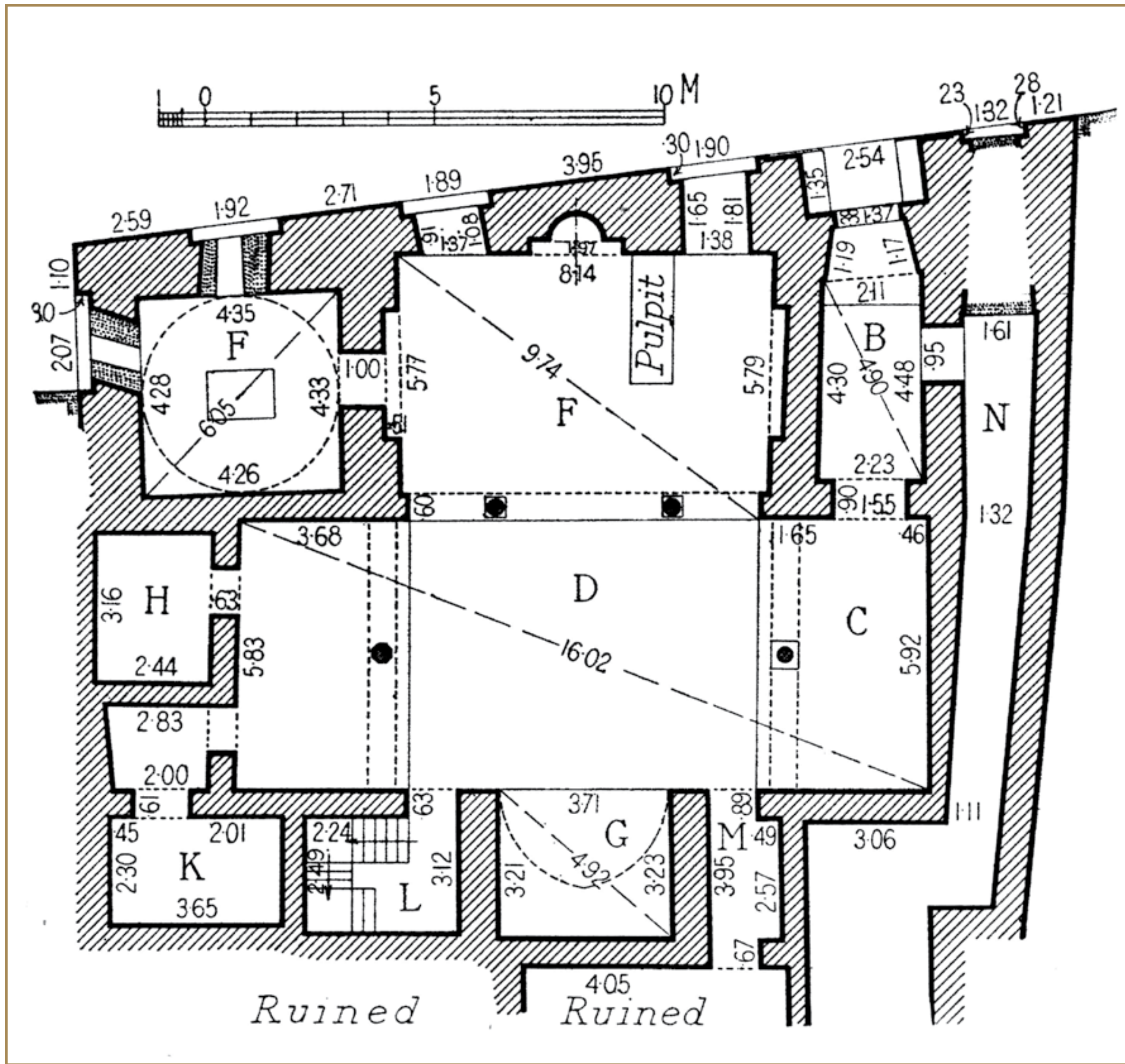
وفي الجانب البحري من الرواق الشرقي باب نصل منه إلى قبة المنشئ وهي قبة فاخرة شاهقة، تبدو فيها ظاهرة غريبة في شرفاتها، وتتحلى بمجموعة مقرنصات من الجص يحيط بها صف من كوات مفرغة، وفي جنباتها شرفات للتهوية، وبأسفلها شمالاً شرفة هواء بالزجاج الملون.

ويتوسط القبة تركيبة من الرخام المسنون، يحيط بها زخرفة كتابية تظهر فيها آية الكرسي من سورة البقرة، وفي جانبها القبلي - مذكرة في ثلاثة أسطر - مفقود بعضها ونصها.

(١) تقع المدرسة أو الخانقاة المهندارية في خط جامع المارداني فيما بين جامع الصالح وقلعة الجبل، بشارع التبانة على يسار الخارج من باب زويلة فيما بين جامع المارداني وقجماس الإسحاقي، وتعرف بجامع المهمندار، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦١٢، هامش ٢، ٧٤٤؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٤١، ١٢٣.



مدخل جامع المهمندار
«عن كريسويل»



مسقط أفقي لجامع المهمندار «عن كريسويل»

كل نفس ذائقة الموت... هذا ما أعد العبد الفقير إلى الله أحمد أمير مهمندار وأمير نقباء الجيوش المنصورة الناصرية ولد الجناب الجمالي المهمندار تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته[1].

وأظهر شيء في المسجد جميعه، واجهته، فإنها بطرازها الكتابي الجميل، وشبابيكها الهوائية، ومقرنصاتها وبابها الذي لا نظير له في أبواب مساجد أخرى، بما يتزين به من قطع الرخام الأسود والأبيض، وحليته بأشكال هندسية جميلة تمثل دائرة، وقبته الجصية المضلعة وزخارفها الكتابية إلى غير ذلك.

(١) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 175.

كل هذا يجعل هذا الجامع في مصاف الجوامع الفاخرة ذات الظاهرة الغريبة الفريدة في بابه ووضعه وقبته، وليس فيـه من التغيـيرات الزمنية الشيء الكثـير، خلا مئذنته وسـقف رواقيه القبلي والبحري وسـقيفة صحنه ومنبره وبعـض مفردات أخـرى طفيفة، ولم يطـرأ عليه تجديد يسـتحق الذكر منذ حين، بيد أنه ظهر في سـنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) بعض تصـدع في جدران جانب مـن وجهته تلي الباب لجهة الجنوب، فبدلت الأحجار البالية بأخرى جديدة.

المذكرات التاريخية

وبأعلى الوجهة العمومية للمسجد طراز، كتب فيه ما نصه:

البسـملة.. آيـة الكرسي. أمـر ببناء هـذه التربة والمسـجد المبارك من خالص ماله مما أفاء الله عليه وطيبه لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخـرة والرغبة في عمارة بيـوت الله وأداء فريضة وتلاوة كتابـه ومداومة ذكره العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد المهنـدار ونقيب نقباء الجيوش المنصورة الناصريـة، إذ يقول الله تقدس وتعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسـمه إلى قوله تعالى ما عملوا وذلك في شـهر المحرم سـنة خمس وعشرين وسبعمائة وصلى الله على محمد وآله[١].

المذكرة الثانية

على المنبر وهي تشـير إلى تجديد الأمير سـليمان أغا كتخدا القازدغلي لهذا المسجد في سنة (١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م).

سليمان قد وافيت عزًّا وسؤددا
وأبقيت للقزدغل مجدا مؤبدا

بزاوية جددت فيها مشاعرا
نفائس صارت للعبادة موردا

وأحدثت فيها منبرًا قد زهت به
ومئذنة أضحت تدل على الهدا

ومع غاية الإسعاد قلت مؤرخا
لـعـمـري قـد أسـسـت
بـالهـدى مـسـجـدا

كتبه أحمد المخلص سنة (١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م)

حفره الحـاج داود يحيي السـندي نظمه يوسـف الحفناوي الأزهري[٢]

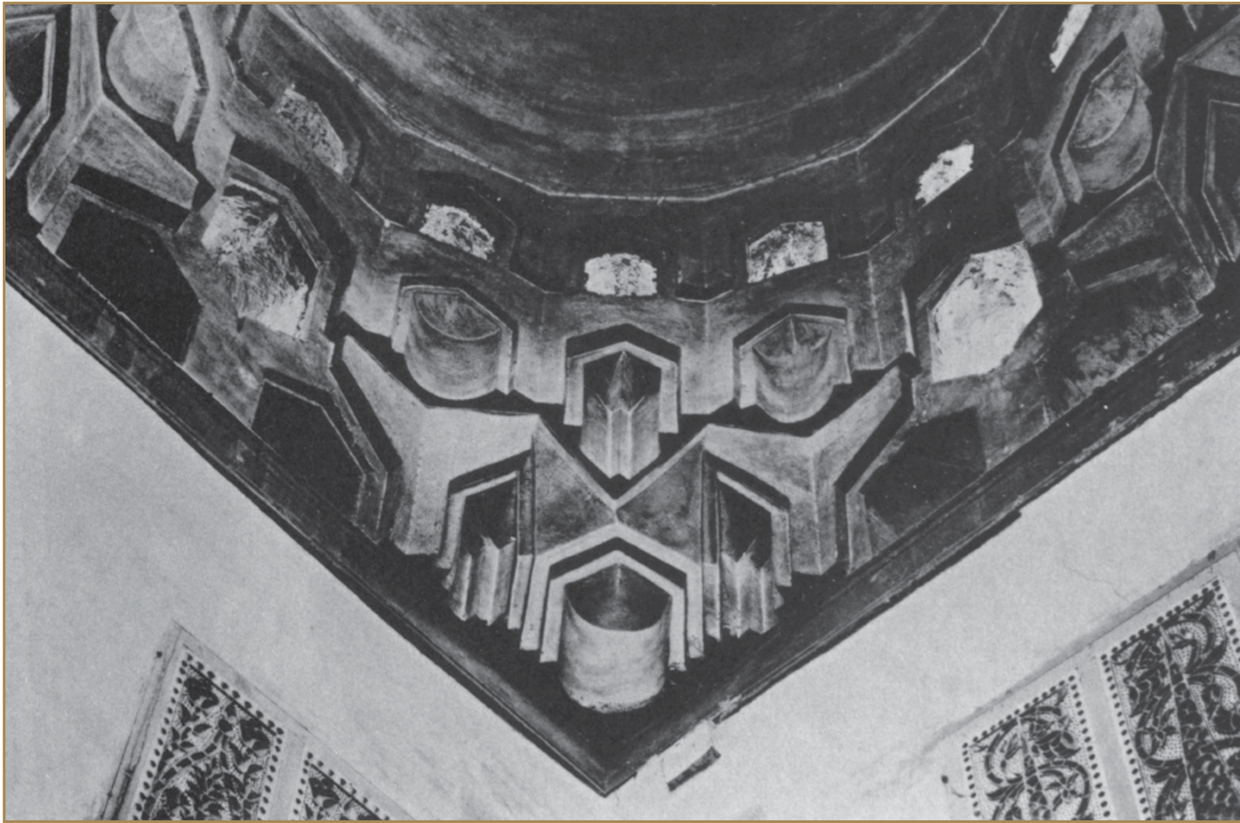
تطورات التجديد على هذا المسجد

ظل هذا المسجد من عهد إنشائه، متماسكًا لم يحدث به أي تجديد إلا في أواسـط القرن التاسـع الهجري، ففي هذا التاريخ تداعت منـه بعض أجزائه واحتاج إلى عناية؛ فتصدى لذلك الأمير كمشـبغا الفقيه فجدد ما وهن منه وأصلحـه، وأقر فيه شرط الواقف وزاد في أوقافه، وخصص إيراد داره التي كانت تجاوره بحارة اليانسـية على مقرئ يقرأ بمحراب هذا المسـجد في كل غدوة من الفجر وقت صلاة الصبح ختمتين من الفاتحة لسورة الناس.

وفي سنة (١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م) قام الأمير سليمان المذكور، بتجديـد ما ذكر في النص المتقدم، وآخـر ما حصل به من تجديد، هو ما قام به قسم الهندسة بديوان الأوقاف في سنة (١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م) بإصلاح جزء منه تنـاول قاعدة المئذنة

(١) المرجع السابق: ١٧٢.

(٢) لم يذكر فان برشم السطر الأخير من هذا النص، انظر: المرجع السابق: ١٧٦.



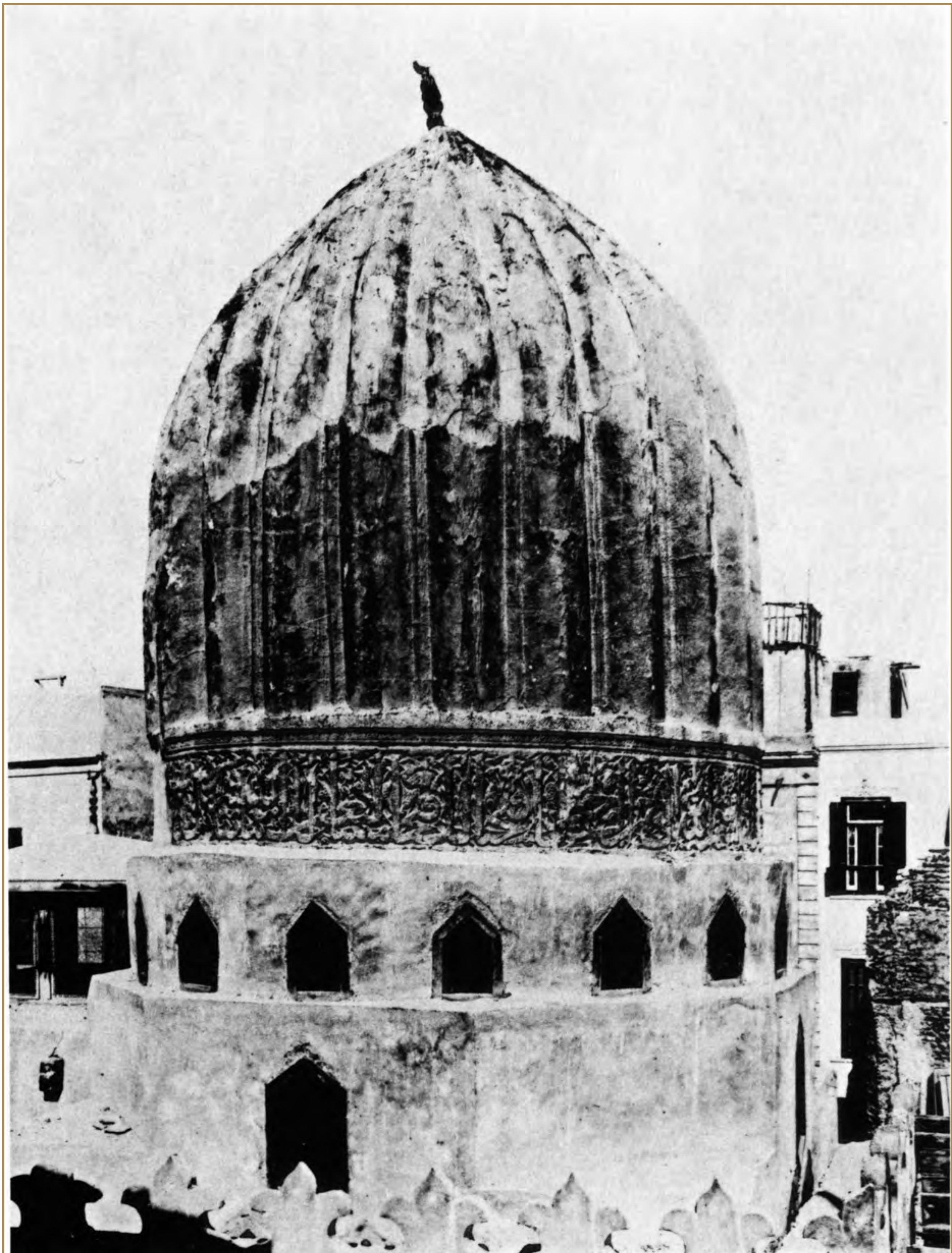
باطن قبة جامع المهمندار «عن كريسويل»

وأجزاء أخرى، وفي سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) قومت قاعدة المئذنة أيضًا.

ترجمة المنشئ

لم تصلنا عن منشئ هذا المسجد ترجمة وافية، وغاية ما ذكر فيها أنه كان في بادئ أمره من مماليك الملك المنصور قلاوون، ثم خدم عند ابنه الملك الناصر، وتعين بآخرته مهمندارًا أي ناظر لدار الضيافة السلطانية، ثم نقيبًا للجيوش، وكان أبوه الجمالي يوسف كذلك يوصف بالصلاح، وأنه كان صوفيًّا متنسكًا، وأنشأ هذه الخانقاه من ماله المكتسب من طرق مشروعة، وتوفي سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)، ودفن بمسجده هذا[١].

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦١٢.



قبة جامع المهمندار
«عن كريسويل»

جامع قوصون الناصري

مخلفات من جامع أثري رقم ٢٢٤ (سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)

هذا الجامع[١] ينسب إنشاؤه إلى الأمير قوصون الناصري نائب السلطنة في المملكة المصرية، ويقول المقريزي: «إنه ابتدأ عمارته في سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)[٢]، وأن بناء حضر من بلاد توريز فكلفه الأمير قوصون ببناء مئذنتي الجامع على مثال مئذنة جامع علي شاه بمدينة توريز، وكان موضعه دارًا بجوار حارة المصامدة من جانبها الغربي-القبلي (حارة عبد الله بك) تعرف بدار أقوش نميلة، ثم بدار الأمير جمال الدين قتال السباع الموصلي فأخذها من ولده وهدمها»[٣].

وهذا القول أولاً يجعلنا نجزم بأن مئذنة الخانقاة القوصونية الباقية إلى اليوم من آثار هذا الأمير بالقرافة الناصرية، ثم مئذنة جامع الناصر بالقلعة من صنعة هذا البناء نفسه، وهو ما تؤيده شواهد أخرى.

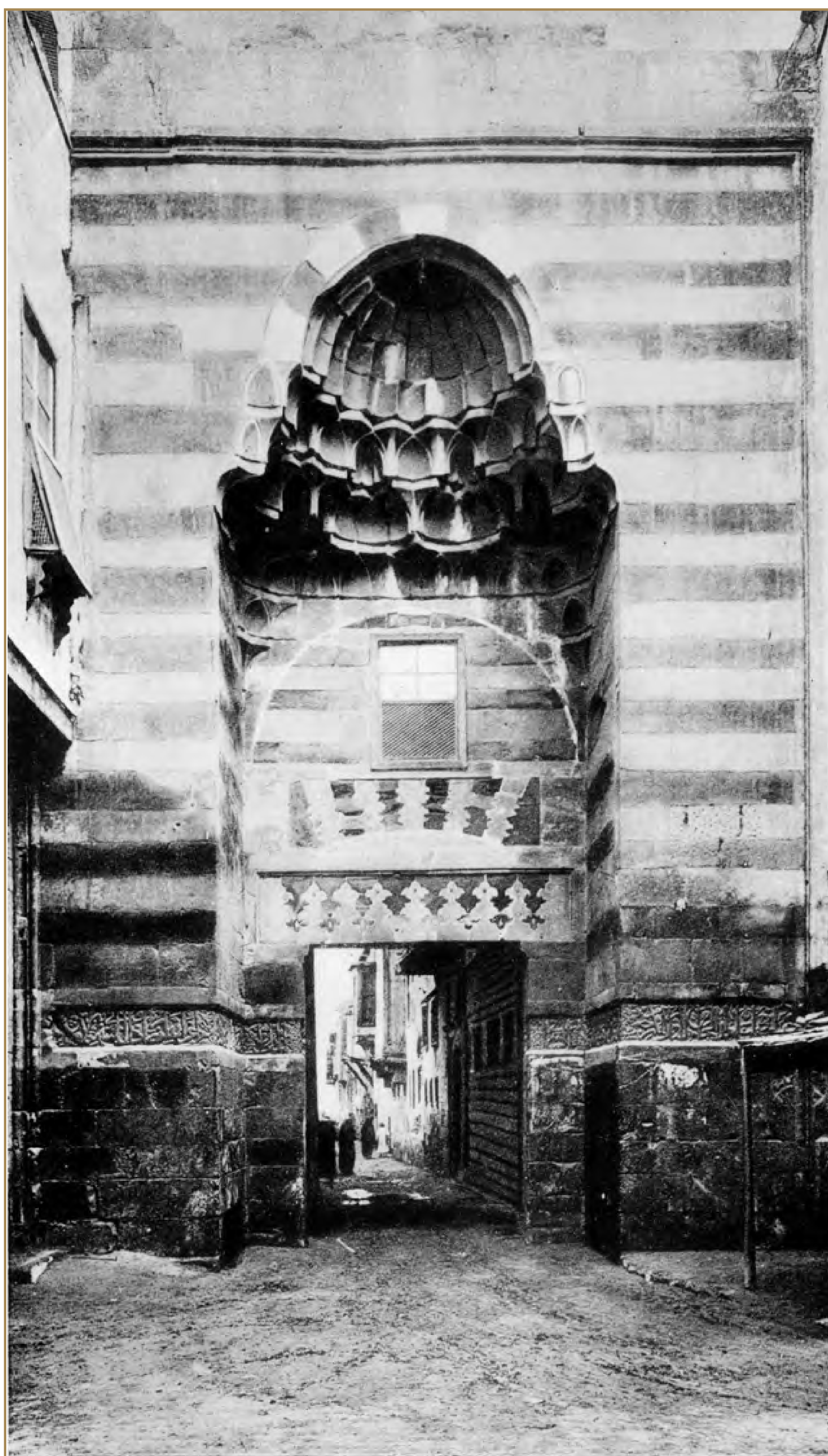
والمدخل إلى هذا الجامع من بابه العمومي الشرقي المواجه لمصلى الأموات بسوق جامع قوصون، ومنه إلى طرقة مستطيلة جدارها القبلي سور، والبحري غرف ومخازن تتصل بباب نصل منه إلى القبة، ونصل إلى المسجد من دهليز منعرج، ينتهي بباب قبلي يفتح على رحبة فسيحة الجانبين، يقوم في جانبها الغربي ثلاثة أبواب كبار، يدخل من اثنين منهما للمسجد، ومن ثالث تصل إلى القبة وهو الباب الثاني لها.

ويتألف داخل المسجد من أربع بلاطات، يقوم كل بلاط منها على أسطوانات رخامية بيضاء، وفي البلاط الشرقي منها منبر فاخر دقيق الصنعة كثير الزخارف، وحشواته يكسوها كسوة صدفية مشتبكة بخيوط من الفضة وأخرى من العاج، ويجاوره محراب عالي الأركان، يحدق به من الجانبين أسطوانة تليها أخرى من حجر السماق الأحمر، وبأعلى المحراب قبة تزينت بالزخارف الجصية يتدلى منها تنور فاخر مخروط الشكل يتألف من اثني عشر ضلعًا وأربع طبقات وقوام زخارفه أشكال هندسية أبدع فيها الصانع إبداعًا جعل هذا التنور يعلو على غيره وله قبة يعلوها هلال،

(١) تم تغيير رقم تسجيل الأثر إلى ٢٠٤.

(٢) المذكرة المثبتة بأسكفة باب المنبر تفيد أن البدء بإقامة هذا الأثر كانت في سنة (٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م)، ونصها كالآتي: مما أمر بعمله بالأمر الشريف السلطاني الملكي الناصري ناصر الدنيا والدين محمد أعز الله أنصاره المقر العالي الأميري السيفي قوصون الناصري تقبل الله إيثاره وأحسن آثاره في أواخر شعبان سنة تسع وعشرين وسبعماية (المؤلف).

(٣) المرجع السابق، مج. ٤، ج. ١: ٢٢٣-٢٢٤، هامش ٤؛ المقريزي، السلوك، مج. ٢: ٣٢٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٩٥، هامش ١؛ حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية التي صلى فيها فريضة الجمعة حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول**، مج. ١ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٤٦): ١٣٩-١٤٢.



مدخل جامع قوصون
«عن كريسويل»

وتخلل زخارفه مذكرة تاريخية يقرأ فيها اسم المنشئ الأمير قوصون الملكي الناصري وتاريخ صنعه واسم الصانع.

ويقابل البلاط الشرقي بلاط آخر يوازيه في الحجم إلا أنه أقل زخرفة منه، وفي صدره سدة تبليغ وتأذين من الرخام محمولة على أسطوانات رخامية مزخرفة، ويقابلها كرسي مصحف من الخشب المحشي المنجور الفاخر من نوع المنبر.

وفي الجانب القبلي والبحري بلاطان يقابل أحدهما الآخر أصغر حجمًا من البلاطين الأولين، ويحدق بهما جميعًا صحن مكشوف واجهته من الحجر المنقوش، وحوله طراز قوام زخرفته الكتابية آيات من كتاب الله تعالى، ومن الباب الثالث المذكور آنفًا تصل إلى القبة التي لم يدفن فيها قوصون لموته قتيلاً بالإسكندرية، ومن الباب القبلي وباب القبة في الركن الشرقي تقوم مئذنتان من نوع المئذنة التي تحتفظ بها لهذا الأمير بالقرافة الناصرية، تبتدئ بمربع ثم بمخروطي، ويغطي رأسها تاج وقمتها مضلعة، وقد أسقط الفرنسيون إحداهما في سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠١م)، وسقطت الأخرى في سنة (١٢٩٦هـ/ ١٨٧٣م)، كما سقطت القبة في نفس هذا التاريخ.

ولهذا الجامع حدود أربعة «الشرقي» وفيه الباب الكبير إلى الشارع الأعظم، «الغربي» إلى حارة المنصورة، وفي هذا الحد دار الوضوء ومرافق الطهارة، «القبلي» وفيه الباب الفرعي إلى خط يوصل إلى بركة الفيل، «البحري» وفيه الباب إلى حارة المنصورة.

هذه حدود جامع قوصون في إبان نشأته، وهذا وصفه في الوقت الذي بدأ يظهر فيه، وقد استطعنا أن نصل إلى هذا الوصف مما ذكره ابن إياس أولاً من حالة المسجد ووضعه، وقد أفادنا المؤرخ المذكور بأن أسطوانتي المحراب السماق أخذها المؤيد شيخ ملك مصر ووضعها في محراب جامعه، ولا تزالان به حتى اليوم[1].

كما تبقى لنا بعض مخلفات من المنبر المذكور، ثم جميع التنور البادئ الذكر، وكان السلطان حسن قد اغتصبه لجامعه في سنة (٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م)، كما فعل المؤيد بالأسطوانتين فبقي به حينًا ثم نقل في أول هذا القرن إلى دار الآثار العربية لحفظه.

محكمة قوصون الشرعية

وقد بقي هذا المسجد حقبة طويلة من الزمن، تؤدى فيه الشعائر كمسجد جامع، ثم بدأ يتحول إلى محكمة شرعية من أواسط القرن العاشر الهجري، فبقي كذلك حتى أواسط القرن الثالث عشر، وقد وقفنا على مجموعة من الحجج الشرعية بدار المحكمة الشرعية وبغيرها، مستخرجة من هذه المحكمة في سنين مختلفة، منها ما هو في القرن العاشر إلى الحادي عشر، وما بعده في ٩ شوال سنة (٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م)، إلى ذي الحجة (١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م).

ومن هذه الناحية جاءت تسمية هذه المنطقة بعطفة المحكمة بعد أن كانت تعرف بخط محكمة قوصون، وكان الجزء الغربي منها يعرف بعطفة الرزنامجي وهو الذي يبتدئ من نمرة ١٣ إلى نهايته من شارع محمد علي، وقد بدأ يتحول اسم هذا الدرب إلى الاسم الحالي من سنة (١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م)، وذلك عندما اتصلت هذه المنطقة بالجزء المغتصب من الجامع.

(١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٤٩٤؛ مج. ٢: ٢٠.

تطورات التجديد على هذا المسجد

يبتدئ تخريب هذا المسجد بصورة عملية مباشرة من سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠١م) حينما حلت الحملة الفرنسية بمصر، فقد نـاله من معاول الهدم والتخريب، ما نال مجموعة طيبة من آثار مدينة القاهرة.

وفي شعبان من هذه السنة سقطت مئذنته البحرية[١]، مـن نتيجة ما أصابه، وكادت مرافقه تتساقط رويدًا حتى تعطل المسجد تمامًا وأقيمت الشعائر في جانب منه، وأغار الناس على جانب آخر، فأقاموا فيه مساكن لهم، وبذلك انفصل الباب الشرقي عن المسجد، وما برح كذلك حتى سنة (١٢٨٩هـ/ ١٨٧٣م)، فلما فتح شارع محمد علي أخذ جزءًا من جانبه الغربي والقبلي وفيه المئذنة الثانية[٢].

وفي سنة (١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م) أجرى به ديوان الأوقاف عمارة بسيطة، تناولت إصلاح بعض مرافقه إصلاحًا تفي به الحاجة بصورة مؤقتة، وفي سنة (١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م) شرع ديوان الأوقاف في تعميره وإنشائه نشأ آخر، وقد تم على الشكل الذي هو عليه الآن.

المذكرات التاريخية

لم يبق لنا من المذكرات التاريخية لهذا المسجد سوى مذكرة ثابتة وأخرى منفصلة، والأولى بالباب الشرقي المتخلف منه ونصها:

أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك بكرم الله تعالى العبد الفقير إلى الله تعالى قوصون الساقي الملكي الناصري في أيام مولانا السلطان الملك الناصر أعز الله أنصاره وذلك في سنة ثلاثين وسبع مائة[٣].

ويجاوره من الناحية القبلية مذكرة بالكوفي لمزولة جاء فيها ما نصه:

(عمل أحمد الحريري عام خمس وثمانين وسبع مائة)[٤]

المذكرة الثانية: المنفصلة في ٤ أسطر:

البسملة.....إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أقام الصلاة وآتا الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين، أمر بإنشاء هـذا الجامع العبد الفقير إلى الله تعالى السيفي قوصون الملكي الناصري في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون، وذلك في شهور سنة ثلاثين وسبعمائة من الهجرة[٥].

المذكرة الثالثة: بجانبي بابه العمومي؛ وهي بأعلى بابه العمومي، وتشير إلى العمارة الحديثة ونصها:

تم إنشاء هذا المسجد في عصر خديو مصر عباس حلمي الثاني الأفخم أدام الله أيامه سنة ١٣١١.

وفي جوار الباب الشرقي للمسجد سبيل الأمير ولي كتخدا مكتوب عليه ما نصه:

أنشأ هذا السبيل المبارك من فضل الله تعالى الأمير ولي كتخداي طالب الثواب من الملك الوهاب سقاه الله الكؤوس يوم العطش الأكبر ١٢٧٦.

(١) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٣: ٢٣٤.
(٢) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٨٨.
(٣) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 177.
(٤) المرجع السابق: ١٧٩.
(٥) المرجع السابق: ١٧٨.

وصف مسجد قوصون الحديث

والداخل من باب هذا المسجد العمومي القائم بشارع محمد علي يقابله على اليمين باب آخر يصل منه بعد اجتياز ممر صغير إلى داخل المسجد الذي يتألف من صحن مربع تغطيه سقيفة ذات قبة من الخشب المزوق، ويحدق بالصحن من جانبيه القبلي والبحري بلاطان؛ وفي الجانب الشرقي منه بلاط مؤلف من رواق واحد يحمله ثلاثة أقواس مرفوعة على دعامات حجرية، يقابله بلاط آخر يوازيه في الحجم وفي صدره سدة تبليغ وتأذين من الرخام البيض المسنون تحملها ثلاث أسطوانات.

وبالبلاط الشرقي منبر عال من الخشب النقي، يجاوره محراب مزوق بالألوان التي تماثل قطع الرخام، ويعلوه زخرفة ونقوش تمثل يتوسطها حلقة باسم الخديو عباس حلمي الثاني.

ويحيط بالجدار الشرقي طراز داخله زخارف، ويقابل المحراب قبة من الخشب مرفوعة على البهو مباشرة، وسقف الجامع جميعه معمول بسماوات مدهونة بالأصباغ على مثال السماوات ذات الليقة الذهبية واللازورد.

وفي الجانب القبلي من المسجد بابان متجاوران، يوصل أولهما إلى دورة مياه حديثة ومصلى، والثاني إلى الباب العمومي، يقابلهما بابان أخريان، يوصل الأول منهما إلى جزء قديم من المسجد، ومن الثاني نصل إلى قبة المنشئ، ويبدو أنها كانت قبة شاهقة محكمة البنيان عالية الأركان، فإن البقايا المتخلفة منها رغم ضآلتها تدل على أن قوصون كان قد اعتنى بها عنايته بالمسجد جميعه، فشبابيكها الصغيرة ذات الزخارف الجصية والمسقط الأفقي للقبة نفسه يقرر هذه الحقيقة بجلاء ووضوح.

وبالرغم من أننا لم ندرك هذه القبة حتى نعطي للقارئ وصفًا دقيقًا عنها، فيمكن القول بأنها كانت من القباب المضلعة على مثال القباب التي وجدت في هذا العصر، ولدينا صورة من هذه القبة تظهر بوضوح فيما تخلف من آثار قوصون بالقرافة الناصرية [انظر الجزء الخاص بمزارات وآثار القرافة الناصرية بهذا الكتاب].

ويتوسط هذه القبة قبر كان مزمعًا أن يدفن فيه قوصون، بيد أن موته بعيدًا عن القاهرة، ترك هذا القبر خاليًا من الدفن حتى دفن به السيد عبد الرحيم بن حسين القادري في رجب سنة (٧٦١هـ/ ١٣٥٩م).[1]

ومن هذه القبة بباب غربي نصل إلى دار الوضوء القديمة، وبالرغم من أن هذه الدار قد اغتصبت جميعها، وحل في محلها مجموعة المباني التي تجاور المسجد من ناحيته الغربية حتى أول حارة المنصورة «درب الأغوات» من شارع محمد علي؛ فإننا لا نزال نشاهد آثار باقية من هذه الدار يظهر فيها محل الساقية يقابلها مرافق الدورة يحيط بها بقايا سور قديم.

وبين القبة والدار المذكورة باب بحري نصل منه إلى باب صغير نصعد منه إلى سطح المسجد الحديث بصعود عدة درجات، ومن السطح تشاهد باب المئذنة الحديث التي كان مزمعًا أن تبنى في محل المئذنة القديمة التي سقطت في أواخر القرن المنصرم، وهي التي أدركها علي مبارك باشا.

وكان يقابلها مئذنة أخرى تطل على حارة الروزنامجي، وهي التي أشار الجبرتي إلى سقوطها في التاريخ المتقدم، وقد

(١) قدم القاهرة مع شقيقه علاء الدين القادري من دفنى الزاوية العدوية، وتدير قاعة الخطابة من هذا المسجد حتى وفاته، ومن أظهر أصحابه الشيخ تاج الدين العادلي المدفون بزاويته بالدرب المسدود ظاهر القاهرة [راجع كتابه المنهاج في التصوف بالدار- مخطوط] (المؤلف).

حالت دون بناء المنارة الحديثة موانع؛ رغم الشروع في بناء مدخلها وقاعدتها، وقد بقي الجامع بلا مئذنة حتى اليوم.

والجامع الحـــالي في نظامه ووضعه يعتبر نموذجًا فريدًا صورته يد المهندس الحديث؛ وطابعًا جديدًا من فن العمارة الإسلامية لمساجد أول هذا القرن بيد أن الظاهرة الغريبة فيه التي نتعود مشاهدتها في كثير من المساجد الحديثة هي اختلاف وضع مجنباته، فبينما نـــرى في الشرق والغرب في المجنبـــة الأولى والثانية بلاطـــين على الوصف المتقدم، إذا بنا نرى في الجنوب والشـــمال في المجنبتين الثالثة والرابعة إيوانين، في كل إيوان منهما خوخة مفرغة عليها شـــبك من حديد، والجامع بصورته الحالية مع تغايره هذا يعطينا فكرة صحيحة تؤكد أنه كان في بادئ أمره يشـــمل جميع المساحة التي حددناها بالحدود المذكـــورة، وفي الوقت الذي كان فيه الباب الشرقي بابًا رئيسًا للمسجد كذلك، أما الباب البحري فكان خاصًّا بدار الوضوء.

آثار مسجد قوصون

مما ذكر يتبين أن هذا الجامع لم يترك لنا من أثره سوى بقايا ضئيلة أهمها الباب الشرقي ومذكرته ثم البقايا المذكورة من القبة، وأخيرًا مذكرة أخرى، وبعض مخلفات كشبابيك من الزجاج الهوائي الملون وزخارف جصية تمثل المحاريب بالمنزل رقم١٣ من درب المحكمة، مضافًا إلى ذلك محفوظات دار الآثار العربية من هذا الجامع، وهي التي أشرنا إليها فيما تقدم.

ترجمة المنشئ

يعلـــو نجم قوصون هذا مـــن أول يوم وقـــع فيه نظر السـلطان الملك الناصر عليـــه؛ فإنه ما انتظـــم فيه ملك الأمراء الناصرية حتى بأسرع ما بلغ أرقى المراتب كما يقول المقريزي، فمن ســـاقي إلى أمير عشرة إلى أمير طبل إلى أمير مقدم ألف، ثم إلى صهر السلطان ونسيبه وأخيرًا وصيه.

وقد مات السلطان الناصر وقوصون هذا قد نال فوق ما يرجوه، فتولى نيابة السلطنة بالمملكة المصرية؛ وصار هو صاحب الحل والعقد والمهيمن على شـــؤون المملكة، لكنه ما لبث أن أفـــل نجمه حينما جاهر أمـــراء الدولة بالعداء وتحزب عليهم، فتآمـــروا على الفتك به، وكانت منيته فقتل بالإســـكندرية في رجب من ســـنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، وراح ضحية بطشه وخوفه[١].

(١) سيف الدين قوصون الساقي: حضر مع جماعة من الذين أحضروا ابنة القان أزربك زوجة الناصر محمد، فرآه الناصر فطلب من كبير جماعتهم شرائه، فاشتراه منهم بثمانية آلاف درهم، فسلمها التاجر المذكور لأخيه صوصون، ثم عظمت منزلته عند الناصر، حيث رقاه السلطان الناصر محمد حتى صار أكبر الأمراء، يركب في ثلاثمائة فارس في صفين، قدام كل صف رجل يضرب القبز كما يركب ملوك المغل، وتزوج من ابنته سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)، وهو صاحب الجامع الكبير بالقاهرة والخانقاة المشهورة بباب القرافة، وبعد الناصر تولى النيابة للمنصور ثم خلعه وقتله بقوص، وسجن بشتاك بالإسكندرية ثم قتله، وفي عهد كجك عادى الناصر أحمد بالكرك حتى انقلب عليه قطلبغا الفخري وأغرى به العوام ونهبوا إسطبلاته، ثم قبض عليه واعتقل بالإسكندرية حتى حضر الناصر أحمد من الكرك، فأمر ابن صبح بقتله في الإسكندرية سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٣: ٢٥٧-٢٥٨؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢، ق. ٣: ٥٧٦-٥٩٣، ٦١٥؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٢٢٤-٢٢٦.

ويصفه المقريزي بأنه كان كريمًا جوادًا، وذكر من آثاره- غير هذا الجامع- الخانقاه القوصونية[1]، والجامع الآخر الذي كان يقابلها[2]، وقد تبقى منها إلى اليوم قبة من الجص مضلعة ومئذنة فارسية، وهي تجاه تربة خوند سمراء الأشرفية بينها وبين تربة أردوتكين «أيدوكين» المعروفة بتربة الست [انظر الجزء الخاص بمزارات وآثار القرافة الناصرية بهذا الكتاب].

ثم داره الباقي منها بابها ومدخلها بشارع مناخ الوقف، كانت للأمير سنجر الجمقدار [المتوفى سنة (٧١٤هـ/ ١٣١٤م)]، فاشتراها منه ووسعها وجددها، وأدخل فيها زيادات كثيرة، وضم إليها دار الأمير سنقر الطويل المنصوري المتوفى سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)، وسكنها حتى سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، ثم انتقل منها إلى غيرها، وفي سنة (٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م) سكنها الأمير يشبك الدوادار وأحدث بها زيادات وتجديدات، ولا تزال تحمل اسمه إلى اليوم، ثم سكنها آخرون حتى أقبردي الداودار وبه عرفت [انظر هذا الدار][3].

ثم الفندق الباقي منه باب جميل بشارع باب النصر[4]، وذكر المقريزي أن لقوصون هذا حكر بين قناطر السباع وقنطرة المجنونة، وبالبحث وجد أن الحكر هو شارع الدرب الجديد وعطفة النبقة وعمر شاه وما إليها [انظر هذا الحكر][5].

ونسب إليه أيضًا خط الزريبة، وخط البستان السلطاني، ومحل هذا البستان اليوم هو جميع الأرض التي يقوم عليها مبنى المتحف المصري، وثكنات الجيش الإنجليزي، حيث كان الميدان الظاهري سابقًا[6].

---

(١) لم يبقَ من هذه الخانقاه إلا قبتها الشمالية والمئذنة المعروفة بالمئذنة الكبيرة أو الوسطى الواقعة غربي مقام جلال الدين السيوطي خارج باب القرافة، انظر: المرجع السابق: ٧٧٨؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ٢: ٢٦٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٠٧، هامش ٣.

(٢) لم يتبقَّ من هذا المسجد سوى مئذنته القبلية وقطعة من جدار القبلة، ويذكر أيمن فؤاد سيد أنه يقع بالقرب من جامع مسيح باشا الذي يطلق عليه جامع المسبح، بينما يرجح محمد رمزي أن مسيح باشا قد جدد هذا المسجد في سنة (٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م) فنسب إليه، وهو المسجد الذي عرف بجامع القرافي نسبة للشيخ نور الدين القرافي، وهو خارج باب القرافة جنوبي سجن المنشية بشارع المسيحية بقسم الخليفة، وهذا خلط واضح، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ١: ٣١٨، هامش ٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٠٧، هامش ٢؛ محمد أبو العمايم، «المئذنة القبلية وما حولها من الآثار خارج باب القرافة بالقاهرة»، **حوليات إسلامية**، العدد ٣٤ (٢٠٠٠): ٥٣-٨٩.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٣٥-٢٣٨، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٠٠، هامش ١، ١١٠-١١١، هامش ٤، ١٢١؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٣١٥؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٣٠٤، ٣٢٦.

(٤) وكالة قوصون: وهي تعني فندق أو خان، ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام من الزيت والسيرج والصابون، وكانت في الأصل دارًا تعرف بدار تغريل النوغاني، فأخربها قوصون وجعلها فندقًا كبيرًا، وموضعها فيما بين الجامع الحاكمي ودار سعيد السعداء، في شارع النصر عند تلاقيه مع شارع الضبية، وتعرف أيضًا بوكالة الصابون، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٠٩-٣١٠، هامش ٣.

(٥) حكر قوصون: كان مجاور لقناطر السباع، وكان بستانين: أحدهما يعرف بالمخاريق الكبرى، والآخر يعرف بالمخاريق الصغرى، أو بستان بهادر رأس نوبة، يقع حكر قوصون حاليًّا في المنطقة التي تحدها من الشمال عطفة مرزوق وحارة قواوير، وهو الحدّ الفاصل قديمًا بين هذا الحكر وحكر طقزدمر، ومن الغرب شارع الناصرية وشارع الكومي (امتداد شارع خيرت)، ومن الجنوب والشرق ميدان السيدة زينب وشارع بورسعيد (الخليج المصري)، انظر: المرجع السابق: ٣٨٢-٣٨٣، هامش ٣.

(٦) الميدان الظاهري: بطرف أرض اللوق على النيل، وموضعه تجاه قنطرة قدادار، أنشأه الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، وجعله ميدانًا للعب الكرة، وفي سنة (٧١٤هـ/ ١٣١٤م) حوله=

وفي الجانب القبلي من هذا البستان، أنشأ الأمير قوصون زريبة لماشيته وركائبه[١]، ومحلها جميع الأرض التي تخترقها شوارع الأربعين[٢] والشيخ منصور وبركات والسلطان حسين كامل[٣] والشيخ يوسف، وما في امتداد ذلك جنوبًا حتى شارع إسماعيل باشا وجاردن سيتي «منشأة الكتاب سابقًا»[٤].

= الناصر محمد إلى بستان، ثم خصه السلطان بالأمير قوصون، فعمر تجاهه زريبة قوصون على النيل، وبنى الناس كثيرًا من الدور حوله سيما عندما حفر الناصر الخليج الناصري، ثم تلاشى أمر هذا البستان بعد قوصون، وبنى الناس فوقها الدور التي على يسرة من صعد القنطرة من جهة باب اللوق يريد الزريبة، ثم لما خرب خط الزريبة خرب ما تعمر بأرض هذا البستان سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)، وموضعه الآن المنطقة التي تحد من الشرق بشارع يوسف الجندي وشارع القاضي الفاضل، ومن الشمال شارع قصر النيل وشارع محمود بسيوني (الأنتكخانة سابقًا) ومن الغرب شارع مريت باشا ومن الجنوب شارع عبد السلام عارف، انظر: المرجع السابق: ٦٢٨، هامش ١.

(١) زريبة وليس زربية: وهو نوع من الأرصفة المبنية على أوتاد أو دعائم على شاطئ النيل، وقد منح السلطان الناصر محمد للأمير قوصون أرض البستان الذي بالميدان الظاهري، وفيها عمر حمامًا وسوقًا كبير وطواحين وعدة مساكن اتصلت باللوق، وموقعها الآن أرض المتحف المصري، والتي يحدها من الشمال ميدان عبد المنعم رياض ومن الشرق شارع مريت، انظر: المرجع السابق: ٤٣٥-٤٣٦، هامش ٢، ٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٩٣-١٩٤.

(٢) شارع عبد القادر حمزة الآن. (المراجع)

(٣) شارع الشيخ ريحان الآن. (المراجع)

(٤) منشأة الكتاب (الكتبة): تنسب للمكين إبراهيم بن قزوينة ناظر الجيش وصلاح الدين الكحال، والصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام، وعدة من الكتاب فقيل لهذه الخطة منشأة الكتاب، وأنشأ فيها الصاحب أمين الدين الخانقاة بجوار داره، وعمر أيضًا كريم الدين الصغير حتى اتصلت العمارة بمنشأة المهراني، فصار ساحل النيل من خط دير الطين قبلي مدينة مصر إلى منية السيرج بحري القاهرة كلها منتظمة بالمناظر العظيمة والمساكن الجليلة والجوامع، حتى خربت في سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)، وصارت كيمانًا=

وفي أول هذه الزريبة لجهة الشمال، أنشأ الأمير كريم الدين أكرم بن السديد الناصري في سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م) جامعه الموجود به إلى اليوم[٥].

كما أنشأ الوزير مختار باشا الغازي في أواخر القرن المنصرم داره التي هدمت منذ سنوات [انظر جامع كريم الدين وخط الزريبة بهذا الكتاب].

= موحشة وخرائب مقفرة، وكانت هذه المنشأة تقع خلف زريبة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، الواقعة قبلي الجامع الطيبرسي (جامع الأربعين أو جامع عمر مكرم بميدان التحرير) فيكون موقعها الآن الجزء الجنوبي الشرقي لحي جاردن سيتي وجزء من حي المنيرة، فيما بين شارع الدكتور حندوسة وشارع بستان الفاضل في امتداده الجنوبي، وشارع عائشة التيمورية وما في امتداده شمالاً، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٣٦-٤٣٨، هامش ٥.

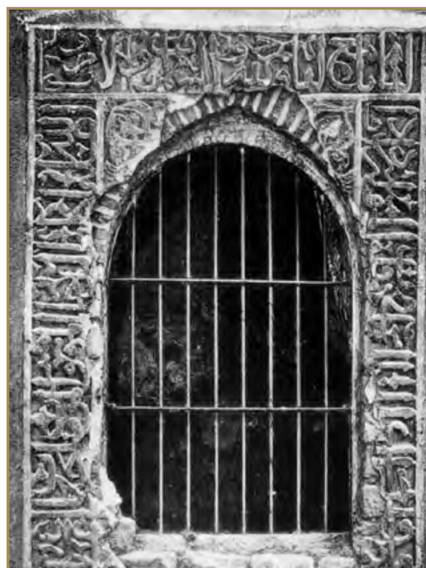
(٥) عبد الكريم بن هبة الله بن السديد المصري: القاضي كريم الدين الكبير أبو الفضائل وكيل السلطان ومدبر الدولة الناصرية، أسلم كهلاً أيام بيبرس الجاشنكير، وكان كاتبه، فلما هرب بيبرس ودخل الناصر إلى القاهرة تطلبه، إلى أن ظفر به وصادره على مائة ألف فالتزم بها، ولم يزل طغاي وفخر الدين ناظر الجيوش يتلطفان أمره عنده إلى أن سامحه، ووقره في نظر الخاص، ولم يزل يتقدم حتى تولى أمر الخزائن، عمر بالزريبة جامعًا، وفي طرق الرمل عدة آبار، وعمر في دمشق سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م) جامع القبيبات، وجامع القابون، ولما انحرف مزاج الناصر عنه أمر أرغون النائب بإمساكه وإيقاع الحوطة على دوره في سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، وأمره بلزومه تربته بالقرافة، ثم نقل إلى الشوبك، ثم إلى القدس، ثم أعيد إلى القاهرة في سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م)، ثم سافر إلى أسوان حيث شنق، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٤٠١-٤٠٤؛ موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي، **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**، تحقيق أحمد حطيط (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٦): ١٢٩-١٣٠، ٢٧٧-٢٧٩؛ ابن الدواداري **كنز الدرر**، مج. ٩: ٣١٠-٣١٥.













بقايا جامع قوصون
«عن لجنة حفظ الآثار العربية»

جامع ألماس الحاجب

أثر رقم ١٣٠ (سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)

هذا الجامع بشارع السيوفية أنشأه الأمير قوصون أو لموز المعروف بألماس الحاجب، من أمراء المملكة الناصرية في عهد الناصر محمد بن قلاوون، إلى جانب داره في سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م).

وهو جامع حافل بمجموعة عظيمة من الزخارف الجصية، وداخله يشتمل على أربع بلاطات بينها صحن مكشوف، وبكل بلاط منها رواق عدا البلاط الغربي تحمله أساطين بعقود مقوسة، وبلاطاته الأربعة محمولة على أساطين بعقود واجهتها مزخرفة، وبالبلاط الشرقي المحراب، وهو من الرخام الملون وبأعلاه زخارف كتابية تبتدئ بطراز يمتد إلى طرفي البلاط يمينًا ويسارًا؛ ويمتد حتى سدة التبليغ، وبالبلاط القبلي باب يؤدي إلى دار الوضوء، وآخر بدرج يؤدي إلى عطفة ألماس، وبه مزيرة، يجاورها بالبلاط الغربي باب يؤدي إلى تربة المنشئ، ثم إلى باب المسجد العمومي، ويجاوره باب آخر يؤدي إلى المئذنة وأساطين المسجد جميعها يباين بعضها الآخر، وغالبها ذات فن غريب، في تفريغها بالخشب المزخرف بدل الجص، كل ذلك يدل على اعتناء المنشئ به عناية كبيرة، وهو ما يؤيده قول المقريزي في ترجمته [راجع الخطط][1].

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٢٢.

تجديد المسجد

وآخر عمارة وأهمها تناولت هذا المسجد، هي ما قام به ديوان الأوقاف في سنة (١٣٣٠هـ/ ١٩١١م) في عهد الخديو عباس حلمي الثاني، فقد تناولت هذه العمارة منبره فكملت الناقص منه على أصله، وأصلحت مصراعي بابه وقومت أساطينه وجددت بابه إلى غير ذلك.

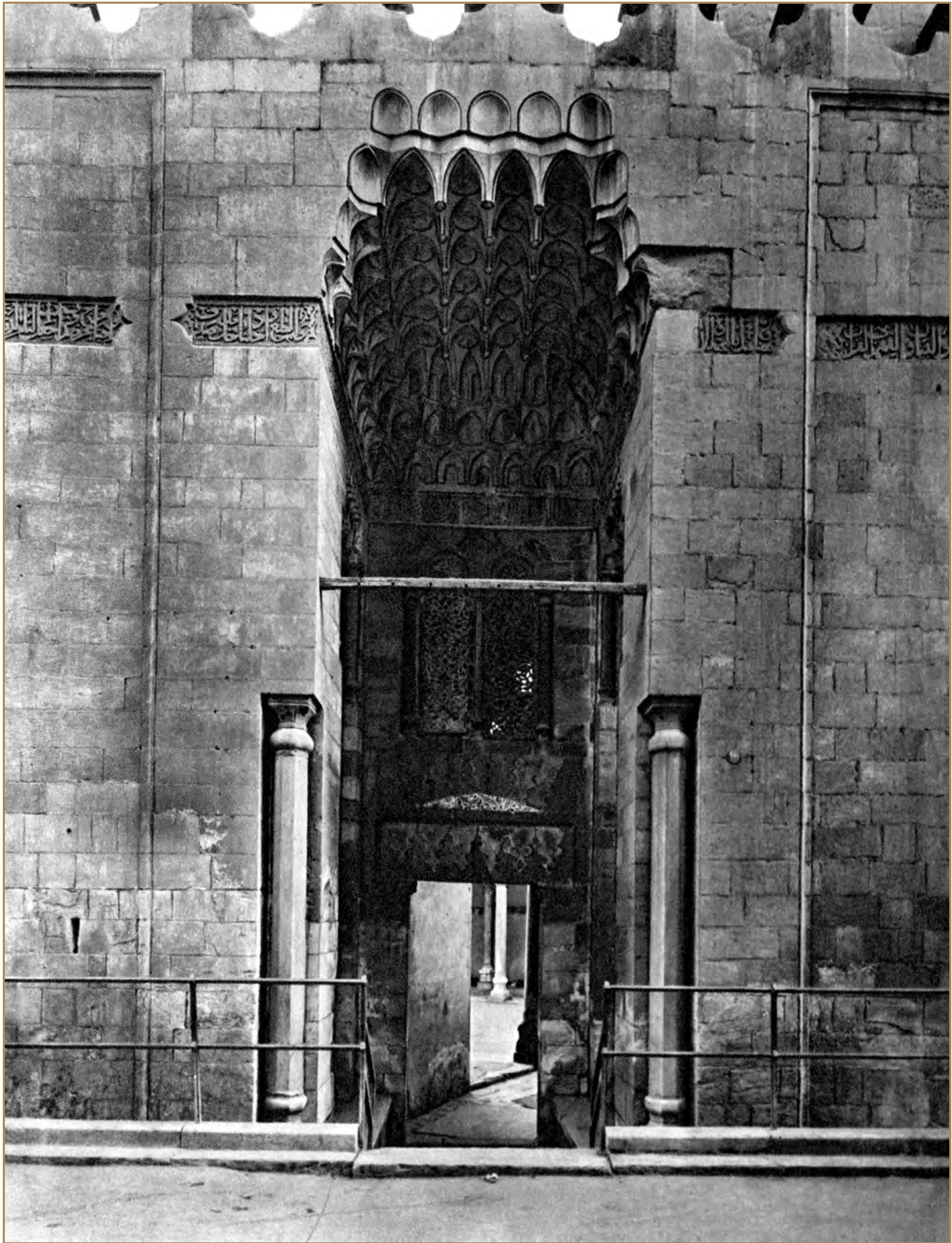
المذكرات التاريخية

وقد أشارت المذكرة التاريخية التي كتبت حفرًا في الجانب الأيمن من الباب العمومي إلى هذه العمارة ونصها:

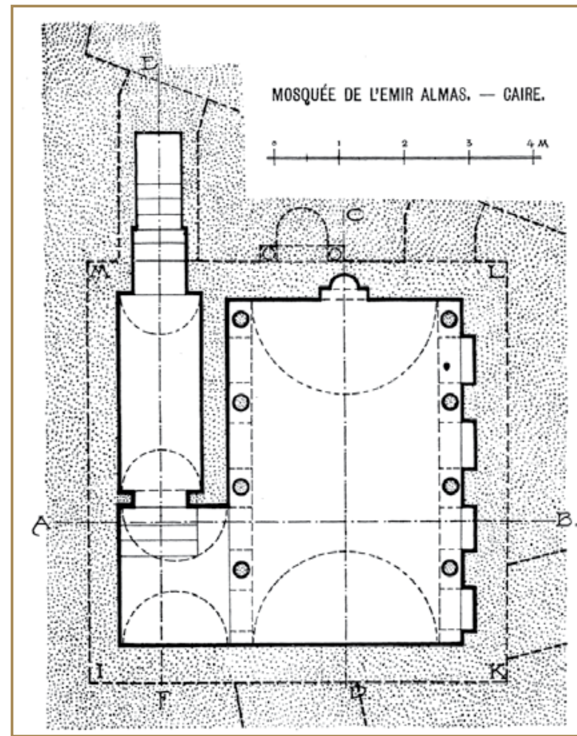
أنشأ هذا الجامع الأمير سيف الدين ألماس الحاجب سنة ٧٣٠ وجددته لجنة الآثار العربية في عصر الخديو عباس حلمي الثاني عز نصره وذلك في سنة ١٣٣٠ هجرية

ثم المذكرة الأخرى التي كتبت بمصراعي الباب ونصها:

جدد هذا الباب في عصر خديو مصر عباس حلمي الثاني سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف



مدخل جامع ألماس الحاجب «عن مساجد مصر»



مسقط أفقي لجامع ألماس الحاجب «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

وقد ترك لنا المنشئ مذكرة أخرى تقرأها ضمن الطراز الذي يعلوه الوجهة وهي تبتدئ بمناجاة يتوسطها النص التاريخي كما يأتي:

البسملة. اللّٰهُمَّ يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيننا وبين الصدق في النية والإخلاص والخشوع والهيبة والحياء والمراقبة والنور واليقين والعلم والمعرفة والحق والعصمة والنشاط والقوة والسير والمعرفة والفصاحة والبيان والفهم في القرآن وخصنا عنه بالمحبة والطبع، وأدخلنا مدخل صدق وأخرجنا مخرج صدق واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا، يا علي يا عظيم يا حليم يا واسع يا قاهر يا بصير يا قدير يا قيوم يا عزيز يا رحمن يا رحيم يا قاهر، أسألك بعظمتك التي ملأت أركان عرشك، وبقدرتك التي قدرت بها على خلقك، وبرحمتك التي وسعت كل شيء وبعلمك المحيط بكل شيء، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.... أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك المقر الفقير إلى الله تعالى العالي السيفي ألماس أمير حاجب الملكي الناصري في شهور سنة تسع وعشرين وسبع ومائة، وكماله سنة ثلاثين وسبع مائة من الهجرة النبوية[١].

ترجمة المنشئ

ويترجم المقريزي المنشئ بأنه كان أحد مماليك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وأنه كان في درجة نائب السلطنة واستنابه السلطان على المملكة المصرية حينما سافر إلى الحج لتأدية الفريضة في سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، ثم ما لبث أن انتقم منه السلطان انتقامًا غريبًا لسوء سلوكه كما يقول المقريزي، فقتل خنقًا في سجنه في ١٢ صفر من سنة (٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م)، وحمل من القلعة إلى جامعه فدفن به.

ومنذ ثلاثين عامًا كشفت تربته لأول مرة بعد حلول جسده بها إجراء بعض إصلاحات فيها، فدل على أنها منظمة تنظيمًا بديعًا، بيد أنهم لم يعثروا فيها على رفات المنشئ، ولا على أي أثر يدل فلعلها استحالت إلى ذرات ترابية[٢].

(١) لم يقدم فان برشم أي نصوص كتابية لمسجد ألماس، انظر: Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 178.

(٢) عن سيرة الأمير ألماس الحاجب، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٢٠-٢٢١؛ المقريزي، السلوك، مج. ٢: ٣٦٥-٣٦٦؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٤١٠-٤١١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٣٠١؛ اليوسفي، **تحفة الناظر**: ٢١٣؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٨٩؛ السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١٠٩.



صحن جامع ألماس الحاجب «عن فييت»

جامع مغلطاي الجمالي

أثر رقم ٢٦ (سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)

هذا الجامع بحارة قصر الشوق من خط رحبة باب العيد قسم الجمالية بالدرب الذي كان يعرف سابقًا بدرب يمين الدولة راشد العزيزي، وليس عطفة الشيخ موسى كما تسميه مصلحة التنظيم [راجع خطط المقريزي][1].

أنشأه الأمير مغلطاي الجمالي أستادار الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)، برسم مدرسة وخانقاه للصوفية والحنفية، ووقف عليها أوقافًا، ويقول المقريزي في ترجمته لها: «وكان شأن هذه المدرسة كبيرًا يسكنها أكابر فقهاء الحنفية»[2].

ويؤخذ مما ذكره بأثر ذلك، أن الخراب قد استولى على هذه المدرسة من أمد بعيد، وهو ما تؤيده حالتها المعمارية اليوم، فداخلها متداع جدًّا وتقام الشعائر في جزء صغير منها، وقد تخلف منها تربة المنشئ وقبتها ثم الواجهة البحرية.

(١) المدرسة الجمالية: تقع بشارع قصر الشوق بحي الجمالية، وتعرف باسم زاوية الجمالي، أو الخانقاة الجمالية، بين حارة الفراخة وقصر الشوك من خط المشهد الحسيني، انظر: المقريزي، السلوك، مج. ٢: ٣٢٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٩٨؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٢٢٣؛ مج. ٦: ١١، ١٤٢.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢، ج. ٢: ٥٧٦.

المذكرات التاريخية

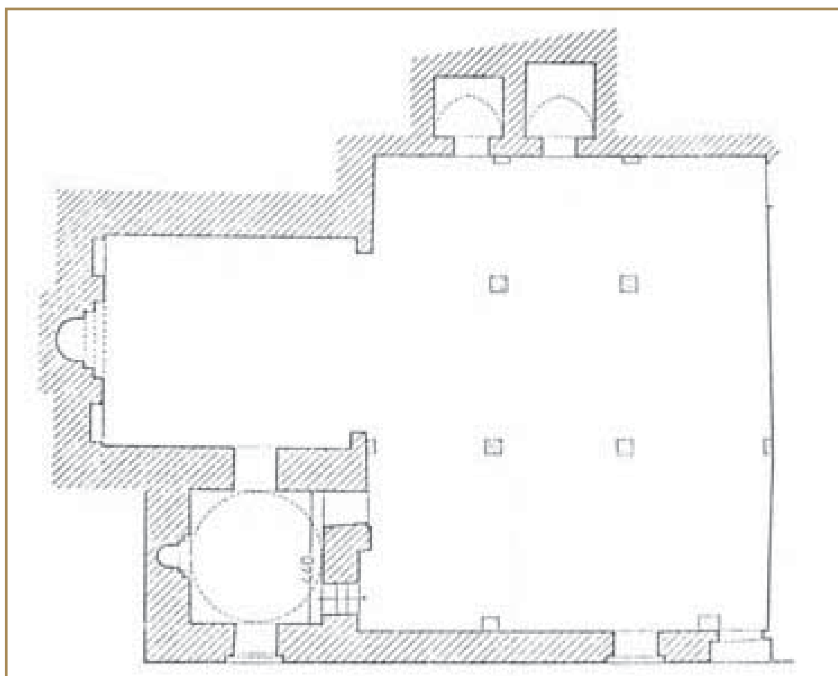
وهي التي يعلوها طراز مكتوب به ما نصه:

البسملة. في بيوت أذن الله إلى قوله تعالى بغير حساب. أمر بإنشاء هذه الخانقاه المباركة السعيدة من فواضل أنعام الله وجزيل عطائه المقر الكريم العالي المولوي الأميري الأجل الكبيري المحترمي المخدومي الاسفهسلاري العلائي، عمدة الملوك والسلاطين مغلطاي الجمالي أستاذ الدار العالية الملكي الناصري، وكان الفراغ في شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وسبعمائة

ثم هناك مذكرة أخرى وجدت ببعض ألواح مكسرة من مخلفاتها، يتكون منها تاريخ الابتداء في العمارة وهو آخر سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م).

تجديد المسجد

لم يحدث بهذا المسجد عمارة، تذكر غير ما حدث منذ أوائل هذا القرن، وقد تناول منه تقوية الواجهة وصيانتها وإصلاح داخلها إصلاحًا ممكنًا.



مسقط أفقي لجامع مغلطاي الجمالي
«عن Islamic Art Network»

ترجمة المنشئ

ومنشـــئ هذا الأثر هو الأمير عــلاء الدين مغلطاي ابن عبــد الله الجمالي، كان في بادئ الأمر من مشـــتروات الملك الناصر محمد بـــن قلاوون، ثم أعتقه وعينه أميرًا على إقطاع بعض أمرائه، ثم انتدبه رئيسًا للبعثة الحجازية التي أرسلها السلطان للقبض على شريف مكة، ثم عينه أستادارًا ثم وزيرًا للمملكة المصرية، وما برح حتى مات بطريق الحج سـنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، قــال المقريــزي: «فصبر وحمل إلى القاهرة ودفن بهذه الخانقــاه»[١]، ويوصف هذا الوزير؛ بأنه كان شديدًا على المنكرات حريصًا على حفظ الآداب العامة بصورة عملية؛ وله آثار تشهد له بذلك، منها: تحويله ماخورة من مواخير الفســاد التي كانت بالبرقية بخط بين السورين إلى مسجد عرف بمسجد التوبة، وهو الآن يعرف بمسجد العنبري[٢] [انظر ترجمة هذا المسجد].

(١) المرجع السابق: ٥٧٨.

(٢) جامع التوبة: هذا الجامع يقع بالجمالية، وليس بجوار باب البرقية كما يذكر صاحب المزارات نقلاً عن رواية خاطئة للمقريزي وابن تغري بردي، أما مسجد القرافة بباب البرقية المعروف بجامع الغريب فينسب للأمير مغلطاي الفخري أخو الأمير ألماس الحاجب، وكان موضع هذا المسجد مساكن لأهل الفساد، فلما أنشأ الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي خنقاهه المعروفة بالجمالية قريبًا من خزنة البنود كره مجاورة هذه الأماكن لداره وخنقاهه، فأخذها وهدمها وبنى هذا الجامع مكانها وسماه جامع التوبة، وقد خرب كثيرًا مما يجاوره فلا يزال مغلق الأبواب إلا في يوم الجمعة فتقام فيه، وموضع هذا المسجد حاليًا داخل درب الفراخة خلف الخانقاه الجمالية، ولم يتبقَّ منه إلا قطعة أرض مقام عليها زاوية الشيخ عطية التي يفتح بابها على عطفة درب الحمام خلف درب الفراخة بقسم الجمالية، انظر: المرجع السابق، مج. ٢، ج. ١: ٢٦٥، هامش ١، ٣٢٥؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٣٢٣، ٥٤٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٩٦-٩٧، هامش ٤، ٢٠٥، هامش ١؛ الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٢: ٤٧؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٤: ١٤٩-١٥٠.

جامع الناصر محمد بالقلعة

أثر رقم ١٤٣ (سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م)

هذا الجامع داخل القلعة الصلاحية أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون،(١) على أنقاض مسجد صغير من مساجد القلعة السابقة، وبدأ في إنشائه في سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، وفي سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م) بدا له إعادة بنائه بنظام آخر أقرب إلى الفن الفارسي الإسلامي منه إلى فن آخر، ولما تم بناؤه وقف عليه أوقافًا، وخصصه للدرس والتعليم(٢).

والمدخل إلى هذا الجامع من بابين: أحدهما غربي، والآخر في الواجهة البحرية، ومن هذين البابين نصل إلى صحن مكشوف تحيط به أربع بلاطات أكبرها الشرقي وبه المحراب، وقد رفعت عليه قبة تحملها أساطين من الجرانيت الأحمر.

وسماوات سقف هذا الجامع، وغشاء جدرانه المصنوع من الرخام الدقيق المصدف، وأرضيته المفروشة بالرخام وشرفاته- كل ذلك يكون مجموعة حافلة من آثار هذه الدولة القلاوونية الناصرية في هذا المسجد البديع، وقد كثرت زخارف هذا الجامع بشكل يدعو إلى الإعجاب بالمهندس المسلم الذي استطاع أن يجعل منه منظرًا خلابًا جمع كل آيات فن الزخرفة.

أما مئذنتاه؛ فإحداهما أسطوانية قد غشيت قمتها بالفصة المشجرة، والثانية من ذات القاعدة المربعة، وقد غشي الطابق الثالث منها بغشاء من الفصة أيضًا.

تجديد المسجد

ويؤكد المقريزي أن الملك الناصر أدخل في جامعه هذا مفردات من قلعة جزيرة الروضة المنشأة في سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)(٣)، كما أدخل مثلها في جامعه الآخر الباقي أثره بشارع دار النحاس بين جنينة السادات ومجرى الغوري، حيث موردة الحلفاء [انظر الجامع الجديد الناصري](٤).

وقد مضى على هذا الجامع من لدن إنشائه إلى عصر السلطان قايتباي حقبة تخرب منه جانبًا، فأمر السلطان

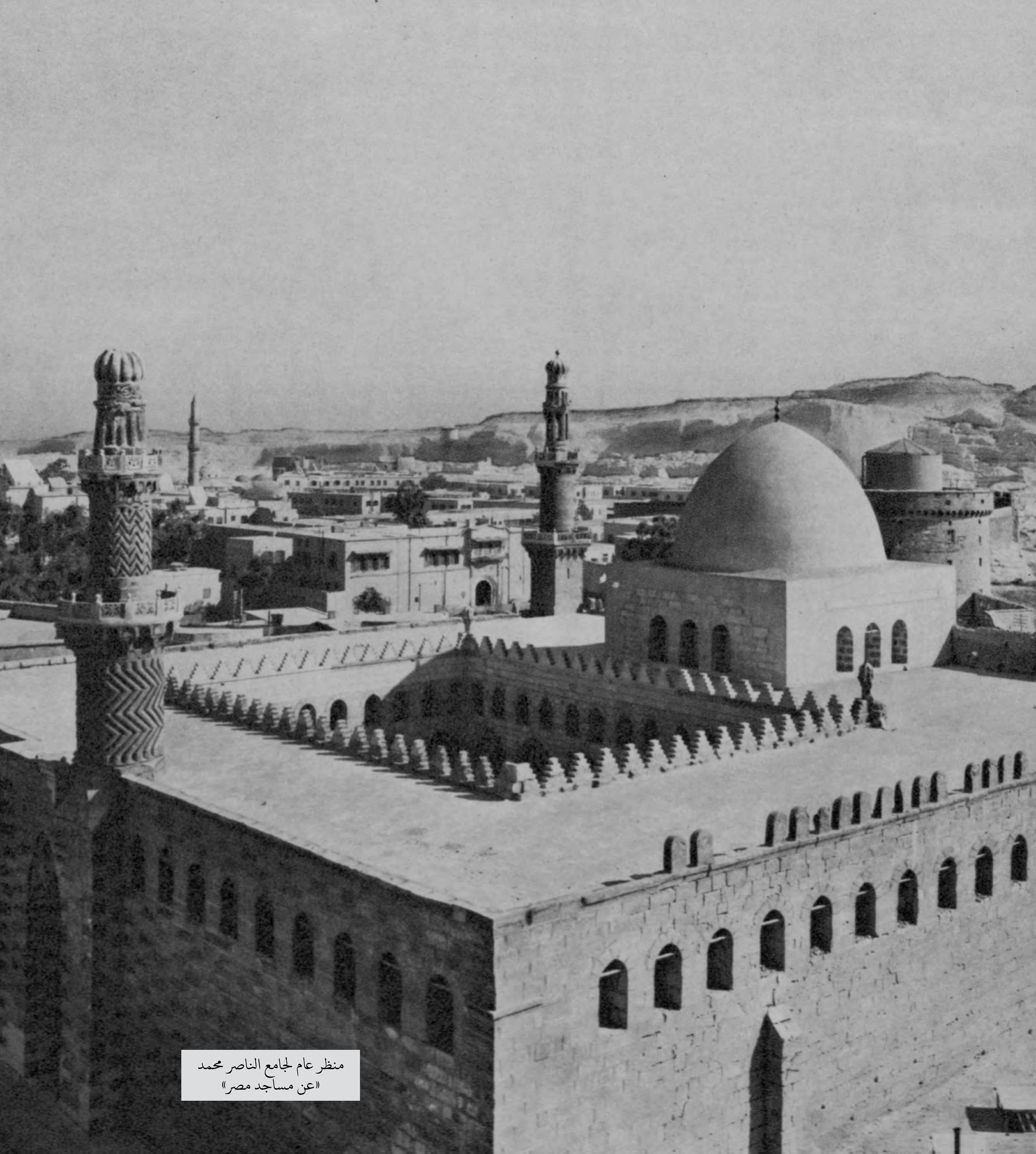
---

(١) حجج أوقاف الناصر من ٢٥ إلى ٣١ آخرها محرر بتاريخ ٨ جمادى الآخر سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) قلم الحفظ (المؤلف).

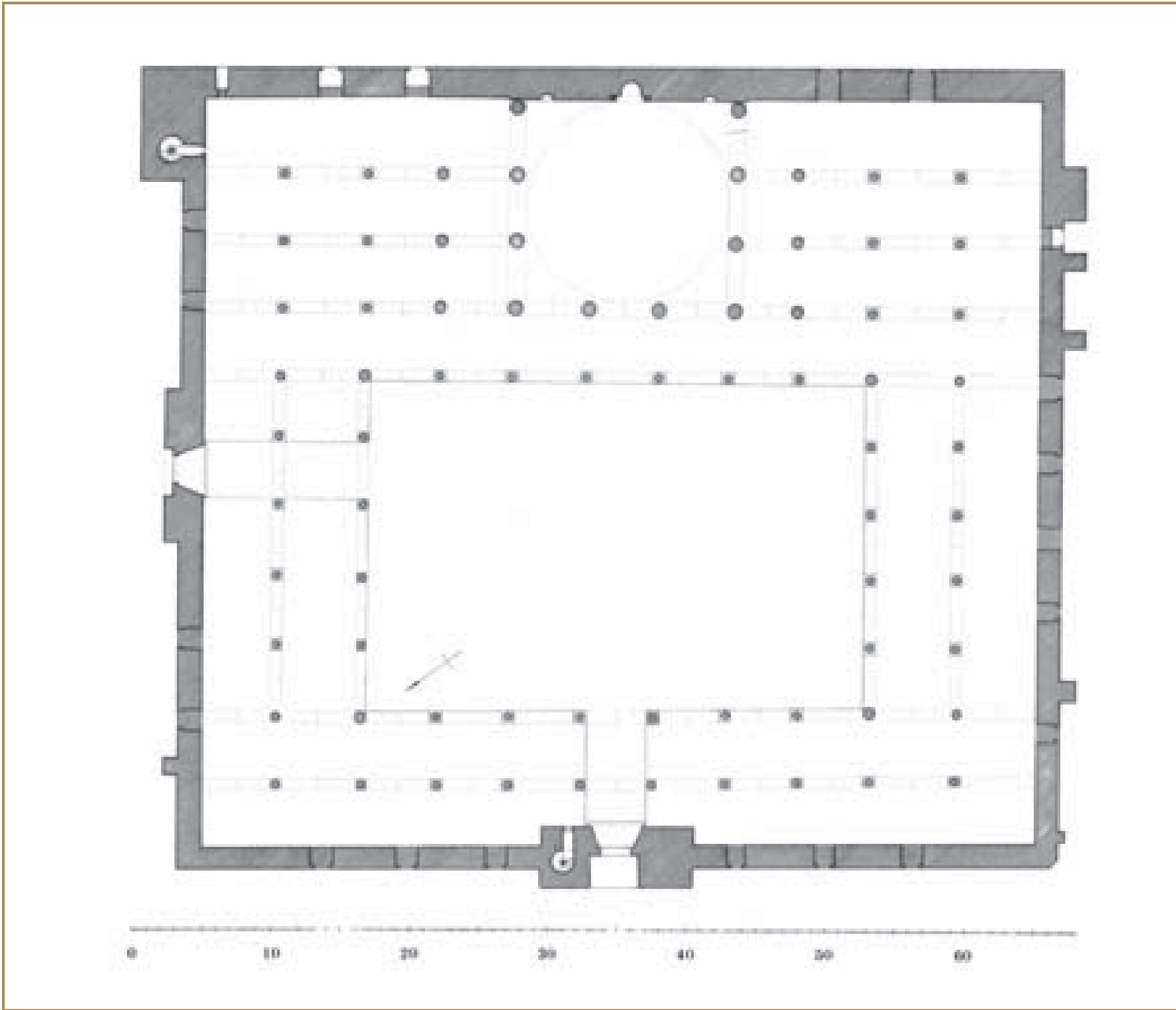
(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٨١؛ مج. ٤، ج. ١: ٢١٢.

(٣) المرجع السابق، مج. ٣: ٥٨٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٢٧٢.

(٤) إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي بن دقماق، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، مج. ٤ (بيروت: دار الآفاق الجديدة، [-١٩٤-١٩٨]): ٧٦-٧٧؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٠٦-٢٠٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٣٣، هامش ٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ١٤.



منظر عام لجامع الناصر محمد
«عن مساجد مصر»



مسقط أفقي لجامع الناصر محمد «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

المذكور في سنة (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م) بتجديد عمارته، وقد تناولت هذه العمارة إعادة تجديد قبة البهو وإحداث منبر من الرخام المسنون الملون إلى مرافق وإصلاحات أخرى[١]، وقامت نظارة الأوقاف في أول هذا القرن بعمل مرمات فيه في أوقات مختلفة، وآخر ما جدد منه في سنة (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م) المئذنة والقبة والأساطين وبعض جدرانه وعقوده وسقفه وسماواته، ولا يزال في حاجة إلى عناية.

(١) المرجع السابق، مج. ٣: ٢٤٥، ٢٥٣.



مئذنة جامع الناصر محمد «عن مساجد مصر»

جامع أيدمر الخطيري

أثر رقم ٣٤١

هذا الجامع بشارع فؤاد الأول «بولاق»، أنشأه الأمير عز الدين أيدمر بن عبد الله المسعودي أحد أمراء المملكة المصرية في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون [المتوفى سنة (٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)][١].

وقد دل مفهوم كلام المقريزي على أن المنشئ بالغ في عمارته، وتأنق في رخامه، وعمل له منبرًا من رخام مسنون، وجعل فيه خزانة كتب، وبنى إلى جانبه مرافق للسكن، ورتب فيه درسًا للفقهاء الشافعية، ووقف عليه أوقافًا داره، وبلغت النفقة عليه أربعمائة ألف درهم نقرة «الدرهم النقرة هو ما كان مضروبًا من فضة يخالطها قليل من النحاس»، وكملت عمارته في سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)، وافتتح رسميًّا في يوم الجمعة ٢١ من جمادى الآخرة من هذه السنة، وسماه جامع التوبة لبنائه على أنقاض بيوت كانت تدار للدعارة بهذه المنطقة. ويظهر مما ذكره المقريزي بأثر ذلك؛ أن هذا المسجد أغار عليه البحر بعد بنائه فاجتاحه حتى لم يبقَ إلا أثره، فأعاده الأمير أيدمر مرة ثانية؛ وقد احتاط لما حدث فعمد إلى تعبيد الأرض القائم والمحيطة به، والتي بينه وبين شاطئ النيل[٢].

وبالرغم من هذا، فقد تطورت حال هذا الجامع مرة أخرى؛ حتى قل رواده، فتطرق إليه الخراب مرة ثانية؛ فلم يعمر بعد ذلك منه إلا جانبًا يسيرًا، وقد تخلف منه إلى هذا التاريخ مئذنة جزئها العلوي متهدم وبعض أجزاء من داخله، والمدخل إليه من باب حديث بشارع فؤاد الأول وباب آخر بشارع الخطيري[٣].

وداخله يشتمل على صحن فسيح وسقف بلاطاته تحملها ثلاثين سارية من الرخام، وقد نقلت بعض أجزاء من منبره الرخامي إلى دار الآثار، ويقول الوزير علي مبارك

(١) عن سيرة الأمير عز الدين أيدمر الخطيري، انظر: شمس الدين الشجاعي، **تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده**، ترجمة وتحقيق باربره شيفر، **مصادر تاريخ مصر الإسلامية** ٢ (فيسبادن: فرانز شتاينر، ١٩٧٨): ١٥؛ المقريزي، السلوك، مج. ٢: ٤٢٦؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٥٣-٢٥٤؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٤٢٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٣١٢؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ١٨٠-١٨٢.

(٢) اليوسفي، **نزهة الناظر**: ٣٧٩-٣٨١؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٥١-٢٥٣.

(٣) أزيلت مئذنة وبقايا جامع الخطيري والتي كانت موجودة في نهاية شارع ٢٦ يوليو «فؤاد الأول سابقًا- شارع بولاق سابقًا» عند تلاقيه مع شارع كورنيش النيل مع تنظيم شوارع منطقة بولاق في العقد الأخير من القرن العشرين، انظر: **المرجع السابق**، مج. ٣: ٤٣٢؛ مج. ٤، ج. ١: ٢٥١، هامش ٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ٢٢٣، هامش ٢.



صحن جامع أيدمر الخطيري «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

باشا في الخطط أن عمارة حدثت بهذا المسجد من الشيخ محمد رمضان البولاقي المدفون بجامع أبي العلا في سنة (١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م)[١]، وفي سنة (١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م) جددت نظارة الأوقاف واجهته العمومية وأحدثت به منبرًا من الخشب وأقامت الشعائر فيه، وضاع من مساحة المسجد في مشروع توسعة الشارع ١٧٦ مترًا.

(١) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٤: ٢٢٦.

جامع بشتاك الناصري (فاضل باشا)

أثر رقم ٢٠٥ (سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)

هذا الجامع[١] بشارع درب الجماميز (جماميز السعدية)[٢]- خط قبو الكرماني سابقًا[٣]- أنشأه الأمير بشتاك الناصري، أحد كبار الأمراء في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون، وتم إنشاؤه في سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)، وافتتح رسميًّا في يوم الجمعة ٢١ شعبان من هذه السنة، قال المقريزي في ترجمته: «وهو من أبهج الجوامع وأحسنها رخامًا، وأفاد أنه كانت إذا قويت زيادة ماء النيل فاضت بركة الفيل وغرقته فيصير لجة ماء، وكانت هذه البركة تجاوره من حدوده الثلاث خلا الغربي»[٤].

والظاهر أن هذا المسجد، لم تطرأ عليه حوادث تجديد أهم من العمارة التي قام بها نيازي بك بأمر الأميرة ألفت قادين والدة الأمير مصطفى بهجت فاضل باشا أخو الخديو إسماعيل في سنة (١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م)، فقد تناولت داخل المسجد بالإصلاح وجددت أساطينه، ومئذنته واستجدت به مدفنًا في الجانب القبلي، ودفن به الأمير أحمد رشدي بك ابن الأمير مصطفى فاضل في سنة (١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م)، ثم والده الأمير المذكور[٥].

وقد أبقت هذه العمارة من مخلفات المسجد بابه المقنطر المقرنص، ثم مئذنته المستديرة الرشيقة والمدخل إليه من بابه العمومي ثم من باب آخر وهو الباب الأصلي

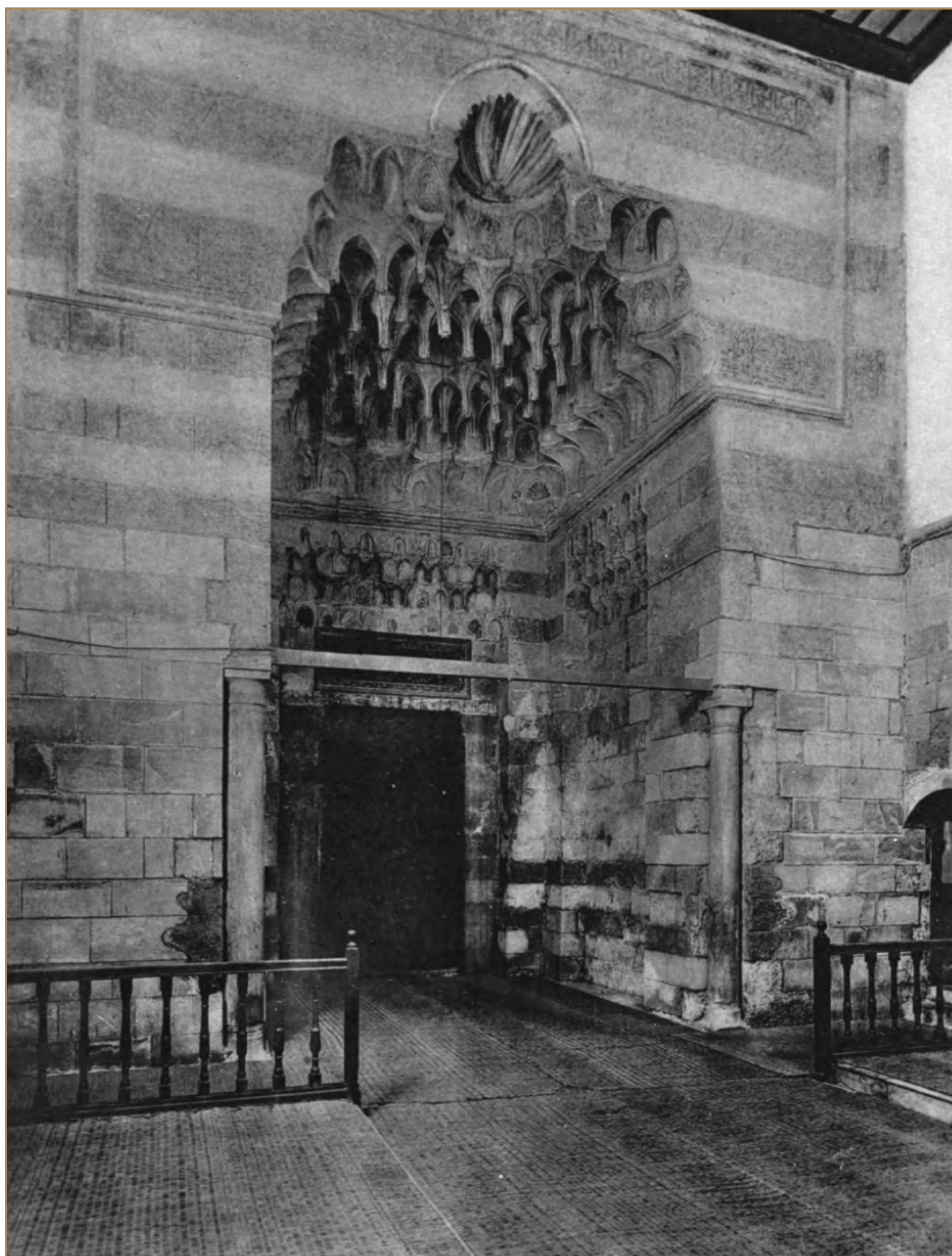
(١) تم تغيير رقم تسجيل الأثر إلى ٣٤.

(٢) يقع هذا المسجد جنوب المدرسة الخديوية بشارع بورسعيد (درب الجماميز سابقًا)، في مواجهة خانقاة ابن غراب، ولم يتبق من آثاره سوى الباب العمومي الداخلي للجامع، مئذنته الواقعة على يساره، ويعرف الجامع الآن بجامع مصطفى باشا فاضل، وهو من إنشاء الأمير بشتاك الناصري على خلاف ما يذكر ابن إياس من أنه ينسب للأمير بشتاك العمري زوج بنت الأشرف شعبان، والمتوفى سنة (٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٠٨، هامش ٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٤٧١؛ عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ١٤٣-١٤٦.

(٣) خط قبو الكرماني: كان يشمل المنطقة الواقعة على جانبي شارع درب الجماميز في المسافة الممتدة بين سكة الحبانية من بحري وحارات السادات من قبلي، وقد أطلقت مصلحة التنظيم اسم هذا الخط على حارة واقعة غربي شارع الخليج المصري بين حارة درب الحجر وسويقة السابعين، وهذه تسمية خطأ، لأنها في موقعها الأصلي المذكور، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٠٨، هامش ١.

(٤) اليوسفي، نزهة الناظر: ٣٨١-٣٨٢؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٣٦-٢٣٨، هامش ١.

(٥) يذكر محمد بك رمزي في تعليقاته أن مئذنة المسجد لم تجدد ضمن أعمال نيازي بك وكيل ألفت هانم، على خلاف ما يذكر علي مبارك، وأن المئذنة الموجودة حاليًّا هي المئذنة الأصلية، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٠٨، هامش ٤؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٤: ١٣٧.



مدخل جامع بشتاك
الناصري «عن فييت»

للمسجد، وداخله مرفوع على أساطين تحمل عقودًا يتوسطها سقيفة ذات كسوة للإضاءة.

المذكرات التاريخية

المذكـرة الأولى[1] للمنشيء: تعلـو الباب الثاني، وهو الباب الأصلي للمسجد في طراز ونصها:

البسـملة... لا إله إلا الله محمـد رسـول الله أمر بتجديد هذا المسـجد المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي عفو ربه بشتاك الناصري وكان الفراغ من ذلك في شـهر ربيع الأول سـنة سبعة وثلاثين وسبعمائة من الهجرة النبوية

ويعلو بابه العمومي روسـم به تاريخ الإنشاء في بيت شعر ضمن أبيات أخرى، ونصه:

وجادت بشارات القبول وأرخت بإتمام بيت الله دام لها الأجر ١٢٧٧

وعلى باب المدفن مذكرة أخرى نصها:

ضريـح المغفور له الأمـير مصطفى باشـا فاضل، وضريح الأمير المرحوم أحمد رشدي بك، نجل الأمير المغفور له مصطفى باشـا باشـا فاضل، نجل الأمير الشهير المبرور إبراهيم باشـا، نجل ساكن الجنان عزيز مصر الحاج محمد علي باشا؛ في ٢٠ القعدة سنة ١٢٩٦، إلى أرواحهم الفاتحة

(١) وقرأت بأسفل المئذنة هذا النص:
البسـملة ... هـذا ما مهـده لمرقـده المقر الأشرف بشـتاك الملـكي النـاصري والابتـدا في مسـتهل شـهر رمضـان المعظم سـنة سـت وثلاثـين وسـبعماية، وفرغ آخر شـهر رجب الفرد سـنة سـبعة وثلاثـين وسـبعماية. (المؤلف)

وعلى قبر رشـدي بك المذكور؛ مذكـرة بتاريخ وفاته المتقدم.

ترجمة الأمير مصطفى فاضل

والأمير مصطفى بهجت باشـا فاضل، الذي نسـب إليه هذا المسـجد اليوم، هو أحد علماء القاهرة المكثرين مـن التأليف، كثرة تدعو إلى العجب، فقد ذكر عنه أن دار الكتب المصرية تحتفـظ بمجموعة من مؤلفاته تبلغ ٣٤٥٨ مؤلفًا غالبها بخط اليد، وبينها ٢٤٧٣ مؤلفًا باللغة العربية في علوم شتى، وباقيها باللغتين التركية والفارسية.

وبهذا العدد الضخم يصبح مصطفى فاضل باشا أكثر الناس تأليفًا في العالم، إذ لـم تطالعنا المصادر التي عنيت بشأن التأليف والمؤلفين بأكثر منه تأليفًا من أول يوم ظهرت فيه التصانيف إلى اليوم، ولعل الأسـتاذ توفيق اسـكاروس الذي ذكر ذلك في أهرام ١٥ المحرم سـنة (١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م)، قـد قصد به مؤلفاته ومؤلفات غيره، وهو ما نطمئن إليه، إذ من المحال أن يكون الأمير قد صرف كل وقته في التأليف، ولو سلمنا به جدلاً لما بلغ هذا العدد.

وهذا السيوطي الذي يعده العالم أكثر الناس تأليفًا، قد بلغت مصنفاته حوالي الستمائة مصنفًا، ولا زلنا لهذه اللحظة نشك في نسبة الكثير منها، نعم كان للأمير مكتبة لا تضارعها مكتبة أخرى من المكاتب الخصوصية، وقد جمعت من الكتب والنوادر والنفائس ما لـم تجمعه مجموعة من دور الكتب لا في الشرق ولا في الغرب، وكانت داره الملاصقة للجامع شمالاً التي كانت لإسماعيل بك الكبير سابقًا، مجمع العلماء ومهبط العلم وناد للأدب، حتى عد العالم وفاته خسـارة كبيرة على الأدب، رحمة الله رحمة واسـعة، توفي الأمير مصطفى بهجت

فاضل باشا سنة (١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م) بالأستانة، ودفن بها إلى سنة (١٣٤٥هـ/ ١٩١٦م)، ثم نقل منها إلى القاهرة فدفن بالمدفن الكائن بالجامع، ومولده سنة (١٢٤٥هـ/ ١٨١٩م)، وأمه هي الأميرة ألفت قادين زوجة الخديو إبراهيم باشا، توفيت بالأستانة سنة (١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م)، ودفنت بجامع أبي أيوب الأنصاري.

منشئ المسجد

والأمير بشتاك الذي أنشأ هذا المسجد هو أحد أمراء المملكة المصرية في العهد الناصري؛ تولى أمير شكار «أمير الصيد» للملك الناصر، ثم كاتمًا للسر بديوان الإنشاء، ولما مات الناصر أفل نجمه بأثر موته؛ فسجن حتى مات في سجنه سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، ودفن بتربته بهذا المسجد، ويوصف بالسخاء والكرم، وله مآثر بالقاهرة والحرمين[١].

ومن آثاره الخانقاه البشتاكية التي كانت في مقابل هذا الجامع، وقد أنشئت هي والجامع صفقة واحدة، إلا أنها تأخرت في الافتتاح إلى شهر ذي القعدة من هذه السنة، وما برحت قائمة حتى دثرت فبنى على أنقاضها الأمير إبراهيم ابن غراب خانقاته الآتية، وإلى جانبها أنشأت الأميرة ألفت قادين والدة الأمير مصطفى فاضل باشا المذكورة فيما تقدم سبيلاً جميلاً، تم في سنة (١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م)[٢].

وله حمام بشتاك بسويقة العزي على رأس حارة الهلالية[٣]، أنشأه في سنة (٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)؛ ولا تزال تحمل اسمه إلى اليوم، ومن آثاره قصره المعروف بقصر بشتاك بشارع بين القصرين (المعز لدين الله)، وقد ذكرت هذه الآثار في محلها من هذا الكتاب، وجدد جامعًا للفاطميين بأسفل قصره في سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)[٤].

---

(١) عن سيرة الأمير سيف الدين بشتاك الناصري أو بشتك، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٩٩-١٠١؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٤٧٧-٤٧٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ٧٤؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٣٦٧-٣٧٢.

(٢) خانقاه بشتاك: خارج القاهرة على جانب الخليج من البر الشرقي، تجاه جامع بشتاك، أنشئت في سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)، وحل محلها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر سبيل وكتاب الأميرة ألفت هانم قادن والدة الأمير مصطفى فاضل باشا، سنة (١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م)، وما تزال بقايا هذا السبيل قائمة إلى الشمال= من خانقاه ابن غراب مطلة على شارع درب الجماميز، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤: ٧٤٦، هامش ١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٠٨، هامش ٢؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٨٥-٨٧، ١٣٩، ١٤١.

(٣) سويقة العزي: خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل، وهي منسوبة للأمير عز الدين أيبك العزي نقيب الجيوش، الذي استشهد عند عكا عندما فتحها الأشرف خليل بن قلاوون في سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، وهي تشغل قديمًا الجزء الجنوبي من شارع سوق السلاح في المسافة الواقعة بين شارع الغندور وشارع محمد علي، وفي العصر العثماني قسم شارع سوق السلاح إلى قسمين: الشمالي، وهو المسافة ما بين التبانة عند زاوية عارف باشا إلى حارة الحلوات، والذي عرف بشارع سويقة العزي، أي في جهة غير التي كان بها المكان الأصلي لهذه السويقة، والثاني، وهو الجنوبي الذي كانت فيه السويقة المذكورة في المسافة بين حارة حلوات وشارع محمد علي عرف بشارع سوق السلاح، وفي الوقت الحالي أصبحت الطريق كلها فيما بين شارع محمد علي وشارع التبانة تسمى سوق السلاح، وبذلك اختفى اسم سويقة العزي من جداول أسماء الطرق بالقاهرة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٥٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٨: ٢٠٤، هامش ٣.

(٤) عن قصر بشتاك وتجديد مسجد الفجل، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٢٧-٢٣٠؛ مج. ٤، ج. ٢: ٧٢٠-٧٢١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٤٩، هامش ٣.

المدرسة الحجازية (قبة أولاد الأسياد)

قبة أثرية رقم ٢١٥ (سنة ٧٣٩-٧٤١هـ/ ١٣٣٨-١٣٤٠م)

هذه المدرسة لم يذكرها المقريزي في الخطط، وسماها الحافظ السخاوي بالمدرسة الحجازية، وقال: «أنها على رأس المنتجبية بالشارع»، ولم يترجم لها بالرغم من أنه ذكر أوقافها المستجدة، وبالبحث وجد أن منشئ هذه المدرسة هو الأمير ملكتمر الحجازي الناصري أحد الأمراء الناصرية، أنشأها في حوالي سنة (٧٣٩-٧٤١هـ/ ١٣٣٨-١٣٤٠م) برسم مدرسة للشافعية، وأوقف عليها أوقافًا داره[١].

وما برحت هذه المدرسة قائمة بشؤونها حتى حين، ثم تخربت واغتصبت وتخلف منها قبة جميلة من نوع القباب الجصية المضلعة، نصل إليها الآن من منزل رقم٣ كان يسكن فيه الشيخ علي الجربي الواعظ سابقًا رحمه الله، بأول حارة الدالي حسين، وهي حارة المنتجبية المذكورة [انظر هذه الحارة في خطط المقريزي][٢].

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٣١؛ مج. ٤، ج. ٢: ٥٣١-٥٣٤.

(٢) حارة المنتجبية: تنسب لمنتجب الدولة جد أحد حجاب شمس الدين قاضي زادة، وكانت تقع على يمين السالك بالشارع خارج باب زويلة متجهًا إلى الجنوب، وفي أول هذه الحارة من جهتها البحرية درب الأغاوات ودرب الدالي حسين، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ٥٣، هامش ١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٥: ١٤، هامش ٣.

والدالي حسين الذي عرفت به هذه الحارة- هو حسين باشا بن عبد الله الدياربكري محافظ القاهرة في سنة (١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م)، ثم واليها في رجب سنة (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م)، وأخيرًا حاكم جزيرة كريت الإسلامية، مات مقتولاً بالأستانة في سنة (١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م)، وقد آل بيته الذي كان يقيم به في هذه الحارة إلى المرحوم إبراهيم باشا الجيار.

وتعرف هذه القبة الآن بقبة أولاد الأسياد، والمؤكد أن هذه التسمية جاءتها من طريق سكنى طائفة من الأمراء سلالة ملوك مصر المعروفين بأولاد الأسياد بالمنزل المذكور [انظر ابن إياس والضوء اللامع للسخاوي][٣].

ترجمة المنشئ

وقد ترجم المؤرخون لمنشئ هذه المدرسة ترجمة طويلة خلاصتها، أنه قدم من بغداد إلى القاهرة فاشتراه الملك الناصر محمد بن قلاوون، واعتنى به لنجابته، ورباه تربية حسنة، وما لبث أن قدمه وزوجه ابنته الخوند تتر الناصرية صاحبة الأثر المعروف باسمها [انظر مدرسة تتر الحجازية].

ويقول المؤرخون: إنه سمي بالحجازي لاتخاذه زي الحجازيين غطاء لرأسه، وفي سنة (٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)، بنى له

(٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٨: ١٨٤-١٨٥.

السلطان هذه المدرسة وأقطعه بلدة النحريرية أو النحراوية أو النحارية كما تعرف الآن، وهي من أعمال كفر الزيات، كانت في ملك الأمير سنقر السعدي المتوفى سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)، وما برح يتقلب في نعمة الملك الناصر حتى مات الملك، فاتصل بولده الملك المنصور فأقبل عليه وقربه كوالده من قبل، بيد أن الأمير قوصون وهو يومئذ مدبر المملكة ومديرها نقم عليه واضطهده فقبض عليه في سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) وسجنه بالإسكندرية وقتًا، ثم أفرج عنه السلطان بشفاعة بعض الأمراء وأعاده إلى وظيفته، وفي سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) قبض عليه مرة أخرى وأودع السجن ثانية، فبقي مسجونًا حتى تولى الملك المظفر، فأفرج عنه وعينه مدبرًا لمملكته، فقام بشؤون الدولة ومهامها، فلم يلبث أن قبض عليه وسجنه ثم قتله في ربيع الآخر سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، ترجمه المقريزي في العقود والمقفى وابن حجر في الدرر[١].

وله من الآثار غير هذه المدرسة المنظرة الحجازية التي أنشأها لجهته على شاطئ النيل ببولاق في حوالي سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)، وكان موضعها بالتحديد بشارع المحكمة في الجنوب الغربي لجامع زين الدين يحيى الأستادار بينه وبين سبيل سكزباي [انظر هذه المنظرة].

ومع وجود هذه القبة متخلفة من آثار هذه المدرسة لم يذكرها علي مبارك باشا في الخطط، وسكت عليها كل من كتب عن الآثار الإسلامية في القاهرة من شرقيين وغربيين، منذ أواخر القرن المنصرم حتى اليوم، وبالرغم من ذلك فقد دلنا عليها السخاوي في عبارة مؤيدة بدليل وقرينة، لا تدع في النفس شيئًا من أمر هذا الأثر الضائع[٢].

ويبدو أن هذه المدرسة كانت مدرسة فخمة واسعة تشغل كل المساحة التي يقوم عليها المنزل المذكور وما في جواره وامتداده حتى الوكالة الظاهرية، وهي المعروفة بأحمد كتخدا مستحفظان الشهير بمناو «وقف خيري» بشارع السروجية «الدجاجين أو سوق الطيور سابقًا».

وقد بدأ الخراب يشن غارته عليها منذ القرن العاشر، كما ظهر من سكوت مؤرخي هذا العصر عليها، وبالرغم من ذلك فقد بقيت منها هذه القبة الفاخرة الجميلة ذات القاعدة الحجرية.

(١) عن سيرة الأمير سيف الدين ملكتمر الحجازي الناصري، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٣١؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، مج. ٤: ٣٥٨-٣٥٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٨٤.

(٢) لا توجد عبارات تدل على هذا الأثر سواء في تحفة الأحباب إلا في هامش المؤلف في صفحة ١٠٧، وليس فيه ما ينسب إلى ملكتمر الحجازي، ولا في الضوء اللامع.

جامع المارداني

أثر رقم ١٢٠ (سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)

هذا الجامع بشارع التبانة أنشأه الأمير ألطنبغا الماردانى[١]؛ أحد أمراء الدولة الناصرية، وتم إنشاؤه في سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)[٢]، ويقول المقريزي في ترجمته: «أنه أخذ ما كان في جامع راشدة من العمد فعملت فيه[٣]، وجاء من أحسن الجوامع وافتتح رسميًّا بصلاة الجمعة في ٢٤ رمضان من هذه السنة، وكان موضعه مقابر للدفن، فانتزعت ملكيتها ونقلت رفات الموتى منها»[٤].

والمدخل إلى هذا الجامع من ثلاثة أبواب: أحدها الباب العمومي وفيه الواجهة البحرية، وبه أربع بلاطات يحدق بها صحن مكشوف، وأكبرها بلاط القبلة وبه المحراب والمنبر، ويفصله عن الصحن والبلاطات الأخرى دربوز من الخشب المنجور المزخرف، وأساطينه تحملها عقود مقوسة، وسقفه يتحلى بمجموعة سماوات بلغت بها الزخرفة مبلغًا عظيمًا، وفي وسط الصحن نافورة نقلت إليه من جامع السلطان حسن في عمارة سنة (١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م).

والجامع بزخرفة بابه العمومي المقنطر، ومقرنصاته وعقوده ومنارته وواجهاته، وزخارف بلاطه الشرقي المبالغ فيها، وكسوته الرخامية وقطع الفصة التي تزينه، وأساطينه الجرانيت وسواريه وأروقته وبلاطه وبساتينه، ومحرابه الدقيق ومنبره الخشب الخرط، وقبة البهو المرفوعة على محرابه التي أحكمت صنعتها وذلك البهو الفسيح الأرجاء ومنظره في جملته وتفصيله، كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن المنشئ أراد أن يحاكي به ما تقدمه من المساجد السابقة.

تجديد المسجد

اتخذ هذا المسجد من أول يوم بدأ فيه كمعهد للتدريس كما تطالعنا به المصادر التاريخية التي تناولت تراجم العلماء الذين درسوا به أو تخرجوا منه، فكان هذا سببًا في بقائه حافظًا لشكله، هذا فضلاً عن أن متانة بنائه لم تدع الدهر يتقلب عليه تقلبه على غيره.

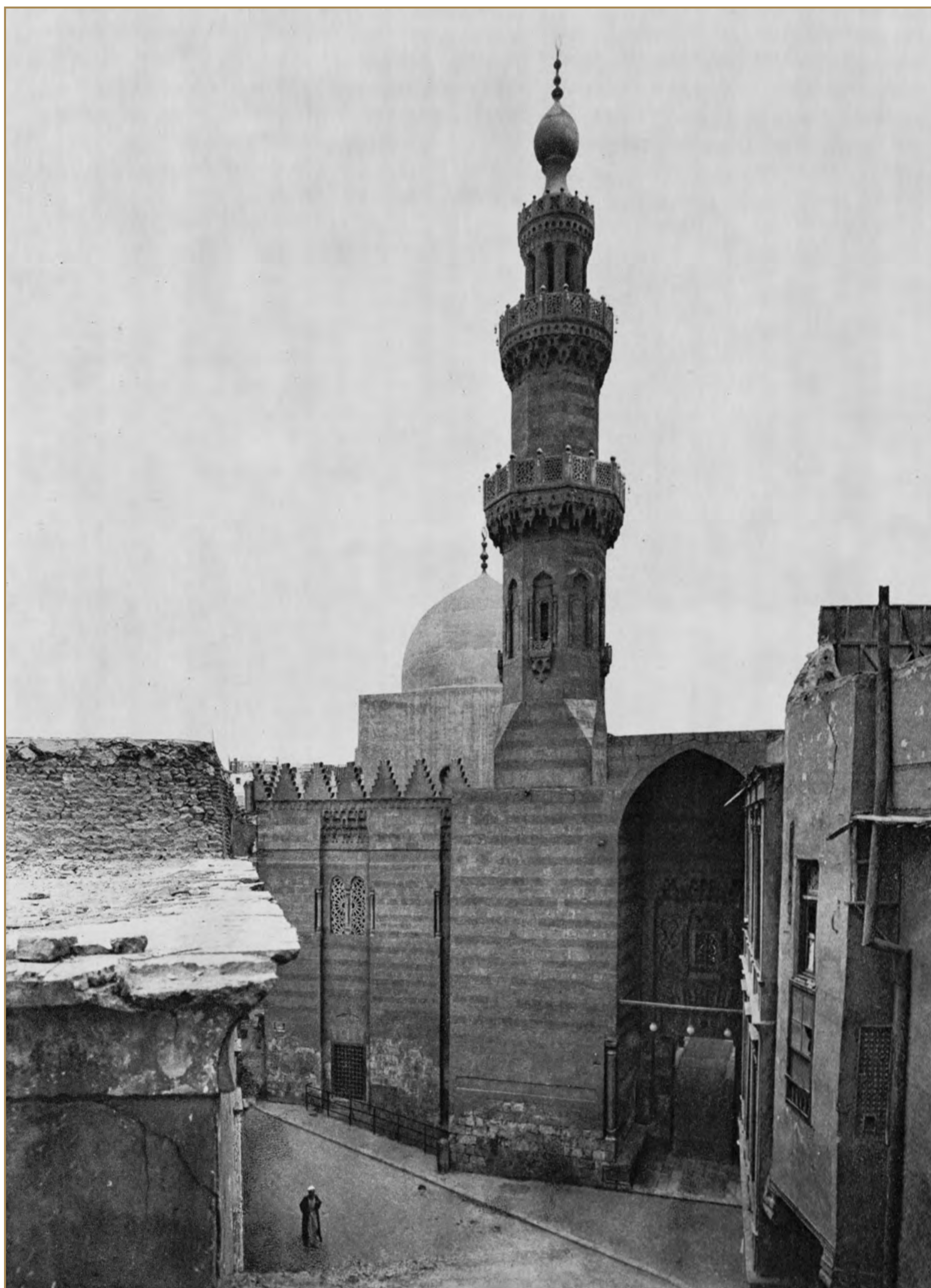
---

(١) خط التبانة: كان يشتمل على المنطقة الممتدة من باب الوزير إلى الدرب الأحمر، ويتوسطها الآن شارع باب الوزير وشارع التبانة، وأصبح اسم التبانة يطلق على الطريق الممتدة من شارع باب الوزير عند تلاقيه بشارع النبوية وسوق السلاح إلى شارع الدرب الأحمر، وعرف بخط التبانة لأنه كانت فيه أسواق التبن اللازمة لمؤونة دواب القاهرة في هذا العصر، انظر: المرجع السابق: ١٨٠، هامش ١؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٢٠، هامش ١.

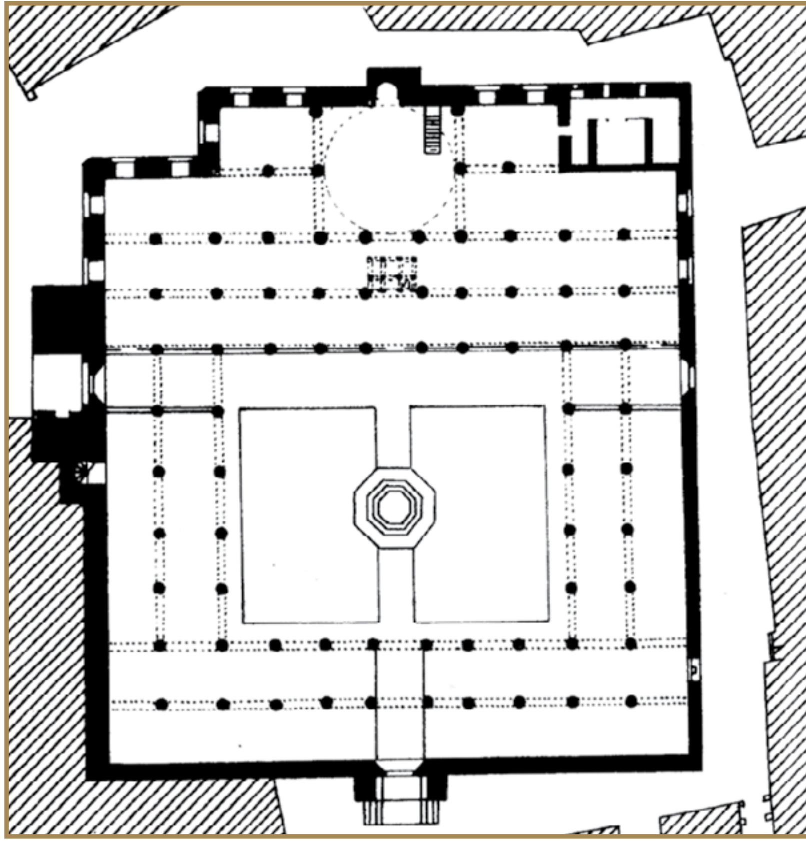
(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٣٠، هامش ١.

(٣) ذكر اليوسفي أن موفق الدين كاتب ألطنبغا الماردانى امتنع من أن يأخذ العمدة من جامع راشدة، انظر: اليوسفي، **نزهة الناظر**: ٢٦٧.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ١، ج. ١: ٢٢٧-٢٢٨.



منظر عام لجامع المارداني
«عن مساجد مصر»



مسقط أفقي لجامع المارداني «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

لكن كانت زلزلة سنة (١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م) التي نكبت بها القاهرة سببًا لتفكك أجزائه وسقوط بعضها- فتصدى لإصلاح ما استطاع إلى إصلاحه سبيلاً- الأمير إبراهيم أغا مستحفظان الذي ينسب إليه جامع آق سنقر الآتي، وأهم ما حدث به من تجديد هي العمارة التي تبتدئ من سنة (١٢٩٩-١٣٢١هـ/ ١٨٨١-١٩٠٣م)، فقد تناولت هذه العمارة مبدئيًّا تقوية أساطينه وشدها، ثم أعقبها تجديد جدرانه ثم تنظيفه مما طرأ عليه من الأصباغ الرديئة، ثم فك واجهات الصحن وتقويتهم ثم إصلاح سقفه، ثم تكسية جدرانه، ثم تجديد منبره وإعادة أجزائه المفقودة إليه، ثم تركيب النافورة المتقدمة الذكر في الصحن، ثم بناء قبة المحراب، وبناء حاجز للطابق الأخير من المئذنة وتجديد نقوشه إلى جملة إصلاحات أخرى هذه أهمها، وقد تم هذا الإصلاح في سنة (١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م)، وافتتح لإقامة الشعائر في أوائلها، وأعقب ذلك تجديد بعض ما كان منه في حاجة ماسة حتى سنة (١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م)[١].

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى: بواجهة الباب الغربي

البسملة... محمد رسول الله إلى رضوانها أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك من فضل الله تعالى وكرمه العبد الفقير إلى الله تعالى الطنبغا الملكي الناصري وذلك

(١) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٢٢٥-٢٢٦؛ عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ١٤٧-١٥١.

في شهور سنة تسع وثلاثين وسبعمائة من الهجرة النبوية عليه السلام[1].

المذكرة الثانية: بالباب البحري

البسملة... إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وكان الفراغ من هذا الجامع المبارك في شهر رمضان المعظم سنة أربعين وسبعمائة[2].

المذكرة الثالثة: بجانب المحراب

البسملة... أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي عفو ربه الطنبغا الساقي الملكي الناصري وذلك في شهور سنة أربعين وسبعمائة وصلى الله على سيدنا محمد[3]

المذكرة الرابعة: تشير هي وما بعدها إلى أعمال الإصلاح والتجديد، والأولى من إنشاء الأستاذ يوسف أحمد.

عنيت لجنة حفظ الآثار العربية المؤسسة بالقاهرة سنة ١٢٩٩ هجرية بعمارة هذا الجامع المبارك والأثر الذي ليس في جماله يشارك، فجددت ما تشعث من جدرانه، وأبدلت ما تداعى من أساطينه وعمدانه، وأصلحت وزرة الرخام التي تكسو أسفل حيطانه، وأكملت ما نقص من قطع فسيفا المحراب، وأعادت لحالته الأولى كلا من المنبر والشبابيك والأبواب، وأنشأت فوق محرابه قبة رمت مقرنصاتها الظريفة ودهنت أحداقها فغدت كما كانت زاهية لطيفة، وبنت القمة العليا من منارته؛ ورمت جميع سقوفه ومقصورته، وكان الشروع في ذلك كله سنة ١٣١٣ وتمامه في سنة ١٣٣١ في عصر خديوي مصر الأعظم، ومليكها الأفخم عباس حلمي الثاني بلغه الله غاية الأماني بمحمد وآله وصحبه وأنصاره آمين يارب العالمين

المذكرة الخامسة:

عملت هذه الشبابيك المباركة من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم بمعرفة لجنة الآثار العربية في عصر خديوي مصر الأعظم عباس حلمي الأفخم أدام الله أيامه بتاريخ عام سبعة عشر وثلاثمائة وألف هجرية

المذكرة السادسة:

نقلت لجنة الآثار العربية هذا الحوض والقبة علوه من جامع السلطان حسن إلى هذا الجامع في عصر خديو مصر عباس حلمي الثاني أطال الله أيامه وذلك في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية

ترجمة المنشئ

أفاد المقريزي في ترجمته أن الملك الناصر محمد بن قلاوون قدمه وزوجه ابنته، فلما مات وتولى بعده الملك المنصور أبو بكر، عظم عنده أكثر مما كان عند أبيه، فلما أقيم الأشرف كجك، وبعده الصالح إسماعيل، أصابته محنة لم تبرحه حتى مات في مستهل صفر سنة أربع وأربعون وسبعمائة، بينما كان في حلب ووصفه المقريزي بالذكاء والكرم وحسن المعاشرة[4].

---

(١) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 191.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق: ١٩٢.

(٤) عن سيرة الأمير ألطبغا المارداني، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ١، ج. ١: ٢٢٨-٢٣٠؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٤٠٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٠٥؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٦٧-٧٠.



مدخل جامع المارداني
«عن مساجد مصر»



صحن جامع المارداني
«عن مساجد مصر»

جامع حدق مسكة الناصرية

أثر رقم ٢٥٢ (سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)

هذا الجامع بشارع الست مسكة «سويقة السباعين»[١]، ينسب إنشاؤه إلى كبيرة مربيات حرم القصر الملكي الناصري، ويقول المؤرخون إنها كانت مربية أولاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وتوصف بالغنى واليسار والصلاح والميل إلى فعل الخير، وكانت لها أملاك واسعة وآثار، منها هذا الجامع وآخر بالمريس من شارع الخليج المصري، لا يزال باقيًا أثره للآن معروفًا باسمها وسنذكره إذا واصلنا إليه، وكان إنشاؤها لهذا الجامع في سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)، وتم في السنة التي تليها وافتتح رسميًّا في جمادى الآخرة من هذه السنة[٢].

والمدخل إلى هذا الجامع من بابين: أحدهما غربي، والآخر في الجهة القبلية، وداخله أربع بلاطات يحيط بها صحن مكشوف، وفي الجانب الغربي للجهة البحرية في المسجد قبر عليه صندوق، كانت المنشئة قد أعدته لتدفن فيه فلم تدفن، ودفنت بمسجدها الآخر الذي أشرنا إليه، وواجهات المسجد من الداخل تحملها دعامات أعلاها عقود من الحجر المنقوش ومنبره من خشب منجور وفيه تغيير في حشواته- وتحتجب تفاصيله بطبقة حديثة من الطلاء، ومحرابه من رخام مسنون ملون بالأحمر والأسود ملبس بطبقة من الصدف، وقد فقد من أجزائه جانبًا كبيرًا.

والظاهر أن هذا المسجد لوجوده في ذلك الحي الآهل بالسكان كان موضع عنايتهم، فإن شكله الحالي إلى اليوم فيه بقية صالحة من آثاره، وآخر ما عمر فيه عمارة أجراها ناظر وقفه محمد حسن الشبراوي في سنة (١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م)، تناولت بعض جدرانه وواجهاته الداخلية وأخصها الوجهة القبلية الغربية وزخارفه الكتابية.

المذكرات التاريخية

البسملة... أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك. الفقيرة إلى الله الحاجة إلى بيت الله، الزائرة قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام الستر الرفيع حدق المعروفة بست مسكة الناصرية في شهور سنة أربعين وسبعمائة[٣].

(١) حكر الست مسكة: يقع بسويقة السباعين قرب حكر الست حدق وقنطرة آق سنقر على الخليج الكبير خارج القاهرة، وموضعه اليوم المنطقة التي تحد من الجنوب بسكة سوق مسكة، ومن الشرق بحارة النصارى، ومن الشمال شارع درب الحجر، ومن الغرب شارع سويقة السبع شمال شارع مجلس الشعب، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٨٦-٣٨٧، هامش ٦؛ مج. ٤، ج. ٢: ٣٢١-٣٢٢، هامش ٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٩٦-١٩٧، هامش ٣.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٣٢١-٣٢٢.

(٣) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 193.

المذكرة الثانية بباب المنبر

البسملة... إنما يعمر مساجد الله إلى الآخر وكان الفراغ من هذا الجامع المبارك في شهور سنة أربعين وسبعمائة[١].

تصحيح خطأ

وفي إيراد هذا النص، ما يصحح خطأ تاريخي وقع بشأن هذا الجامع في خطط علي مبارك باشا[٢]، كما أنه يناقش المقريزي ويرد عليه وهمه في أن حدق ومسكة ليستا شخصيتين، وإن هما إلا شخصية واحدة[٣]، وهو ما يؤيده قول ابن حجر وأمثاله في ترجمة حدق مسكة المذكورة، وأول ما يثبت ذلك النص التاريخي السالف الذكر[٤].

وهذه ملاحظة قد نبهنا إليها الأذهان منذ دراستنا لهذا الجامع (قبل سنة ١٩٢٦م)، على أن الحري بالنظر هنا هو أن لفظ [حدق] رتبة لمسكة ذهبت مذهب اللقب وليس باسم كما يتبادر إلى الذهن، وكانت تلقب به كبيرة مربيات أولاد الملوك في هذا العهد، وهذا ما تفهمه من كلام ابن حجر نفسه ويقاربه في المعنى [الدادا أو المربية أو اللالا] [انظر كتاب الألقاب].

جامع حدق بالمريس

وفي بقاء جامعها الآخر معروفًا باسمها إلى اليوم بالمنطقة التي حددها المقريزي، تصحيح لما جاء بإحدى نشرات لجنة الآثار العربية عن هذا المسجد[٥]، وعن منظرة السكرة وخط المريس[٦] [بمجلة الهندسة العدد ٦ السنة ١٧- أول مايو سنة ١٩٣٧، ص ١٨٣ وما بعدها].

(١) المرجع السابق.

(٢) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٢٦٢-٢٦٣.

(٣) المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٣٣٥، ٥٤٣؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٨٦، هامش ٦، ٣٨٧، هامش ٢.

(٤) يذكر ابن حجر العسقلاني أن الست حدق القهرمانية الناصرية قد جعل الناصر أمور نسائه إليها، فتحكمت في داره تحكمًا عظيمًا حتى صارت لا يقال لها إلا الست حدق، وحجت مرة، وضرب المثل بما فعلته من الخيرات، وعمرت جامعًا ظاهر القاهرة، وكان يقال لها ست مسكة، وماتت وهي بكر عذراء، وصودرت مرة في أيام الصالح صالح بن التنكزية، ثم فرج عن موجودها وكان شيئًا كثيرًا، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٧.

(٥) جامع الست حدق بالمريس: في جانب الخليج الكبير مما يلي الغرب، بالقرب من قنطرة السد خارج مدينة مصر «الفسطاط»، أقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة لعشرين من جمادى الآخرة سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)، وقد اندثر هذا المسجد، وموقعه الآن القاعة التي بها ضريح الشيخ المواردي الواقعة بشارع الخليج المصري شرقي محطة مترو السيدة زينب، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٥٥، هامش ١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٩٦-١٩٧، هامش ٣.

(٦) حكر المريس: جزء من بستان الخشاب، ثم نسب للست حدق الدادة، والتي قامت بإنشاء جامع هناك كان موضعه منظرة السكرة، والمريس أو المريسة نوع من البوظة كما يسميها السودان، وهو يعادل اليوم المنطقة الواقعة بين شارع الشيخ علي يوسف بالمنيرة، وشارع بورسعيد، فيما بين شارع المدرسة في الشمال، وما في امتداده إلى الشرق حتى يتقابل مع شارع الخليج المصري، ومن الغرب شارع المنيرة، ومن الجنوب شارع بستان الفاضل وما في امتداده إلى الشرق حتى يتقابل مع شارع الخليج المصري، ومن الشرق شارع بورسعيد، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٣٨٦، هامش ١، ٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٩٦-١٩٧، هامش ٣.

مسجد ألطي نقش الأستادار (أبو اليوسفين)

أثر رقم ٢٣٤

هذا المسجد المعروف بأبي اليوسفين[١] الكائن بشارع التبانة لم يذكره المقريزي في الخطط[٢]، وقال عنه علي مبارك باشا: إنه قبة خوند زهرة الناصرية[٣]، وهذا خطأ لوجود قبة خوند المذكورة خلف مسجد زوجها آق سنقر بشارع باب الوزير كما سنبينه قريبًا.

وبالرغم من سكوت المشتغلين بعلم الآثار الإسلامية في الشرق والغرب، عن هذا الأثر وعدم اهتدائهم إليه، فقد أنار لنا سبيل البحث الكشف عن حقيقته من طريق ليس فيها غموض، فقد طالعنا الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة بترجمة لأمير من أمراء المملكة المصرية في العهد القلاووني سماه الطنفش «ألطي نقش- معناه: ذو الأصبع الزائد»، فقال: «الطنفش الأستادار من مماليك آقش الأفرم، وتولى الشرقية، وأستادارية أنوك بن الناصر، ثم أستادارية السلطان [توفي سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)]، وهو صاحب التربة بالقرب من جامع المارداني بالتبانة»[٤].

وفي الضوء اللامع للسخاوي ترجمة لسيدة دفنت بتربة هذا الأثر، وقد سماها بالتربة اللاطنقشية، وهي فرج ابنة عبد الكريم بن عبد العزيز، وقد أرخ وفاتها في سنة (٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م)، قال:«ودفنت باللاطنقشية بالتبانة»[٥].

كما ترجم لابنتها السيدة فاطمة خاتون بنت الشريف الحسن الفخري المدفونة برباط السبع بنات بدرب بطوط بسوق الغنم[٦]، ثم لأختها أنس زوجة الحافظ ابن حجر

---

(١) رأيت في حجة مصطفى صادق صاحب المنزل المجاور للأثر تسميته بماماي اليوسفي، وفي تقارير نظر وقف ماماي هذا ما يؤيد إطلاق هذه التسمية على الأثر، وبالبحث وجد أنه من دفنى هذا الأثر، والواقفين عليه ٣٠ فدان بكفر طهرمس، [تراجع الإضمامة رقم ٢٧٠، ص٣٠٦، بقلم الحفظ بمحكمة القاهرة] (المؤلف).

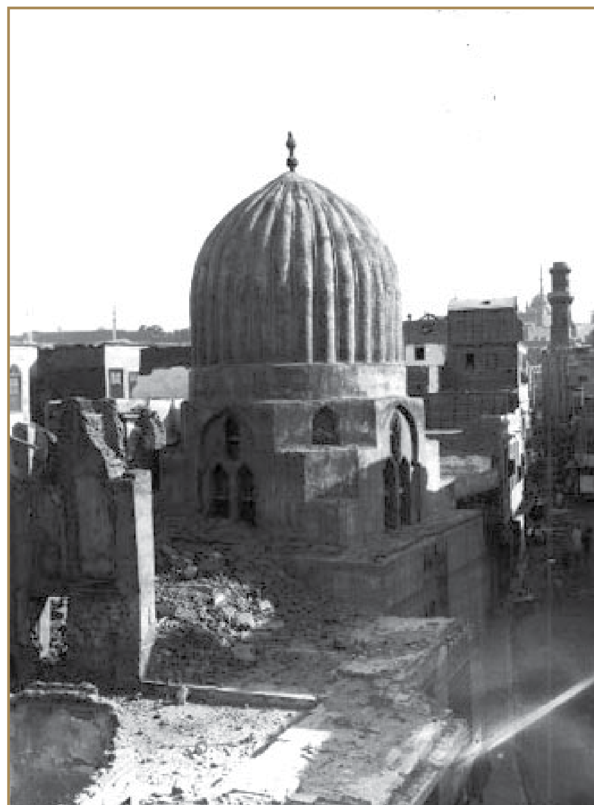
(٢) لم يقف صاحب المزارات على رواية المقريزي عن جامع ألطنقش بالتبانة، والذي يحدد موقعه على رأس الطريق العظمى، على يسار السالك من جامع الماردانى إلى القلعة، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٦٢.

(٣) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٤٧.

(٤) المقريزي، السلوك، مج. ٢: ١٠٩؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٤١٠؛ ابن شاهين، **نيل الأمل**، مج. ١: ١٠٣.

(٥) فرج ابنة عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز الأصيلة: أم محمد القشتمرية، أخت أنس جهة العسقلاني، وأم الشريفة فاطمة، ولدت سنة (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م)، تزوجها الشريف الفخري فأولدها فاطمة، وكان سكنها بجوار المنكوتمرية، وماتت في سنة (٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م)، ودفنت باللاطنقشية بالتبانة، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ١١٤-١١٥.

(٦) فاطمة ابنة الشريف الفخري أم محمد بن جاجق، وأمها فرج ابنة ناظر الجيش كريم الدين عبد الكريم اللخمي، ماتت في حياة أمها شهيدة نفساء بعد صلاة الجمعة من ذي القعدة سنة =



منظر عام لقبة ألطي نقش الأستادار «عن كريسويل»



العسقلاني، وسبطة منكوتمر الحسامي نائب السلطنة، وهي مدفونة بنفس هذا الرباط مع السيدة فاطمة المذكورة(١)، ثم لأمها سارة المنكوتمرية(٢) [انظر جامع السيدة فاطمة النبوية بالدرب الأحمر]، والرباط المذكور المواجه للمشهد الفاطمي المذكور شمالاً.(٣)

فهذه النصوص الصريحة لا تدع لنا مجالاً للشك في أن المقصود بالتربة اللاطنقشية هي نفس هذا المسجد وقبته إذ لا تربة عندنا بهذه المنطقة «التبانة» أقرب إلى

= (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، وصلى عليها في جامع الأقمر بعد العصر، ودفنت بتربتهم بالقرب من جامع المارداني، وكان زوجها أبو البركات الشيشيني، انظر: المرجع السابق: ١١٣-١١٤.

(١) أنس ابنة عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الكريم ابن أبي طالب بن علي بن سيدهم أم الكرم ابنة الكريمي اللخمي النستراوي الأصل القاهري، أخت آمنة وزوج العسقلاني، ويعرف أبوها بابن عبد العزيز، وأمها هي سارة ابنة ناصر الدين محمد بن أنس ابنة منكوتمر نائب السلطنة وصاحب المدرسة والقاعة المتجاورتين بداخل باب القنطرة، ولدت سنة (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م) لوصفها في وصية أبوها المؤرخة بسنة تسعين بالعشارية، وحجت وجاورت، درست وتعلمت الحديث، ماتت في ربيع الأول سنة (٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م)، وصلى عليها بجامع المارداني=

= ودفنت بتربة سلفها بالقرب من الجامع عند أولادها، انظر: المرجع السابق: ١٠-١١.

(٢) سارة ابنة ناصر الدين محمد بن أزدمر أم أنس زوجة العسقلاني، وأبوها أمه أنس ابنة مكتومر، كانت جليلة مبجلة، ماتت في المحرم سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، انظر: المرجع السابق: ٥٢.

(٣) المجاور للمدفن الذي يسمى حاليًا بمقابر السبع بنات الشلبيات رقم٢٥ شارع النبوية (المؤلف).

جامع المارداني منها وليس لدينا سـواها، إلا ما حدث بعد هذا التاريخ بمراحل طويلة، كمدرسـة مقبل الدوادار [١] - القرن التاسع- وهي التي جددها عارف باشا سنة (١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م)، وعرفت بجامع عارف باشا بأول شارع باب الوزير على رأس سوق السـلاح، وفي جوارها زاوية الشيخ يوسف الحريـشي من القرن الحادي عشر، وهي المعروفة في قسـم المساجد بزاوية عبد الله المغربي، ثم جامع أخليان (٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م) بأول سـكة المارداني وهو جامع متخرب، ثم تربة يوسف أغا مسـتحفظان الحبشي (١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م) بسكة المارداني تجاه الجامع المذكور، ثم تربة الشـيخ علي أبي النور جددها محمد أغا جمليان في سـنة (١١١٠هـ/ ١٦٩٨م) للشيخ المذكور بعد وفاته.

هذا كل ما لدينا من المساجد بهذه المنطقة وما تقارب منها، وهو مؤيد لتقرير هذه الحقيقة، وقد أورد لنا ابن إياس نصًّا آخر ولو أنه غامض إلا أنه يلقي على هذا البحث ضوءًا ساطعًا من الحقيقة، فهو بينما يترجم للأمير ماماي اليوسفي أحد أمراء المملكة المصرية في أوائل القرن العاشر، ويذكر سبب محنته إلى مصرعه، يقرر أن قتلته انقضوا عليه وقتلوه بنفس هذه المنطقة وهو في طريقه إلى القلعة وتركوه أشلاء، فلا يبعد أن تكون هذه الأشـلاء قد أخذها بعض الناس ودفنها في هذه التربة، وهذا ما تؤيده هذه التسـمية التي لم تسبق هذه الآونة، وهي قرينة ظاهرة يؤيدها هذا الدليل [٢].

والمدخل إلى هذا المسجد من باب صغير نصل منه إلى غرفة محمولة على سـقف وفي صدرها مقصورة من البناء، وفي الجانب البحـري باب نصل منـه إلى القبة، وهي قبة عالية الأركان يتوسطها قبر عليه صندوق من الرخام، وظاهر القبة مضلع ومادتها من اللبن المطلي بالجص، ككل القباب التي أنشـئت في هذا القرن، وليس بهـا أي نص تاريخي، والمؤكد أنها أنشـئت قبل سـنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) بسنوات قلائـل، وربما كان في سـنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، والمسـجد الملحق بهذه القبة عامر بالصلوات تقام فيه الشـعائر تحت إشراف قسم المسـاجد، وموقوف عليه من ماماي اليوسفي المذكور «٣٠فدان» بكفر فهرس «جـيزة» [٣]، كما تحقق لي ذلك في السـجل [رقم ٢٧٠، صفحـة ٣٠٦- ٧] ربيع الثاني سـنة (١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م)، وهذا التحقيق يؤكد صلة ماماي اليوسفي بهذا الأثر قبل مصرعه، وأنه كما ذكر ابن إياس من دفنى هذا الأثر.

---

(١) مقبل الزين الأشقتمري الرومي الطواشي الشافعي: كان جمدارًا عند الظاهر، ثم ولده الناصر فرج، ملازمًا ومحبًّا للفقهاء، عمر مدرسة بالتبانة عند مفترق الطرق، وقرر فيها مدرسين وطلبة، مات في سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م)، ودفن بمدرسته، انظر: المرجع السابق، مج. ١٠: ١٦٧.

(٢) الأمير ماماي أمير آخور ثاني: كان من أمراء الطبلخانات، وأصله من مماليك الأمير قاني باي أمير آخور كبير، وكان موته= فجأة على حين غفلة، وقيل: أنه كان في صحبة مع العثمانية فوقع بينهما تشاجر، فضربه أحدهم فمات في ليلته قتيلاً سنة (٩٢٤هـ/ ١٥١٨م)، انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، مج. ٥: ٢٨٣.

(٣) من المرجح أنها كفر طهرمس مركز الجيزة، وتقع شمال غرب بندر الجيزة، وجنوب شرق بلدة صفط اللبن.

جامع أصلم السلاح دار

أثر رقم ١١٢ (سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)

هذا الجامع بشارع سكة فاطمة النبوية «سوق الغنم» داخل الباب المحروق، أنشأه الأمير أصلم السلاح دار الصالحي أحد أمراء الدولة الناصرية برسم مدرسة، وتم إنشاؤه في سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م).

وهو مكون من أربع بلاطات وصحن مغطى، وله واجهة غربية وفيها باب، وأخرى قبلية وفيها باب، وفي الحد الشرقي منه قبة المنشئ؛ وهي قبة منسجمة من القباب الجصية المضلعة يكسو وسطها طبقة من القاشاني المشجر، وبالبلاط الغربي سدة للتبليغ والتأذين يجاورها باب المئذنة.

والجامع في نظامه وزخارفه، وتنوع رخامه المسنون، وما به من عقود ومقرنصات، ومواد معمارية فائقة- يدل على عناية المنشئ به عناية كبيرة، وهو ما يؤيده قول المقريزي في ترجمته: «وهو من أحسن الجوامع»[١].

ترجمة المسجد

لم يطرأ على هذا المسجد تجديدًا يغير معالمه الأولى، غير أن مئذنته التي سقطت في وقت ما وحلت محلها مئذنة أخرى في القرن الحادي عشر الهجري، ثم سقطت لعدم إحكام بنائها، كان لسقوطها أثر في تغيير بعض معالم الباب الغربي، ثم حدث فيه بعد ذلك تغييرًا في سقفه وصحنه، وآخر ما عمر فيه العمارة التي أجريت في سنة (١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م)، ثم العمارة التي تلتها في سنة (١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م)، وقد أصلحت فيها بعض أخشابه وواجهاته وقبته. ولا يزال فيه بقية من عمارة في واجهته القبلية، وقد تمت في سنة (١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م).

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى: في روسم بأعلى الباب القبلي في ٣ أسطر، ونصها:

> **البسملة... وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه؛ أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك من فضل الله تعالى وجميل عطائه، العبد الفقير إلى الله تعالى أصلم بن عبد الله السلحدار الملكي الصالحي، وكان ابتداء**

---

(١) يحدد محمد بك رمزي موضع هذا المسجد «المدرسة» بدرب شغلان عند تلاقيه بشارع فاطمة النبوية بقسم الدرب الأحمر بالباب المحروق داخل سور القاهرة القبلي بسوق الغنم، وذلك حسب رواية المقريزي، وليس خارج السور كما يذكر ابن تغري بردي وعلي مبارك، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٣٢-٢٣٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٧٥؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٤: ١٢٢.

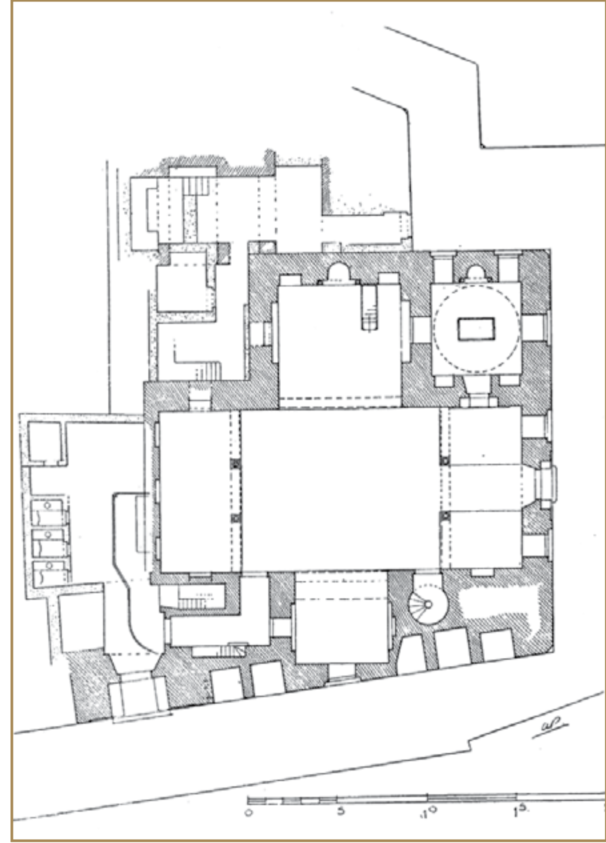


منظر عام لجامع أصلم
السلاح دار
«عن مساجد مصر»

منشئ المسجد

ومنشـــئ هذا المسجد هو الأمير بهاء الدين أصلم بن عبد الله الســـلاح دار القبجاقي التركســـتاني الأصل، كان من مماليك المنصور قلاوون ثـــم صار من واحد لآخر حتى الملك الناصر، فعينه أمير عشرة ثم أمير مائة ثم سلاحدارًا، وما برح حـــتى مات في ســـنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) ودفن بقبة المسجد[٣].

وقد آل هذا المســـجد بعد وفاته إلى أولاده وحفدته، حتى كان منهم في القرن التاسع جماعة، ذكر منهم السخاوي في الضوء اللامع؛ عمر بن خليل بن حســـن بن يوسف، أمه ألف بنت الشـــهاب أحمد الفارقاني وأمها فرح ابنة أصلم منشئ هذا الجامع. قال السخاوي: «ولد سنة (٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م) بالقاهرة، وتوفي ســـنة (٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م)، ودفن بجامع جده أصلم، كما دفن به أحمد بن عمر هذا»[٤].



مسقط أفقي لجامع السلاح دار «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

عمارتـــه في جمـــادى الأول ســـنة خمـــس وأربعين وسبعمائة وفراغه في ربيع الأول سنة ست وأربعين وسبعمائة[١].

المذكرة الثانية: بجانبي الباب الغربي ونصها:

البسملة، إنما يعمر مساجد الله إلى الله أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى أصلم الســـلحدار وكان الفراغ في شـــهر رجب الفرد سنة ست وأربعين وسبعمائة[٢]

(١) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 195.

(٢) المرجع السابق: ١٩٥-١٩٦.

(٣) بهاء الدين أصلم بن عبد الله الناصري: أحد مماليك المنصور قلاوون، كان من نصيب الأمير آقوش المنصوري عند توزيع مماليك السلطانية في نيابة كتبغا، بعد قتل الأشرف خليل، وسلطنة الناصر محمد، ثم انتقل للأمير سلار، ولما رجع الناصر من الكرك بعد سلطنة بيبرس الجاشنكير أصبح أمير عشرة، ثم صار أمير مائة فمقدم ألف، وخرج لتجريدة باليمن، ولما عاد سجنه الناصر خمس سنوات، ثم جهزه لنيابة صفد، وعاد لمصر زمن الناصر أحمد، وتولى إمرة عشرة على عادته، توفي سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٣٤-٢٣٦؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٣٨٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٧٤-١٧٥؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٢: ٤٥٥-٤٥٧.

(٤) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٦: ٨٤-٨٥؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٤: ١٢٣.

جامع باي دمر البدري (المدرسة البدرية)

أثر رقم ٢٥ (نصف القرن الثامن الهجري)

هذا الجامع بشارع أم الغلام «الغلمان الصالحية سابقًا»، أنشأه الأمير بدر الدين بيدمر بن عبد الله البدري، في نصف القرن الثامن الهجري- وهو الذي سماه المقريزي- بالمدرسة البدرية- بيد أنه لم يترجم له[١].

وقد يختلط على الباحثين بيدمر هذا بالأمير بيدرا الأيدمري الظاهري صاحب المدرسة الأخرى، المسماة بالبيدرية الكائنة بنفس هذه المنطقة، برحبة عرفت فيما سبق برحبة الأيدمري، وهي الآن جزء من شارع القزازين «قصر الشوك سابقًا»[٢].

ولا تزال آثار هذه المدرسة باقية لليوم بأول شارع القزازين المذكور، تحمل رقم٤ تنظيم، وقد تخلف منها ضريح يعرف بالأربعين، الظاهر أنه لأحد أفراد أسرة بيدار لأن المقريزي لم يذكر في ترجمته، ما يفيد دفنه بهذه المدرسة [انظر تربة بيدرا بالشافعي، والمدرسة البيدرية].

وبالتأمل في ما ذكره المقريزي عن رحبة الأيدمري تتحقق هذه النظرية التي نقررها، وقد دخلت كلتاهما في هذه المنطقة: فالأولى من حقوق حارة الغلمان الصالحية[٣]، والثانية من حقوق قصر الشوك؛ وإحداهما تلي الأخرى، وهذا مفهوم كلام المقريزي، إذ يقول في رحبة البدري: «يدخل إليها من رحبة الأيدمري، ومن باب قصر الشوك»، ويقصد به الوصول إليها من جهتين[٤].

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٧٠.

(٢) رحبة الأيدمري: فيما بين المشهد الحسيني وخزانة البنود، نسبة إلى الأمير بدر الدين بيلبك الأيدمري الظاهري، أحد أمراء الظاهر بيبرس، ثم المنصور قلاوون، لأن داره عندها، وهي باقية إلى زمن المقريزي، توفي سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)، ودفن بتربته بالقرافة بجوار قبر الشافعي، وكان مملوكًا للأمير عز الدين أيدمر الحلي نائب السلطنة أيام الظاهر بيبرس، وموضعها الآن المنطقة الواقعة غرب المشهد الحسيني ويخترقها شارع أم الغلام وحارة الجعادية بقسم الجمالية، انظر: المرجع السابق، مج. ٣: ١٥١، هامش ٢، ٣.

(٣) حارة الصالحية: عرفت بغلمان الصالح طلائع بن رزيك، وهي موضعان: الصالحية الكبرى والصالحية الصغرى، وموضعهما فيما بين المشهد الحسيني ورحبة الأيدمري، وبين البرقية، وكانت من الحارات العظيمة وقد خربت وتداعت مساكنها، وهي الآن تقع في المنطقة التي تحدها اليوم من الغرب شارع أم الغلام، ومن الشمال شارع الجعادية، ومن الشرق شارع العلوة، ومن الجنوب شارع الشيخ حمودة، انظر: المرجع السابق: ٣٢، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٥٣، هامش ٦.

(٤) رحبة البدري: من جملة القصر الكبير، عرفت بالأمير بيدمر البدري، صاحب المدرسة البدرية، حيث توجد داره هناك، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ١٥٢.

الأولى من نهاية شـارع القزازين عند ملتقاه بشارع الجعادية، والثانية من درب ملوخيا(١)، المسمى الآن بدرب القزازين، وفي هذا الدرب كان يقع المارستان العتيق الذي أنشأه صلاح الدين في سنة (٥٧٧هـ/ ١١٨١م) في محل المكتبة الفاطمية.

وقال عن رحبة الأيدمري: «إنها من رحبة باب قصر الشوك»(٢)، وحدد رحبة قصر الشوك بأنها كانت قبلي؛ أي شرقي القصر الكبير.

وهذا الوصف ينطبق تمامًا على نهاية شارع أم الغلام، وبداية شارع الجعادية حيث موقع مدرسة بيدمر، فإذا اجتزنا رحبة الأيدمري؛ فيواجهنا يسارًا درب ملوخيا، ثم نسير حتى نصل إلى باب قصر الشوك البحري، فقبل أن تغادره نجد بنهايته يمينًا درب نادر، ويجاوره من رحبة العيد درب راشد، المعروف بحارة قصر الشوق، ثم نسير برحبة العيد حتى آخرها عند ملتقاها بشارع التمباكشية حيث كان باب الهواء الفاطمي.

ويلاحظ هنا أن المنطقة التي تسميها مصلحة التنظيم بشارع قصر الشوق بها قصر الشوك، ليست هي التي يقصدها المقريزي في عبارته المذكورة عنها في الخطط، بل هذه هي بعينها رحبة باب العيد(٣)، وأما التي يقصدها: فهي ما تسمى الآن بشارع القزازين من نمرة١٤، أي من عند خزانة البنود حتى نمرة٦ حيث أول رحبة الأيدمري، وفي جوار نمرة٦ بقايا المدرسة البيدرية المذكورة.

فتكون رحبة الأيدمري داخلة في هذه المنطقة باسمها، ورحبة البدري هي نهاية شارع الغلمان الصالحية، أو أم الغلام كما يعرف الآن، ثم بداية شارع الجعادية، حتى شارع العلوة الذي ينتهي بشارع الكفر، المعروف سابقًا بخط بين السورين، داخلاً في ذلك أول عطفة درب الحمام التي عرفت بذلك لوجود حمام بها سابقًا تنسب إلى بيدمر هذا، ثم عرفت بحمام يونس.

وهذه المنطقة جميعها من حقوق القصر الفاطمي الذي كانت نهايته تتوسط جامع الناصري محمد بن بردبك الدوادار الباقي إلى اليوم(٤)، وهذا أيضًا يؤيد نظريتنا في أن مسجد الجوكندار، هو غير مسجده الآخر الذي دثر، وتخلف منه ضريح الشيخ موسى، المبني في محل خزانة البنود، الواقعة تجاه

---

(١) درب ملوخيا: كان يعرف باسم حارة قائد القواد، وعرف بدرب ملوخيا نسبة لصاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله، المعروف بملوخيا الفراش، وقتله الحاكم وباشر قتله، وفي هذا الدرب مدرسة القاضي الفاضل، ومكانه الآن الحارة المعروفة بحارة قصر الشوق، في مواجهة مصلحة تمغ المصوغات، انظر: المرجع السابق: ١١١، هامش ٣.

(٢) المرجع السابق: ١٥١، هامش ٢، ٣.

(٣) رحبة باب العيد: كان أولها من باب الريح أحد أبواب القصر، وقد هدمه جمال الدين الأستادار سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، وفي= مكانه الآن القيسارية المستجدة، وإلى خزانة البنود، وكانت رحبة عظيمة يقف فيها الجنود في أيام الأعياد، ينتظرون ركوب الخليفة، للذهاب لخدمته في مصلى العيد بباب النصر، وموضعها محدد من الغرب بشارع بيت المال، ومن الجنوب بشارع قصر الشوق، ومن الشرق بحارة قصر الشوق، ومن الشمال بحارة الزاوية وحارة المبيضة، انظر: المرجع السابق: ١٤٩-١٥٠، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٥٠، هامش ٢.

(٤) جامع بردبك الدوادار أو دار الحديث البردبكية: بشارع أم الغلام (حارة الغلمان الصالحية سابقًا، أنشأها الأمير بردبك الدوادار الأشرفي صهر الملك إينال الأشرفي، في سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م)، واكتملت في السنة التالية، وهي دار للحديث، أنشئت في مكان القاعة الفاطمية التي أنشأها العزيز بالله في القصر الشرقي الكبير، ثم تحولت القاعة إلى مشهد للسيدة فاطمة الزهراء، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٤-٦.

درب راشد المذكور، وخطها الآن يعرف بعطفة الشيخ موسى وبيت العفيفي[١].

ومما بيناه يتضح أن مسـجد بيدمر البدري المسـمى أيدمر البهلوان أو زاوية اللبان كما سماها علي مبارك باشا في الخطط[٢]، ليست هي إلا المدرسة البدرية التي تنسب للأمير بيدمر البدري، أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون، كان أمير مائة ثم مقدم ألف ثم عين نائبًا لطرابلس وحلب، واستقدمه السلطان إلى القاهرة مغضوبًا عليه فعاقبه، وما برح حتى مات في سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)[٣].

وقد بقي من مخلفات هذه المدرسة قبة حجرية ومئذنة وواجهة جددت في سـنة (١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م)، وداخل المسجد يشـتمل على غرفة محمولة على جدران وبصدرها المحراب، وفي خارجها رحبـة بجزء منها ميضأة حديثـة، والقبة من النوع المضلع وهي صغيرة ومنسجمة، وبطرازها زخرفة من آيات قرآنية، وتجاورها مئذنة سـميكة قصيرة ومستديرة، وقد عملت بها وبالقبة أعمال تقوية في التاريخ المذكور[٤].

---

(١) فيما يتعلق بهذا الأثر والمنطقة من حوله، انظر: محمد أبو العمايم، درب ملوخيا والمنطقة شرقي القصر الكبير، **حوليات إسلامية رقم ٣٨** (القاهرة: المركز الفرنسي للآثار الشرقية، ٢٠٠٤).

(٢) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١١٦-١١٧.

(٣) عن سيرة بيدمر البدري أو أيدمر البدري، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٢، ق. ٣: ٧٥٤؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٥١٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٨٤؛ ابن شاهين، **نيل الأمل**، مج. ١: ١٥٠؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٤٩٧.

(٤) هذه المنارة كانت كاملة لكن لجنة حفظ الآثار العربية أزالت منها القسم العلوي لميل بها، وأعيدت عمارة هذه المنارة أخيرًا آخر القرن العشرين، دون إرجاع القسم العلوي. (المراجع)

جامع شاكر البقري (المدرسة البقرية)

أثر رقم ١٨ (سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)

هــذا الجامع بحارة العطوفية من شــارع باب النصر، أنشأه شمس الدين شــاكر بن غزيل المعروف بابن البقري ناظر الذخــيرة في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون، وتم إنشاؤه في سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) في عصر الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد، ورغب في أن يجعل منه مدرسة للشافعية ودراســة للتصوف وأوقف عليها أوقافًــا، وهو جامع فاخر بالغ منشــؤه في زخرفته وتنميقه حيثما يبدو من تفاصيله، وجعله مؤلفًا من مرافق ذات نظام خاص[1].

وصف الجامع

والمدخل إلى هذا الجامع من باب شارع بحارة العطوف رقم ٧١، وهو الباب العمومي للمسجد، وأعلاه مقنطر، وتتحلى واجهته بمجموعة من الرخام الملون بالأحمر والأسود، يتخللها قطع من الحجــارة من ذات اللــون، وفي جانبيه مصطبتان تعلوهما المذكرة التاريخية حفــرًا في الحجر، ومن هذا الباب نصل إلى بهو مكشــوف في جانبيه البحري والغربي مرافق المسجد، وفي الغربي باب صغير نصل منه إلى داخل المسجد.

ويلفت النظر فيــه نظامه المخصــوص غير المألوف في كثير من المــدارس الماثلة لدينا، فهــو يتألف من إيوان يحدق به في الجانبين القبلي والبحري خوختان مقوســتان؛ إحداهما تصل منها إلى القبة بباب صغير، يماثلها خوختان أخرتان خارج الإيوان بيد أنهما سقطتا منذ أمد بعيد وبقيا أثرهما، وفي صدر الإيوان المذكور محراب فاخر جدًّا، يتحلى بمجموعة من قطع الرخام الملون بالأحمر والأســود، مخمسة



نقش كتابي بجامع شاكر البقري «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

(١) تعرف هذه المدرسة الآن باسم جامع البقري، وهي تقع بحارة العطوف المتفرعة من شارع باب النصر بالجمالية، ويطلق عليها علي مبارك زاوية البقري، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٦٦، هامش ٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ١٢٨، هامش ١؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٥٤.



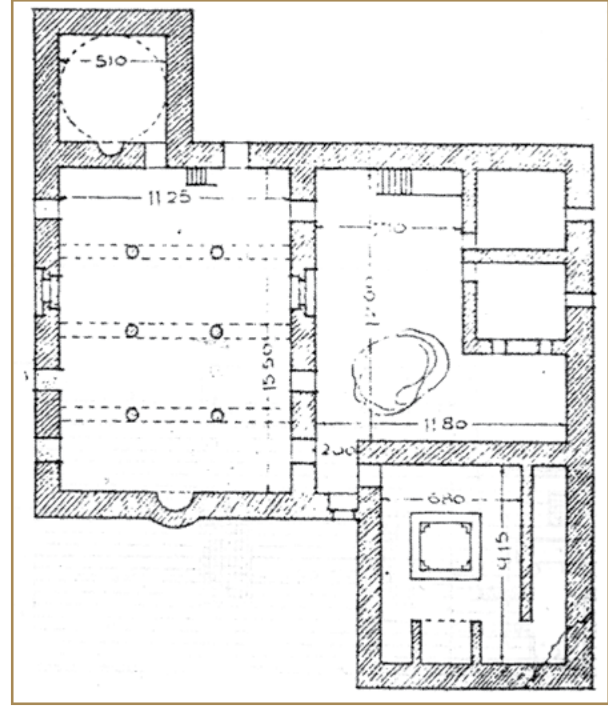
نقش كتابي بجامع شاكر البقري «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

الأركان متراصة إلى بعضها بطريقة هندسية تدل على أناة صاحبها وصبره؛ يتخلل كل قطعة منها إطار من الصدف البريق اللامع، وبأعلى المحراب زخرفة لا تقل جمالاً عن زخرفة الجزء الأدنى منه، أما واجهته فإنها مكسوة بقطع الرخام الملون من ذات اللون بنظام هندسي بديع، يتخللها طراز كتابي من الجص قوام زخرفته الكتابية آيات كريمة من سورة الفرقان؛ يقرأ فيها قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ ﴾ [الفرقان/ ١٠].

يقابله طراز آخر محلى بآيات قرآنية من سورة البقرة، وإلى جانب المحراب منبر من الخشب المنجور الملبس بقطع الصدف والسن؛ وهو من صناعة أوائل القرن التاسع كما سيأتي، وقد فقدت منه بعض أجزائه إلا أن الباقي منه أكثر مما فقد.

وعلى يمين ويسار المحراب، دواليب أبوابها من الخشب المنجور من نوع المنبر وسقف الإيوان جميعه تغطيه طبقة من السماوات ذات المكاسل ويظهر من البقية الباقية من نقوشه، أنها كانت فاخرة جدًّا وبنظام فريد، ومن الخوخة البحرية نصل من باب صغير إلى قبة المنشئ، وداخلها مربع الأركان تقريبًا في صدرها محراب متغاير، وفي حائطها البحري، قوس من الخشب المنجور إلا أنه بلي لقدمه.

ومنذ سقطت القبة آخر القرن المنصرم، لم يتصد أحد لتجديدها، واستعيض عنها بسقف منقوش بسماوات تقليدية، ونحن وإن لم نستطع وصف هذه القبة وصفًا دقيقًا إلا أنه يمكن القول بأنها كانت من نوع القباب الجصية المضلعة التي وجدت في العصر الناصري القلاووني، كما أن تفاصيل المسجد تجعلنا نميل إلى القول بأنها كانت قبة فاخرة، ولا يذهب بنا القول إذا قلنا إنها كانت في الشبه أقرب إلى قبة المدرسة الحجازية القديمة أو قبة المدرسة القاصدية منها إلى أية قبة أخرى، وكلتا القبتان يصح الاقتباس منهما لقربهما من هذه القبة بفارق زمني يسير [انظر هاتين المدرستين].



مسقط أفقي لجامع شاكر البقري «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

ويتوسط القبة صندوق من الخشب العادي حديث الصنع حل في محل الصندوق الرخام المندثر، ومن الخوخة البحرية الخارجة عن الإيوان نصل من باب صغير إلى دار الوضوء.

والجامع على حاله وشكله فيه الكثير من مخلفاته، أهمها تصميمه، وقد عثر الباحثون فيه على بقايا من زخارفه الكتابية وبعض مذكراته، فأودعت بالحائط الغربي المجاور لباب الخروج، وفيها ما يكون طرازًا من الجص تنقصه بعض أجزاء زخارفه الكتابية آيات كريمة من سورة تبارك - الملك.

وقد نقلت مجموعة هامة من مخلفات هذا الأثر إلى دار الآثار العربية، أهم ما فيها: باب كامل بمصراعين من الخشب المنجور المطعم بالسن، وفي هذا الباب ظاهرة غريبة تبدو في قفله المتخذ في علو المصراع الأيمن وسفل المصراع الأيسر، ثم شباك كامل من خشب النبق مطعم بالسن.

تجديد المسجد

أول تجديد طرأ على هذه المدرسة هو ما قام به المعلم داود بن الكويز كبير مهندسي القاهرة في عهد الملك الأشرف برسباي، فإنه في سنة (٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م)، استصدر أمرًا من السلطان بإقامة الخطبة في هذه المدرسة، وقد أحدث بها من أجل هذا الغرض ذلك المنبر القائم بها إلى اليوم، خلا بعض مفردات مفقودة منه، ثم جدد جميع أخشابها وأبوابها وقوى ما تصدع منها[١].

وفي حوالي سنة (٨٧٦هـ/ ١٤٧١م) جدد الملك الأشرف قايتباي أوقاف هذه المدرسة وجدد ما تصدع منها وأوقف عليها مصحفًا بكرسي فاخر، وقد بقي المصحف بمعرض دار الكتب حتى اليوم[٢].

وفي سنة (٩٣٨هـ/ ١٥٣١م) جدد المدعو زين العابدين دار الوضوء، وبنى حوضًا لسقيا البهائم بجانب الجامع بالجهة الغربية، وأوقف على ما جدده بها أوقافًا، وهذا التجديد لم يشر إليه أحد ممن كتب عن هذه المدرسة، ودلت عليه المذكرة التاريخية الآتية.

وفي سنة (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م) قامت نظارة الأوقاف بتجديد المنبر وسقف التربة وما تصدع من جدران حوائط المسجد، وفي جمادى الأولى سنة (١٣٦٠هـ)/ يونيه سنة (١٩٤١م)، اشتركت وزارة الأوقاف مع لجنة حفظ الآثار العربية في تجديد قاعدة وجهة القبة وتبليطها، وإعادة دورة المياه وترميم المتصدع من الجامع وتقويته، ولا يزال العمل مستمرًّا ولما يتم بعد.

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٦٩؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٤: ٦١١.

(٢) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ٥٥.

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى: بجانبي الباب

البسملة، ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين، أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة ابتغاء لوجه الله وطلبًا لرضوانه العبد الفقير إلى الله تعالى شمس الدين شاكر بن غزيل وذلك بتاريخ عام ست وأربعين وسبعمائة من الهجرة

المذكرة الثانية: روسم ملصق بالحائط الغربي إلى جانب بعض أجزاء من الطراز المتقدم الذكر مما عثر عليه، مكتوب به ما نصه:

البسملة، جدد هذا المكان المبارك وجعله لسقي البهائم ورش المكان ولم يستحم فيه، وجدد أيضًا الساقية وجعل بها بوابًا مقيمًا وجعل عليها أوقافًا، وذلك من فضل الله تعالى زين العابدين بتاريخ سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة

المذكرة الثالثة: بالمنبر

جددت هذا المنبر المبارك لجنة حفظ الآثار العربية في عصر خديوي مصر الأعظم عباس حلمي الثاني الأفخم أطال الله أيامه وذلك في عام إحدى وعشرين وثلثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية المحمدية

ترجمة المنشئ

منشئ هذا المسجد كان في بادئ أمره مسيحيًّا؛ وينسب إلى دار البقر قرية بمديرية الغربية مركز المحلة الكبرى، يوجد من اسمها الآن قريتان: الأولى دار البقر البحرية، والثانية القبلية، وقد تغير اسميهما بالقرار المالي الصادر في (١٥٣١هـ/ ١٩٣٢م) إلى الجابرية للأولى، والعامرية للثانية.

وأسلم في عصر الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد وقد حسن إسلامه، وتقرب إلى الله تعالى ببناء هذه المدرسة في عصر الملك الكامل شعبان، ولما تولى السلطان الملك الناصر حسن عينه ناظرًا للذخيرة، وما برح متقلدًا هذه الوظيفة متقلبًا إلى غيرها حتى مات في شوال سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) في قول المقريزي، وفي قول ابن حجر.

وقد أدرك من ملوك الدولة الناصرية القلاوونية من تولى الملك من أولاد الملك الناصر وأحفاده حتى آخرهم الملك الناصر حاجي بن الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد، واتفق المقريزي وابن حجر على دفنه بمدرسته[1].

الشيخ البقري

وقد دفن في هذه المدرسة فيما هو منقول عن بعض الشيخة، الشيخ شمس الدين محمد بن قاسم بن إسماعيل البقري أحد علماء القراءات بالقاهرة، [ولد سنة (١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م)، وتوفي في ٢٤ جمادى الثانية سنة (١١١١هـ/ ١٦٩٩م)]، أخذ القراءات عن عبد الرحمن اليمني، والحديث عن البابلي والحلبي واللقاني، والفقه عن المزاحي والزيادي والشوبري والمنياوي، والتصوف عن عمه موسى بن إسماعيل البقري وعن عبد الرحمن الحلبي الأحمدي، ترجمه الجبرتي في وفيات هذه السنة، ولم يذكر دفنه بهذه المدرسة، ودفن بها أيضًا الشيخ مصطفى القباري.

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٦٦-٥٦٩.

جامع آق سنقر الناصري «إبراهيم أغا»

أثر رقم ١٢٣ (سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)

هذا الجامع بشارع باب الوزير، بدأ بإنشائه الأمير آق سنقر الناصري أحد أمراء الدولة الناصرية لستة عشر يومًا مضت من شهر رمضان المعظم سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)، في عهد الملك المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وافتتح بالصلاة فيه، يوم الجمعة الثالث من شهر ربيع الأول، وبالرغم من إقامة الصلاة فيه بصورة جامعة مشهودة بعد البدء في بنائه بخمسة أشهر وأقل من عشرين يومًا؛ فلم تتم زخارفه الكتابية وغيرها في المسجد والتربة التي أعدها المنشئ لدفنه في الجهة القبلية المجاورة للمسجد مباشرة إلا بعد أشهر من موته، وقام بإجراء هذه الأعمال جميعها غيره.

وهو ككل المساجد الجامعة، يتكون من أربع بلاطات يحيط بها صحن مكشوف، ويقول المقريزي في ترجمته: «وبناه بالحجر وجعل سقفه عقودًا من حجارة، ورخمه واهتم في بنائه اهتمامًا زائدًا»، وأفاد أن المنشئ «ألحق في جواره تربة للدفن وبنى إلى جانبها مكتبًا لتعليم الصغار بأسفله سقاية ماء»[1].

وقد دفن المنشئ في هذه التربة، ابنًا له مات مراهقًا، وقد دثرت هذه التربة وما يجاورها، واستبدل إبراهيم أغا بها ذلك القبر المتواضع القائم بالرواق القبلي، في جوار الباب واكتفى به أن يكون إشارة لدفن آق سنقر بهذا المسجد، ولم يعد بناء السبيل والسقاية، فحل في محلها مبنى آخر.

ويؤخذ مما ذكره المقريزي أن موضع هذا الجامع كان فيه مقبرة للدفن[2]، وهو ما يؤيده بقايا هذه المقابر للآن التي لم يمتنع منها الدفن، إلا منذ قرن ونصف القرن، بدليل ما يقرأ على شواهد القبور المتخلفة من بقاياها.

والمتأمل إلى هذه البقايا، يجد أنها تشغل الجزء الشرقي من المسجد؛ أما الجهة القبلية فكانت مشغولة بآثار أخرى منها: دار الأمير ألين آق الحسامي الأشرفي المنشأة في سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)؛ وتوفي منشؤها مقتولاً من الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)[3]، وهي التي آلت فيما بعد إلى أيتمش البجاسي في سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)[4]، ثم

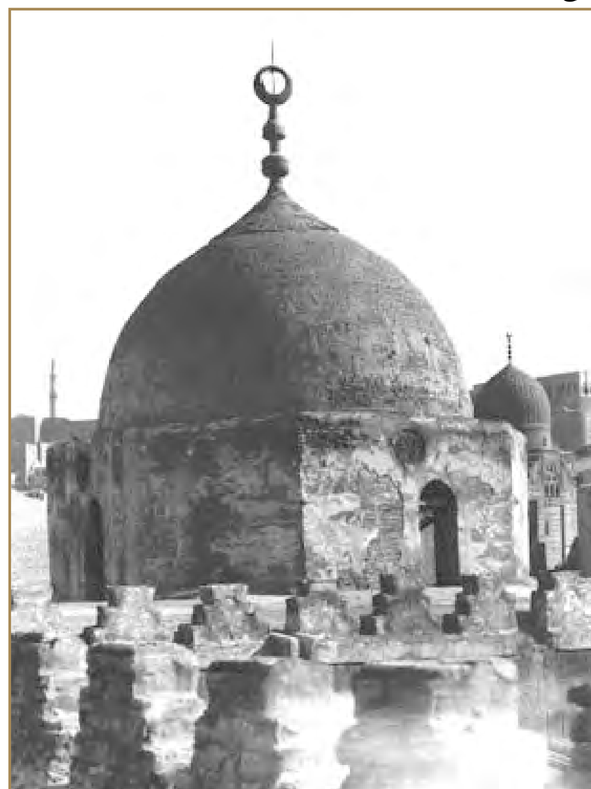
(١) المرجع السابق، مج. ٤، ج. ١: ٢٣٩.

(٢) المرجع السابق: ٢٤٠.

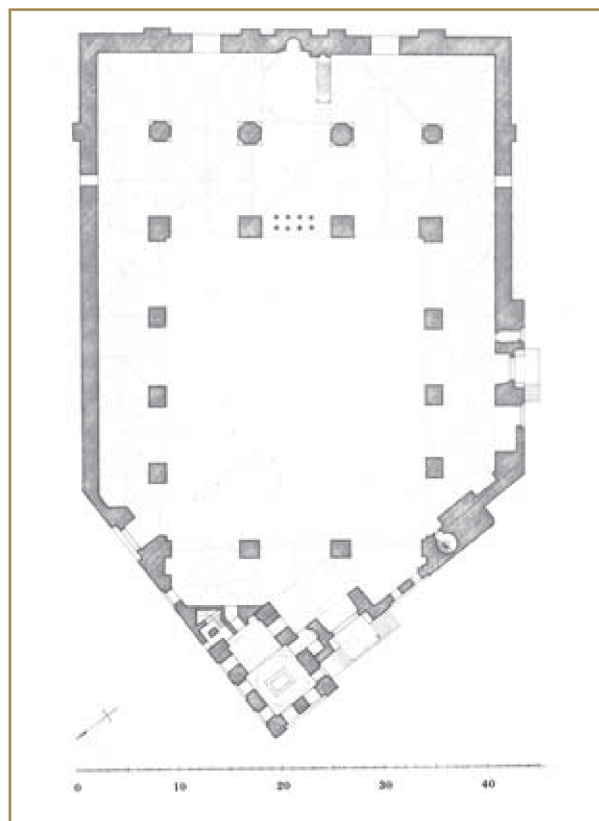
(٣) قتل زمن الأشرف خليل بن قلاوون، انظر: عبد اللطيف إبراهيم، **الوثائق في خدمة الآثار**، ضمن المؤتمر الثاني في بغداد سنة ١٩٥٧): ٢١٩.

(٤) عن تحديد موضع دار أيتمش البجاسي بخط باب الوزير، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٨٠، هامش ٢.


جامع آق سنقر «عن كريسويل»


قبة جامع آق سنقر «عن كريسويل»


محراب جامع آق سنقر «عن مساجد مصر»



مسقط أفقي لجامع آق سنقر «عن Islamic Art Network»

إلى بارسباي الأينالي[١]، ثم إلى برسباي الدقماقي ملك مصر في سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م)، وأخيرًا إلى خاير بك من بلبان الجركسي في سنة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م)[٢]، ثم سكنها إبراهيم أغا مستحفظان، ومنها بقية إلى اليوم، وسنذكرها في جزء الدور.

ومنها قبة خوند زهرة بنت الملك الناصر محمد ابن قلاوون وهي باقية إلى الآن، والمؤكد أنها القبة المعروفة [بالباز] أو التي تجاورها، إذ أن السخاوي وابن إياس كلاهما متفق على أن قبة خوند زهرة الناصرية خلف بيت أيتمش، وقد استعملت هذه القبة في يوم ما مخبأ لبعض الأمراء في عصر المماليك [راجع ابن إياس][٣].

---

(١) برسباي الأشرفي إينال ثم الظاهري: ملكه وصيره خاصكيًّا دوادارًا، حتى كان من القائمين بقتل الدوادار جانبك، ولزم من ذلك أن تجرأ على أستاذه، واتفق هو والأجلاب على قتله ووصل له علم ذلك، فبادر برسباي إلى الاختفاء ثم أمسك وجيء به إليه، فعاتبه ثم ضربه أزيد من ألف عصا ثم وسطه في الحوش في تاسع صفر سنة (٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م)، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٧.

(٢) المقر السيفي خاير بك من ملباي: قيل كان اسم أبيه ملباي الجركسي، وكان جنسه أباظيًّا، وكان له خمسة من الأولاد، وهم كسباي وخضر بك وجان بلاط وقانصوه وخاير بك، فأما كسباي فمات بالطاعون في دولة الأشرف قايتباي، ومات= خضر بك أيضًا، وأما جان بلاط فإنه صار مقدم ألف ومات في دولة الناصر محمد بن الأشرف قايتباي، وأما قانصوه فإنه كان يعرف بالبرجي فولي نيابة حلب ونيابة الشام ومات في دولة الغوري، وأما المقر السيفي خاير بك فإنه ولد بقرية يقال لها صمصوم بالقرب من بلاد الكرج ولم يولد ببلاد جركس، وقيل أن أباه ملباي قدمه للأشرف قايتباي ولم يكن قط قد دخل تحت رق، ولهذا يعرف بخاير بك من ملباي، يعني أباه ملباي، ثم أن الأشرف أنزله بالطبقة وصار من جملة المماليك السلطانية، ثم أخرج له خيلاً وقماشًا وصار من جملة الجمدارية، ثم قرره خاصكيًّا وجعله دوادار سكين، ثم بقي أمير عشرة سنة (٩٠١هـ/ ١٤٩٥م)، ثم بقي أمير طبلخاناه في دولة الناصر محمد بن قايتباي، وأرسله قاصدًا إلى السلطان أبي يزيد بن عثمان ملك الروم في سنة (٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م)، ثم بقي أمير مائة مقدم ألف في دولة الأشرف جان بلاط، وخرج إلى بلاد الشام صحبة العسكر لما خرج إلى قتال قصروه نائب الشام، فلما تسلطن طومان باي العادل هناك سجن خاير بك في قلعة الشام، فلما حضر العادل إلى مصر أفرج عنه وأحضره إلى مصر وأنعم عليه بتقدمة ألف، فلما تسلطن الأشرف الغوري جعله حاجب الحجاب، واستمر على ذلك حتى توفي أخوه قانصوه المحمدي البرجي نائب الشام نقل سيباي نيابة حلب إلى نيابة الشام واستقر خاير بك في نيابة حلب عوضًا عن سيباي سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، واستمر على ذلك حتى تحرك على السلطان الغوري سليم شاه بن عثمان وانكسر الغوري، أخلع السلطان سليم على خير بك وجعله نائبًا عنه بمصر، عوضًا عن يونس باشا، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٥: ٢٠٤.

(٣) شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر في أبناء العمر**، تحقيق حسن حبشي، مج. ٢ (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٤): ٩٦.

أمـــا القبة التي تتوســط بقايا القبــور التي في داخل الجبانة شرقي مســجد آق ســنقر؛ فهي للشيخ البلقيني من شيوخ القرن العاشر «انظر قبة البلقيني».

والداخل من الباب العمومي لهــذا الجامع، يقابله من الجهــة البحرية قبــة الملك علاء الدين كجــك بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهذه القبة سبقت إنشاء المسجد بستة عشر شــهرًا، وكانت بمعزل عن المسجد فأدخلت فيه عند تأسيســه، وهي قبة فريدة في نوعها، داخلها وخارجها يمثل منظرًا غير مألوف في كثير من القباب التي تعاصرها.

أنشأها الملك الكامل شــعبان بن الناصر لأخيه الملك اليافع الأشرف علاء الدين كجك الذي بويع له بالملك بعد أخيه المنصــور ولما يبلغ الثامنة من عمره، ثم عزل بعد أقل من نصف سنة، وتولى أخوه الناصر أحمد، ومولده في أول سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م)، وتوفي لأيام مضت من شهر جمادى الأولى ســنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)، وبنيت له هذه القبة إثر دفنه بقبر أعد له خصيصًا تجاه قبة شــقيقته الخوند زهرة بنت الملك الناصر محمد وتمت بعد أشــهر مــن وفاته، وكجك تترجم ترجمة صحيحة بمعنى الابن الصغير البار؛ أو المطيع[١].

وتعلو واجهة المســجد جنوبًا منارة مســتديرة ذات ثــلاث طبقات، ولهذه المنارة طابــع خاص يظهر في خنصر صدرها، وتبدو فيها ظاهرة غريبة في دورتها وطباقها تجعلها مميزة عن منارات ذلك العصر بكثير من الفوارق المعمارية.

تجديد المسجد

لم يطرأ على هذا المسجد تجديد يستحق الذكر في المدة من بين إنشــائه إلى ســنة (١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م)، بيد أن الأمير طوغان الدوادار صاحب الأثر المتغاير؛ الكائن بحارة برجوان من القاهرة، أنشــأ في ســنة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م) نافورة بصحن المسجد، وقد بقيت هذه النافورة زمنًا حتى درست وحل في محلها مرافق أخرى[٢].

وفي ســنة (٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م) في عهــد الملك الظاهر خشــقدم الناصري، رأى بعض الناس حضرة النبي ﷺ في منامه يصلي في محراب هذا المسجد، فاتخذ أهالي القاهرة من هذه الرؤيا تسمية الجامع بجامع النور إلى جانب اسمه الآخر، وبهذه المناسبة أجريت في الجامع بعض إصلاحات وتقويات في نفس هذا التاريخ.

وفي سنة (١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م) أصاب المسجد عطب كبير عقب الزلزلة الــتي وقعت بالقاهرة في ذلك الوقت فأضرت

(١) كجك بن محمد بن قلاوون: الملك الأشرف بن الناصر بن المنصور الصالحي، ولي السلطنة وعمره خمس سنين تقديرًا، وذلك في أواخر صفر سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، واستمر مدة يسيرة، وقوصون مدبر المملكة إلى أن حضر الناصر أحمد من الكرك فخلع وأدخل الدور إلى أن مات في سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٧٧٥؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٣: ٢٦٥-٢٦٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ٢١-٤٩؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٩: ١٢٠-١٢٢.

(٢) طوغان الحسني الظاهري برقوق الدوادار: كان يعرف بالمجنون، ممن رقاه الناصر فرج حتى عمله مقدمًا ثم دوادارًا كبيرًا، وباشرها بحرمة وعظمة إلى أن خامر مع جماعة كان الناصر قدمهم أمامه إلى البلاد الشامية، وانتموا لشيخ ونوروز، واستقر به شيخ حين نظاميته في الدوادارية، فلما تسلطن استمر فيها، وتزايدت عظمته، ثم ركب هو ومماليكه على السلطان فلم يسانده أحد فاضطر إلى الهرب، ثم وجد بمصر القديمة، فحمل إلى القلعة، ثم أرسل إلى الإسكندرية، فسجن بها حتى قتل في المحرم سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)، وهو والد الناصري محمد، وهو صاحب المدرسة برأس حارة برجوان من الشارع وبها ضريح وسبيل وربع ودار المجاورين لبيت البلقيني من حارة بهاء الدين، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٤: ١١-١٢.

به ضررًا بليغًا، إذ سقطت أساطين الرواق القبلي، وسقف الرواق الشرقي، وقوضت أركان قبة الأمير آق سنقر منشئ المسجد وأسقطت غطاءها، فتصدى لتعميره وتجديد ما وهن منه الأمير إبراهيم كتخدا مستحفظان؛ أحد موظفي مأمورية الضبط في عصر الوزير عبد الرحمن باشا.

فأصلح ما أتلفه الزلزال بالبلاطات الثلاثة الشرقي والقبلي والبحري، وأقام دعائمها وأساطينها وجدد سقفها بالخشب ولم يعقدها بالحجر كأصلها، وغشي حائط القبلة والمحراب بالفصة الزرقاء المشجرة، ومنها جاءت التسمية إلى هذا الجامع عند الجوابة وعلماء الآثار من الفرنجة [بالجامع الأزرق].

وفي سنة (١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م) بنى إبراهيم أغا لنفسه في قطعة من مؤخر الرواق القبلي لجهة الغرب غرفة استخدمها تربة له، وقد اعتنى بها عنايته بالرواق الشرقي، فكسى حوائطها بغضائر القاشاني الأزرق المشجر من نوع القاشاني المستخدم في بيت الصلاة، وقد استغرقت هذه العمارة التي خصت المسجد عامًا كاملًا كما تدل عليه النصوص التاريخية الآتية.

ولم يطرأ على المسجد بعد ذلك التاريخ عمارة كبيرة أخرى إلا في سنة (١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) في عهد الخديو محمد توفيق ونظارة محمد حمدي باشا للأوقاف العمومية، فأصلحت منارته وجددت المواضع المتخربة منه، وقومت جدرانه وجددت دار وضوئه، ثم توالت عليه بعد ذلك تجديدات أخرى من سنة (١٣٢٥ إلى ١٣٤٩هـ/ ١٩٠٧- ١٩٣٠م)، تناولت فيه بناء حاجز للطابق الثالث من المنارة، وتقويم أقواسه وإصلاحها وتنظيم رخام المحراب، وكشف واجهاته وتنظيم زخارفه الفصية، وتقوية قاعدة المئذنة وتجديد بعض الأحجار البالية بأحجار أخرى جديدة، وإصلاح دار الوضوء بنظام أحكم، وبهذه التجديدات جميعها عاد إلى الجامع بهاؤه ورونقه.

وصف الجامع

المدخل إلى هذا المسجد من أبواب أربعة، أهمها الباب الغربي، ومنه بعد صعود عدة درجات نصل إلى مدخل تجاوره تربة الملك كجك، تعلوها قبة فريدة وصحن المسجد محاط بأربع بلاطات، منها ثلاث مجنبات تحملها أساطين ودعامات بعقود، والبلاط الشرقي يلفت النظر بواجهته التي يكسوها غضائر القلشاني الأزرق المشجر، المقوم بزخارف نباتية متناسقة غاية التنسيق.

ثم بمحرابه المزخرف الموشى بالفصة وقبته المقرنصة، ثم بالمنبر الرخام الفاخر وبابه الخشبي المنجور المحشي، وهو من المنابر الرخامية ذات الألوان المزدوجة النادرة الوجود؛ وقد سبقه في القاهرة منابر أخرى من نوعه في عصور أولها سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) [انظر المقدمة من هذا الكتاب].

ثم بدعاماته المقوسة الثمانية الشكل التي يقوم عليها الرواق، ثم بالسدة الرخامية المحمولة على أسطوانات، وواجهة البلاط الشرقي ترتكز على دعامات فوقها أقواس يتخللها أسطوانتان، وبالمجنبة القبلية تربتان محدثتان: الأولى لآق سنقر منشئ المسجد، والثانية لإبراهيم مستحفظان مجدده، وداخلهما من أسفل لأعلى مؤزر جميعه بالفصة الزرقاء المشجرة، يتوسطها قبر يعلوه صندوق من الرخام على الطراز التركي، وقد دفن فيه المنشئ بعد سنة (١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م)، وبينهما الباب القبلي وفي طرف هذا البلاط باب صغير

يؤدي إلى المئذنة، ويتوسط المجنبة الغربية باب المسجد العمومي، وفيه القبة البادئة الذكر.

وبالمجنبة البحرية باب المسجد البحري، وباب آخر يؤدي إلى دار الوضوء والمنافع الحديثة، ويقوم في وسط الصحن مصلى تجاورها مزرعة حلت في محل النافورة، وفي جوار الباب القبلي لجهة الشرق بقايا من ملحقات المسجد المندثرة[١].

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى: بالباب القبلي في أربعة أسطر وهي أقدم المذكرات التي وجدت بهذا الجامع وقد كتبت بعد إنشائه بأشهر.

البسملة... إنما يعمر ... إلى الآخر أنشأ هذا الجامع العبد الفقير إلى الله تعالى آق سنقر الناصري تغمده الله برحمته، وكان ابتداء عمارته سادس عشر رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وسبعمائة، وكانت الصلاة فيه يوم الجمعة ثالث ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، وتوفي إلى رحمة الله تعالى تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية[٢]

المذكرة الثانية: بواجهة قبة الملك كجك.

البسملة... كل نفس ذائقة الموت هذه القبة المباركة عمرت لدفن العبد الفقير إلى الله تعالى مولانا السلطان السعيد الشهيد الملك الأشرف علاء الدين كجك وكانت وفاته في شهر جمادى الأولى من سنة ست وأربعين وسبعمائة[٣]

المذكرة الثالثة: بواجهة المدفن المرموز به إلى قبر سنقر.

هذا قبر المرحوم آق سنقر الناصري المعروف بجامع النور وكان ابتداؤه سادس عشر رمضان سنة سبع وأربعين وسبعمائة والفراغ منه سنة ثمان وأربعين وسبعمائة[٤]

المذكرة الرابعة: فوق الشباك الذي يجاور الباب القبلي في ستة أسطر.

البسملة، إنما يعمر إلى ولم يخش إلا الله. عمر وجدد هذا الجامع الشريف المبارك إبراهيم أغا مستحفظان حالا بتاريخ سنة إحدى وستين وألف من الهجرة النبوية[٥]

المذكرة الخامسة: على باب مدفن مستحفظان في خمسة أسطر.

أنشأ هذا المدفن المبارك من فضل الله تعالى في زمن عبد الرحمن باشا حاكم مصر المحروسة إبراهيم أغا مستحفظان حالا بتاريخ سنة ١٠٦٢ [٦]

(١) حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ١٥٢- ١٥٥.
(٢) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 201.
(٣) المرجع السابق: ١٩٧.
(٤) المرجع السابق: ٢٠٢.
(٥) المرجع السابق: ٢٠٤.
(٦) المرجع السابق: ٢٠٥.

المذكرة السادسة: بأعلى البلاط الشرقي وهي لإبراهيم مستحفظان؛ تبتدئ بالبسملة، ثم بأبيات من الشعر تركية تنتهي بمثل النص المتقدم[1].

المذكرة السابعة: في شمال المحراب؛ ذكر فيها السبب الذي من أجله تسمى هذا المسجد بجامع النور وهي منقولة من نص مفقود بتصرف وزيادة.

رأى النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المحراب المبارك في ليلة السبت تاسع شهر ذي القعدة الحرام سنة ثمان وستين وثمانمائة وهو قائم يصلي؛ عمر هذا الجامع الشريف إبراهيم أغا مستحفظان حالا في تاريخ سنة ١٠٦٢.[2]

المذكرة الثامنة: بأسكفة باب المنارة، نثرًا ونظمًا، تشير إلى عمارة هذا المسجد في عهد الخديو توفيق.

ترجمة المنشئ

والمنشئ لهذا الجامع هو الأمير آقسنقر الناصري «سنقر: اسم طائر من الطيور الجارحة، قرا: أسود؛ وسمي بذلك لسمرته وشدته» كان مملوكًا للملك المنصور أولاً ثم صار إلى غيره، حتى كان في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون أمير مائة، وأخيرًا عين نائبًا للسلطنة في غزة وصفد ثم مصر، وقد صاهر الملك الناصر في إحدى بناته، والمؤكد أنها هي خوند زهرة الناصرية المذكورة آنفًا، ولما مات الملك الناصر، بدأ نجم آق سنقر يأفل وما برح حتى قتل في ربيع الثاني سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، ونقل إلى جامعه فدفن به علي ابنه الصغير[3].

ترجمة إبراهيم أغا

وإبراهيم أغا الذي نسب إليه هذا الجامع اليوم، هو الأمير إبراهيم أغا مستحفظان (أي من رجال الحفظ والأمن) كان يتولى هذه الوظيفة بباب القلعة في عهد الوزير عبد الرحمن باشا حاكم مصر العثماني[4]، ويوصف بالكرم والسخاء والميل إلى فعل الخيرات، وله مآثر ويد طولى في تعمير المساجد الخربة كهذا المسجد ومسجد المارداني، وسكن أخيرًا في دار أيتمش المذكورة فيما تقدم، وبني إلى جوارها حوضًا لا يزال باقيًا لليوم يحمل مذكرة تاريخية [٢٤٩ أثر] هذا نصها:

جدد هذا الحوض المبارك من فضل الله تعالى وعونه الأمير إبراهيم أغا مستحفظان حالا بمصر سنة سبعين وألف

وهذا النص، يدحض الرأي السائد بنسبة هذا الحوض إلى عبد الرحمن كتخدا، كما أنه يوضح لنا امتداد عمر إبراهيم أغا حتى هذا التاريخ.

(١) المرجع السابق: ٢٠٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) عن سيرة الأمير شمس الدين آقسنقر الناصري، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٤٤-٢٤٦؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٣٩٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٧٨-١٨٠؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٢: ٤٩٦-٤٩٩.

(٤) عبد الرحمن باشا الخادم: قدم مصر في ثاني عشر ربيع الأول سنة (١٠٦١هـ/ ١٦٥١م)، وكانت مدة ولايته سنة وسبعة أشهر، ولم يحصل في زمنه قيل ولا قال، ولا نزاع ولا جدال، وكانت أيامه بمصر أحسن الأيام، ثم عزل عن مصر وتولى أبو النور محمد باشا، انظر: السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١٣٩.

جامع أرغون شاه الإسماعيلي

أثر رقم ٢٥٣ (سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)

هذا الجامع بشارع الناصرية رقم٣٨، أنشأه الأمير أرغون شاه الإسماعيلي في سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، في أواخر عهد الملك المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، ذكره المقريزي في الخطط، وقال: «أنه أنشئ في شعبان من هذه السنة»[١]؛ وهو مطابق لما جاء بالنص التاريخي المثبت بباب هذا الجامع في العبارة التالية:

البسملة.. أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك السعيد من إنعام الله عليه العبد الفقير إلى الله تعالى أرغون شاه الإسماعيلي وكان الفراغ من ذلك في شهر شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة[٢]

وثمت مذكرة أخرى على أسكفة باب المنبر يقرأ فيها ما يأتي:

البسملة... إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وكان الفراغ في شهر شعبان المكرم سنة ثمان وأربعين وسبعمائة[٣]

بَيْدَ أن هذه المذكرة نقلت إلى دار الآثار العربية، وحل محلها النص الآتي:

جددت هذا المنبر لجنة حفظ الآثار العربية في سنة ست وعشرين وثلاثمائة وألف وبجانبي الباب القبلي مذكرة أخرى تبتدئ بالبسملة وتنتهي بنفس المذكرة الواردة بالباب البحري.

وصف المسجد وتجديده

والمدخل إلى هذا الجامع من بابين، كلاهما بواجهته الشرقية، أما الباب الأول البحري، فهو باب جميل رغم قدمه، بواجهته زخارف من قطع الرخام الملون بالأحمر والأسود والأبيض، وفيها ما يمثل مربعات داخلها رسوم هندسية يتوسطها اسم الجلالة، وبأعلاه مقرنص يلفت النظر بتقويسه ونظام دلاياته؛ والباب القبلي يماثل هذا الباب إلا أنه أقل منه تقويسًا.

ويجاور الباب الأول مئذنة تبتدئ بقاعدة حجرية حتى الطابق الأول وأعلاها من الطوب المطلي بالجص، وعلى قمتها خوذة مثلثة الأركان، ويبدو من النظر إليها أنها أشبه شيء بالمآذن الفارسية ذات النوع الخاص، وتذكرنا هذه المئذنة بقمتها بعض ما يماثلها من النصب التذكارية الحديثة، وقد أجريت فيها عدة ترميمات في قاعدتها آخرها في سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م).

---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٣٢٩.
(٢) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 199.
(٣) المرجع السابق.



مدخل جامع أرغون شاه
«عن لجنة حفظ الآثار العربية

أمـــا داخل الجامع فهـــو عبارة عن نصف مســـاحته الأولى، مستطيل الشكل وفي صدره بيت الصلاة، يحمل سقفه خمس دعامات حجرية، يقابلها في جدار القبلة خمس نوافذ بمشبكات من الخشـــب العادي، وأهم ما في هذا الرواق منبر الجامـــع الأصلي؛ فهو مع قدمه وتناقـــص بعض أجزائه يبدو منبرًا فاخرًا من نوع المنابر الممتازة، وهو من الخشب المنجور الملبس بالسن، وقوام زخارفه أشكال هندسية ومربعات ذات إطـــارات في داخلها زخارف نباتية، ويعلو جانبيه حاجز من الخشب المشبك الكروي، وأهم ما فيه جنباته ولا تزال باقية على أصلها ويبدو فيها أثر تصليح وتكميل ملائم.

وليس في الجامع كله من مخلفات هذا الأثر غير بابيه المذكورين والمئذنـــة والمنبر وبعض زخارف جصية متخلفة من شـــباك شرقي في جوار باب الســـطح، وقـــد أصلح هذا المســـجد في أوائل هذا القرن إصلاحًا ممكنًا، ولم يطرأ أي تجديـــد بعد هذا التاريخ خلا مرمات في بابيه آخرها ســـنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م).

والمؤكد أن هـــذا الجامع بدأ يظهـــر لأول مرة في هذه المنطقة بعد ذهـــاب دولة الملك الناصر محمـــد وقيام دولة ولده الملك المظفر حاجي، وقد كانت هذه المنطقة مشغولة في أوائل القرن الثامن بعدة منشآت للملك الناصر محمد، منها البركة الناصرية التي أمر بحفرها سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م)، وكانت في غربي هذا الجامع، تســـتمد مياهها من فرع النيل البحري المجاور للأرض الشرقية من بستان الخشاب في جانب موردة البلاط، حيث المنطقة التي نسميها الآن بشارع حوض اللبن والشـــفا من أرض القصر العالي، ويؤكـــد المقريزي أن هذه البركة امتدت حتى بلغت مســـاحتها سبعة أفدنة أي حوالي ٢٩٤٠٥/٨١ متر، وبلغوا بها في الحفر حتى كنيسة الزهري التي كانت قائمة في محل ضريح كعب الأحبار بشـــارع الناصرية، ومن خلف هذه البركة لجهة الشرق كان مدخل شارع خيرت حتى ملتقاه بشارع يعقوب مشغولاً بميدان السباق الناصري الذي أنشـــأه هذا الملك نفسه في ســـنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)، وهو الميدان الذي عـــرف بالمهاري «جمع مهر» في أول العهد به ثم عرف بعد حين حتى القرن التاسع بميدان الخيل[1].

وما برحت هـــذه البركة قائمة حتى تناقصت وأخذت مساحتها تتقلص حتى ردمت نهائيًا، وقام في محلها بساتين عرفت ببســـاتين الناصريـــة، وكان فيها بقية من بســـاتين عبد الوهاب الزهري صاحب هذه المنطقة في القرن الثالث الهجري[2].

---

(١) ميدان المهاري: هذا الميدان بالقرب من قناطر السباع في بر الخليج الغربي، كان من جملة بستان الزهري، أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)، وكان مخصص للخيل التي يقتنيها الملك الناصر، وما برحت الخيول موجودة في هذا الميدان حتى كانت أيام الظاهر برقوق في سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)، وموضعه الآن المنطقة التي تحد من الجنوب بشارع المبتديان وهو كان في ذلك الوقت الطريق السالك إلى الميدان الناصري، ومن الشرق بشارع الناصرية، ومن الشمال بشارع الجامع الإسماعيلي، ومن الغرب شارع نوبار باشا، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٦٣٠-٦٣١؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٢: ٢٠١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٠٤، هامش ٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٤٥٣.

(٢) البركة الناصرية: من جملة جنان الزهري، صار موضعها كيمان إلى أن أنشأ الناصر ميدان المهاري سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)، وقصد بناء الزربية بجوار الجامع الطيبرسي، ولقلة الطين اللازم لأعمال البناء أمر الناصر بحفر بركة بعد أن عاين موضعها بنفسه، ونقل الطين منها للبناء وأجرى إليها الماء من جهة الميدان السلطاني وتحكير ما حولها وأن تعرف بالبركة الناصرية، وذلك في سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م)، إلى أن تخرب ما حولها في حوادث سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)، وقد سجلها علماء الحملة الفرنسية على خريطة القاهرة باسم بركة ستي نصرة أو بركة السقائيين، وموضعها الآن المنطقة التي يخترقها شارع ستي نصرة، ومن الشرق شارع محمد=

وكان بين هذا الجامع وبين مدخل شارع الناصرية باب عرف بباب الناصريـــة، وقد بقي هذا الباب إلى عصر العزيز محمد علي باشا، وكان يجلس عليه أمير من رجال الحفظ يسمى مستحفظان، فلما أزيل هذا الباب ألغيت هذه الوظيفة.

منشئ المسجد

ومنشئ هذا المسجد هو الأمير أرغون شاه الإسماعيلي من أمراء الدولة الناصرية، وعينه الملك الناصر حســـن بن محمـــد بن قلاوون لأول اعتلائه عرش مصر في المدة الأولى نائبًا للســـلطنة بدمشق، فبقي بها إلى سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، وفيها ثار عليه الأمير ألجاي بغا المظفري فقتله[١]، ويوصف بأنـــه كان دينًا كثير الخير؛ ميالاً للعلم حســـن الخط، كتب بخطه الكثير من الكتب والحكم والآيات والأحاديث[٢].



مئذنة جامع أرغون شاه «عن كريسويل»

= فريد «الجزء الجنوبي من شارع عماد الدين»، ومن الغرب شارع مصطفى كامل، ومن الجنوب شارع الجامع الإسماعيلي، ومن الشمال شارع الشيخ ريحان، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٥٤٩-٥٥٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ١٩٤، هامش ٢؛ مج. ١٢: ٨٦، هامش ٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٤٥٥، ٤٦٠.

(١) ألجيبغا المظفري: كان عالي الرتبة عند المظفر حاجي، فلما قتل استمر من جملة أمراء المشورة في دولة الناصر حسن الأولى، إلى أن وقع الخلاف بين الأمراء فأخرج إلى دمشق، ثم ولي نيابة طرابلس، احتال على قتل أرغون شاه، فأنكر السلطان عليه فعله وقبض عليه، وأمر بتوسيطه بسوق الخيل في سنة (٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م)، ولم يكمل العشرين، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٤٠٦.

(٢) أرغون شاه الناصري: رأس نوبة الجمدارية، كان السلطان أبو سعيد أرسله إلى الناصر هو وملكتمر فحظي عنده، وتأمر وزوجه بنت أقبغا عبد الواحد، ثم ولي الأستادارية في زمن المظفر حاجي، ثم ولي نيابة صفد سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)، ثم رجع إلى مصر، ثم ولي نيابة حلب سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، ثم دمشق، وفيها تمكن وبالغ في تحصيل المماليك والخيول، وعظم قدره حتى كان يكتب إلى مصر بكل ما يريده حتى في حلب=

= وطرابلس وحماة وصفد وسائر ممالك الشام في كل مهم، فلا يرد له أمر، ولم يزل على ذلك إلى أن جاء الأمر بإمساكه، فأمسك وذبح في شهر ربيع الأول سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، وكان خفيفًا قوي النفس شرس الأخلاق، انظر: المرجع السابق: ٣٥٠؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٢: ٣١٩- ٣٢٣.

مسجد قطلوبغا الذهبي

أثر رقم ٢٤٢

هذا المسجد بسويقة العزي رقم٦٠ تجاه دار السلطان قايتباي، لم يذكره المقريزي في الخطط وسكت عليه علي مبارك كما سكت عليه غيره[١]، وهو من إنشاء الأمير قطلوبغا الذهبي أحد أمراء الدولة الناصرية، عينه السلطان الناصر أمير عشرة ثم مقدمًا، وكان السلطان الناصر يجله ويحترمه، وصاهر الأمير ملك دمر السرجواني الناصري نائب الكرك [المتوفى سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)] في ابنته، وقد تأخرت وفاته عن وفاة السلطان الناصر، فحضر جنازته والصلاة عليه وشيعه إلى مقره الأخير بالقبة المنصورية، وبعد وفاته عين مقدم ألف وحظي عند المظفر؛ وما برح أن مات في ختام النصف الأول من القرن الثامن ودفن بمدرسته، كما يؤيده وجود قبره بهذه المدرسة متعارفًا عند أهل ذلك الحي عمن تقدمهم.

والمدخل إلى هذا المسجد- من بابه العمومي- وفيه الوجهة بعلوها طراز كتب فيه ما نصه:

البسملة.. أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة الجناب العالي المولوي الأميري الكبيري السيفي قطلوبغا الذهبي الملكي المظفري، وذلك بتاريخ ثمان وأربعين وسبعمائة[٢]

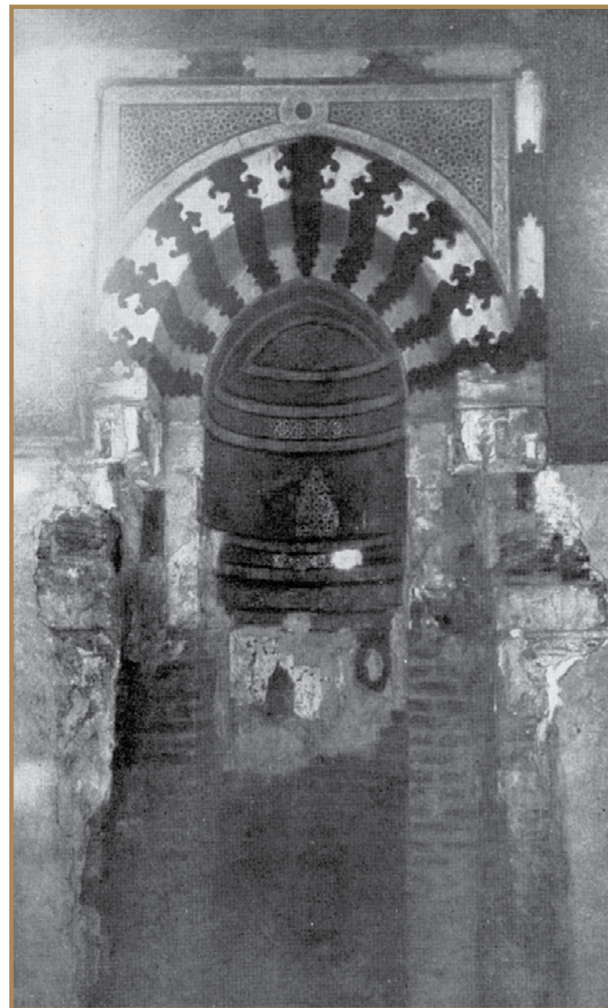
ثم نصل من هذا الباب إلى غرفة محمولة على سقف، وفي صدرها محراب تدل البقايا المتخلفة منه بأعاليه على أنه محراب فاخر، يقابله إيوان به مدفن، يشتمل على تربتين: أحدهما تعرف عند العامة بسيدي قطبي وأخيرًا بالكتبي، والثانية بسيدي الذهبي، وكلاهما محرف عن اسم قطلوبغا الذهبي، وعليهما مقصورة من خشب حديثة.

وللواجهة شباكان يطلان على الشارع مكتوب بأسكفة إحداهما آيات كريمة، والثانية ذهبت كتابته، وباب هذه المدرسة باب فاخر تتدلى منه مقرنصات تزين الباب وتجعل منه منظرًا بديعًا، وعلى جانبيه كتابة مبتدءة بالبسملة ثم بآيات كريمة.

ويبدو من النظر إلى داخل هذه المدرسة أنها بنيت على نظام مخصوص اقتصر فيه على هذا الإيوان البادئ الذكر،

(١) يذكر المقريزي أن مدرسة قطلوبغا الذهبي تقع قبالة داره التي أنشأها في سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، إلى جوار دار ابن آقبغا آص، في منطقة سويقة العزي شارع سوق السلاح حاليًّا، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٥٧-٦٥٨.

(٢) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 206.





محراب مسجد قطلوبغا الذهبي، قبل وبعد الترميم «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

واستخدم مهندسـها من حائطها الشرقي بيتًا للصلاة وأقام فيه ذلك المحراب.

وبالرغم من صغر هذه المدرسة فإن واجهتها الحجرية الجميلة بطرازها ببقايا محرابها المزخرف زخرفة بالغة، كل هذا يدل على أنها كانت مدرسة بديعة تدل على عناية منشئها بها.

جامع شيخو العمري

أثر رقم ١٤٧ (سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)

هذا الجامع بشارع الصليبة «سويقة منعم سابقًا»، وهو من الآثار التي تنسب للأمير شيخو الناصري أحد أمراء المملكة المصرية في دولة الناصر محمد بن قلاوون، وهي هذا الجامع والجامع الآخر الذي يقابله؛ وسبيل شيخو بشارع باب الوداع أسفل باب الوزير، ويبتدئ تاريخ إنشاء هذا الجامع في سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) في أوائل دولة السلطان الملك الناصر حسن على ما يؤخذ من ترجمة المنشئ، وتم في سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)[١]، كما دلت عليه المذكرة التاريخية التي تعلو أسكفة بابه، ونصها:

البسملة... إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر. إلى المهتدين... وكان الفراغ من ذلك الجامع في شهر رمضان المعظم سنة خمسين وسبعمائة.

وهو كباقي الجوامع الإسلامية مكون من أربع بلاطات يحيط بها صحن مكشوف، وفي كل بلاط منها رواقان، عدا القبلي والبحري ففيهما رواق واحد، وجميع رواقاته تحملها أساطين رخامية مرتكزة عليها أقواس، وبالبلاط الشرقي المحراب والمنبر، وهو من حجر مزخرف بنقوش ملونة، ويعلو بابه مئذنة ذات ثلاث طبقات، ويلفت النظر فيه واجهته الحجرية الجميلة الشاهقة بطرازها المزخرف بآيات كريمة.

تجديد المسجد

يبدو أن هذا المسجد كانت العناية به مطمح أنظار فئة من الناس، ففي سنة (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م) أوقف الأمير أركماس الظاهري[٢] مصحفًا بكرسيه ووضعه في هذا الجامع وجدد

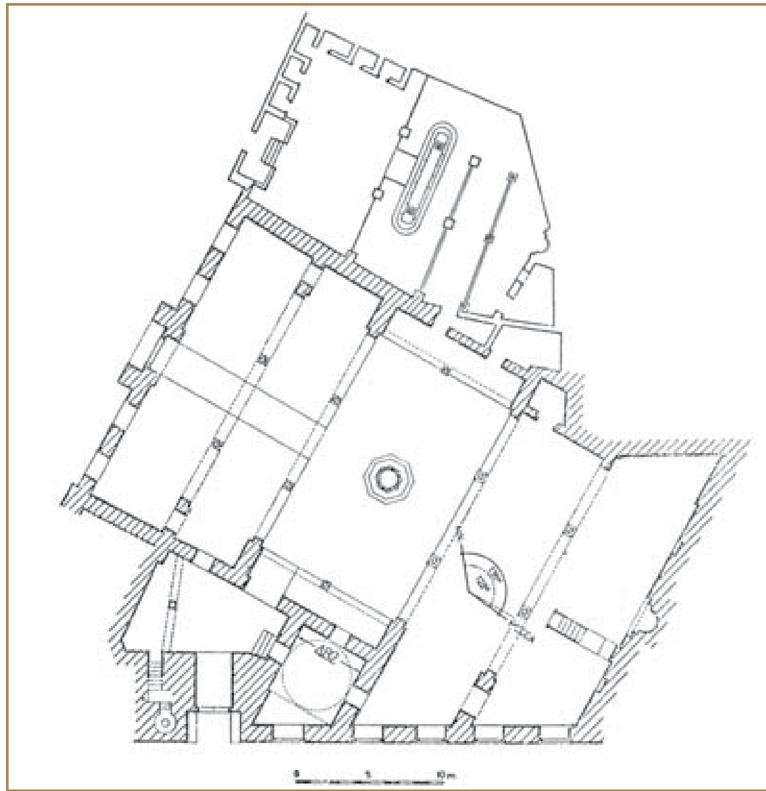
---

(١) شيخو الناصري: تقدم في أيام المظفر حاجي، واستقر رأسًا لمشورة في عصر الناصر حسن، أصبح نائبًا لطرابلس سنة (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، وما أن وصل دمشق حتى أمسك وسجن بالإسكندرية، وفي عهد الصالح صالح أفرج عنه وناصره ضد أرغون الكاملي، لكنه قام بخلع الصالح وأعاد الناصر حسن في سنة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م)، واستقر مدبرًا للمملكة، وعمر الجامع والخانقاة بالصليبة، وفي سنة (٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م) وثب عليه مملوك يقال له: آي قجا بالسيف فجرحه في وجهه ويده في دار العدل في حضرة السلطان، شفي بعدها من جراحه ولم يطلع بعدها إلى القلعة، وتكرر نزول السلطان إليه ليعوده، إلى أن مات في سادس عشر من ذي القعدة من سنة (٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٥٦-٢٦٤؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ١٩٦-١٩٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ٣٢٤؛ ابن = تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٦: ٢٥٧-٢٦٢؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٥٦٢-٥٦٣.

(٢) أركماس الظاهري برقوق: عمل نائبًا لقلعة دمشق في أيام الظاهر ططر، ثم قدم الأشرف برسباي بالقاهرة فعمله رأس=



منظر عام لجامع شيخو العمري
شارع الصليبة «عن لجنة حفظ
الآثار العربية»



مسقط أفقي لجامع شيخو العمري «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

بعض مواضع منه، وفي سنة (٩٢٥هـ/ ١٥١٦م) جددت سقف أروقة البلاط الشرقي، وكان قد أصابها الحريق الذي حل بالجامع في سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) عمدًا من عساكر السلطان سليم حينما حاصروا الملك المخلوع طومان باي.

وفي سنة (٩٦١هـ/ ١٥٥٣م) أحدث الشيخ شعبان ابن محمد بن سعيد، سدة للتبليغ والتأذين من الحجر المنقوش بنهاية البلاط الشرقي، كتب عليها ما نصه:-

البسملة... أنشأ هذه الدكة المباركة شيخ شعبان بن محمد بن سعيد غفر الله لهم وللمسلمين وكان الفراغ من ذلك في شهر صفر سنة إحدى وستين وتسعمائة.

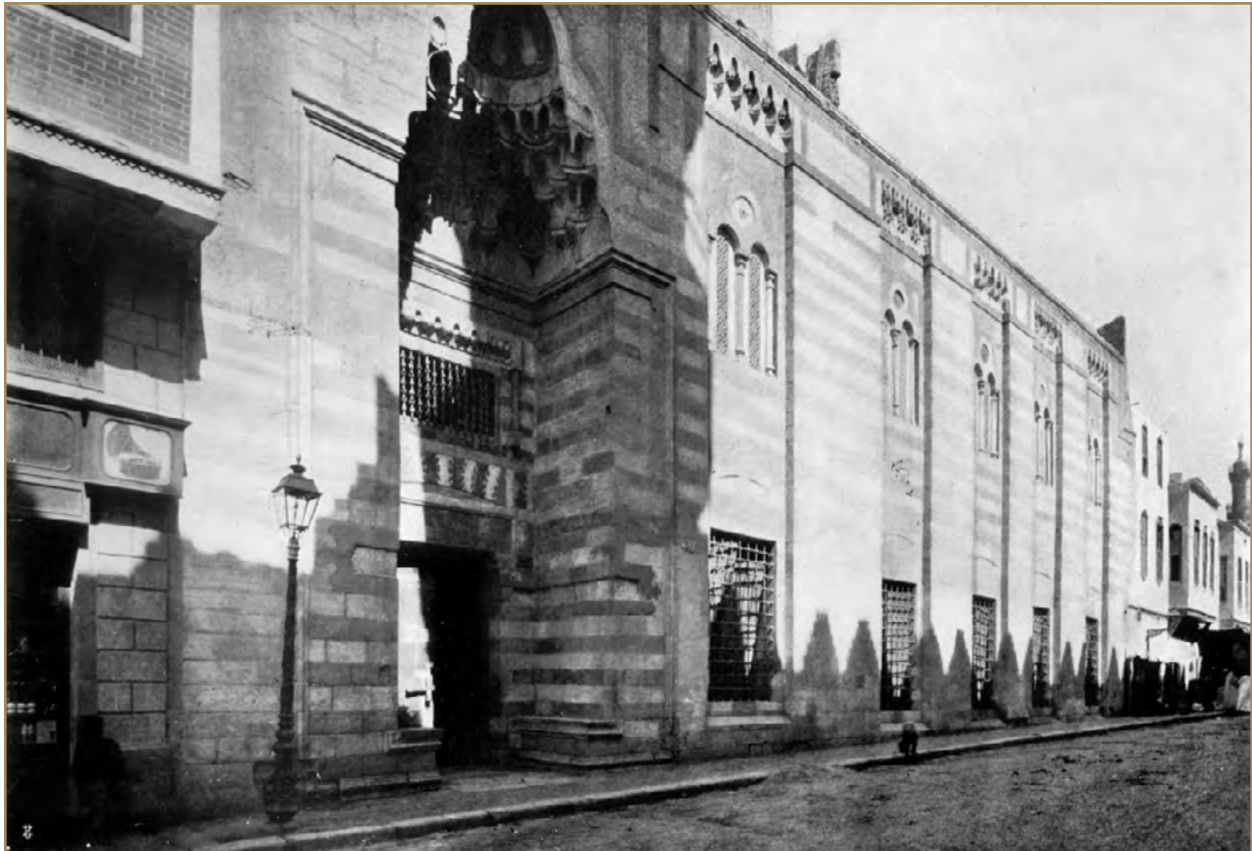
وآخر ما جدد منه العمارة التي أجريت به في عهد الملك السابق فؤاد الأول ملك مصر، من سنة (١٣٤٠-١٣٥٢هـ/ ١٩٢١- ١٩٣٣م)، وقد تناولت تجديد المنبر والشرفات الجصية وبعض أساطين وجدران البلاط الغربي ومعظم رخام الأرضية[1].

= نوبة، ثم دوادارًا كبيرًا وطالت أيامه، وتزايدت بالمفاصل آلامه، مع ضخامته، ولما استقر الظاهر جقمق أبقاه في الدوادارية الكبرى، وطلب الإذن له بالإقامة في دمياط، فأقام بها مدة ثم عاد إلى القاهرة، ولزم بيته، حتى مات في شوال سنة (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م)، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٢٦٩.

(١) عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ١٥٧-١٥٩.



صحن جامع شيخو العمري
«عن لجنة حفظ الآثار العربية»



واجهة جامع شيخو العمري
«عن لجنة حفظ الآثار العربية»

جامع منجك اليوسفي

أثر رقم ١٣٨ (سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)

هذا الجامع كائن بمنطقة كانت تعرف قديمًا بالشغرة، وهي الآن تعرف بالمناشكية، بميدان اليوسفي بالحطابة قبيل باب الوزير، أنشأه الأمير سيف الدين منجك اليوسفي وزير المملكة المصرية في عهد الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، برسم خانقاه للصوفية ومسجد للصلاة[١].

والمدخل إلى هذا الجامع من باب نصل إليه من مدخل أول هذه الحارة، عليه باب مقوس معقود يشبه باب زاوية الشريف مهدي المنشأة في سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م) بخط المصنع الظاهري، ومنه إلى قاعدة فسيحة ذات مجنبتين وفاصل طريق بينهما، ومجنبة شمالية وأخرى جنوبية، تحمل كل منها دعامات مرتكزة على أقواس، وبينهما صحن مغطى بسقيفة، وسقف مرفوع على قاعدة تحملها ست أسطوانات رخامية وبعضها مقوس معقود، وبين أسطوانتين منها سدة تبليغ من الخشب مرفوعة عن الأرض، يجاورها بأرض الصحن [ماجل] صهريج رخام مربع عمقه يبلغ حوالي ستة أمتار، وله فوهة من رخام يقابلها حوض لصب الماء والوضوء.

وفي الجانب الشرقي من المسجد محراب من قطع الرخام الملون، يقوم بين ساريتين من رخام مثلث الأركان، وواجهته محلاة بوزرة من الرخام يزخر غيها طراز يمر بها من أعلى إلى أسفل قوام زخرفته آيات كريمة من كتاب الله تعالى من سورة البقرة، ويجاوره منبر من خشب منجور قد عاد عليه البلى لكنه حافظ لشكله، وفي الجانب البحري باب صغير نصل منه إلى تربة المنشئ بعد نزول ١١ درجة وهي عبارة عن قاعدة فسيحة مربعة الأركان تقريبًا، في جانبيها الشرقي والغربي إيوانان ويتوسط الجانب الشرقي محراب يماثل المحراب السالف الذكر وتربة المنشئ وسط بين ذلك، وقد فقد أو خلع غطاء الصندوق الرخام المقام عليها، وبالزاوية القبلية منها بلاطة فيها النص التاريخي الآتي من آية الكرسي كما يحيط بأركانها الثلاثة زخرفة كتابية يتخللها رسوم هندسية.

ويتوسط الجانب الغربي باب صغير، يجاور الباب العمومي للمسجد، أما مئذنة المسجد فهي منفصلة عنه انفصالاً كليًّا وقائمة تجاه الباب العمومي بخطوات يسيرة، وهي رغم شيخوختها فإنها تظهر فنية، وقد أصلحت قاعدتها في سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، وجاري في هذا التاريخ (ربيع الثاني سنة ١٣٥٩هـ/ مايو سنة ١٩٤٠م)- إتمام الجزء المفقود من أعاليها وبعض مرافق أخرى في المسجد كشرفاته الجصية وغيرها.

ومن الظواهر الغريبة في هذا المسجد، وضعه على هذا النظام غير المألوف في مساجد هذا العصر، ثم قصر الوزرة الرخام التي تحيط بجوانب المسجد قصرًا مبالغًا فيه، ثم نظام

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٩٥.



مئذنة جامع منجك اليوسفي «عن
لجنة حفظ الآثار العربية»

شرفاته الجصية؛ وهي تسع، ثلاث منها في الجانب القبلي يقابلها ثلاث أخرى في الجانب البحري، ثم اثنتان يقابلها مثلها في الجانبين الشرقي والغربي، أما سقف المسجد، فالظاهر أن ما فيه من تغاير زمني أفقد منه بهاؤه ورونقه، لكنه بالرغم من ذلك حافظ لوضعه، وله إفريز يحيط بجوانب المسجد مزخرف بسورة الفتح.

والذي يدعو إلى التأمل في الظواهر الغريبة لهذا المسجد؛ مئذنته ليس لانفرادها وحسب، بل لبنائها على نظام يغاير النظام الهندسي لمآذن ذلك العصر من التي ألفناها.

كما أن أبرز ظاهرة في هذا المسجد هي ذلك الصهريج [الماجل] الذي أقامه في صحن المسجد على هذه الصورة الفريدة، ولغرابة ذلك الوضع صار صهريج منجك مضرب الأمثال ونقطة تعارف حتى اليوم، وظهر من كلام السخاوي في «الضوء اللامع»، أن هذا الماجل لم ينشئه منجك صاحب الأثر، بل أنشأه مملوكه المدعو زين الدين صندل الظاهري المنجكي الخازندار المتوفى في رمضان سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)، ودفن بتربته التي تقابل هذا الأثر مباشرة [انظر تربة صندل الخازندار] وأفاد أنه وقف بعض ما يملك من عقار على هذا الماجل [انظر المصدر المشار إليه][١].

(١) صندل الزين المنجكي منجك اليوسفي: نائب الشام الرومي الطواشي تنقل إلى أن خدم الظاهر برقوق، وحظي عنده حتى جعله خازندارًا كبيرًا وقربه وأدناه لعلمه بدينه وأمانته فإنه كان خدم عند أستاذه وقتًا، ونال صندل في أيام الظاهر من الوجاهة والحرمة مالم ينله غيره من أبناء جنسه، وهو لايزداد إلا دينًا وصلاحًا وعفة، مات في رمضان سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)، وروى له العديد من الكرامات، دفن في تربته التي أنشأها تحت صهريج سيده منجك بالقرب من باب الوزير، حيث وقف بعضًا من دوره وحوانيته على صهريج عمله بتربة سيده، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ٩٧٥؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٣٢٢-٣٢٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٣: ٩؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٦: ٣٥٢.

وصفوة القول أن هذا الجامع رُوعي في وضعه مخالفة قانون نظام المباني المتبع في ذلك العصر، ولا غرو، فقد كان منشؤه مخالفًا لأهل عصره شاذًّا عنهم ناقمًا عليهم، ناظرًا إلى الشعب المصري كافة نظرة ازدراء واحتقار لتهاونه بمحارم الله، وانغماسه في الترف والبذخ واستهتاره بالآداب والفضيلة، وركونه إلى الظلمة كما سنبينه في ترجمة هذا الوزير الخطير.

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى: بتابوت المنشئ في ٣ أسطر:

هذا قبر المقر الأشرف العالي المولوي السيفي منجك كافل المملكة الشريفة الإسلامية توفي يوم الخميس بعد العصر تاسع عشر من شهر ذي الحجة الحرام سنة ست وسبعين وسبعمائة ودفن بكرة يوم الجمعة سلخ شهر ذي الحجة غفر الله له ولمن ترحم عليه[٢].

المذكرة الثانية: بالمنبر في سطرين

البسملة... إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك وكان الفراغ في شهور سنة خمسين وسبعمائة[٣]

ترجمة المنشئ

هو الأمير سيف الدين منجك اليوسفي،كان سلحدارًا في عهد الصالح إسماعيل بن الناصر محمد، ثم أميرًا، ولما تولى المظفر حاجي بن الناصر محمد عينه حاجبًا ونقله إلى دمشق، وفي سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) انتقل إلى مصر بسعاية أخيه نائب السلطنة بالمملكة المصرية لدى السلطان

(٢) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 208.

(٣) المرجع السابق.

الناصر حسن فتعين مقدم ألف، ثم ما لبث أن صار وزيرًا و أستادارًا، ومن حينئذ بدأ يعلو نجمه، وما أن تربع على دست الوزارة حتى أخذ يدير أمور المملكة بكفاءة وجدارة فسعى أولاً إلى الاقتصاد في أموال الدولة، فبدأ بمخصصات السلطان والحرم، ثم قطع كثيرًا من جوامكية [أي مرتبات] الموظفين والعمال.

وما برح كذلك حتى استقال من الوزارة في سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) فتعين أميرًا للبحرية، ثم أعيدت إليه الوزارة ثانيًا بعد ٤٠ يومًا من تاريخ استقالته فشرع في تحصيل الضرائب وفرضها على الأهالي من تجار وصناع وملاك وموظفين وألغى وظائف كثيرة وحل إقطاعات الجند والأمراء وكبار موظفي الدولة، وأحصى البيوت والعقارات التي مات أصحابها من غير مورث وبقيت مهملة، فأضافها جميعًا إلى أملاك الحكومة.

وأبطل عوائد كثيرة من المنكرات والعادات المستهجنة، فأمر بمنع خروج النساء بالملابس الخليعة، ورسم لهم بملابس مخصوصة محتشمة يلبسونها، وأمر أن يلبسوا غيرها ومزق الأولى، وقبض على النساء اللواتي كن يرتدينها ومثل بهن شر مثلة، ولكي يزجر النساء عن هذا الفعل الشنيع عمد إلى ظاهرة غريبة في تخويفهن وزجرهن لم يسبقه إليها سابق فيذكر المؤرخون أنه (ركب على سور القاهرة صور نساء عليهن تلك القمصان بهيئة نساء قد قتلن عقوبة على ذلك فانكففن عن لبسها)، وبالتالي منع الناس جميعًا من الاسترسال في النعم والغلو في الترفيه إلى حد الإسراف والمخيلة، وشدد على النساء وأبطل المنكرات بصورة عامة تشديدًا بالغًا، وكان يباشر ذلك بنفسه، وصادر الأموال الزائدة عن الحاجة من الأمراء وأكابر موظفي الدولة، ونقص مرتباتهم وقبض على المبذرين والمسرفين وزجرهم وعزرهم وتهددهم بالعقاب الصارم إن لم يقلعوا عما هم فيه من التبذير والإسراف، ورد أموال الدولة التي كانت موزعة بين الأمراء وكبار الموظفين من رواتب وإقطاعات وغيرها إلى خزينة الحكومة.

وما برح هذا الوزير على ذلك حتى دبرت له مكيدة للإيقاع به، فقبض عليه في شوال سنة (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) وسجن بالإسكندرية، فلم يزل مسجونًا حتى خلع مليكه السلطان الناصر حسن وتولى أخوه الصالح فأفرج عنه، فقدم القاهرة في سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) محالاً إلى المعاش وقد صودرت جميع أملاكه وتجرد من أمواله فسعى في رد بعضها، لكنه ما لبث أن امتحن مرة ثانية فسجن ثم نفي إلى صفد.

وهكذا مضت مدة الملك الصالح، وقد قاسى فيها هذا الوزير من صنوف العذاب والتشريد أشكالاً وألوانًا، فلما عاد ملك مصر إلى الملك الناصر حسن في سنة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م)، استدعاه وعينه نائبًا للسلطنة بمدينة طرابلس، ثم نقله منها إلى حلب في سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م)، فبقي بها إلى سنة (٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م)، ثم قدم إلى القاهرة في السنة التالية فعينه السلطان أمير طبلخاناه بالشام، ورسم له أن يختار لنفسه الإقامة حيثما يشاء من البلاد الشامية.

وما برح حتى آل ملك مصر إلى الأشرف شعبان ابن حسين، فعينه في سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) نائبًا للسلطنة بدمشق، فبقي بها في سنة (٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م)، ثم استدعاه وعينه نائبًا للسلطنة بالمملكة المصرية وأسند إليه تدبير أمور المملكة، فما لبث أن مات في السنة التالية عن بضع وستين سنة؛ وهكذا كان هذا الوزير نادرة في وزراء الدولة المصرية لذلك العهد.

والحق أن مصر لم تنجب وزيرًا مثله، فقد عرف كيف يسوس البلاد والعباد بحنكة ورصانة، وكيف يحافظ على

الفضيلة والآداب العامة بصورة مباشرة فعالة، واستطاع بمقدرته وكفاءته أن يسترد أموال الحكومة المفرقة المبعثرة بين هذا وذاك، وأن يرفع عن كبار موظفي الحكومة بالحد المعقول، وأن يفرض على الأهالي الضرائب المعقولة التي ليس فيها إرهاق إلى غير ذلك، مما حفظ له من حسنات ومبرات، وبالرغم من هذه الاضطهادات التي لقيها في هذا السبيل، فقد عاش ومات كما يقول المقريزي، وافر الحرمة؛ محفوظة المكانة، ذكراه لا زالت ترددها الألسن، فرحمه الله رحمة واسعة(١).

آثار الوزير منجك

وقد بقي من آثاره بالقاهرة، غير هذا الجامع مدخل داره بأول سويقة العزي «شارع سوق السلاح القبلي»، وقد كتب عليها اسمه وألقابه بما أثبتناه في صدر هذا الكتاب(٢).

وقد سكن في هذه الدار الملك الظاهر تمربغا ثم آلت بعده إلى يشبك الداودار، وفيها ولد المؤرخ جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي مؤلف **النجوم الزاهرة** والمنهل، وآلت أخيرًا إلى كبار الأمراء المصريين في عهد الملك الأشرف قانصوه الغوري [انظر تاريخ ابن زنبل والعبيدي].

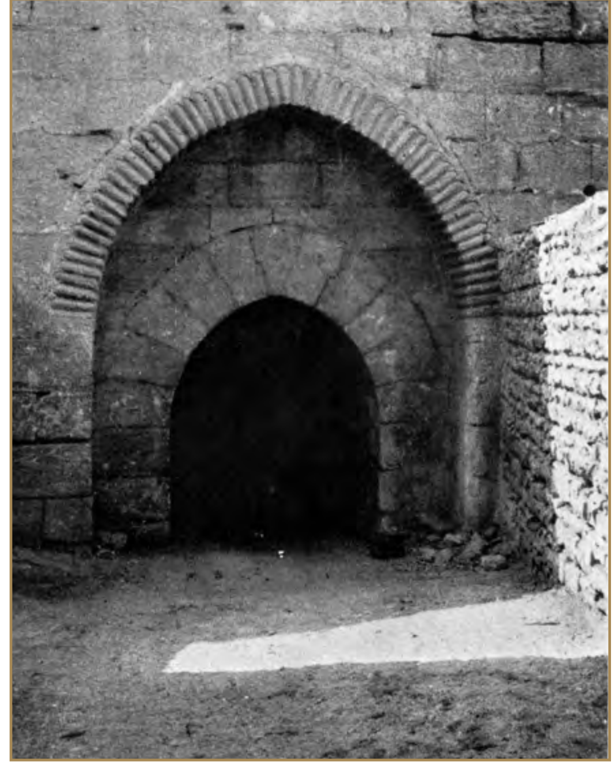
وبقي من آثاره إلى منذ ٧٠ عامًا تقريبًا، باب الوزير الذي أحدثه الوزير نجم الدين محمود في سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) [انظر هذا الباب](٣)، ثم جدده الأمير منجك في سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م)، وأعاد بناءه رأسًا على عقب، وجعل منه منظرًا يتشابه مع باب تربته البادئ الذكر، وموضع هذا الباب بالتحديد، كان بين سبيل شيخو وتربة يونس الدوادار من أسفل المدرسة النظامية، وقد عرف أخيرًا بباب الوداع؛ وبقي اسمه علمًا على هذه المنطقة حتى اليوم. وله آثار بدمشق عاصمة البلاد الشامية، وثمت أسرة شامية تنتمي إليه [انظر تواريخ دمشق].

(١) عن سيرة الأمير منجك اليوسفي أو سيف الدين منجك السلاح دار، انظر: الشجاعي، **تاريخ الملك الناصر**: ٢٦٩-٢٧٠؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ٣٦٠-٣٦١؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٩٦-٣٠٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٨٩، ١٩٣، ١٩٥، ٢١٧-٢١٩؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ١٤٨-١٤٩.

(٢) ما زالت بقايا هذه الدار موجودة إلى الآن بأول شارع سوق السلاح «سويقة العزي»، على يسار الداخل فيه من جهة جامع السلطان حسن، وشارع القلعة «محمد علي سابقًا»، ومسجلة بالآثار برقم ٢٤٧، ولم يتبق منها سوى بوابتها الحجرية، المسجل عليها رنك الأمير منجك وهو السيف على جانبي المدخل، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٣٠٨، هامش ٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ١٣٣، هامش ٤؛ مج. ١٢: ٢٧٥، هامش ٢؛ محمد حسام الدين إسماعيل، «أربع بيوتات مملوكية من الوثائق العثمانية»، **حوليات إسلامية**، العدد ٢٤ (١٩٨٨): ٨٨-٩٩.

(٣) باب الوزير: أحد أبواب القاهرة الخارجة عن سورها الشرقي الذي أنشأه صلاح الدين، في المسافة بين الباب المحروق وبين قلعة الجبل، فتحه في السور الشرقي سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) الوزير نجم الدين محمود بن علي بن شروين، المعروف بوزير بغداد، وقت أن كان وزيرًا للسلطان الأشرف كجك بن الناصر محمد، لمرور الناس ما بين المدينة وبين الجبانة الواقعة خارج السور، المعروفة بقرافة باب الوزير، وعلى الأخص بعد سد الباب المحروق، ولهذا عرف من ذلك الوقت باسم باب الوزير، ولايزال موقع هذا الباب قائمًا إلى اليوم على رأس شارع التربة الموصل بينه وبين شارع باب الوزير بالقرب من جامع أيتمش البجاسي، والباب الحالي جدده الأمير طراباي الشريفي صاحب القبة المجاورة لهذا الباب سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٨٠، هامش ٢؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٢٦٦، هامش ١.







جامع منجك اليوسفي:

أعلى اليمين: عقد مجيدي بالصحن «عن كريسويل»

أعلى اليسار: المدفن، ومحراب المسجد «عن كريسويل»

الأسفل: واجهة المسجد «عن كريسويل»

جامع قماري الحموي

قبة أثرية رقم ١٢٨ (سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)

هذا المسجد بحارة أحمد باشا يكن «درب قماري سابقًا»، ويسلك إليه من عطفة عبد الله بك «حارة المصامدة سابقًا» بشارع السروجية خارج باب زويلة، وهو من المساجد المجهولة التي أغفلها المقريزي وسكت عليه علي مبارك باشا، ولم يذكره أحد من الباحثين حتى اليوم، أنشأه الأمير قماري الحموي أحد أمراء المملكة المصرية، في دولة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في حوالي سنة (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) تجاه مسجد قديم[١]؛ كان يعرف بمسجد أبي بكر المصمودي من عهد الآمر بأحكام الله سنة (٥١٦هـ/ ١١٢٢م) [انظر هذا الجامع][٢].

والمدخل إليه من بابين: أحدهما إلى المسجد، والثاني إلى القبة، وهو الجزء المتخلف من آثار المسجد يتبعه القبة، وهي من القباب المضلعة الحافلة من الداخل بمقرنصات، ويتوسطها قبر المنشئ عليه تابوت حديث مكسو.

(١) زاوية الحداد بعطفة نافع تجاه قصر عبد الله بك الذي عرفت به الحارة بعد تسميتها بحارة المصمودية (المؤلف).

(٢) يذكر المقريزي أن تاريخ بناء هذه المدرسة كان في سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م)، بينما يذكرها علي مبارك باسم جامع قماري، وهي ما تزال قائمة على ناصيتي عطفة عبد الله بك المتفرعة من شارع المغربلين على يسار المتجه من باب زويلة إلى السروجية وشارع محمد علي، انظر: المرجع السابق، مج. ٤، ج. ٢: ٦٦٦، هامش ٤؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ١٤١، مج. ٥: ١٩٨.

واشتهر هذا المسجد باسم منشئه إلى اليوم، وهي شهرة قديمة يثبتها النص الوارد المكتوب على الصندوق الذي يتوسط القبة، ولو أنه حديث عهد بالكتابة، وظهر من بعض الوثائق التاريخية المودعة بقسم المحفوظات بوزارة الأوقاف أن هذا الدرب كان يعرف بدرب قماري حتى حين، ثم تحول إلى الاسم الحالي.

والمسجد الذي يتبع القبة مسجد مرتفع عن الأرض، معلق يصعد إليه بدرج من جهتيه؛ وقد أصلح في سنة (٨٧٦هـ/ ١٤٧١م) في عهد الملك الأشرف قايتباي، ثم جدد في سنة (٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م)، وأعيد تجديده في سنة (١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م)، والمدخل إليه من باب بحري ثم من باب شرقي ومنه إلى القبة، وقد أصلحت بعض مفردات من هذه القبة في سنة (١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م).

وصف القبة

أما القبة فهي من القباب المضلعة الجصية الفاخرة، وواجهتها من الحجر وبابها مقنطر، تتدلى منه مقرنصات، وبالوجهة وجانبي الباب زخارف كتابية في طراز قوام زخرفتها آيات من كتاب الله؛ ويوجد خلف القبة مدافن قديمة يبدو أنها لأسرة المنشئ.

منشئ المسجد

ومنشئ هذا المسجد هو الأمير قماري الحموي الناصري كان أحد الأمراء الناصرية، ومات مقتولاً بسجن الإسكندرية في سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م)، والمؤكد أنه نقل بعد مقتله من الإسكندرية إلى هذه القبة فدفن فيها؛ وهذا ما تؤيده القرينة الظاهرة في هذا الأثر حتى اليوم[١].

وقد اجتمع في هذا العصر الذي وجد فيه قماري هذا، عدة أمراء للناصر وخلفه، كلهم تسمى بهذا الاسم، منهم قماري بن الناصر محمد بن قلاوون، وهو الذي تعين سلطانًا على مصر وتسمى بالسلطان حسن، ومنهم قماري الناصري أخي بكتمر الحاجب، كان أستادارًا في أيام الصالح إسماعيل، ومات مسجونًا بالإسكندرية سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)[٢]، ومنهم قماري الماردانى مات سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)[٣]، ومنهم قماري أمير شكار «أمير الصيد» في عهد الناصر محمد بن قلاوون، وقد صاهره في إحدى بناته، ثم تعين أمير أخور في عهد الصالح إسماعيل مات سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)[٤]، وهذا



قبة جامع قماري الحموي «عن كريسويل»

الأخير ذهب فيه القول بأنه هو المنشئ لهذا الأثر؛ بيد أن نسبة هذا المسجد إلى قماري الأول المذكور آنفًا- وهو أحد القماريين الذين حفظت لهم هذه النسبة بالتواتر إلى اليوم- تدحض هذا الرأي.

ومهما يكن من شيء فالتفاصيل المعمارية للقبة المضلعة والواجهة الشرقية والطراز الذي يعلوها وأسلوب الخط كل ذلك يجعل هذا الأثر لا يتعدى هذا العصر.

(١) عن سيرة قماري الحموي المنسوب إليه هذا الأثر، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٣: ٢٥٦.

(٢) قماري الناصري: جعله الناصر أميرًا بعد وفاة أخيه بكتمر الساقي، كان قد أحضره من بلاد الترك من أجل أخيه، وعمل الأستادارية في أيام الصالح إسماعيل، وخرج مع الفخري لحصار الناصر أحمد بالكرك، ثم أخرجه الكامل إلى نيابة طرابلس، ثم قبض عليه في أواخر سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)، ونقل إلى مصر وكان آخر العهد به، فنقل إلى سجن الإسكندرية وقتل سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)، انظر: المرجع السابق.

(٣) قماري المادراني: أخو أمير علي، كان به عرج يسير، وتأمر في آخر أيامه، وتوفي بعلة الصرع في ربيع الأول سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)، انظر: المرجع السابق.

(٤) قماري أمير شكار: كان حظيًّا عند الناصر محمد، حتى تزوج ابنته، وأمره في تقدمة في سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م)، ثم ولي في أيام الصالح إسماعيل أمير آخور، ومات في أواخر سنة خمسة أو=

= أوائل سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)، بينما يذكر ابن تغري بردي تاريخ وفاته يوم الأحد خامس جمادى الأولى سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)، انظر: المرجع السابق؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، حوادث سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) عصر الصالح إسماعيل.

جامع شيخو العمري (الخانقاه الشيخونية)

أثر رقم ١٥٢

وهذا هو الجامع الثاني للأمير شيخو العمري الناصري، وهو الذي سماه المقريزي بالخانقاه الشيخونية وسماه السيوطي بالمدرسة الشيخونية[(١)]، ويقول المقريزي: «إن هذه المدرسة بنيت في منطقة كانت من حقوق قطائع ابن طولون، وكان في موضعها مجموعة مساكن تقدر مساحتها بحوالي أربعة آلاف وخمسمائة مترًا مربعًا فشغلها شيخو جميعها في بناء الخانقاه وبيوت للسكنى وحوانيت وحمامات»[(٢)].

ودل النص الآتي على أن العمل استمر في بنائها بغير انقطاع حتى تمت في أقل من سنة، ولما تكاملت خصصها شيخو لدرس الفقه الإسلامي على المذاهب الأربعة، وإقراء الحديث في الصحيحين والشفاء والقراءات، وعين لكل مذهب فقيهًا خاصًّا من جماعة كبار علماء القاهرة، فقرر في تدريس الشافعية الشيخ بهاء الدين السبكي؛ والمالكية الشيخ خليل بن إسحاق الجندي، وكان يدرس للطلبة بزيه العسكري؛ وللحنابلة القاضي موفق الدين عبد الله ابن عبد الملك المقدسي [المتوفى سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م)]، وللحنفية والتصوف الشيخ أكمل الدين البابرتي [المتوفى سنة (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)]، وقد ابتدأت هذه الخانقاه تتناقص وتقل مواردها وروادها، وتتقلص عنها تلك الحياة الرغدة والعيشة الراضية التي تنعم بها طلابها حتى حين في عهد الملك الناصر فرج ابن برقوق، بيد أنها بالرغم من ذلك حاولت أن تبقى زمنًا يقدر بثلاثمائة عام تقريبًا، قامت في خلالها بتأدية وظيفتها على وجه لا بأس به، لكن لا قياس بينه وبين ماضيها الأول[(٣)].

ولابن أبي حجلة في هذه الخانقاه:

ومدرسة للعلم فيها مواطن ... فشيخو بها فرد وإيثاره جمع

لئن بات منها في القلوب مهابة ... فواقفها ليث وأشياخها سبع

وهو يشير في المصراع الأخير عن طريق التروية إلى شيوخها السبع، وهذه الخانقاه الآن هي جامع عظيم كبير المساحة، والمدخل إليه من بابه العمومي، ومنه إلى مجاز فصحن واسع الأرجاء تتوسطه نافورة؛ وبالجانب القبلي والغربي منه خلاوي الصوفية فوقها مساكن؛ وبالبلاط الشرقي رواقان تحملها أساطين معقودة، وعلى يساره تربة دفن فيها الشيخ أكمل الدين المذكور آنفًا، والشيخ أحمد ابن إبراهيم بن محمد اليمني المعروف بابن عرب وغيرهما،

(١) السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ١: ٣٨٣.
(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٦٠.
(٣) المرجع السابق: ٧٦٠-٧٦٤.


واجهة الخانقاه الشيخونية «عن كريسويل»


صحن الخانقاه الشيخونية «عن فييت»

وأهم ما يلفت النظر في الـرواق الشرقي زخارفه التي تبدو ظاهرة في سـماوات سـقفه مقومة بكتابات من القرآن الكريـم، ثم أدعية ومناجاة ومواعـظ وحكم ليتذكر بها من تذكر من الصوفية النازلين بالخانقاه، أما واجهة المسجد فهي من الواجهات الشـاهقة المحكمـة يزينها حتى نهاية القبة مجموعة شبابيك جصية مفرغة.

تجديد المسجد

وقد توالت على المسجد بعض الإصلاحات في عصور مختلفة، وليس فيها ما يستحق الذكر، إلا أن الجبرتي يذكر في حوادث (١٢٣١هـ/ ١٨١٥م) أن الشـيخ أحمد الطهطاوي شيخ الحنفية المدفون بتربة أبي جعفر الطحاوي بالقرافة؛ المتوفى في هذه السـنة عين ناظرًا على وقف هـذا الجامع والجامع الآخر، وفي أثناء ذلك جدد بعض مواضع من هذا المسـجد وأحـدث بالخانقاه ماجـلاً، ورد أوقاف الجامـع والخانقاه المغتصبة[١].

والجامع على حالته الآن، يعطينـا فكرة واضحة عن جميـع الإصلاحات التي توالت عليه، بيد أنها كانت طفيفة جدًّا بحيث إنها لم تغير من معالمه الشيء الكثير رغم تقادمه، ولا يزال في حاجة إلى مضاعفة العناية به.

المذكرات التاريخية

لا يوجد بداخل المسـجد مذكرات تاريخية؛ سـوى بلاطة قبر الشيخ أكمل الدين ونصها:

البسملة. هذا قبر سيدنا ومولانا الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود بن أحمد، شـيخ الحديث وشـارح الهداية، تغمده الله بالرحمة والرضوان، توفي في شـهر صفر سـنة ثمانين وسـبعمائة من الهجرة النبوية، جدده الفقير بلال أغا دار السعادة الناظر سنة خمس وتسعين وألف[٢]

ويؤخذ من هذا النص، أن بلال أغا هذا كان ناظرًا على وقف هذا الجامع في ذلك الوقت، وإليه تنسب القبة الكائنة بالمراغة (١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م) من جبانة السـيدة نفيسة [انظر الجزء الخاص بمزارات الجبانات وآثارها].

ويعلو الباب العمومي لهذا المسجد مذكرة في روسم به ستة أسطر ونصها:

البسـملة، في بيوت أذن الله أن ترفـع ويذكر فيها اسـمه إلى ذكر الله، أمر بإنشـاء هذا المكان المبارك والموطن الذي ساهم العمل فيه النية، وشارك العبد الفقير إلى ربه جـل وعلا وتبارك، المغترف من بحر نواله، المعترف من أفضاله بكل لطف تدارك،الأمير شـيخو العمري الناصري عمره الله ببقائه ونصره، وضاعف أسـباب ثوابـه وأجره، وعوضـه بقصور الجنـان بعد امتداد عمره، وتقبـل أعماله الصالحة في سر القول وجهره، وجعله خالصًا لوجهه الكريم، جائزًا به على الصراط المسـتقيم يوم معاده وحشره،

(١) أحمد بن محمد بن إسماعيل الطهطاوي الحنفي: والده رومي حضر إلى مصر متقلدًا للقضاء في طهطا بصعيد مصر، حيث تزوج من امرأة من الأشراف، تصدى لوقف الشخونيتين وإيرادهما، واستخلاص أماكنهما، وشرع في تعميرهما، فجدد عمارة المسجد والتكية، وأنشأ بها صهريجًا، انظر: الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٤: ٤٠٤-٤٠٥.

(٢) Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus*: 237.

تقرب به إلى الله احتسابًا وإيمانًا، وابتغى به فوزًا عند ربه وغفرانًا، وآوى به كل أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره، فأولاه إحسانًا وجمع به قومًا كفاهم هم المؤونة. فكفاه الله شر يوم الفزع الأكبر ولقاه أمانًا يواصلون العلم بالعمل، ويقطعون الليل تسبيحًا وقرآنًا؛ تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا، وكان ابتداء الشروع فيه في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وسبعمائة والفراغ منه ومما حواه في شهر شوال من السنة المذكورة[1].

وعلى جانبيه طراز يقرأ فيه قوله تعالى:

البسملة، إن المتقين في جنات وعيون، ادخلوها بسلام آمنين، ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم بمخرجين، نبأ عبادي أني أنا الغفور الرحيم. صدق الله العظيم ورسوله الكريم

ويظهر أن اختيار هذه الآيات الكريمة التي تحث على التسامح والتغاضي وتبين فضل التقوى والأخوة إلى غير ذلك من الفضائل، كان المقصود من كتابتها لفت النظر إليها من الساكنين بهذه الخانقاه من جماعات الصوفية قصد التذكير، فهي بمثابة منشور من أهم المنشورات التي تغرس هذه الخلال الحميدة في النفوس، ويعلو الواجهة طراز قوام زخرفته الكتابية آيات الكرسي من سورة البقرة، ومثله في الجامع الآخر.

ترجمة المنشئ

ومنشئ هذا الأثر هو الأمير سيف الدين شيخو العمري، نسبة لمالكه أحد تجار الرقيق المدعو الخواجا عمر، كان في بادئ أمره من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم صار إلى الملك المظفر، وابتدأ يعلو نجمه في عهد السلطان الملك الناصر حسن، فتولى أولاً مشورة في بلاط الملك، ثم في سنة (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) تولى نيابة السلطنة بطرابلس، فسافر إلى الشام فتمالأ عليه بعض الأمراء فامتحن بسبب ذلك حتى سجن، وفي هذه المدة خلع الملك وتولى أخوه الملك الصالح، فأفرج عن شيخو وسلمه زمام الدولة فحكم في العباد وولى وعزل وأمر ونهى، حتى عظم قدره وبلغ مبلغًا عظيمًا من المهابة والجاه وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها، وما لبث أن تمالأ عليه الأمراء حسدًا لما وصل إليه، فأجمعوا على قتله- فأزوا عليه من قتله وهو في ديوانه بالقلعة ومضى إلى ربه شهيدًا متأثرًا بجراحه في ذي القعدة سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)، ودفن بهذه الخانقاه، وأمسك قاتله فاعترف بجريمته، وأخبر أنه دفع عليها من تلقاء نفسه لحاجة في نفسه كان يريد تعجيل قضاءها من شيخو فلم يفعل، والمؤكد أنها قصة مدبرة حتى لا يرشد على من أزه من الأمراء.

وقد كتبت هذه الخانقاه والجامع الآخر الذي يقابلها لمنشئهما أهم الذكريات التي تلازمه مدة الحياة، وقد ذهب القول بفريق من المؤرخين بأنها كانت أهم وأول وآخر خانقاه بالديار المصرية، تنعم طلابها وشيوخها وروادها والنازلين بها بنعم لم تتوفر في غيرها من زوايا القاهرة، كما أنها جمعت من النواحي الفنية في العمارة الإسلامية ما جعلها ملفت النظر ومرعى الانتباه لعلماء الآثار الإسلامية

(١) المرجع السابق: ٢٣٣.

في الشرق والغرب وقد تصدى للتأليف فيها استقلالاً صديقنا الفاضل الأستاذ يوسف أحمد مفتش الآثار السابق له [الخانقاه الشيخونية مخطوط][1].

الشيخ أكمل الدين

وقد دفن بهذه الخانقاه جماعة من الشيوخ، منهم الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود أحمد البابرتي أحد كبار علماء الحنفية في القاهرة، وهو أول شيخ لهذه الخانقاه، ترجمه السيوطي في **حسن المحاضرة**، وأفاد أنه توفي في رمضان سنة (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)، وهو قول المقريزي وكلاهما خطأ، والصواب أنه توفي في صفر سنة (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م) كما في شاهد قبره، وقد اجتمع في الشيخ أكمل هذا شرط الواقف بلفظه ومعناه، فكان أعلم الحنفية بالقاهرة ومصر وكان عارفًا بالتفسير والأصول، ولم يتول القضاء[2].

الشيخ عز الدين الرازي

وتولى بعده الشيخ عز الدين يوسف بن محمود الرازي المتوفى في المحرم سنة (٧٩٤هـ/ ١٣٩١م)، وهو المدفون بهذه الخانقاه في قبر الشيخ أكمل الدين[3].

الشيخ زاده

كما دفن بها الشيخ شمس الدين محمد زاده العجمي الخزرباتي الحنفي، ترجمه المقريزي في العقود وأفاد أنه كان عالمًا بالعربية، دخل القاهرة ثم ولي التدريس بالشيخونية ومشيختها في عصر الملك الظاهر برقوق بعد الكلستاني، وبقي بها إلى سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)، ثم خلع بابن العديم، وما لبث أن مات في سنة (٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م) ودفن بالشيخونية، وخلفه ابنه جمال الدين محمد زاده في تدريس الحنفية.

القدسي

والحسن بن أبي بكر بن أحمد القدسي، من علماء الحنفية الشاميين، ولد سنة (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) وطلب العلم ببلد القدس، ثم قدم القاهرة فتعين شيخًا للخانقاه الشيخونية في سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، إثر قدومه بقليل من الزمن، توفي في الثالث من ربيع الآخر سنة (٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م)، قال السخاوي: «ودفن في جامع شيخون بالفسقية التي فيها العز الرازي واستقر في الشيخونية بعده باكير» ترجمه ابن حجر في الإنباء والعيني في عقد الجمان[4].

(١) عن سيرة الأمير سيف الدين شيخو العمري الناصري، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٥٦-٢٦٤؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ١٩٦-١٩٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ٣٢٤؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٦: ٢٥٧-٢٦٢.

(٢) محمد بن محمد بن محمود بن أحمد الرومي البابرتي: أكمل الدين ابن شمس الدين بن جمال الدين، ولد سنة بضع عشرة وسبعمائة، اشتغل بالعلم ورحل إلى حلب فأنزله القاضي نصر الدين ابن العديم المدرسة السادجية فأقام بها مدة، ثم قدم القاهرة بعد سنة أربعين فأخذ عن الشيخ شمس الدين الأصبهاني وأبي حيان، وصحب شيخون وقرره شيخًا بالخانقاه التي أنشأها وفوض أمورها إليه فباشرها أحسن مباشرة، وعمر أوقافها وزاد معاليمها، وعرض عليه القضاء مرارًا فامتنع، كان الظاهر يبالغ في تعظيمه، توفي سنة (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)، وحضر السلطان جنازته، وأراد حمل نعشه فمنعه الأمراء، وحمله أيتمش وأحمد ابن يلبغا وسودون النائب، وصلى عليه عز الدين الرازي، ودفن بالخانقاه المذكورة، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ٢٩٠، ٢٩٨؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ١: ٣٩١.

(٣) عز الدين يوسف بن محمود بن محمد الرازي: المعروف بالأصم، شيخ خانقاه الملك المظفر بيبرس الجاشنكير، ثم شيخ الخانقاه الشيخونية، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٢: ١٣٠-١٣١.

(٤) الحسن بن أبي بكر بن أحمد البدر بن الشرف بن الشهاب القدسي ثم القاهري الحنفي: أخو الشمس محمد، ويعرف في =

ثم ابن عرب وقد ترجمه السخاوي في **الضوء اللامع**، قال ما خلاصته: «أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عرب اليماني الأصل الرومي، أصله من اليمن ثم انتقل أبوه منها إلى بلاد الروم فسكنها، وولد له صاحب الترجمة، فنشأ بمدينة برسا، وقدم القاهرة وهو شاب فنزل بالقاعة التي استجدها الشيخ أكمل الدين بالشيخونية».

ووصفه السخاوي «بالزهد والانقطاع إلى العبادة والعلم والتواضع وكرم الأخلاق واعتقاد الخاصة والعامة فيه، قال وكان الناس يبيتون بالشيخونية رجاء رؤيته، مات في ليلة الأربعاء ٢ ربيع الأول سنة (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)، ولما تسامع الناس بموته هرعوا إليه، ونزل السلطان (الأشرف برسباي) من القلعة فصلى عليه بالرميلة، وأعيد إلى الخانقاه فدفن بها بجوار أكمل الدين»، ترجمه المقريزي في درر العقود الفريدة، والعيني في تاريخه والسخاوي الحنفي في تحفة الأحباب[1].

الشيخ باكير

ودفن بها الشيخ أبو بكر بن إسحاق بن خالد الحلبي المعروف بالشيخ باكير أحد قضاة الحنفية بحلب، وتعين شيخًا لهذه الخانقاه مات في جمادى الثانية سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)، قال السخاوي: «ودفن في الفسقية التي دفن فيها العز الرازي والشيخ زاده»[2].

= القدس بابن بقيرة، وهو لقب أبيه، ولد سنة (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) بالقدس، وأخذ عن عمه الشهاب أحمد والشريحي وخير الدين والطبقة، قال العسقلاني أنه اشتغل قديمًا من سنة ثمانين بالقدس ثم دمشق ثم القاهرة، ناب في القضاء عن التفهني، ثم استقر بالشيخونية لما أعيد التفهني إلى القضاء سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، قال العيني: أنه قدم مصر وهو لا يلتفت إليه مثل آحاد الطلبة، واستقر شاهدًا في سوق الجوار، ثم ترق إلى الشيخونية من غير أن يخطر ببال أحد، لأنه لم يكن كفؤًا لها، ولكن الزمان تغير والرجال قلوا، وكذا ولي تدريس مدرسة سودون من زاده والإمامة بها، والتدريس في مدرسة إينال بالشارع، والتدريس بجامع المادراني، والخطابة بالبرقوقية، مات سنة (٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م) وقد قارب السبعين، ودفن في جامع شيخون بالفسقية التي فيها العز الرازي، واستقر في الشيخونية بعده باكير الملطي، وفي جامع المارداني سعد الدين بن الديري على رواية العسقلاني، والمحب الأقصرائي حسب رواية السخاوي، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٥٠٥، هامش ٣؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٩٦-٩٧.

(١) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٣٨٤-٣٨٥؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١: ٢٠٠-٢٠١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٥: ١٣٩؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ١: ٢١٧- ٢٢٠.

(٢) أبو بكر بن إسحق بن خالد الزيني الكختاوي الحلبي ثم القاهري: يعرف بباكير، ولد سنة (٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م) بكختا، واشتغل في الفنون وأخذ عن غير واحد، أفتى وولي القضاء بحلب، فحمدت سيرته، ثم طلب إلى القاهرة، واستقر في الشيخونية، توفي سنة (٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م)، وصلى عليه في سبيل المؤمني بحضرة السلطان، ودفن بالفسقية التي بها الرازي وزاده في جامع شيخو، انظر: ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٥٠٥، هامش ٧؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١١: ٢٦-٢٧.

جامع (مدرسة) صرغتمش الناصري

أثر رقم ٢١٨ (سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)

هذا الجامع بشارع الصليبية رقم ١٠ من أرض قطائع ابن طولون، أنشأه الأمير صرغتمش الناصري برسم مدرسة للحنفية الغرباء وإقراء الحديث والتصوف، ومسجدًا جامعًا للصلاة، وتم إنشاؤه في سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)(١).

والمدخل إليه من بابه العمومي، وهو باب شاهق مقنطر مقوس، تتدلى منه مقرنصات مذهبة يتألف منها شكلاً بديعًا، ومنه إلى مدخل في جانبه القبلي باب صغير نصل منه بصعود بضع درجات إلى صحن فسيح تتوسطه نافورة للوضوء، تقوم على ثماني أسطوانات من الرخام ويبدو عليها القدم، ويحيط بالصحن أربعة إيوانات أكبرها إيوان بيت الصلاة، وهو إيوان فاخر عالي الأركان في جانبيه خوختان، وفي صدره محراب من قطع الرخام الملون، ويعلوه قبة من الطوب المطلي بالجص أعيد إنشاؤها، ويقابل هذا الإيوان إيوان آخر أقل منه.

ويبدو أن سقفه كان قبة على مثال الإيوان الشرقي، وفي جانبه البحري إلى جهة الغرب باب صغير نصل منه إلى القبة الكبيرة، وهي من القباب الفاخرة المبنية على نمط يتقارب في الشبه مع الطراز السمرقندي، بيد أنها من الطوب المطلي بالجص، وظاهرها أملس بخلاف القباب السمرقندية الصميمة، مثال القباب التي تحتفظ بها من هذا الطرز؛ وأخصها قباب المدرسة الجاولية، وتربة خوند سمراء الأشرفية، ويونس النوروزي بباب الوزير، وهذه القبة الأخيرة تعتبر صورة مصغرة من قبة تيمورلنك بسمرقند المنشأة في سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)، أي بعد إنشاء هذه القبة بحقبة طويلة.

ويلفت النظر في قبة المدرسة الصرغتمشية طرازها الظاهري المقوم بزخارف كتابية ومقرنصاتها التي تتدلى من زواياها الأربع بشكل مألوف لكنه يلفت النظر بتنسيقه.

ويتوسط القبة قبر يقوم عليه صندوق من الرخام المسنون المنقوش بزخارف وأشكال هندسية تحيط به كتابات قرآنية من سورة البقرة تظهر فيها آيات الكرسي ثم آيات أخرى؛ وهذا الصندوق لا نظير له في صناديق أخرى من نوعه، وقد دفن في هذا القبر، الأمير إبراهيم بن صرغتمش الناصري منشئ هذا الأثر، مات في شوال سنة (٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، ودفن بقبر أبيه بالمدرسة الصرغتمشية، وكان أمير عشرة عند الملك المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد بن قلاوون(٢).

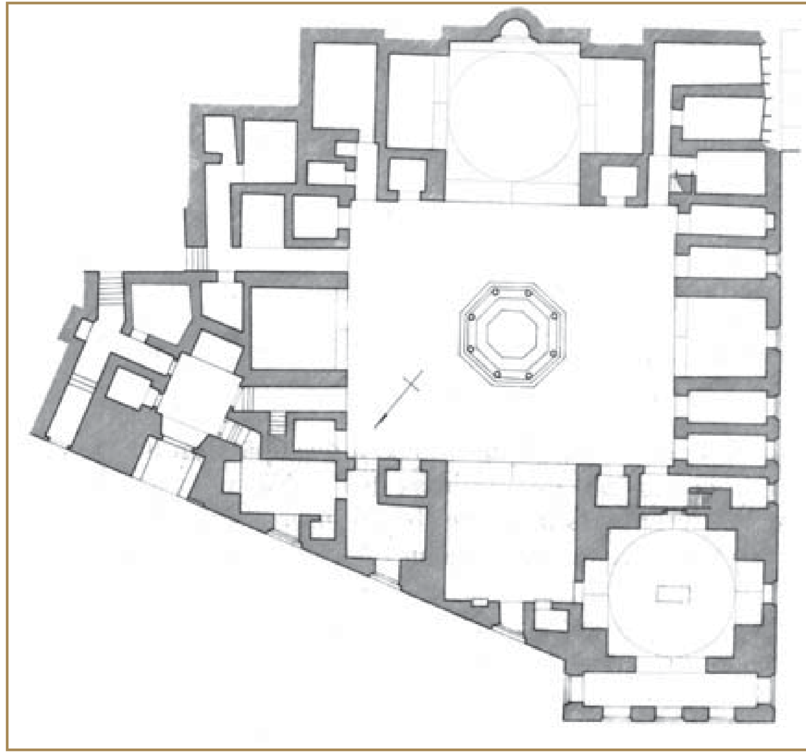
---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٤٧-٦٤٨.

(٢) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٢٨.



واجهة مدرسة صرغتمش «عن مساجد مصر»



مسقط أفقي لمدرسة صرغتمش «عن كريسويل»

ويعلو حوائط هذه القبة طبقة من الرخام الملون فقد معظمه؛ يظهر فيها اللون الأسود غالبًا على الألوان الأخرى، ومحرابها صغير وغير مبالغ في تجويفه، وفي الجانب القبلي للقبة خوخة، بزاوية منها مقصورة من الخشب المنجور، يعلوها إفريز قوام زخرفته آية كريمة من كتاب الله، ومن داخلها قبر دفن فيه الشيخ قوام الدين شيخ هذه المدرسة لأول العهد بها.

الشيخ قوام الدين

وهو الشيخ قوام الدين بن عمر بن غازي الأتقاني الحنفي، انحدر من أسرة عريقة في الإمارة والنسب، ولد بإتقان من أعمال فاراب سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، وتفقه ببغداد وهاجر منها إلى دمشق سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م)، ثم عاد إلى بغداد ثانية، وصار يتردد بينهما، وما برح حتى طلبه الأمير صرغتمش لتوليه مشيخة مدرسته فقدم إلى القاهرة، فتعين شيخًا للمدرسة الصرغتمشية، وما برح حتى توفي في يوم السبت ١١ شوال سنة (٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م) عن ٧٣ عامًا.

وله مؤلفات عديدة منها شرح على الهداية أسماه غاية البيان، ونظم فهرس أبواب الهداية، وتأليف في عدم رفع اليدين في الصلاة وغيرها، ترجمه أبو المحاسن في **المنهل الصافي** وغيره، واتفق المؤرخون على دفنه بقبة هذه المدرسة في قبر خاص[1].

(١) أمير كاتب بن أمير عمر بن أمير غازي قوام الدين أبو حنيفة الإتقاني: درس ببغداد ودمشق، ثم قدم إلى مصر فدرس بالجامع المارداني وبالصرغتمشية أول ما فتحت، وكان رأسًا في مذهب الحنفية، بارعًا في الفقه واللغة العربية، صنف شرح الهداية، ورسالة في عدم صحة الجمعة في موضعين بالبلد، ولد في سنة=

ويحيط بالصحن ١٦ بابًا صغيرًا نصل منها إلى مساكن الطلبة والصوفية، ومحال خلوتهم؛ أما واجهة المسجد فهي مرتفعة شاهقة يزينها حتى نهاية القبة مجموعة من الشبابيك الجصية المفرغة والنحاسية المشغولة، وقد أصلحت بعضها في سنة (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م).

ويعلو الجانب الشرقي من الواجهة مئذنة مستديرة رشيقة من الحجر الملون الأبيض والأحمر، وقد أعيد تجديدها على أصلها في سنة (١٣٥٠هـ/ ١٩٢١م)، أما دار الوضوء المسجد فنصل إليها من باب صغير على يسار الداخل من الباب العمومي، وقد تجددت على النظام الحديث في التاريخ المذكور.

الإصلاح والتجديد

مضى على هذا المسجد زمن طويل لم يلق فيه من العناية حقها، بيد أن الأمير أحمد كتخدا عزبان المعروف بقيومجي أي: صانع الأحذية، وضع في سنة (١١٢٨هـ/ ١٧١٥م) منبرًا من الخشب بالإيوان الشرقي[1]، وذلك إثر تحويل هذه المدرسة إلى جامع بخطبة في ذلك التاريخ، وهذا المنبر لا يزال قائمًا به حتى اليوم يحمل مذكرة تاريخية أسفل قبته هذا نصها:

أنشأ هذا المنبر من فضل الله تعالى قيومجي أحمد كتخدا عزبان ١١٢٨.

وتجدد منه في سنة (١٣٤٨- ١٣٥٠هـ/ ١٩٢٩- ١٩٣١م) غالب مفرداته، وفكت مئذنته وأعيدت على أصلها وأخلي جانبه الشرقي وتجددت مجاوراته على أصلها.

وفي سنة (١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م) أعيدت قبة البهو التي تعلو المحراب، ولا تزال أعمال الإصلاح والتجديد جارية فيه حتى (رمضان سنة ١٣٦٠هـ/ أكتوبر سنة ١٩٤١م) ولما تنته بعد.

المذكرات التاريخية

لم نعثر في هذا المسجد إلا على مذكرة واحدة بجانبي الباب العمومي يقرأ فيها ما نصه:

أمر بإنشاء هذا الجامع والمدرسة المباركة المقر الأشرف العالي المولوي العالمي العادلي الفاضلي السيفي صرغتمش رأس نوبة الملكي الناصري مربي العلماء مقدم الضعفاء باني المدارس والمساجد في ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وسبعمائة

ترجمة المنشئ

ومنشئ هذه المدرسة هو الأمير صرغتمش الناصري، كان مملوكًا لأحد التجار، ثم صار للناصر محمد بن قلاوون، فظل في خدمته، وصرغتمش بضم أوله وقالته، معناه عطية الله، ولم يبد نجمه إلا في أيام الملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون، فتعين في حاشية الأمير فخر الدين بن إياز السلاح دار، ثم عين حاكمًا لمدينة حلب، وما برح

= (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، ومات سنة (٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م)، انظر: السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ١: ٣٩٠؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ١٠١-١٠٣.

(١) أحمد جربجي كتخدا عزبان: عرف بالقيومجي نسبة لسيده حسن جربجي والذي كان يعمل صائغًا ويقال له بالتركية «قيومجي»، وليس كما ذكر صاحب المزارات، كان سيده ينتمي إلى طائفة المستحفظان بينما ينتمي هو إلى طائفة العزب، وكان مشاركًا لعلي جاويش المعروف بظالم علي، مات على فراشه بمنزله ببولاق سنة (١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م) على رواية الجبرتي، وكان سخيًا يضرب بكرمه المثل، وكان به بعض عرج بفخده الأيسر بسبب سقوطه من على حماره وهو أوده باشه، انظر: الجبرتي، عجائب الآثار، مج. ١: ١٦٩.

يتقلب في عدة وظائف حتى بلغ منصب الوزارة، ثم كان ناظرًا للبريد ثم ناظرًا للأوقاف.

يقول المقريزي في ترجمته: «ولما تحدث في البريد خافه الناس، فلم يكن أحد يركب خيل البريد إلا بمرسومه، وباشر الأوقاف فعمرت»، ويصفه بأنه كان يقرأ القرآن ويشارك في فقه أبي حنيفة، مات مسجونًا في ذي الحجة سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م)[(١)].

وله من الآثار غير هذا الجامع الزاوية التي بناها للشريف المهدي بخط المصنع الظاهري في سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م)، وقد دثرت هذه الزاوية وحل في محلها بنايات أخرى؛ بيد أن بابها الجميل لا يزال باقيًا حتى اليوم [انظر هذه الزاوية بدرب اللبانة قسم الخليفة][(٢)].

ولمنشئ هذا الأثر كتاب وقف صادر في ٢٧ رمضان سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) بالأوقاف ورد فيه:

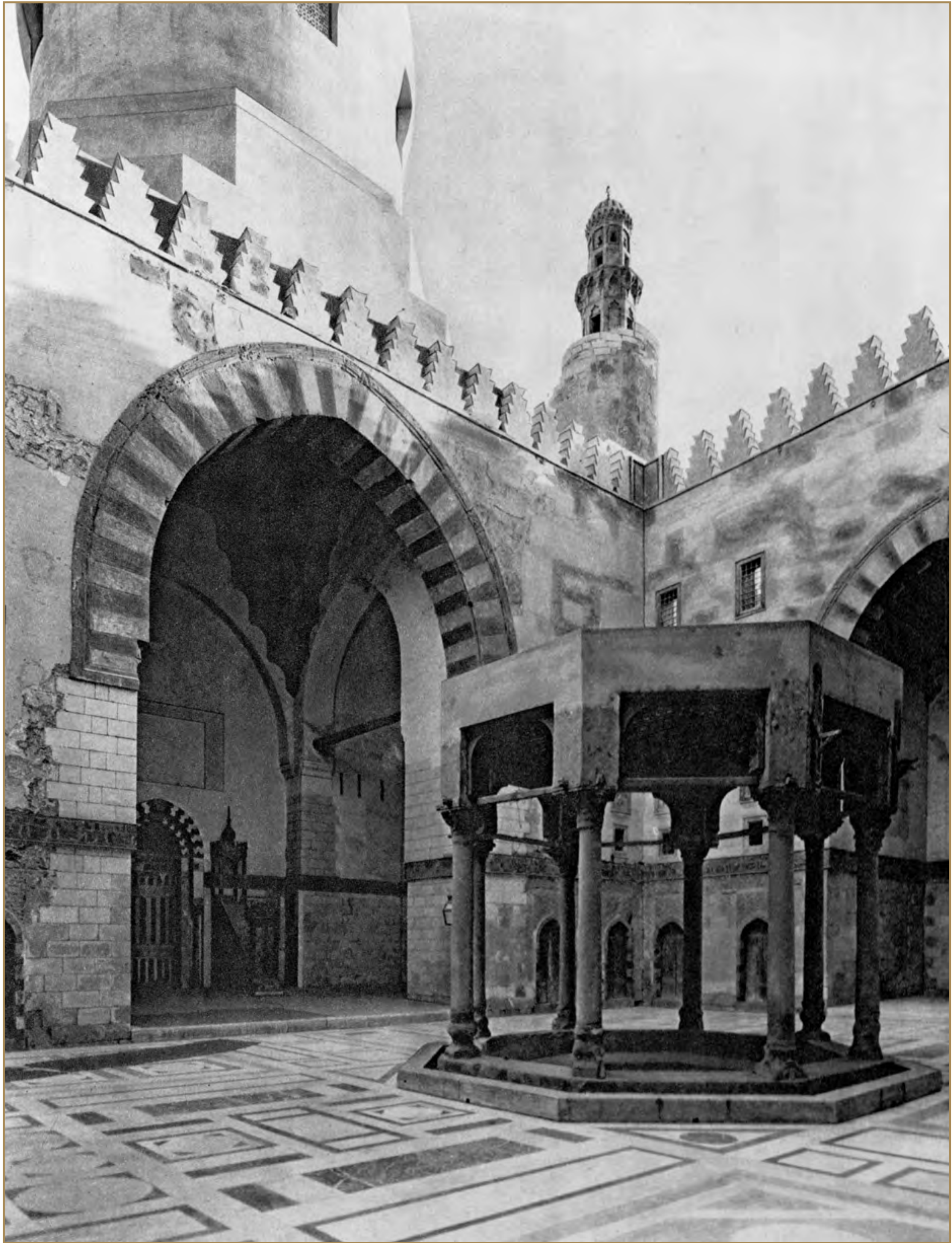
«هذا كتاب وقف صحيح شرعي، وحبس صريح دايم مرعي لا ينتسخ حكمه ولا يندرس رسمه، ولا ينقطع ثوابه وأجره ولا يضيع عند الله الكريم جزاؤه وبره، اكتتبه المقر الشريف العالي المولوي الأميري الكبيري العضدي الذخري النصيري المجاهدي المرابطي الغوتي الغياثي الكهفي المقربي المؤتمني الملاذي السيفي، عز الإسلام والمسلمين، ركن الغزاة والمجاهدين، ملجأ القاصدين، ممهد الممالك عضد الدولة ظهير السلاطين، كهف الفقرا والمساكين، صرغتمش الناصري رأس نوبة الأمرا الجمدارية الملكية الناصرية، تقبل منه أعماله، وبلغه من خيري الدارين آماله، وأشهد على نفسه الكريمة وهو في حالة صحته وسلامته أن وقف وحبس وسبل وأبد وحرم وتصدق بجميع ما هو له وفي يده وملكه وتصرفه واختصاصه وحيازته، فمن ذلك جميع المكان المستجد الإنشاء والعمارة، وما هو في حقوق أرضا وبنا المعروف بإنشائه وعمارته، وذلك بظاهر القاهرة المحروسة خارج بابي زويلة، بخط الكبش وبير الوطاويط على يمنة السالك من الكبش وتربتي المقر العالي السيفي سلار، والمقر العالي العلمي سنجر الجاولي طالبًا بير الوطاويط والصليبية وسوق الخيل»[(٣)].

---

(١) عن سيرة الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٥٥-٦٥٦؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ٤٤؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٣: ٢٠٦-٢٠٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ٣٠٨؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٦: ٣٤٢-٣٤٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٥٦٤.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٨١٢.

(٣) عن وثيقة وقف الأمير سيف الدين صرغتمش، انظر: عبد اللطيف إبراهيم، «وثيقة وقف الأمير صرغتمش»، **مجلة كلية الآداب**، جامعة القاهرة، العدد ٢٧، ٢٨ (١٩٦٥-١٩٦٦): ١٢١-١٥٨، ١٤٣-٢١٠.



صحن مدرسة صرغتمش
«عن مساجد مصر»

جامع السلطان حسن

أثر رقم ١٣٣

هذا الجامع بميدان صلاح الدين «سوق الخيل سابقًا»، وهو أضخم وأهم جامع من جوامع مدينة القاهرة الأثرية، إذ أنه يكون مجموعة هامة من فن العمارة الإسلامية، تتجلى بوضوح في كل ناحية من نواحيه، ويذكر المقريزي في الخطط عبارات يؤخذ منها أنه «لم يبن قط جامع بمقاسات مثله، وأن العمارة أقامت فيه ثلاث سنوات بدون انقطاع، وبلغت تكاليفه اليومية عشرين ألف درهم أي عبارة عن ألف مثقال ذهب»، بما يقدر بستمائة وأربعين جنيهًا إنجليزيًّا.

ونقل عن مقبل الشامي أنه سمع السلطان حسن يقول: «إنه صرف على القالب الذي بني عليه الإيوان مائة ألف درهم نقرة»، «فضة مخلوطة بالنحاس بمقدار الثلث والثلثين، والدرهم يقدر بأربعة غروش وثمانية مليمات».

وإنه كان يقول: «لولا أن يقال إن ملك مصر عجز عن إتمام بناء هذا الجامع لتركت بناءه من كثرة ما صرف عليه»، ونلمس في المقريزي مبلغ إعجابه الشديد بمفردات هذا الجامع كالقبة وعظمتها؛ والإيوان القبلي «الشرقي» وضخامته[1].

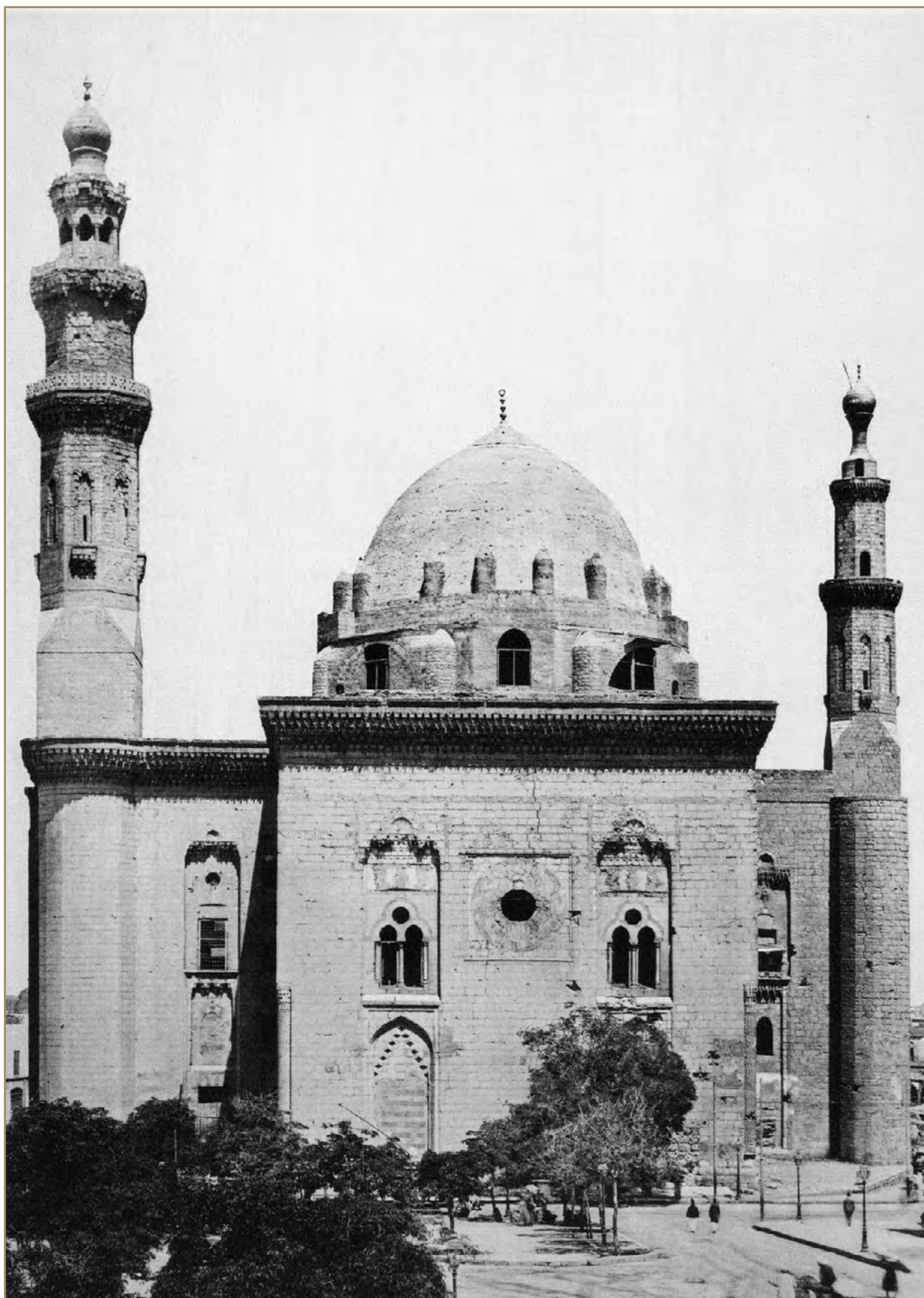
وقد مضى المؤرخون جميعهم من عهد إنشائه حتى اليوم، على الإعجاب بهذا الجامع حتى بلغ به الوصف مبلغًا كبيرًا، ربما كان فيه شيء من المبالغة، ومهما يكن من الأمر فإن الجامع بشكله ومنظره وزخارفه وتصميمه مما يلفت النظر ويسترعي الانتباه ويقف بالناظر إليه موقف الدهشة والعجب[2].

موضع الجامع قبل إنشائه

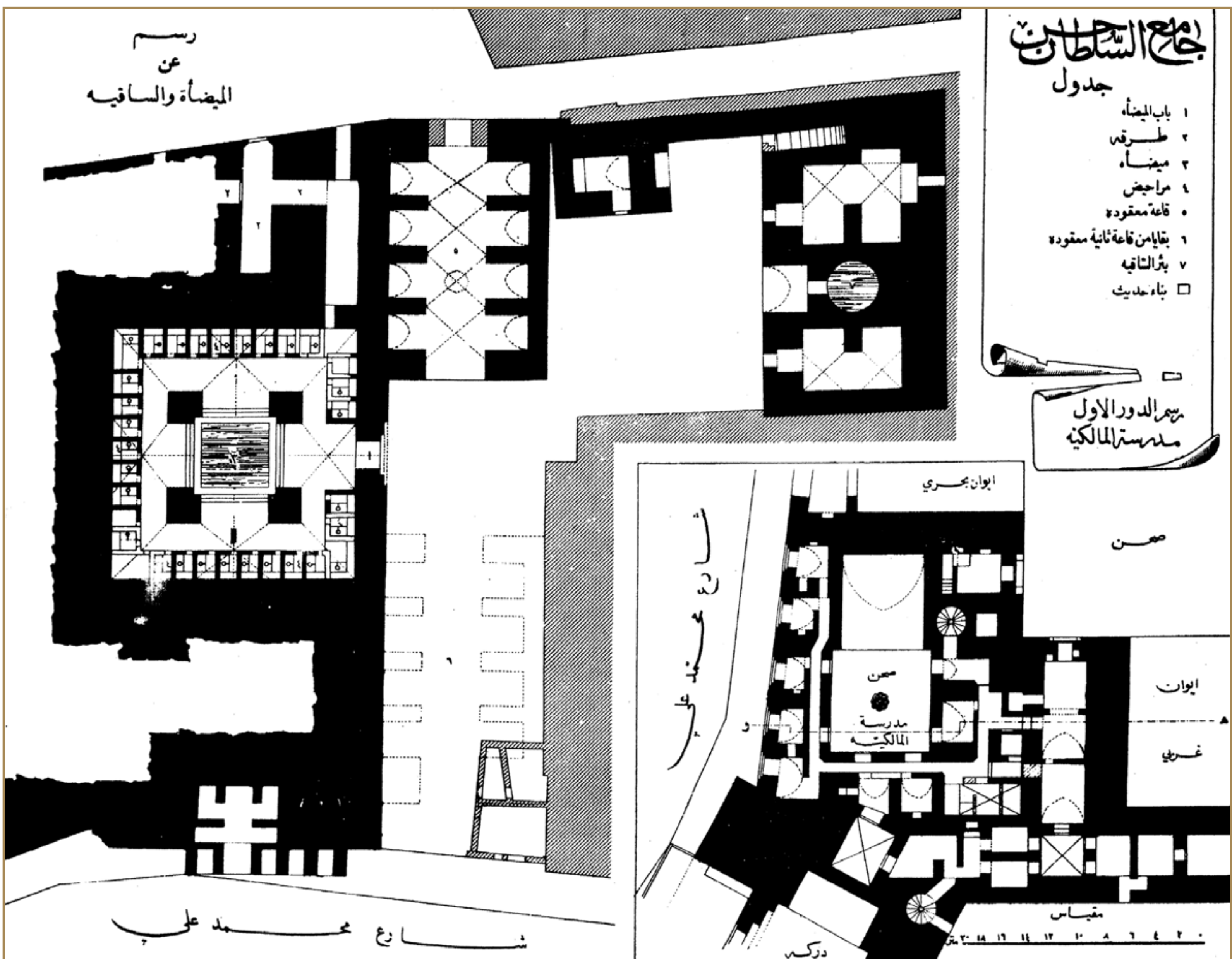
يحدثنا الحافظ ابن حجر في **الدرر الكامنة** في ترجمة يلبغا اليحياوي، أن هذا الجامع كان في محله اصطبلاً برسم الخيل بناه الملك الناصر محمد بن قلاوون لنائبه يلبغا المذكور في سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م)، برسم خيوله وبنى إلى جانبه منظرة، وكان في مقابله يمينًا ويسارًا ميدان واسع، كان الفرسان يتسابقون فيه بخيولهم، وقد عرف هذا الميدان

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، ط. ٢ (باريس: بول رافيس، ١٩٨٨): ٣١؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ٥٦١.



منظر عام لجامع السلطان حسن
«عن مساجد مصر»



مسقط أفقي لجامع السلطان حسن «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

فيما بعد بسوق الخيل، وهو الاسم الذي بقي علمًا على هذه المنطقة حتى عصر الجبرتي وما بعده[١].

إنشاء الجامع

بقي هذا الاصطبل حتى سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)، وفيها رسم السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون بنزع ملكيته، وأمر بهدمه ليبني في محله جامعًا، فشرع في ذلك وأسس المسجد حتى تم إنشاؤه في سنة (٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م) في حياة السلطان، وافتتح رسميًّا بحضوره في أواسط هذه السنة، وقد رسم السلطان أن يجعله معهدًا عامًّا للتعليم والدراسة على المذاهب الأربعة وقراءة علوم التفسير والحديث وغيرها[٢].

فجاء مكونًا من أربعة أواوين ومساكن وصحن مكشوف ومدفن تعلوه قبة، ورسم له بناء أربع مآذن لكنها لم تتم جميعًا لأسباب ذكرت في تاريخه، فاقتصر فيه على بناء مئذنتين والمدخل إليه من بابه العمومي، وهو ذلك البناء الشاهق الذي يتضاءل أمامه كل باب لجامع آخر.

تطورات التجديد على هذا المسجد

مات السلطان في سنة (٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م)، وقد بقي على المسجد بعض أعمال تكميلية، فقام الأمير بشير الجمدار بعملها في سنة (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)[٣].

والظاهر أن هذا المسجد لم يؤثر فيه الزمن لمتانته، بيد أن اتخاذه حصنًا من الأمراء في كل عصر من عصوره واحتمائهم فيه واستعماله كمخبأ يختبئون فيه من نظر أعدائهم، كل ذلك كان سببًا لأن يدع هذا الجامع عرضة للأخطار، وهدفًا لعدة إصابات فكانت النتيجة أن طرأ عليه من الهدم والبناء والتغيير والتبديل في بعض مفرداته الشيء الكثير من هذا القبيل، وأول صدمة اصطدم بها هذا المسجد هي أمر السلطان الظاهر برقوق في سنة (٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م) بهدم السلم الذي يؤدي إلى سطحه وسد بابه الكبير، واستعمال شرفة من شرفاته «شباك» في مقام الباب[٤].

وفي سنة (٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م) أحرق هذا الباب حينما كان أيتمش البجاسي يحاصر القلعة[٥]، وفي سنة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م) نقل المؤيد شيخ ملك مصر مصراعي بابه الكبير والتنور إلى مسجده، وكانت هذه أكبر صدمة للمسجد، إذ بقي مشوهًا حتى الآن رغم جمال مدخله[٦]، ثم تلتها صدمة أخرى من السلطان الظاهر أبي سعيد جقمق هدمت فيها السلالم الموصلة إلى المآذن[٧].

وفي سنة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) أصيب شباك الجامع وجزء من محراب القبة والباب بإصابات مختلفة، من الأمير آقبردي والأشرف جان بلاط[٨]، بيد أن الأمير طومان باي

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٣٣-٢٣٤؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ٤٣٦-٤٣٧؛ الجبرتي، عجائب الآثار، مج. ١: ٣٤.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٧٢.

(٣) المرجع السابق: ٢٧٤.

(٤) المرجع السابق: ٢٧٤، ٣٤٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٢: ١٨؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ٤٤٣.

(٥) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٢: ٩٥-٩٦.

(٦) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٨١، ٣٤٢.

(٧) في ربيع الآخر سنة (٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م) حكم القاضي المالكي شمس الدين محمد البساطي بهدم سلالم المئذنتين فهدما، نتيجة لما يلحق بالقلعة من الضرر منهما، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٢٠٣.

(٨) المرجع السابق، مج. ٣: ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧٥.

الدوادار قام في السنة التالية (٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م) بإصلاح ما أتلفه الحريق؛ فجدد الباب وأوصد شبابيك القبة حتى لا تصل إليها الأيدي، وأقام الخطبة فيه بعد أن كان مغلقًا حوالي عشرة أشهر[١].

وهكذا توالت على هذا الجامع عدة إصابات سيرته إلى حالة كاد يذهب معها لولا مقاومته لهذه التقلبات بما فيه من متانة وإحكام، وأول تجديد حدث به هو تكملة ما كان ناقصًا من حليته وزخارفه ورخامه من الأمير بشير المذكور[٢]، ثم بناء صندوق من الرخام في سنة (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) على القبر الذي كان مزمعًا أن يدفن فيه السلطان، ولم يقدر له ذلك فدفن فيه أكبر أولاده أحمد الذي كان مرشحًا للملك، توفي في ليلة الخميس ٢٤ جمادى الثاني سنة (٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م)، كما دفن فيه الأمير محمد بن علي بن شعبان بن الملك الناصر حسن مات في جمادى الآخرة سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، قال السخاوي: «ودفن بمدرسة جده»[٣]، والمؤكد أن أخاه عليًّا دفن معه.

وفي سنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢١م) في عهد الملك الأشرف برسباي؛ تجددت السلالم المتهدمة وأعيد الأذان في المآذن وركب باب بدل الباب الآخر[٤].

وفي سنة (١٠٧٠هـ/ ١٦٥٦م) سقط غطاء القبة، وسقطت المنارة الشرقية البحرية، فرسم الوزير إبراهيم باشا الكتخدا حاكم مصر العثماني في سنة (١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م) بإعادة غطاء القبة[٥]، وإعادة المنارة على أصلها، فأعيدت إلا أنها صغرت عن الأولى قليلاً، وفي سنة (١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م) جدد الأمير حسن أغا كتخدا مستحفظان الخزينة دار بعض أجزاء من المسجد، وفي سنة (١١٨١هـ/ ١٧٦٧م) أعيد بناء الجدار القبلي من المسجد بأمر الوزير حمزة باشا.

وصف المسجد[٦]

قد جمع هذا المسجد من آيات الفن الإسلامي وبدائع الصناعة العربية من زخرفة إلى تصميم إلى تنسيق إلى غير ذلك ما لم تره متجمعًا في مسجد آخر.[٧]

(١) المرجع السابق: ٣٩١.
(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٧٤.
(٣) محمد بن علي بن شعبان بن الناصر حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون ناصر الدين: ابن الأسياد - بالتحتانية- يقال لأبيه أمير علي، ولهذا محمد بن السلطان حسن، ولد بقلعة الجبل، ونشأ بها تحت كنف أبيه، إلى أن رسم الأشرف برسباي في حدود سنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢١م) لبني الأسياد بالنزول منها، فسكن وأخوه أبوبكر مع والدهما بمدرسة جدهم الحسنية، وضاق حالهم لمزيد كلفتهم بالنسبة لسكن القلعة، فتعاطى الغناء والطرب لكونه يدري طرفًا من الموسيقى، وصحب خشقدم الرومي الزمام، ولما تسلطن جقمق لازمه في لعب النشاب، وصار من خواصه، وتكلم في الدولة وقصد في الحوائج، بنى بيتًا بقرب قنطرة باب الخرق، وآخر بموردة الجبس على الخليج تجاه جزيرة أروى، مات في سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٨: ١٨٤-١٨٥.
(٤) رسم الأشرف برسباي في شعبان سنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢١م) بإعادة الآذان في مئذنة السلطان حسن مع بناء السلالم مرة أخرى، حيث بقيت المئذنة معطلة مدة طويلة وسلالمها مقطوعة منذ أيام الظاهر برقوق، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٢: ٨٣.
(٥) إبراهيم باشا كتخدا الوزير: قدم مصر في سنة (١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م)، وعزل في سنة (١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م)، انظر: السخاوي، **تحفة الأحباب**: ١٤٨-١٥٠.
(٦) حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية**: ١٦٥- ١٨١.
(٧) للسلطان حسن منشئ هذا الأثر أربع حجج إيقاف بقلم حفظ محكمة القاهرة، جاء في بعضها عن وصف هذا الأثر وصفًا كاملاً إلى جانب ما نظمه الواقف للتدريس للعلوم بشقيها، وأولها يبتدئ بسنة (٧٥٩-٧٦٢هـ/ ١٣٥٨-١٣٦١م)، ومسجلة بالأرقام ٣٧ إلى ٤٢ وسيأتي بعد بيان تفصيلي عنها (المؤلف).



جزء من مدرسة السلطان حسن «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

فإن الداخل إليه من بابه الكبير الذي يعلو عن سطح الأرض علوًّا مناسبًا، يجد بابًا شاهقًا يبلغ في الارتفاع ٣٧,٧٠ مترًا، يكتنفه من الجانبين زخــارف متنوعة يحدق به من الجانبين منظرًا يتألف في كل منه شــكل محراب فاخر تعلوه مقرنصات تتدلى بشكل مبدع.

وبأعلى الباب مجموعة من المقرنصات المتدلية تدل على مهارة المهندس المســلم وبراعته في هذا الفن، ويدور به من الجانبين طراز كتب فيه بعد البســملة ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ . رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ [النور/ ٣٦- ٣٧]، وهي آية مناسبة لهذا المقام.

ومن هــذا الباب نصل إلى مدخــل مربع يتألف من ثلاث مجنبات وبهو، وقوام ســقفه قبــة مركبة على تاج من المقرنصات، وهذا المدخل أشبه شيء بمدرسة صغيرة ومنه نصــل إلى منحنى يرتفع عن أرض المدخل بســبع درجات قوام سقفه عقود مدببة، وينتهي بنا السير من هذا الممر إلى باب غربي بحري كتب على جانبيه ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر/ ٤٦].

يقابلــه في الطرف الثاني القبلي بــاب آخر كتب على جانبيه هذه الآية نفســها، ومن هذا الباب نصل إلى صحن فســيح الأرجاء، يتوســطه نافورة تحملها ثماني أسطوانات تعلوها قبة من الخشــب؛ يحيــط بها إزار كتــب فيه بعد البسملة [آية الكرسي- من سورة البقرة].

ويحيط بالصحن من جانبيه القبلي والبحري، أربعة أبواب، تؤدي إلى المدارس الأربعة وعلى كل منها مذكرة تأتي في المذكرات.

فالمدرسة الحنفية وهي أكبرها مساحة مكتوب على جانبي بابها ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ صدق الله العظيم [المائدة/ ٢٣].

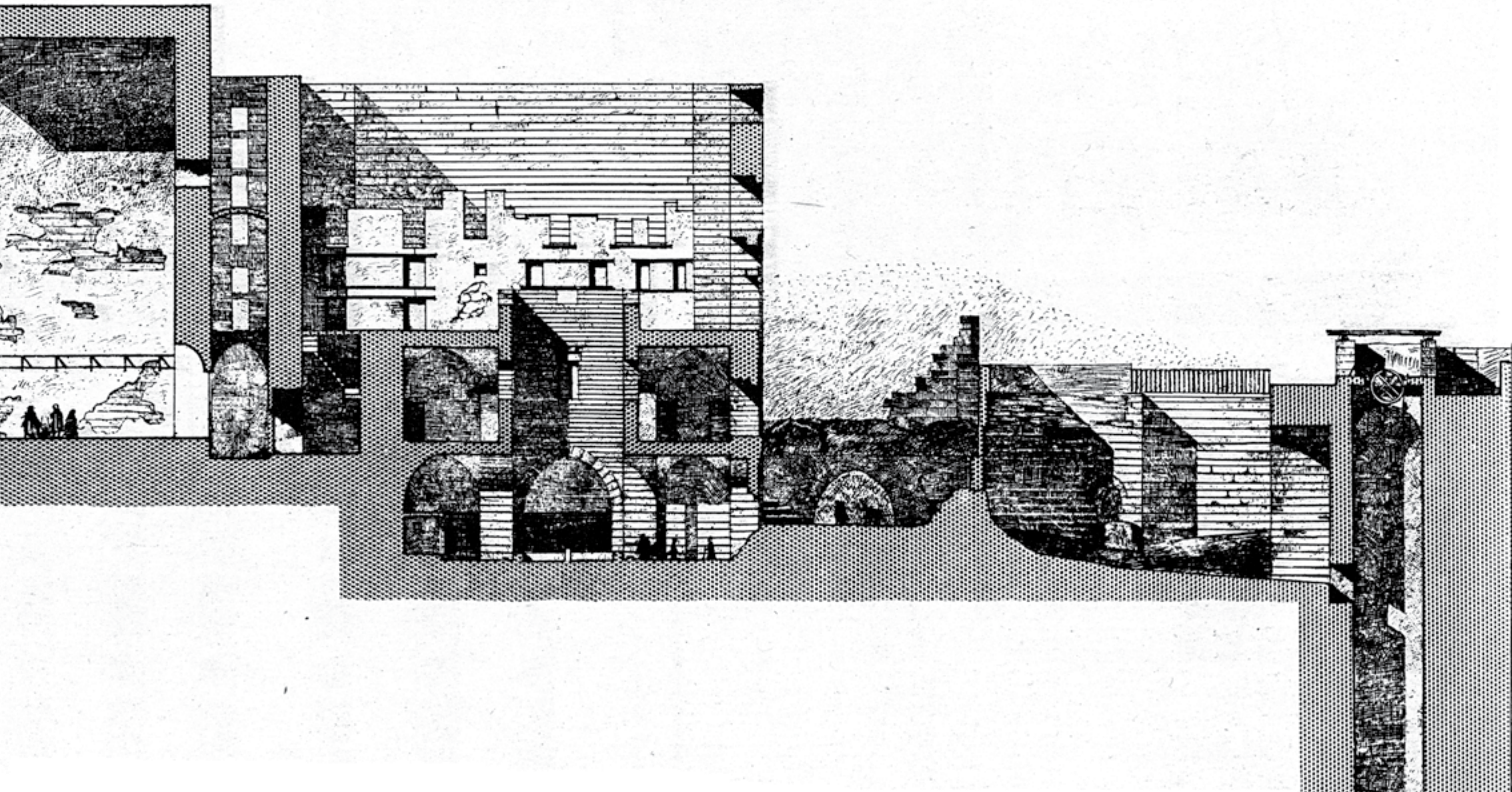
تقابلها المدرسة الشافعية، وعلى جانبي بابها قوله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ . ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [ق/ ٣٣- ٣٤].

ثم المدرسة المالكية تقابلها المدرسة الحنبلية وقد كتب على جانبي كل منها ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ . ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ . وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر/ ٤٥-٤٧]. وثمت كتابة قرآنية أخرى يقرأ فيها قوله تعالى ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة/ ٢١].

ويكتنف الصحن أربعة أواوين متماثلة يظهر التماثل في كل اثنين منها؛ وأكبرها وأميزها الشرقي وهو إيوان حافل بالزخارف بشكل تبدو فيه مهارة الصانع وأناته، ويحيط به طراز مزخرف بالخط الكوفي المزهر، مكتوب فيه بعد البسملة أوائل سورة الفتح إلى قوله تعالى ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ صدق الله العظيم ورسوله الكريم [الفتح/ ١- ٥].

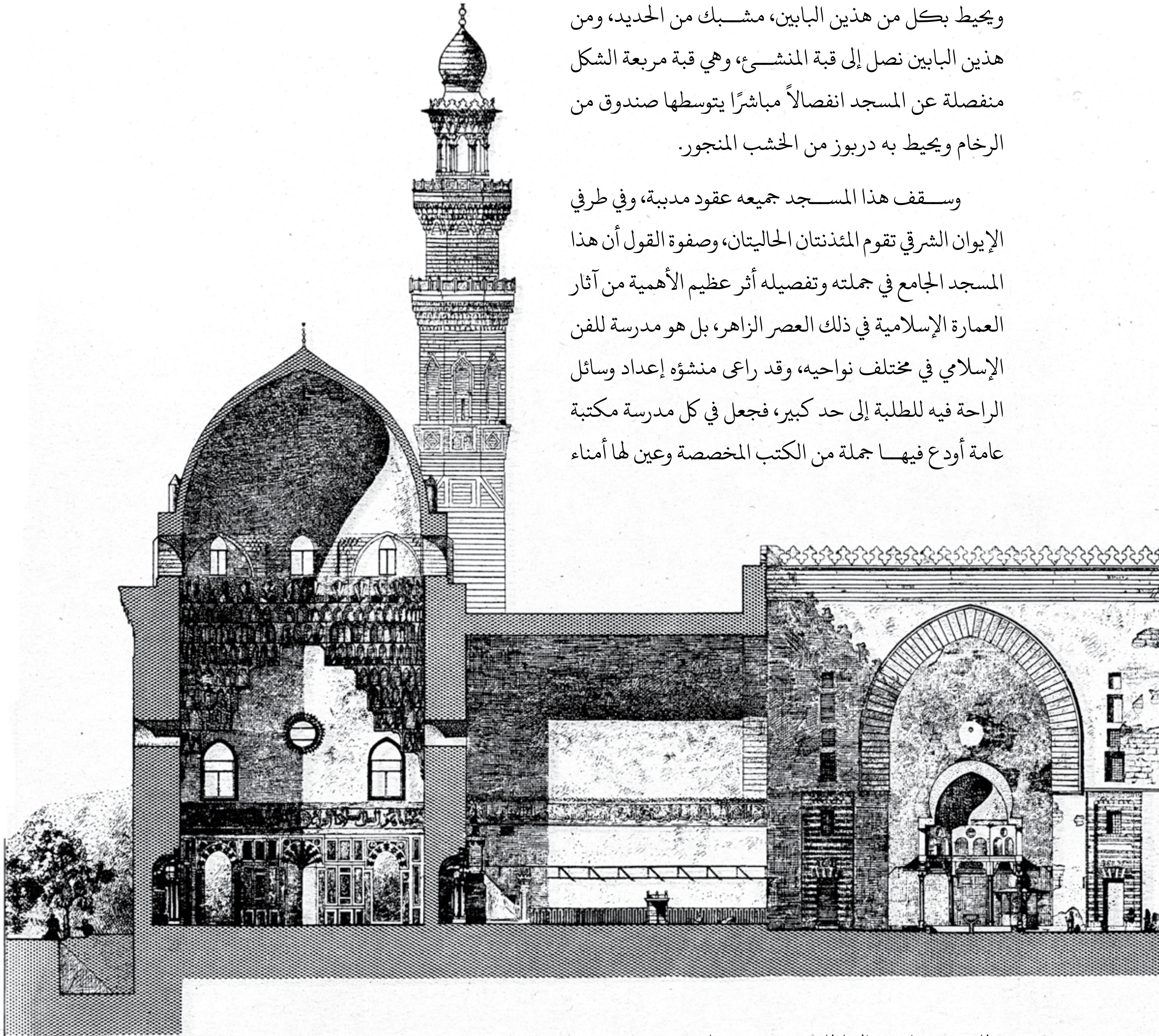
ويتوسط الإيوان سدة للتبليغ والتأذين من الرخام تحملها ثلاث أساطين، يقابلها بالواجهة الشرقية محراب من الرخام الملون الدقيق يتحلى بمجموعة من الزخارف، يكتنفه من الجانبين أربع أساطين.

والواجهة الشرقية جميعها مؤزرة بوزرة من الرخام الدقيق الملون، وتمتد هذه الوزرة إلى جانب الإيوان القبلي والبحري، وفي طرفيها بابان يؤديان إلى القبة، يجاورهما



بابان آخران أصغر منهما حجمًا، وجميعها مكفت بالنحاس المخــرم الملبس بالفضة، عــدا الباب القبــلي فإنه مفقود ويحيط بكل من هذين البابين، مشــبك من الحديد، ومن هذين البابين نصل إلى قبة المنشــئ، وهي قبة مربعة الشكل منفصلة عن المسجد انفصالاً مباشرًا يتوسطها صندوق من الرخام ويحيط به دربوز من الخشب المنجور.

وســقف هذا المســجد جميعه عقود مدببة، وفي طرفي الإيوان الشرقي تقوم المئذنتان الحاليتان، وصفوة القول أن هذا المسجد الجامع في جملته وتفصيله أثر عظيم الأهمية من آثار العمارة الإسلامية في ذلك العصر الزاهر، بل هو مدرسة للفن الإسلامي في مختلف نواحيه، وقد راعى منشؤه إعداد وسائل الراحة فيه للطلبة إلى حد كبير، فجعل في كل مدرسة مكتبة عامة أودع فيهــا جملة من الكتب المخصصة وعين لها أمناء



قطاع عرضي لمدرسة السلطان حسن «عن مساجد مصر»

ومغيرين، ثم جعل بها عيادة خارجية وداخلية ذات جناحين: جناح للطب الباطني، وآخـــر لمرض العيون، يتبعها صيدلية جامعة لمفردات الأدوية ومجهزات العلاج.

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى: على التابوت من ناحيته الجنوبية الغربية:

البســـملة ... كل مـــن عليها فان أمر بإنشـــاء هذا الضريح برسم تربة السلطان السعيد الشهيد الملك الناصر حســـن وذريته، تغمدهم الله برحمته أجمعين في في العشر الأول من شهر ذي القعدة الحرام سنة ست وثمانين وسبعمائة

المذكرة الثانية: بالقبة...

البســـملة. الله لا إله إلا هو الـــحي القيوم، إلخ وكان الفراغ من هذه القبة المباركة في شـــهور سنة أربع وستين وســـبعمائة المذكرة الثالثة بالمدارس الأربعة في سطرين؛

ينتهي كل سطر منها باسم المدرسة بعد النص التاريخي:

البسملة، أمر بإنشـــاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الشـــهيد المرحوم الملك الناصر بن مولانا السلطان الشـــهيد المرحوم الناصر محمد بن قلاون، وذلك في شهور سنة أربع وستين وسبعمائة.

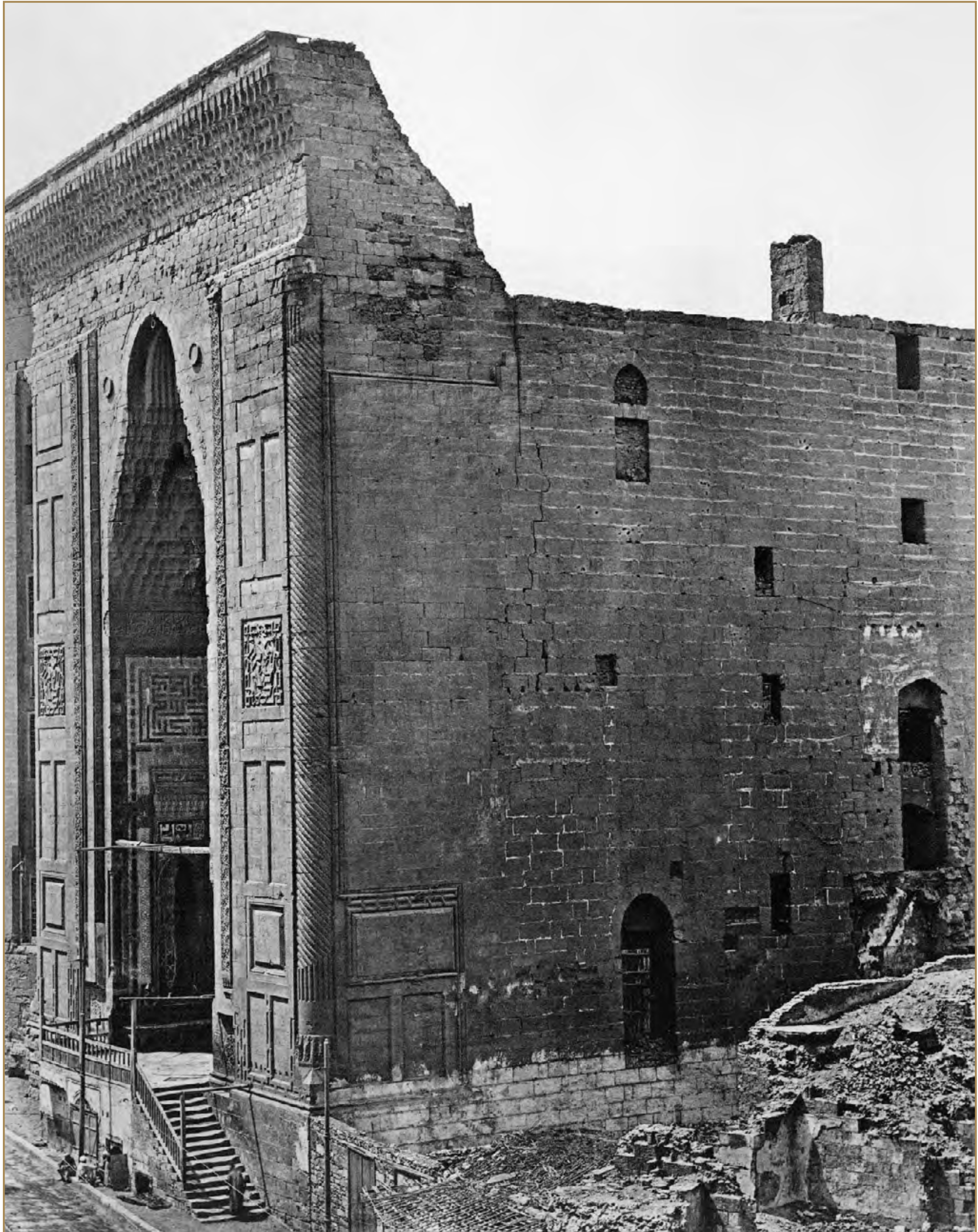
ثم هناك كتابات أخرى ورد فيها اســـم حسن أغا ثم الوزير إبراهيم، وســـتأتي معنا مذكرة أخرى لهذا المســـجد، مكتوبة في مصراعي باب المسجد المؤيد شيخ.

ترجمة المنشئ

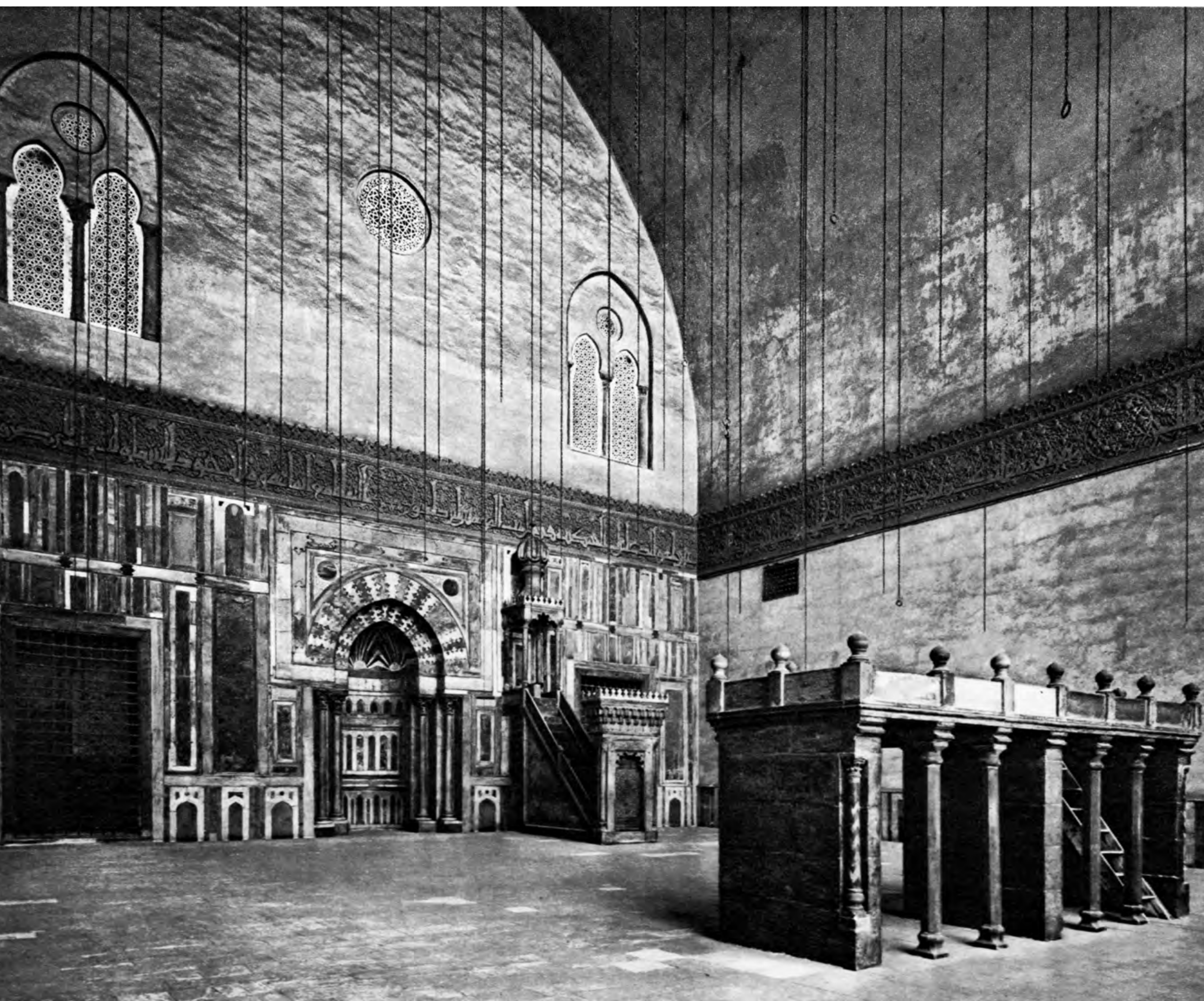
منشئ هذا المســـجد هو من أبرز أولاد الناصر محمد ابن قـــلاوون، تولى عرش مصر وعمره ١٣ ســـنة وتســـمى بالسلطان حسن بعد الأمير قماري، ولعدم بلوغه سن الرشد أقيم وصيًّا عليه نائب السلطنة بيبغا روس ثم الوزير منجك، ولم يستقم له الملك نوعًا ما إلا في المرة الثانية، وقد استطاع بحزمه وجده على صغر سنه أن يقاوم الفوضى الداخلية التي انتابت البـــلاد وقتئذ، كما قاوم أعداءه في الأقطار الشرقية واسترجع ما كان مغصوبًا من أملاك الدولة، واهتم بمحاربة المنكرات وإبطال العقائد الفاســـدة الـــتي منيت بها هذه البلاد من قبـــل، وفي عصره بدأت مصر تأخذ دورًا جديًّا في المحافظـــة على الفضيلة بصورة مرضية لكن مع الأســـف لســـوء الحظ لن تطل مدة هذا الملك، فعوجل بالقتل في سنة (٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م) وقد مات مأسوفًا عليه.

ويوصف بالعقل والســـداد والعلم والحفظ والأدب، وبلغ من اهتمامه بالعلم أنه كان ينسخ ما يحتاجه من الكتب بيده، فبلغنا أنه نســـخ وهو في سجنه نسخة من دلائل النبوة للبيهقي في ثلاثين جزءًا، وحين تم نسخها وقد مضت ثلاث سنوات على سجنه أفرج عنه، وعاد إلى ملكه مرة ثانية حتى مات، وقد اســـتطاع أن يحسن علاقته بدول أوروبا تحسينًا ظهر أثره فيما بعد[1].

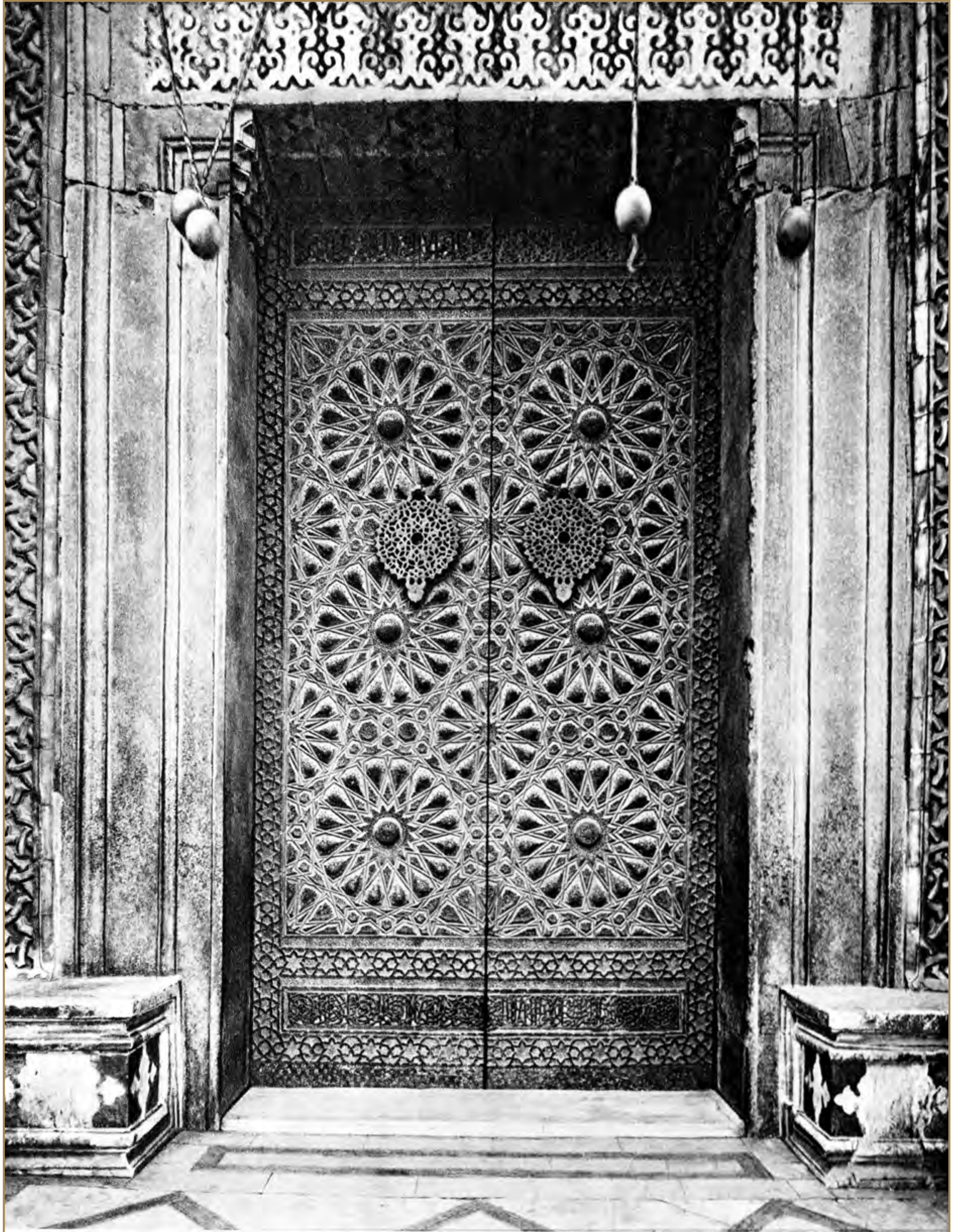
(١) عن سيرة السلطان حسن، انظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٣٨-٤٠؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٤: ١٢٥-١٣٢؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ١: ٢٨١-٢٨٨.



واجهة مدرسة السلطان حسن «عن لجنة حفظ الآثار العربية»



إيوان القبلة بمدرسة السلطان حسن «عن مساجد مصر»



باب مدرسة السلطان حسن
«عن مساجد مصر»

مسجد نظام الدين

خانقاه أثرية رقم ٥٦ (سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)

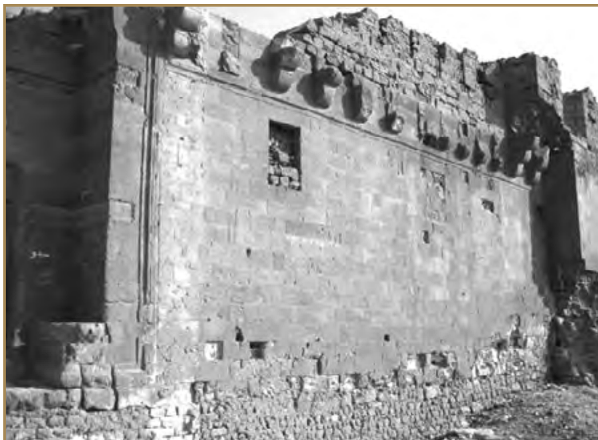
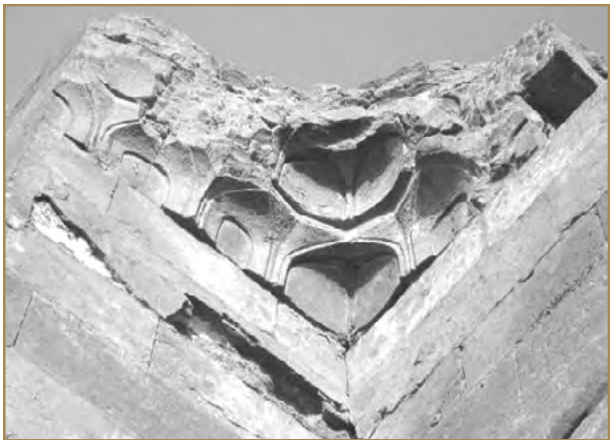
هذه الخانقاه[1] بشارع الدحديرة [دار الضيافة سابقًا] أسفل باب الوزير، أنشأها الشيخ إسحاق بن عاصم ابن محمد بن عبد الله بن الهلال بن مجد الدين الأصبهاني الحنفي المعروف بالشيخ نظام الدين الصوفي في سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) في عهد الملك الناصر حسن، وجعلها برسم خانقاه للصوفية العجم؛ وهو أصبهاني الأصل من بلاد الفرس ثم قدم مصر وسكنها، وتولى مشيخة الخانقاه الناصرية بمنشأة سرياقوس؛ ولما أوفدت الحكومة المصرية الناصرية بعثتها الأزهرية إلى الهند انتخبته رئيسًا لها، فسافر إلى الهند ثم عاد وقد أسري وتمول وصار من الأغنياء الكبار بعد أن كان لا يملك غير مرتبه الحكومي، حتى قيل أنه كان يهدي من زاره مواعين ملأى بالذهب والتحف بدلاً من الفاكهة والحلوى، وعمر هذه الزاوية مما حازه وأوقف عليها أوقافًا، ومازال مقيمًا بها هو وأصحابه إلى أن توفي ليلة الأحد ١٣ ربيع الثاني سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م) ودفن بها.

وهذه الخانقاه لم يذكرها المقريزي فيما ذكره من الخوانق من «الخطط»، وترجم لمنشئها في «درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة» وفي «السلوك»، وسكت عليها علي باشا مبارك، ووجدنا لمنشئها عدة تراجم في تاريخ العيني، و«العقود» للمقريزي و«السلوك»، وتاريخ ابن إياس، و«المنهل الصافي» لابن تغري بردي، وفي هذا المصدر ترجم له ولولده وخلاصتها: «هو إسحق بن عاصم بن محمد العلامة شيخ الشيوخ نظام الدين بن الشيخ مجد الدين بن سعد الدين الأصبهاني الحنفي، قدم القاهرة بعد أن برع في عدة علوم وصار معدودًا من الفضلاء وولى مشيخة خانقاه سرياقوس، ووصف بشيخ مشايخ الإسلام، ثم توجه في الرسلية إلى بلاد الهند، وعاد وقد كثر ماله حتى أنه أهدى الذهب في الأطباق إلى عظماء الدولة، ومما يدل على اتساع ماله عمارته بخانقاهه بالقرب من قلعة الجبل تجاه باب الوزير على شرف الجبل ووقف عليها من الأوقاف في سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٢٣م)، كان له همة ومكارم، تحدث حفيده بأشياء من هذا النمط عن جده المذكور يطول الشرح بذكرها، وكان مع ذلك ملازمًا للاشتغال والتصدي للإفتاء والتدريس عدة سنين، وانتفع به الناس إلى أن توفي ليلة الأحد ثالث عشر ربيع الآخر سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)» قاله العيني وقال المقريزي: «في المحرم سنة (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م)»، وفي كتاب السلوك للمقريزي: «أنه دفن بمدرسته فوق الشرف بجوار دار الضيافة»، وفيه أيضًا:

(١) مسجلة أثرًا برقم ١٤٠.





بقايا خانقاه نظام الدين. «عن Islamic Art Network»

«أن المدرسة واقعة على طرف الجبل خارج باب الوزير تحت دار الضيافة»[١].

وفي ابن إياس: «أنه توفي سـنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)، ولما مات تولى بعده ولده جلال الدين مشيخة خانقاه سرياقوس، وتلقب بشيخ الشيوخ مثل والده»[٢].

ووجدنا لولده المذكور ترجمة أيضًا في «شذرات الذهب» وفي «الضـوء اللامع» للسـخاوي، قال السـخاوي: «أحمد ابن إسـحاق.... بن النظام بن المجد بن السـعد الأصبهاني الخانكـي الحنفي ويعرف بالشـيخ أصلـم، ولد في حدود الستين وسبعمائة ونشـأ بالقاهرة، وتفقه بأبيه وغيره، وولي مشيخة خانقاه سرياقوس وخصه الظاهر برقوق، توفي سنة (٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م) ودفن بالزاوية»[٣].

وما برحت هذه الزاوية على حالتها الأولى حتى حين[٤]، وقد اتخذت في أيامها الأخيرة مدرسة يدرس فيها العلم، كما يحدثنا بذلك الجبرتي في ترجمته للشـيخ علي الأشبولي المتوفى سـنة (١٢١١هـ/ ١٧٩٦م) إذ يقـول: «وكان بيده عدة وظائف وتداريس مثل جامع الآثار والنظامية»[٥]، وما برحت كذلك إلى أن تغيرت معالمها حينما دخلت الحملة الفرنسية أرض مصر، فإنهم في سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م) «هدموا جزءًا كبيرًا منها أخذ مئذنتها، ولم تقف معاولهم عند هذا الحد فحسب، بل نبشوا ما فيها من قبور وألقوا ما وجدوه بداخلها من الرفات على الأرض، واتخذوها معقـلاً لهم يتحصنون فيه، وقد غم الأهالي لذلك، ووجدوا وجدًا عظيمًا واجتمع رأيهم على نقل تلك الرفات، ولما لم يتمكنوا من إعادتهم إلى قبورهم دفنوهم في مشهد غفير[٦]، بتكية السيد محيي الدين الرفاعي القريبة من باب المدرج وهو الباب البحري للقلعة»[٧].

وبقيت هذه المدرسـة على هـذا التخريب إلى اليوم، وهـذه العبارة أفادنا بها الجبرتي في عجائب الآثار بما نصه: «وهدموا أعالي المدرسـة النظامية ومنارتها، وكانت في غاية من الحسن وجعلوها قلعة، ونبشوا ما بها من القبور، فوجدوا الموتى من توابيت من الخشب، فظنوا داخلها دراهم فكسروا بعضها، فوجدوا بهـا عظام الموتى، فأنزلـوا تلك التوابيت وألقوها إلى خارج، فاجتمع أهل تلك الجهة وحملوها وعملوا لها مشـهدًا بجمع من الناس ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب المدرج»[٨].

ومما يلفت النظر في هذه العبارة قول الجبرتي: «فوجدوا الموتى في توابيت من الخشـب»، ومن ذلك نسـتطيع القول بأن موتى المسـلمين من الطوائف كانـت توضع رفاتهم في صناديق من الخشب كالمتبع عند غير المسلمين وعند الأمم

(١) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، تحقيق محمود الجليلي، مج.١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢): ٣٨٨؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٣، ج. ٢: ٤٦١؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٢: ٦٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٢١٧؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٢: ٣٦٢-٣٦٣.

(٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ٢٨٦، ٣٠٠.

(٣) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٤: ١٤٨؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١: ٢٢٦-٢٢٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٣: ١٧؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ١: ٢١٩.

(٤) جددها الويزر محمد باشا الصوفي في سنة (١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م)، على عهد الأمير قيطاس كتخدا أحد نظارها السابقين، وهذا ما تحققته من [السجل رقم ٢٧٣، ص١٧٣] بقلم الحفظ (المؤلف).

(٥) الجبرتي، **عجائب الآثار**، مج. ٢: ٤٠٢-٤٠٣.

(٦) هكذا في الأصل، ولعله يريد «في مشهد غيره»، أو «في مشهد قريب».

(٧) المرجع السابق، مج. ٣: ٢٥٩.

(٨) المرجع السابق.

الأخرى التي كانت قبل الإسلام، وهذه عادة فارسية يحتفظ بها الأعاجم كعادة أسلافهم القدماء، ولا يرى فيها علماء الشيعة أي حظر ومنع.

وقد زرنا هذه الزاوية النظامية بشارع الدحديرة المذكور، فوجدنا على بابها نصوصًا تتضمن اسم منشئها وتاريخ الإنشاء في العبارة الآتية:

بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذه الخانقاه المسمى بالنظامية العبد الفقير إلى الله تعالى الجناب الكريم العالي المولوي نظام الملة والدين، إسحاق القرشي الأصفهاني نفع الله ببركته شيخ الشيوخ بالديار المصرية والبلاد الشامية وسائر المملكة الإسلامية سنة سبع وخمسين وسبعمائة

ونلاحظ أن التاريخ الموجود في هذا النص يعين الوقت الذي أنشئت فيه هذه الزاوية وهو سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)، لا كما يقول من ترجم له أنه في سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م)، والمؤكد أنه تحريف من النساخ أو وهم من الكاتبين.

وعند دخولنا لها وجدناها تشتمل على طبقات علوية وسفلية، في بعضها مساكن وخلاوي كلها متخربة، وصعدنا إلى الطابق العلوي فوجدنا به بهوًا وبأوله غرفة بها حاجز [درابزون] من خشب، وفي داخله ثلاثة قبور، وبإزائها بعض المتخلف من شواهد الترب التي كانت عليها قبل تخريبها، وصندوق من خشب قد أبلاه القدم بغير كساء، ووجدنا بعض كتابات متقطعة على جوانب هذه القبور والشواهد.

وقد تبين لنا من الشعار المركب على البقية الباقية من هذه الشواهد، أن هذه الزاوية كانت في وقت ما من زوايا الجلاليين إتباع المولى جلال الدين الرومي إلا أنها كانت شبه مستقلة عن زوايا تلك الطائفة التي في مصر وفي غيرها من الممالك لاتصالها بطريق الكيلانية من «سبيل التعدد أو من سبيل التسليك».

وقد بدا لنا من خلال معاينة هذه الزاوية أن تفاصيلها المعمارية يباين بعضها الآخر، فنجد مثلاً في خارجها هيئة بنية لم نجدها في داخلها، وفي نظام الخلاوي والقبور وضع آخر قد يكون شاذًا عن خانقات أخرى من نوعها في مصر، وهي وإن كانت ذات مميزات في عهدها الأول إلا أنها قد فقدت رونقها وبهاءها بتقادم الزمن عليها.

جامع خوند تتر (المدرسة الحجازية)

أثر رقم ٣٦ (سنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م)

هذا الجامع بحارة القفاصين «درب قراصيا سابقًا»، من شارع حبس الرحبة قسم الجمالية، ينسب إنشاؤه إلى الخوند تتر ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون شقيقة السلطان حسن وزوجة الأمير ملك تمر الحجازي، منشئ المدرسة الحجازية القديمة بسوق الطيور، أنشأته إلى جانب بيتها على قطعة من الأرض كان يقوم عليها جزء من القصر الفاطمي الكبير المسمى بقصر الزمرد.

وتم في سنة (٧٦١هـ/ ١٣٥٩م)، ورسمت أن يجعل منه مدرسة وتربة كما يجعل منه مسجدًا جامعًا للصلاة، وإلى ذلك يشير المقريزي في ترجمة هذه المدرسة بقوله: «وجعلت بهذه المدرسة درسًا للفقهاء الشافعية قررت فيه شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني؛ ودرسًا للفقهاء المالكية، وجعلت بها منبرًا يخطب عليه يوم الجمعة ورتبت لها إمامًا راتبًا يقيم بالناس الصلوات الخمس، وجعلت بها خزانة كتب، وأنشأت بجوارها قبة من داخلها لتدفن تحتها، وأنشأت بها منارًا عاليًا من حجارة، وجعلت بجوار المدرسة مكتبًا فيه عدة من أيتام المسلمين ولهم مؤدب يعلمهم القرآن ويجري عليهم في كل يوم لكل منهم من الخبز النقي خمسة أرغفة ومبلغ من الفلوس، ويقام لكل منهم بكسوتي الشتاء والصيف، وجعلت على هذه الجهات عدة أوقاف جليلة، وكان لا يلي نظر هذه المدرسة إلا الأمراء والكبراء»[(١)].

المدرسة تستعمل سجنًا

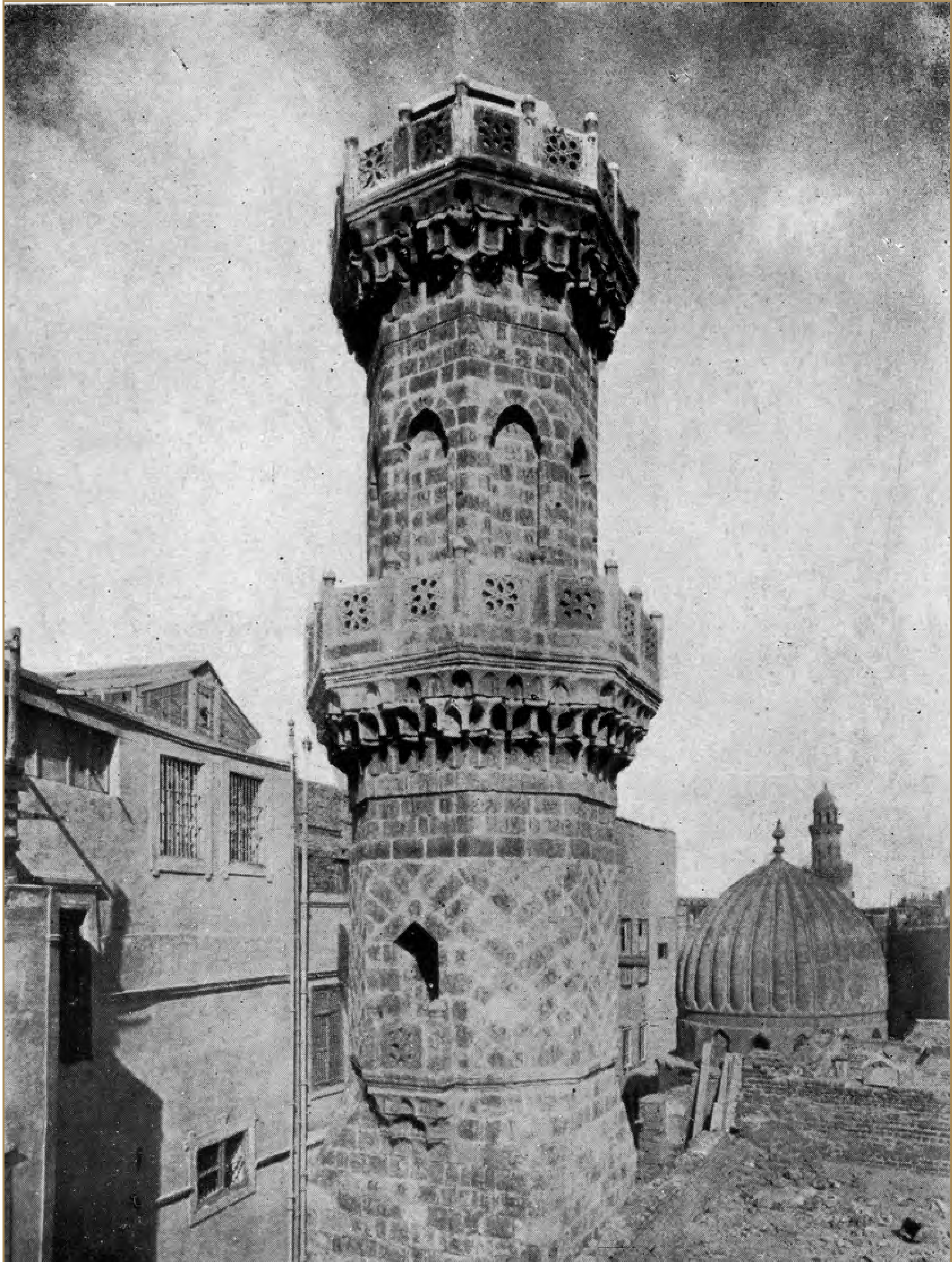
ولما ولى الأمير جمال الدين يوسف البجاسي وظيفة أستادارية السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق، وعمر بجانب هذه المدرسة داره ثم مدرسته، صار يحبس في المدرسة الحجازية من يصادره أو يعاقبه حتى امتلأت بالمسجونين الأعوان المرسمين عليهم، فزالت عنها تلك الأبهة وذهب ذلك الناموس؛ واقتدى بجمال الدين من سكن بعده من الأستادارية في داره، وجعلوا هذه المدرسة سجنًا[(٢)].

وصف المسجد

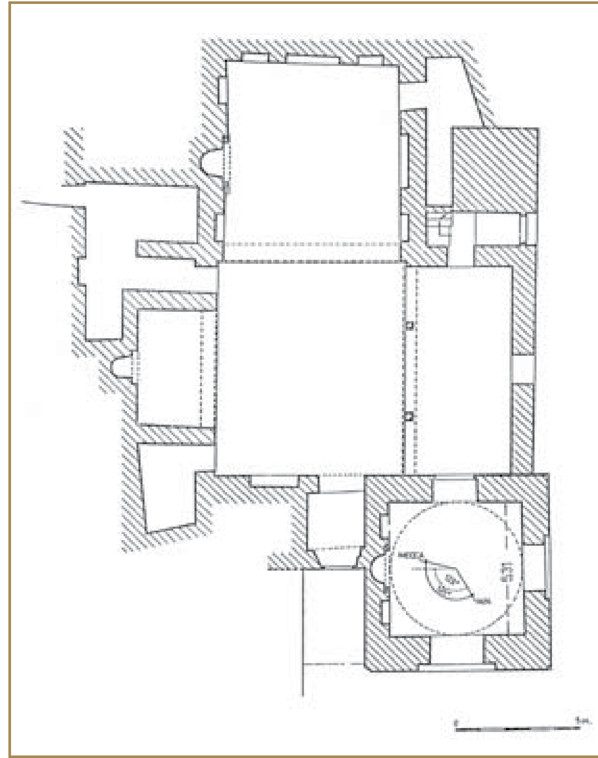
وبالرغم من صغر هذه المدرسة، فإن داخلها يتألف من ثلاثة أواوين وصحن مكشوف؛ وفي الإيوان الشرقي منها محراب فيه من بدائع الزخرفة ودقة الفن ما يجعله فريدًا في تصويره ووصفه، لا نظير له في محاريب أخرى إلا نادرًا، وفي الغربي دكة تبليغ وتأذين حديثة الصنع من الخشب المنجور

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٣١-٥٣٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٣٨.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٣٤.



مئذنة جامع خوند تتر «عن لجنة حفظ الآثار العربية»



مسقط أفقي لجامع خوند تتر «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

مرتفعة عن مستوى أرض الإيوان، وإلى جانب هذا الإيوان باب يؤدي إلى القبة، وهي قبة حافلة من الداخل بالزخارف والمقرنصات، ويتوسطها صندوق من الرخام الأبيض المسنون المزخرف بالنقوش والكتابات، وظاهر القبة مضلع من نوع القباب المعاصرة لها.

المذكرات التاريخية

ويعلو الباب العمومي للجامع، روسم محفور به في خمسة أسطر العبارة التالية:

البسملة... أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة من فضل الله وجزيل نعمته طلبا لرضوانه، الآدر المصونة تتر خاتون الحجازية كريمة المقام الشريف الملكي الناصري ناصر الدنيا والدين حسن السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي تغمدهم الله برحمتهم؛ وكان الفراغ من ذلك في سلخ شهر رمضان سنة إحدى وستين وسبعمائة للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والرحمة.

وفي طرف الوجهة الغربية باب صغير يؤدي إلى المئذنة الحجرية التي يشير إليها المقريزي، وهي من المآذن المستديرة السميكة وأعلاها مفقود.

تجديد المسجد

ظل هذا المسجد حقبة طويلة من الزمن عامرًا، ثم تخرب وتعطلت مرافقه وبقيت أنقاضه ماثلة فظل مغلقًا حينًا من الدهر، ثم شرع في تجديده سنة (١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م)، ومن سنة (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) حتى سنة (١٣٥٠هـ/ ١٩٢١م)، فجدد منه بعض مفرداته، وكشف الصحن الذي كان مغطى بسقيفة بالية، وأحدث به محراب صغير في الإيوان الشرقي البحري، ووضع به منبرًا حل محل المنبر الأصلي المصنوع من الخشب المنجور المطعم بالسن والصدف، المنقول إلى دار الآثار العربية مع بعض مفردات أخرى منه كأبوابه وشبابيكه، وجددت قاعدة المئذنة بعد أن فكت جميعها ثم أعيدت بالصالح من موادها، وأحدثت به دورة مياه صحية.

وجدد المحراب القديم؛ ورممت جدران الأواوين الثلاثة وواجهة القبة؛ ونظم رخام الصحن إلى بعض إصلاحات أخرى هذه أهمها، وبعد تكامله افتتح للصلاة بعد غلقه هذا الوقت الطويل.

والجامع على شكله الحالي، حافظ لأغلب مفرداته ومحافظ عليها، فالواجهة بما فيها الباب وأعالي المئذنة والقبة داخلها وخارجها، وسقف إيوانه الشرقي الكبير والذي يليه يجاوره بسماواتهما، وطراز النقش الذي يحيط الأواوين ويمر



نقش كتابي بجامع خوند تتر «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

بالصحن، وعقود الصحن وشرفاتــه ومدخل بابه وزخارفه الطرازية والأفريزية، والصندوق الحجر المقام على قبر المنشئة والروســم الوارد به النص التاريخي، وواجهة الباب العمومي والتربة بشكلها والمحراب الذي لا يعادله محراب آخر، كل ذلك باق على وضعه ووصفه من آثار هذا المسجد في عهد إنشائه، وهــذا الجامع في مجموعه وتفصيله يعتــبر من أنفس الآثار الإسلامية التي تخلفت من هذا العصر.

ظاهرة اجتماعية جديرة بالانتباه في تاريخ هذا المسجد

ووجدت في تاريخ هــذا الجامع ظاهرة جديرة بالذكر، وهي أن هذا المسجد كان به خدمة يجلسون على باب القبة التي دفنت بها المنشـئة لحراســتها حتى لا يدخلها رجل، وكانــوا لا يمكنون المقرئين من الدخــول إليها إلا من كان منهم كفيفًا فاقد البصر، كانوا يفعلون ذلك حجابًا للمنشئة ووقاية لها من دخول أجنبي عليها.

ووقــع أن بعض المقرئــين وشى بزميل له عند رئيس الخدم، فذكر له أنه دخل على الخوند «لقب تعظيم للمنشئة» بصورة منافية لــلآداب، فأمر كبير الخدم بجلد ذلك المقرئ وتعزيزه، فجلد وأثخن بالضرب حتى كاد يزهق؛ وقد أســمعه وهو تحت المقارع من الكلام البذيء ما يكره سماعه[١].

فليتأمل دعاة الســفور وعلماء الاجتماع كافة، كيف كان القوم فيما سلف يحافظون على حرمة نسائهم أن تنتهك، ويحرصون على تحجبهم اتباعًا لأوامر الدين الحنيف والشرع الشريف حتى في الموت وبعد الموت، وقد ذهبت عنهم تلك الأجســاد النضرة، وتجردن عن الزينة وعن مظاهر التبرج، وبليت رفاتهن وعفها النظر؛ وتنحى عنها كل إنسان.

ومن هذا القبيل ما روي عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، روينا عن ابن سعد في الطبقات قال:- «كانت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تكشــف قناعها حيث دفن أبوها مع رسول الله ﷺ، فلما دفن عمر تقنعت فلم تطرح القناع».

وفي رواية له عن مالك بن أنس قال: «كانت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ربما دخلت حيث القبر «يعني قبر رســول الله ﷺ» فضلاً «أي مبتذلة في ثياب المهنة: يقال تفضلت إذا لبســت ثياب مهنتها»، فلما دفن عمر لم تدخلــه إلا وهي جامعة عليها ثيابها.

(١) المرجع السابق: ٥٣٢.

جامع بدر الدين العجمي (المدرسة البديرية)

أثر رقم ٣٩ (سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م)

هذا الجامع بصدر حارة الصالحية بشارع المعز لدين الله «النحاسين سابقًا»، أنشأه الأمير ناصر الدين محمد بن محمد بن بدير العباسي[١] -نسبة للعباسة قرية بالشرقية اختطها أحمد بن طولون لابنته العباسة في سنة (٢٦٢هـ/ ٨٧٥م)، وجعله برسم مدرسة للشافعية- وتم إنشاؤها في (٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م)، كما يؤخذ من النص التاريخي الوارد بروسم ملصق بجانب محراب هذا الجامع[٢].

وقد سماه المقريزي بالمدرسة البديرية، بيد أنه لا يعرف منذ حين إلا بجامع بدر الدين العجمي، وبزاوية إبراهيم جاويش جمليان، أحد نظارها السابقين.

وظهر من كلام السخاوي أن هذه التسمية جاءته من طريق حفيد منشئه، المدعو بدر الدين محمد بن محمد بن بدير العجمي مشرف البيمارستان المنصوري [المتوفى سنة (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م)]، وقد كان يتولى نظارة هذا الجامع بحكم صلته بمنشئه وجدد فيه بعض مرافق[٣].

وقد توالى الخراب على هذا الجامع منذ اتخذ محكمة جزئية، ولما شن الخراب عليه إغارته بصورة مكبرة، أوصد بابه وظل مغلقًا حتى اليوم ورأيت في [السجل رقم ٣٨٢ ص١١- حفظ] أن تجديدًا حصل بالأثر في المحرم سنة (١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م)، وبالرغم من تخربه فإن فيه بقايا صالحة من مخلفاته، أهمها بلاطه الشرقي بمحرابه الجميل، وبعض مفردات أخرى، أما واجهته فهي متغايرة وقد أعيد تجديدها في سنة (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م)[٤].

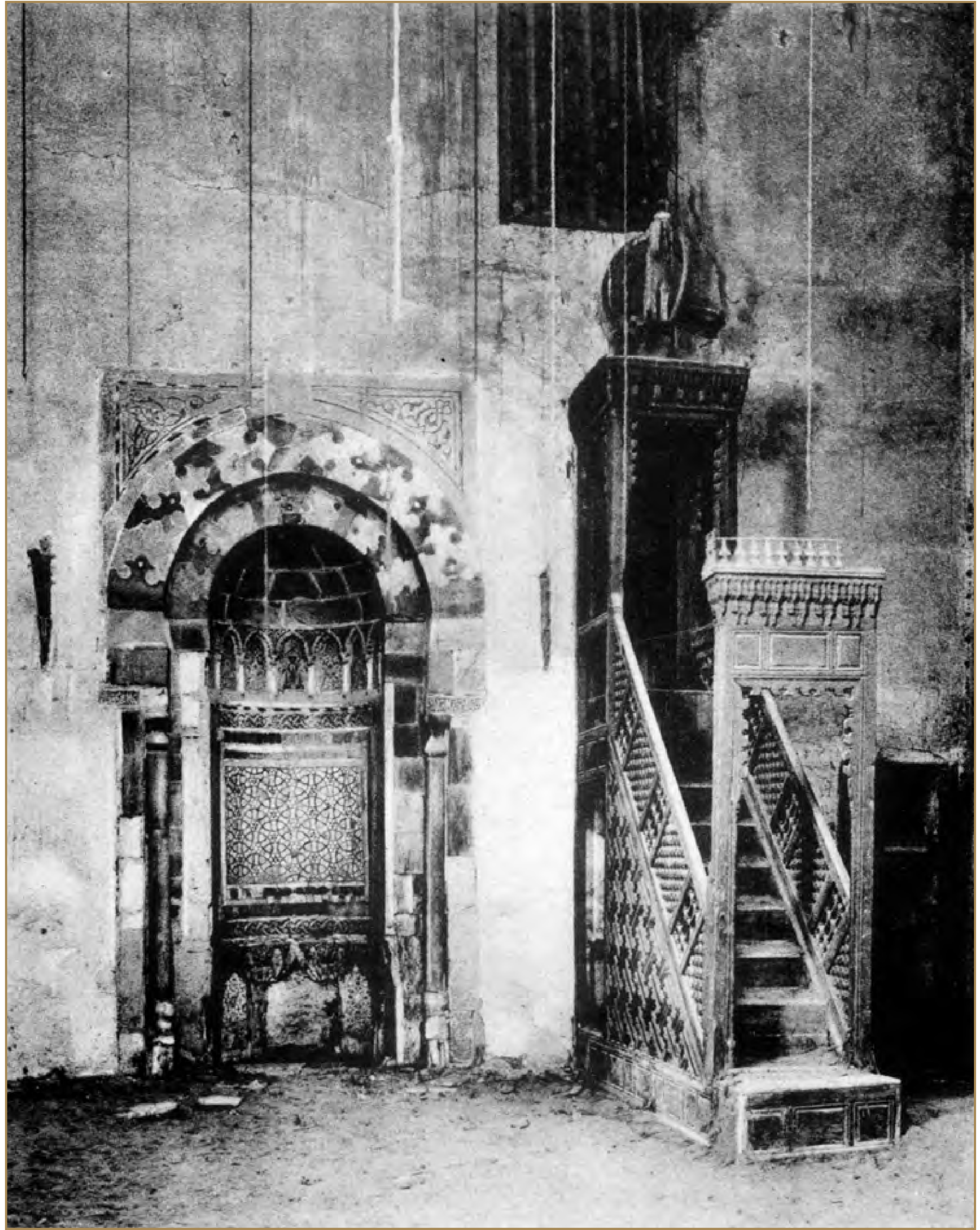
---

(١) حجة وقف المنشئ بالحفظ مسجلة برقم ٧ بتاريخ ٢٠ من جمادى الآخر سنة (٧٦٥هـ/ ١٣٦٤م) (المؤلف).

(٢) المدرسة البديرية: هذه المدرسة بجوار باب سر المدرسة الصالحية النجمية، كان موضعها من جملة تربة القصر، فنبش شخصًا من الناس يعرف بناصر الدين محمد بن بدير العباسي ما هنالك من قبور الخلفاء، وأنشأ هذه المدرسة في سنة (٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م)، وعمل فيها درسًا للشافعية ودرس فيها شيخ الإسلام سراج الدين بن عمر البلقيني، وهي مدرسة صغيرة لا يكاد يصعد إليها أحد، انظر: المرجع السابق: ٥٧٠-٥٧١.

(٣) السخاوي، **التبر المسبوك**، مج. ١: ١٤٩.

(٤) كان هذا الجامع موجودًا حتى عام (١٩٩٠م)، حتى قام الأهالي بهدمه وأنشأوا مسجدًا جديدًا.



إيوان القبلة بالمدرسة البديرية «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

جامع بشير الجمدار

أثر رقم ٢٦٩ (سنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م)

هذا الجامع الصغير المقابل لسراي المحكمة الشرعية[١] بشارع نور الظلام «سابقًا حكر سنجر الخازن»[٢]- «بيت مصطفى رياض باشا سابقًا»- أنشأه الأمير بشير الجمدار الناصري «خياط الملك أو صاحب ملبوسه»؛ على أنقاض مسجد كان قد بناه الأمير سنقر السعدي صاحب المدرسة السعدية في سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م)، وتم إنشاؤه في سنة (٧٦١هـ/ ١٣٥٩م)، وجعله برسم مدرسة[٣].

والمدخل إليه من بابين أحدهما تجاه المحكمة، وداخله يشتمل على إيوان وسدة للتبليغ تحملها أسطوانتين، وقد توالى على هذا المسجد من تقلبات الزمن ما خرب معظمه فسقطت قبته، وفقد بعض مفرداته، وتدل النقوش التي به على أن عمارة أجراها به الأمير عمر أغا دار السعادة في سنة (١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م) وبه مذكرة تاريخية نصها:

البسملة. أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة العبد الفقير بشير الجمدار الناصري بتاريخ شهر المحرم افتتاح سنة إحدى وستين وسبعمائة.

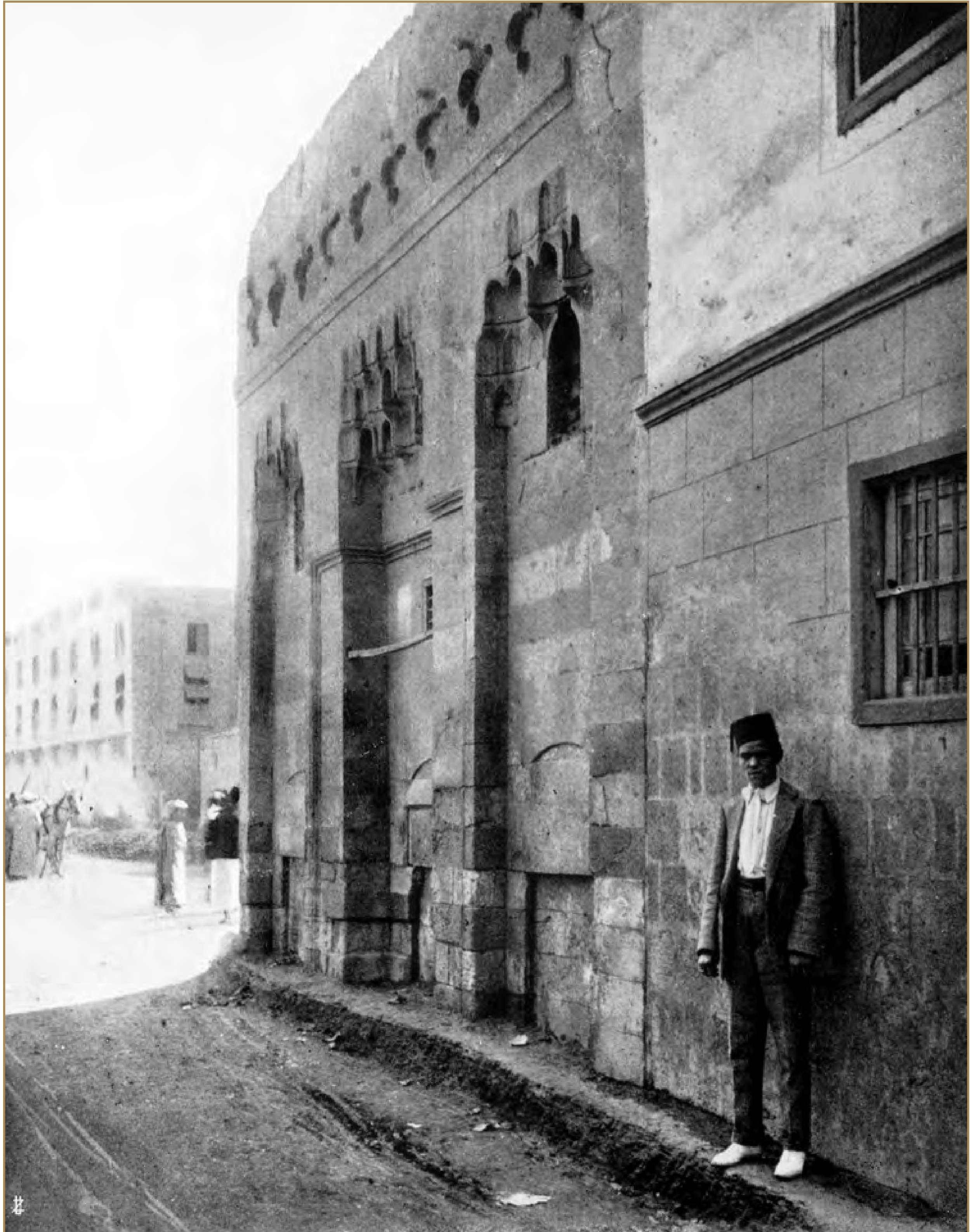
ويؤكد ابن إياس أن الأمير قانصوه خال السلطان الناصر محمد بن قايتباي أمر في سنة (٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م) بحكم جواره لهذه المدرسة أن تقام فيها الخطبة، وأن يودع بها منبرًا؛ إذ لم يكن بها خطبة قبل ذلك التاريخ[٤].

(١) هدمت المحكمة الشرعية في آخر خمسينيات القرن العشرين، وأقيم في محلها مساكن شعبية، وكانت قصرًا من آثار القرن ١٩.

(٢) حكر الخازن: كان يقع فيما بين بركة الفيل وخط الجامع الطولوني، كان من جملة البساتين ثم صار إسطبلاً للجوق الذي فيه خيول المماليك السلطانية، فلما تسلطن العادل كتبغا أخرج منه الخيول، وعمره ميدانًا يشرف على بركة الفيل سنة (٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م)، ونزل إليه ولعب فيه بالكرة كامل سلطنته كلها إلى أن خلعه المنصور لاجين، الذي أهمل أمره، وعمر فيه علم الدين سنجر الخازن متولي القاهرة بيتًا فعرف من حينئذ بحكر الخازن، وهو الأمير سنجر السروري المعروف بالخازن الأشرفي والي القاهرة لمدة ١٢ سنة آخرها في سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م)، وتبعه الناس في البناء هناك، وأنشأوا فيه الدور الجليلة، فصار من أجل الأخطاط وأعمرها، وأكثر من يسكن به الأمراء والمماليك، وهذا الحكر يحدها الآن من الشرق شارع جامع أزبك وحارة نجم الدين، ومن الشمال حارة نجم الدين أيضًا وعطفة حمام البابا، ومن الغرب شارع محمد قدري، ومن الجنوب شارع الخضيري، وقد حرف اسم هذا الحكر إلى حكر الخادم ودرب الخادم، وصار يعرف الآن بشارع نور الظلام بالحلمية، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٤٨٨-٤٤٩؛ مج. ٤، ج. ٢: ٦١٠، هامش ٤؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ١٧٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٣٠٥-٣٠٦؛ اليوسفي، نزهة الناظر: ٢٧٢-٢٧٣؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٣٣٥؛ مج. ٦: ٨-٩.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦١٠-٦١١.

(٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ٣: ٣٩٢-٣٩٣.



واجهة جامع بشير الجمدار «عن لجنة حفظ الآثار العربية»



واجهة جامع بشير الجمدار «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

والمسجد يعرف حاليًّا بنور الظلام، وتحقق لي في وثائق ملكية هذا الحي أن اسـمه كاملاً هو بشير نور الظلام من طائفة تفكجيان عتيق عابدين جوربجي، والشـارع يعرف باسمه حاليًّا بعد تسميته بدرب السكران وبحارة حلب[1].

(١) شارع نور الظلام يسمى الآن شارع محمد شاكر.



إيوان المؤخر بجامع بشير الجمدار «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

جامع سابق الدين مثقال (المدرسة السابقية)

أثر ٤٥ (سنة ٧٦٣هـ/ ١٣٦١م)

هذا الجامع بدرب قرمز «خط أمير سلاح سابقًا»[١]، بني على قطعة أرض من حقوق القصر الفاطمي، أنشأها مدرسة للشافعية الأمير سابق الدين مثقال الأنوكي[٢] مقدم المماليك الأشرفية في سنة (٧٦٣هـ/ ١٣٦١م)[٣]، قال المقريزي: «وجعل فيها تصدير قراءات وخزانة كتب وكتابًا يقرأ فيه أيتام المسلمين»[٤].

والمدخل إليها من باب يعلو عن الأرض ببضع درجات مستديرة، ومنه إلى أربعة أواوين يحيط بها صحن مكشوف، وبالإيوان الشرقي محراب من قطع الرخام الملون الدقيق، له شبه ببعض المحاريب التي بنيت في عصره، وواجهته مؤزرة ومزخرفة بآيات كريمة من سورة البقرة.

ومن الظواهر الغريبة في هذه المدرسة وجود سدتين للتبليغ من خشب مشغول في كل من الإيوانين القبلي والبحري، وتكاد تكون هذه المدرسة بشكلها الحالي حافظة لوضعها القديم، فواجهتها وبابها وداخلها كل ذلك متماسك رصين، رغم ما فيها من بعض إصلاحات طفيفة في شرفاتها وبعض مفرداتها، و بها مذكرة تاريخية بأعلى وجهة الباب ونصها:

أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة العبد الفقير إلى الله تعالى سابق الدين مثقال مقدم المماليك غفر الله له

وفي أعلى الواجهة طراز يبتدئ بآيات قرآنية كريمة ثم ينتهي بما نصه:

وكان الفراغ من إنشاء هذه المدرسة المباركة في سنة ثلاث وستين وسبعمائة

---

(١) خط قصر أمير سلاح: تجاه حمام بيسري بين القصرين، يسلك فيه إلى مدرسة الطواشي سابق الدين المعروفة بالسابقية، وكان يخرج منه إلى رحبة باب العيد إلى أن هدمه جمال الدين يوسف الأستادار وبنى مكانه القيسارية المستجدة بجوار مدرسته، فصار هذا الخط غير نافذ، وأمير سلاح هذا هو بدر الدين بكتاش الفخري الصالحي النجمي، من مماليك نجم الدين أيوب ثم تقدم في عهد بيبرس والمنصور قلاوون، توفي سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٩٤-٩٨.

(٢) من وثائق بقلم الحفظ حجة تمليك وأخرى مبايعة ١ صفر ٢٩ج/ ٢/ ٧٦٦/ ٤٤/ ٧ (المؤلف).

(٣) وهذه المدرسة تعرف باسم جامع مثقال أو جامع درب قرمز، وهي مدرسة معلقة يصعد إليها بعشرة درجات من السلالم، ويمر تحتها طريق توصل بين درب قرمز وميدان بيت القاضي، ويحدد كلا من علي مبارك ومحمد رمزي تاريخ بناء هذه المدرسة بسنة (٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م)، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ١٣٥، هامش ٢؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٢: ٩٠؛ مج. ٤: ٢٣١؛ مج. ٦: ١٧.

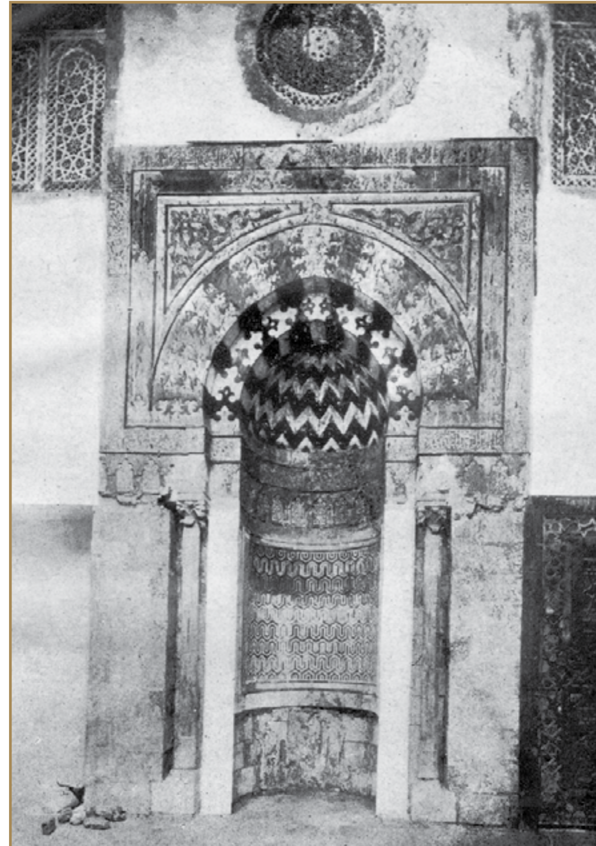
(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٨٢.



واجهةالمدرسة السابقية «عن لجنة حفظ الآثار العربية»



مسقط أفقي للمدرسة السابقية «عن لجنة حفظ الآثار العربية»



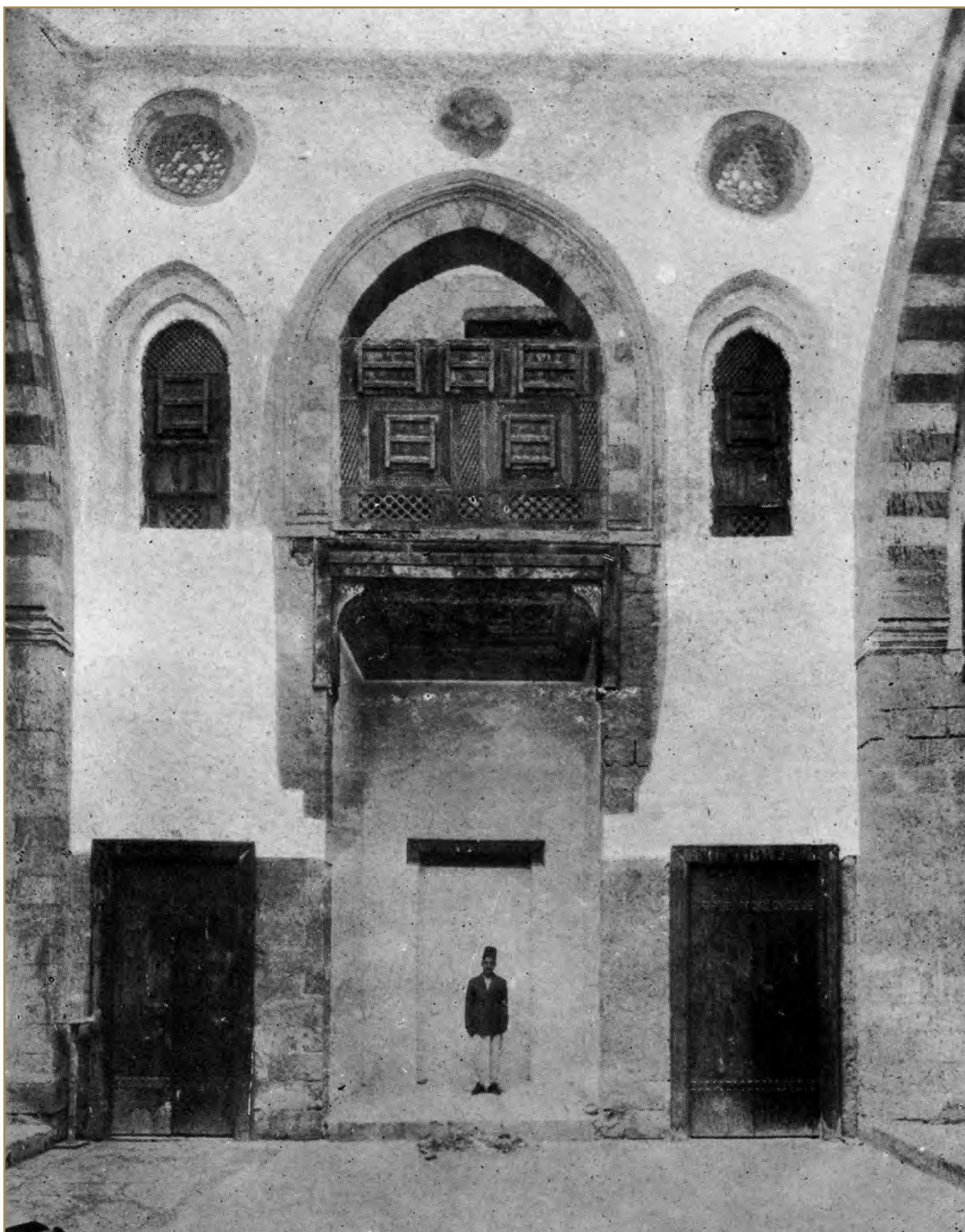
محراب المدرسة السابقية «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

منشئ المسجد

ومنشئ هذه المدرسة هو أحد أمراء المملكة المصرية في عهد الناصر حسن، ثم الأشرف شعبان بن حسين- كان يتولى نقابة المماليك السلطانية- ثم امتحن بالسجن والنفي إلى أسوان، ثم عاد إلى عمله مرة ثانية، وما برح حتى مات في سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) ودفن بمدرسته[١].

وقد آلت هذه المدرسة بعد وفاته إلى الشافعية وقفًا عليهم لا يدخلها إلا شافعي، وتولى مشيختها بعد السراج ابن الملقن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وكان يسكن بها حتى مات فخرجوا بجنازته منها إلى تربة القاضي شرف الدين الصغير بالشافعي، ثم مابرحت أن هجرت مدة طويلة من الزمن، اقتحمت على أثرها للصلاة وهي الآن مقامة الشعائر للصلوات الخمس، ولا تقام فيها الجمعة لعدم وجود منبر للخطابة بها كالمألوف في بناء المدارس والزوايا.

(١) مثقال بن عبد الله الحبشي الملقب سابق الدين: أحد النجباء من الحبشة، تقدم حتى صار من مقدمي المماليك عند الأشرف شعبان بن حسين، وارتقت منزلته، وبنى له بين القصرين مدرسة مليحة مشهورة، وكان محبًّا لأهل العلم والخير، ولم يزل باقيًا إلى أن غضب عليه يلبغا مدبر المملكة، فضربه ستمائة عصى، وأمر بنفيه إلى أسوان، وقرر في مكانه في تقدمة المماليك مختارًا الملقب شادروان، ولم يلبث يلبغا بعد ذلك أن نكب ومات في سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، عن سيرة الأمير سابق الدين مثقال الأنوكي، انظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، مج. ٣: ٢٧٦؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ٥٨، ١٠٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ١٣٥؛ وعن سيرته مفصلة، انظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، مج. ٦: ٢٣٥؛ مج. ٩: ١٩٥-١٩٦؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ١: ١٥١.



صحن المدرسة السابقية «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

جامع خوند بركة (مدرسة أم السلطان)

أثر رقم ١٢٥ (سنة ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)

هذا الجامع بشارع باب الوزير مقابل مدرسة ألجاي المعروفة (بتكية الهنود)، أنشأه السلطان الملك الأشرف شعبان لوالدته الخاتون خوند بركة، المعروفة بأم السلطان برسم مدرسة للشافعية والحنفية وتم إنشاؤها في سنة (٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)[١].

قال المقريزي:«وهي من المدارس الجليلة»[٢»، والمدخل إليها من الباب العمومي، المجاور للباب القبلي لسراي قايتباي وهو باب شاهق كتب بأعلاه مذكرة تاريخية تبتدئ بالبسملة، وبقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد/ ٢١].

وبجانبي الباب مذكرة أخرى خالية من التاريخ يقرأ فيها ما يأتي:

البسملة.. وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف.. أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة لوالدته مولانا السلطان الملك الأشرف شعبان بن المرحوم حسين سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين مظهر الحق والبراهين حامي حوزة الدين عز نصره[٣].

ويجاور الباب سبيل تعلوه مذكرة أخرى نصها:

أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك لوالدته السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين عز نصره في شهور سنة {سبعمائة وسبعين}.

وصف المسجد

والمدخل إلى هذا الجامع من بابين: أحدهما الباب العمومي بشارع التبانة، وهو باب شاهق أعلاه مقرنصات ويكتنفه من الجانبين الكتاب والسبيل، وفيه الوجهة العمومية للمسجد يعلوها مئذنة مثمنة بها أثر تصليح حديث في دوراتها وقمتها ضائعة، والباب الثاني من عطفة الكاشف، ومنه إلى صحن مكشوف يحدق به أربعة أواوين: إيوانان منهما متماثلان طولاً وعرضًا في الشرق والغرب، ومثلهما في الجنوب والشمال، وبالإيوان الشرقي محراب، رخام دقيق ملون يكتنفه عامودان منقوشان يجاوره منبرًا متأخرًا نقل إليه من بعض مساجد القاهرة وعليه مذكرة تاريخية هذا نصها:

(١) حجة وقف خوند بركة المحررة بتاريخ ٢٥ من ذي القعدة سنة (٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، محفوظة برقم ٤٧ محفوظات شرعية مصر، ولابنها الأشرف شعبان حجة أخرى صادرة في ٣ جمادى الآخر سنة ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م، ومحفوظة برقم ٤٩٠ (المؤلف).

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٢٠-٦٢١.

(٣) وردت في قراءة أخرى بالبراهين.


واجهة مدرسة أم السلطان شعبان
«عن مساجد مصر»

مسقط أفقي لمدرسة أم السلطان شعبان «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

إن الله وملائكته يصلــون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تســليما. أمر بإنشاء هذا المنــبر الشريف صاحب المقام المنيف مولانا الأمير علي أحد الجراكسة في رمضان.

وفي زوايا الصحن، أربعة أبــواب: اثنان في الزاويتين القبليتين، أحدهما الباب المذكور آنفًا والآخر باب يؤدي إلى دورة المياه القديمــة، ويقابلهما بالزاويتين البحريتين بابان آخران، يؤدي أحدهما إلى الباب العمومي للمسجد، والثاني إلى قبة خوند بركة والنســاء، وداخلها يشــتمل على قاعة مثمنة، حوائطها مؤزرة بالرخام الملون، ويتوسطها تركيبة من رخام عليها المذكرة المتقدمة لخوند زهرة، وعلى كل باب من هذه الأبواب الأربعة، مذكرة النص الآتي:

أمر بإنشــاء هذه المدرســة المباركــة لوالدته مولانا (السلطان الملك الأشرف شعبان عز نصره). ويجاور الباب القبلي باب آخر يؤدي إلى قبة الأشرف شعبان، ويحيط بالصحن طراز مزخرف بكتابة قرآنية من ســورة آل عمران، وهي آية قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ.. إلخ﴾.

والقبتان المذكورتان من القبــاب الحجرية المضلعة ذات التضليع الصغير الحجم، ويحيط بها طراز قوامه زخرفة قرآنيــة. والجامع على شــكله الحالي أثر هــام حافظ لأصل صنعه، وقد أصلح ما تهدم منه في ســنة (١٣٢٤ - ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٦- ١٩٠٨م).

ترجمة المنشئ

الملك الأشرف شــعبان الأول بن حســين من ملوك الدولــة القلاوونية، تولى عرش مصر وعمره ١٢ســنة، وقام وصيًّا عليه يلبغا العمري نائب الســلطنة وأتابك العساكر «قائد الجيوش».

وفي عــصره أغار حاكم قبرص على الإســكندرية، فدخلها بأسطوله في سنة (٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م)، وعاث فيها فلم يمهله السلطان حتى جهز له أسطولاً مكونًا من مائة قطعة مــزودة بأحدث الآلات الحربية، وعــين له الأمير بكتمر الشريف وكان مشــهورًا بالإقدام والشجاعة، فما أن وصل بالأســطول إلى المدينة حتى ألقى الرعــب في قلوبهم جميعًا فأقلعــوا عن المدينة، وبعد ذلــك بعامين عاودوا الكرة على طرابلس الشــام، فأرسل إليهم السلطان حملة قوية دمرتهم واسترجعت منهم البلد[1].

(١) الملك الأشرف أبو المفاخر زين الدين شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ولد في سنة (٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م) تولى حكم مصر سنة (٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، بينما كان يلبغا العمري وطيبغا الطويل الحكام الفعليين للبلاد لصغر سنه، ولم يطل به العهد حتى نجح في التخلص منهما، وفي عهده حدثت واقعة القبارصة بالإسكندرية (٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م)، قتل على يد أمرائه =

وهذه صحيفة خالدة تكتب في تاريخ هذا الملك؛ وفي عصره وقع بمصر غلاء شـديد دام حوالي اثني عشر شهرًا وسببه إصابة الأرض ونزول القحط، ثـم قامت حروب داخلية راح ضحيتها الملك فقتل في ذي القعدة من سـنة (٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م) ودفن بقبة هذه المدرسة[١].

ترجمة خوند بركة

وأم السـلطان المذكور هي الخاتون خوند بركة، كانت متزوجة بالأمير ألجاي اليوسفي صاحب الأثر المنسوب إليه الآتي، وتوصف بالصلاح والعبادة والكرم وفعل الخيرات[٢].

يقـول المقريزي في ترجمتها: «كانت خيرة عفيفة لها بر كثير ومعروف، واعتقـاد في أهل الخير ومحبة في الصالحين، توفيت في ذي القعدة سـنة أربع وسبعين وسبعمائة، ودفنت بهذه المدرسة تحت القبة»[٣].

= سنة (٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م)، ودفن في مدرسة أم السلطان شعبان بالدرب الأحمر جنوب القاهرة، عن سيرة الأشرف شعبان انظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، مج. ٢: ١٩٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٢٤، ١٤٨؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، مج. ٦: ٢٣٢-٢٤٨؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ق.٢: ٣-٤، ١٧٩-١٨٣.

(١) يرى محمد رمزي أن الأشرف شعبان لم يدفن في القبة التي دفنت بها والدته بمدرستها، وإنما دفن بقبة أخرى تقع تجاهها بجوار بيت الأمير قرقماس الجلب، وما تزال بقايا قبة قديمة بجوار زاوية الهنود بشارع باب الوزير، من المحتمل أن تكون هي القبة التي دفن بها السلطان شعبان، انظر: المرجع السابق، مج.١، ج. ٢: ١٨٢؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٥٩، هامش ١.

(٢) عن سيرة السيدة خوند بركة، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ٢١٠؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ٤١؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٢: ٦-٧؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٥٨-٥٩، ١٢٥؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٣٥٥-٣٥٧؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١: ١١٤-١١٥.

(٣) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٢٦.

قبة مدرسة أم السلطان

وقد دفن بقبة هذه المدرسـة جماعة مـن أفراد هذه الأسرة، منهم الملك الصالح حاجي بن الأشرف شعبان الذي تولى عرش مصر سـنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م) إلى سـنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)، وعمره ست سنوات وكان ختام هذه الدولة، وابتداء دولة المماليك الثانية التي أسسها برقوق.

ودفن بها خوند زهرة بنت الأشرف شعبان، وقرأنا على بلاطة صندوقها الرخام في ٤ أسطر ما نصه:

البسملة... هذا ضريح ريحانة الجنة الست المرحومة الدرة المكنونة ست الستات زين الخواتين الست زهرة ابنة المقام المرحوم الأمجد سـيدي حسنين ولد المقام الشهيد المرحوم الملك الناصر كريمة سيدنا ومولانا المقـام الشريف المالك الملـك الأشرف ناصر الدنيا والدين شـعبان بن حسـين توفيت يوم الإثنين ثاني عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعين وسبعمائة

ودفـن بها شـقرا بنت حسـين بن النـاصر محمد ابن قلاوون أخت الأشرف شـعبان، ماتت في المحرم سنة (٨٠٤هـ/ ١٤٠١م)، قـال السـخاوي في ترجمتهـا: «ودفنت في مدرسة أمها أم السلطان شـعبان من التبانة»[٤]، ودفن بها قاسم بن شعبان بن حسين بن قلاوون، مات في ربيع الأول سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)، قال السخاوي: «ودفن بمدرسة جدته أم السلطان بالتبانة»[٥].

وقد امتدت ذرية السـلطان شعبان في ولده إسماعيل من طريق البطون وانتهت إلى السيد عفيف الدين المحرزي

(٤) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ٦٨؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٢: ٢١٣.

(٥) المرجع السابق، مج. ٦: ١٨١.



قبة الضريح بمدرسة أم السلطان شعبان «عن فييت»

من أشراف أسـيوط المجاورة، بيد أن هذه الصلة لم تظهر إلا في سـنة (١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م)، ففي الثالث من ربيع الأول في هذه السـنة أقيمت الدعوى [رقـم ٢٩٠] بطلب الحكم لمقيمها باسـتحقاق لوقف السـلطان شـعبان وبوراثته له فحكـم له، وفي وقتها تداول هذا الفرع الجزري النظر على الوقف والاستحقاق فيه، وآخر من عرفنا في نظارة المرحوم محمود كامل بن عبد الرحيم الخطيب بني حسين بني إبراهيم بن زينب أحمد الأسـيوطي بن محمـد بن عبد الله بن أحمد عبد الرحيـم بن عفيف الدين المحـرزي المذكور، وهذا ما تحققته في السـجل [رقم ٢٥٧]، وسـجل التقارير [رقم٣٠ ص٦٨ ج١- سنة ١٩٠٠]، و[السجل رقم ١٤ تقارير]، و[السجل رقم٣٢٨ ص٣٩٤ سنة ١٢١٩]، والأستاذ محمود كامل المذكور.



مدخل مدرسة أم السلطان شعبان «عن فييت»

مسجد منكلي بغا (إبراهيم الأنصاري)

جامع أثري (سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)

هذا المسجد بدرب البجامون (سويقة القمري سابقًا)، أنشأه الأمير سيف الدين منكلي بغا بن عبد الله الشمسي في سنة (٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)، يؤيده ما جاء في خطط المقريزي و**الضوء اللامع** للسخاوي ورحلة النابلسي، وأخيرًا خطط علي مبارك باشا، حيث أدرك الأخير جامع حسين باشا أبي أصبع ناظر ديوان الأوقاف السابق قبل تجديد حسين باشا له، وذكره باسم جامع القمري[1]، وسمي النابلسي جامع الشيخ كريم الدين الخلوتي بجامع كزل بغا، وهو ما يعضده قول السخاوي في **الضوء اللامع**.

وأفاد المقريزي أن هذه المنطقة وجد بها في وقت واحد جامعان؛ الأول بخط معدية فريج، وهو جامع كزل بغا المبني في أول سنة (٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، والثاني جامع منكلي بسويقة القمري، وقد أغفل جامع بيبرس القمري فلم يذكره رغم أنه أدركه، وذكره السخاوي في **الضوء اللامع** في ترجمة خطيبه، ووضعه بسويقة صفية، وهي نفس المنطقة التي يسميها المقريزي بسويقة القمري، المحدودة من الشرق بشارع الخليج المصري، ومن الغرب بشارع عابدين، ومن الجنوب بشارع البرموني، ومن الشمال بنهاية شارع جامع عابدين؛ وسكة قواديس[انظر الكلام على هذه السويقة في ترجمة جامع ابن درهم ونصف، وهو جامع عابدين أو الفتح؛ وزاوية الشيخ بكير المعروفة بالشيخ فرج، وجامع ابن الرفعة المعروف بقواديس، وجامع الإبراهيمي أو البرهاني المعروف بشنن وبستان السراج].

ونستطيع من هذه النصوص أن نصحح نسبة هذا الجامع إلى منكلي المذكور من وجه ليس فيه غموض، ولا مجال للشك فيه، وهو ما تؤيده المذكرة التاريخية الآتية:

منشئ هذا المسجد

والمنشئ لهذا المسجد هو الأمير سيف الدين منكلي بغا بن عبد الله الشمسي، كان في بادئ أمره من أمراء دولة السلطان الناصر حسن، وتعين أتابكًا للجيش، ثم أميرًا، ثم تولى نيابة صفد وطرابلس وحلب ودمشق، واستمر نائبًا حتى سنة (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)؛ ثم عزل وجاء إلى القاهرة في عهد الأشرف شعبان، فأعاده السلطان إلى نيابة حلب، وما لبث أن عاد إلى القاهرة في سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م)، فأنعم عليه بتقدمة ألف، ثم جعله شاد للعمائر السلطانية وزوجه

(١) حدد علي باشا مبارك موضع هذا المسجد بحارة شق الثعبان بين مسجد الخلوتي ومسجد رحبة عابدين، وهو من تجديد الأمير حسين باشا أبو أصبع في سنة (١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م) وإليه ينسب، انظر: مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٤: ٢٠٣-٢٠٤.

السلطان بكريمته؛ وما برح حتى مات سنة (٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، ودفن بمسجده هذا[١].

وقد دثر هذا المسجد بيد أن قبته لا تزال قائمة، وهي من الطوب المجصص، وقاعدتها من الحجر، يحيط بها طراز يتضمن نصًّا تاريخيًّا يقرأ فيه ما يأتي:

البسملة... تبارك الذي بيده الملك إلى قوله تعالى بمصابيح؛ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك الجناب العالي {المقر الأشرف منكلي بغا} شاد العمائر السلطانية بتاريخ شهر رمضان سنة أحد وسبعين وسبعمائة

وداخل هذا المسجد متهدم، ونصل من بيت صلاته إلى غرفة بها ضريح المنشئ وضريح الشيخ إبراهيم المواهبي الذي عرف به المسجد منذ نزوله به من سنة (٩١٢هـ/ ١٥٠٦م).

ترجمة إبراهيم المواهبي

وهو برهان الدين أبو الطيب إبراهيم بن محمود بن أحمد بن حسن الأقصرائي نسبة إلى أقصرا «آق سراي» من بلاد الأناضول، القاهري الحنفي المواهبي نسبة لأبي المواهب ابن زعفران التونسي، قرأ على السخاوي وصحب الشيخ محمد أبا الفتوح بن عمر المغربي الشاذلي، ثم أخذ بإذنه عن أبي المواهب المذكور، ترجمه العيدروس في النور السافر بأخبار القرن العاشر، وترجمه ابن فهد في وفياته قال: «جاور بمكة سنة (٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م)، وأقام إلى سنة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م)، وألف شرحًا على الحكم العطائية سماه (أحكام الحكم لشرح الحكم)»[٢].

وشرح كلمات سيدي علي بن محمد وفا «يا مولانا يا واحد يا أحد» وشرح رسالته المسماه «أصول مقدمات الأصول» وشرح السنوسية، وله ديوان نظم، وترجم الشعراني حياته الصوفية، وقال بآخر الترجمة: «توفي سنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)، ودفن بزاويته بقنطرة سنقر وقبره بها يزار»[٣].

وزاد المناوي في ترجمته ذكر رحلته صحبة الشيخ محمد ابن دمرداش المحمدي وأقرانه إلى تبريز، وتلقيهم الطريق عن الداده عمر الروشني الخلوتي، وترجمه الحافظ السخاوي في تاريخه وهو لا يزال بقيد الحياة، قال ما خلاصته: «جاور بمكة غير مرة منها في سنة (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م)، وزار المدينة النبوية أشهرًا وانتمى إليه جماعة»[٤].

وقد ترجم لابنه المدعو محمود أيضًا[٥]، كما ترجم لشيخه الشيخ محمد بن عمر المغربي المتوفى سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)[٦]، نزيل جامع كزل بغا المذكور آنفًا، وهو المعروف الآن بجامع كريم الدين الخلوتي [انظر هذا الجامع].

ويؤخذ من مجموع هذه التراجم أن المذكور بعد ما نهل من العلم وأخذ منه قسطًا كبيرًا مال إلى التصوف فبلغ فيه مرتبة عالية، وخلف شيخه في الجلوس مكانه بجامع كزل بغا، ثم تحول عنه إلى هذا الجامع.

---

(١) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ٣٦٧؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ٥٤-٥٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ١٢٤-١٢٥؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ١١: ٢٨٣-٢٨٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ١١٠-١١١.

(٢) عبد القادر بن شيخ العيدروس، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، تحقيق محمود الأرناؤوط (بيروت: دار صادر، ٢٠٠١): ٨٣-٨٤.

(٣) عبد الوهاب الشعراني، **الطبقات الصغرى**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا (القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٩٧٠): ٣٨٢.

(٤) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١: ١٧١.

(٥) المرجع السابق، مج. ١٠: ١٢٧.

(٦) المرجع السابق، مج. ٨: ٢٦٤-٢٦٥.

جامع سونج بغا (المدرسة البوبكرية)

أثر رقم ١٨٥ (سنة ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)

هذا الجامع بدرب سعادة «الوزيرية سابقًا»، أنشأه الأمير سيف الدين أسنبغا بن بكتمر الأبوبكري الناصري في سنة (٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)، مكتوب على واجهته ما نصه:

البسملة... أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة العبد الفقير إلى الله تعالى الأمير اسنبغا بن بكتمر الأبوبكري وذلك في سنة اثنين وسبعين وسبعمائة.

وقد ذكر هذا المسجد في الخطط المقريزية باسم المدرسة البوبكرية، فجاء «أن هذه المدرسة بجوار درب العداس قرب حارة الوزيرية بالقاهرة، بناها الأمير سيف الدين أسنبغا بن سيف الدين بكتمر الأبوبكري الناصري، ووقفها على فقهاء الحنفية، وبنى بجانبها حوض ماء وسقاية ومكتبًا، وذلك في سنة اثنين وسبعين وسبعمائة، وبنى قبالتها جامعًا مات قبل تمامه، وكان يسكن بجوار المدرسة الحسامية تجاه سوق الجوار»[١].

ترجمة المنشئ

وذكره الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة، قال: «كان مقدمًا في دولة الناصر، وتولى نيابة حلب في دولة الصالح إسماعيل، وهو الذي بنى البوبكرية بالقرب من سوق الرقيق في طرف الوزيرية، مات سنة (٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م) وقد نيف على السبعين»[٢].

وذكره في الإنباء وذكر من وظائفه: «أمير آخور السلطان أي أمير الميسرة، ثم حاجب الحجاب، ثم أمير عشرة، وأنه ولد سنة (٧١٣هـ/ ١٣١٣م) وبنى بالقاهرة مدرسة معروفة»[٣].

قبر المنشئ

وقبر المنشئ لا يزال ظاهرًا إلى اليوم أسفل المنزل نمرة ١٥ المملوك إلى أولاد الحاج علي خليل، وهو الجزء المتخلف من جامعه المذكور؛ ويعرف بالأربعين، وقد جدده الحاج علي خليل المذكور في سنة (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م)[٤].

تجديد المسجد

وقد تجدد في هذا المسجد بعض مواضع منه في سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م)، وفي سنة (١٢٧١هـ/ ١٨٥٥م) جددته الأميرة ممتاز قادن أم حسين بك بن محمد علي باشا، ثم جدد بعد ذلك تجديده الأخير في سنة (١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م)، فأجريت فيه

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٦٣.

(٢) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٣٨٦.

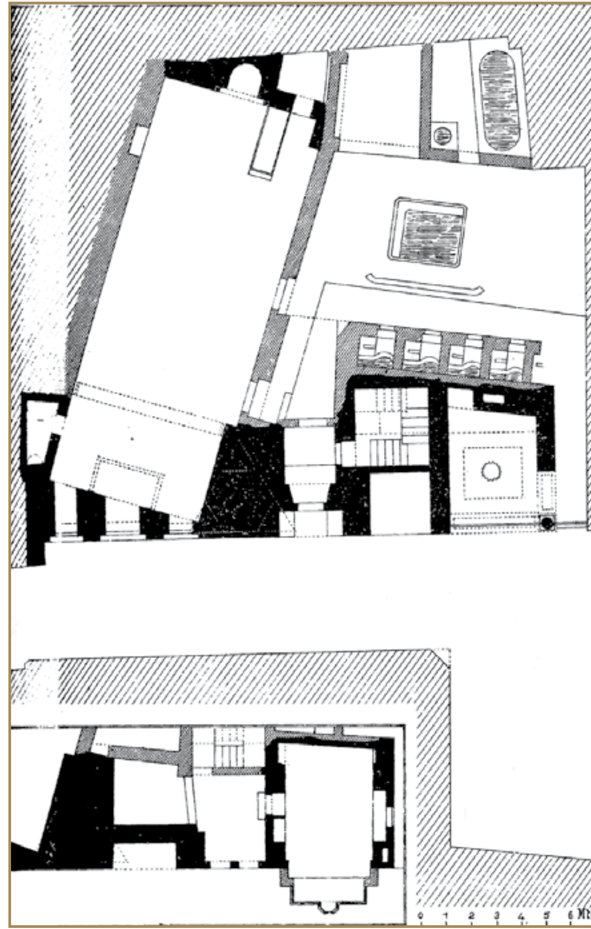
(٣) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ١١١.

(٤) مقام سدي الأربعين ملاصق للعقار رقم ١٥ درب سعادة جنوب المدرسة البوبكرية.

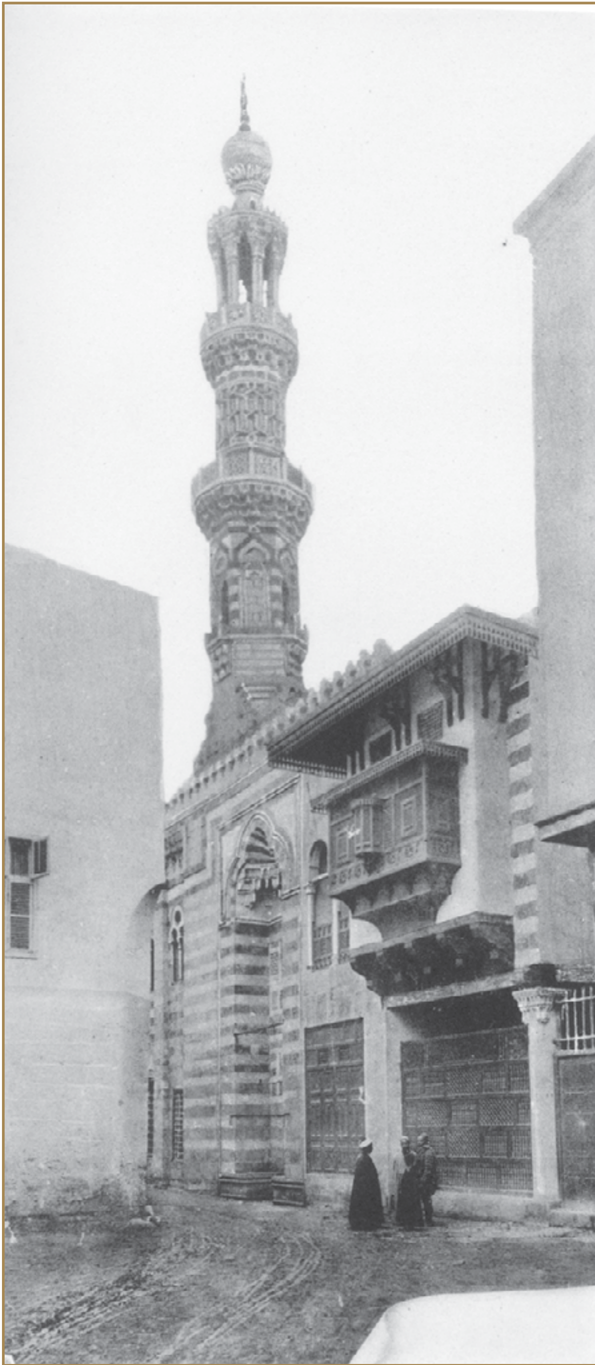


منظر عام للمدرسة البوبكرية «عن فييت»





مسقط أفقي للمدرسة البوبكرية «عن لجنة حفظ الآثار العربية»



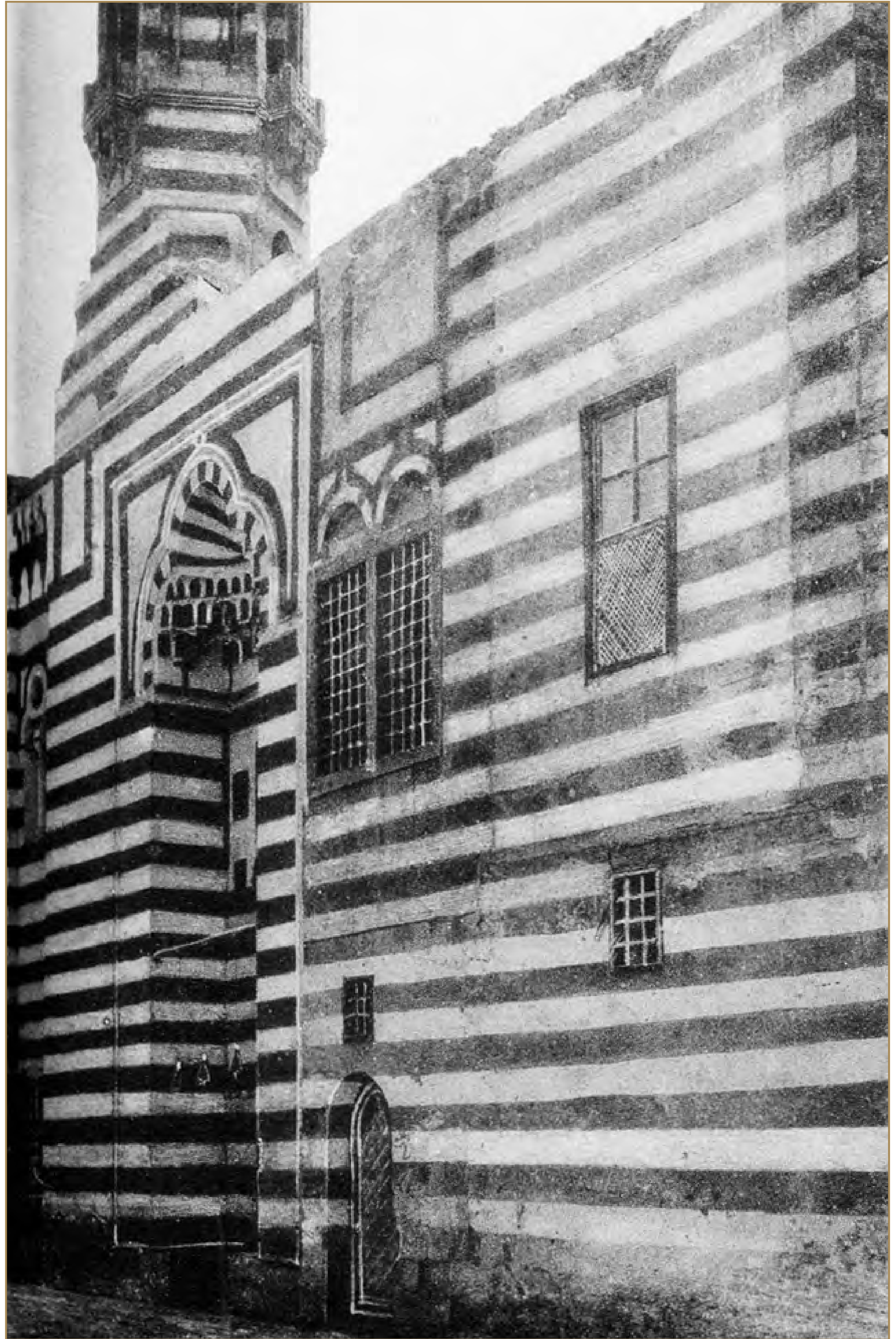
منظر عام للمدرسة البوبكرية «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

أعمال تقوية في منارته، وفي الواجهة، وأزيلت بعض الحوائط التي كانت حاجبة له، وأعيد بناء السبيل والكتاب بنظام حديث[1]، وقد تغيرت واجهته بعض الشيء، ونزل مستواه عن الأرض بدرجتين، وأهم ما يلفت النظر فيه من آثاره مئذنته الرشيقة، ثم واجهته، أما داخله فمتغاير، رغم بقائه على تصميمه.



(١) عرف هذا السبيل بعد القرن العاشر بسبيل يشبك العثماني لتجديده له (المؤلف).

منظر عام للمدرسة البوبكرية «عن لجنة حفظ الآثار العربية»



منظر عام للمدرسة البوبكرية «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

جامع ألجاي اليوسفي

أثر رقم ١٣١ (سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)

هذا الجامع بسويقة العزي «شارع سوق السلاح»، على رأس حارة الهلالية «درب حلوات»[١]، أنشأه الأمير سيف الدين ألجاي اليوسفي أحد الأمراء الكبار في دولة الأشرف شعبان بن حسين في سنة (٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)؛ وهو التاريخ الذي وجد بالنص التاريخي الآتي، بخلاف ما يذكره المقريزي[٢].

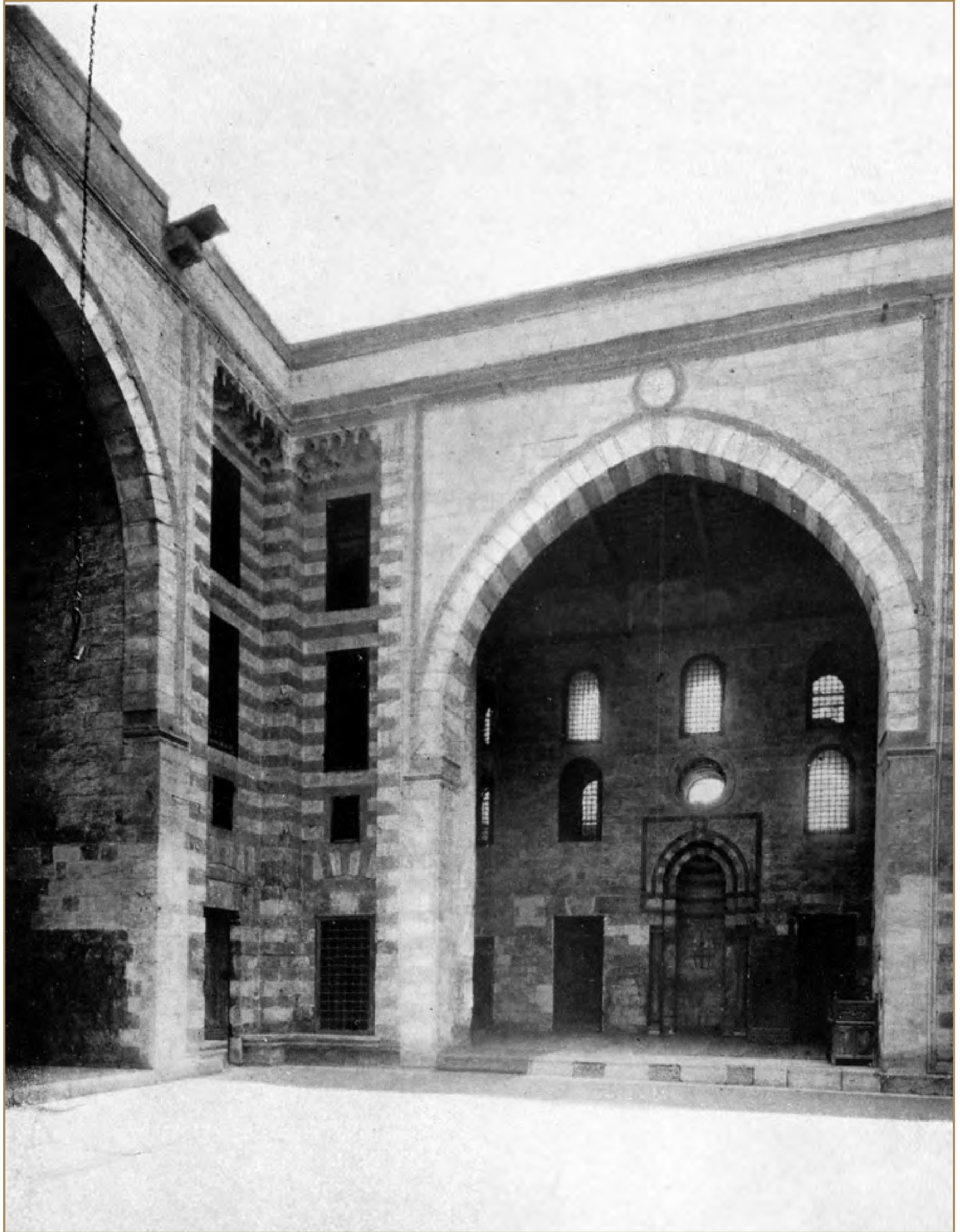
وقد أنشأه برسم جامع للصلاة ومدرسة لفقهاء الحنفية والشافعية عرفت بالمدرسة الألجيهة الكبرى، وأودع بها مرافق كاملة من كتب وخلافه، ومات قبل تمام بعض مفردات منه، فأكمله بعده كبير الأوصياء وهو كما في المنهل الصافي، الأمير علاء الدين علي بن أحمد بن عبد الله الطبرسي المعروف بابن السايس، وفتح رسميًّا بعد موته في سنة (٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م)[٣].

وهو جامع فخم يواجه السالك في هذه المنطقة بمئذنته الرشيقة وقبته المضلعة تضليعًا حلزونيًّا لا ثاني له، والوصول إليه من بابه العمومي، ومنه نصل بعد اجتياز مدخل مربع يعلوه قبو معقود إلى صحن مكشوف، تحدث به أربعة أواوين في الإيوان الشرقي منها المنبر والمحراب، ويجاور الإيوان القبلي باب يؤدي إلى قبة المنشئ، وهي من القباب الحجرية المضلعة؛ إلا أنها تتباين في تضليعها عن باقي القباب الأخرى التي من نوعها بفروق هندسية، وتليها في هذا النظام قبة أيتمش ببعض تغيير، وواجهته العمومية روعي فيها النظام والتنسيق إلى حد كبير، وتمتاز بعلوها الشاهق وبزخارفها ومقرنصاتها فليس لها نظير في واجهات مساجد أخرى، وهي تكون بما فيها الباب مجموعة زخارف ومقرنصات ودلايات بلغت حد الإتقان، ويجاور الباب

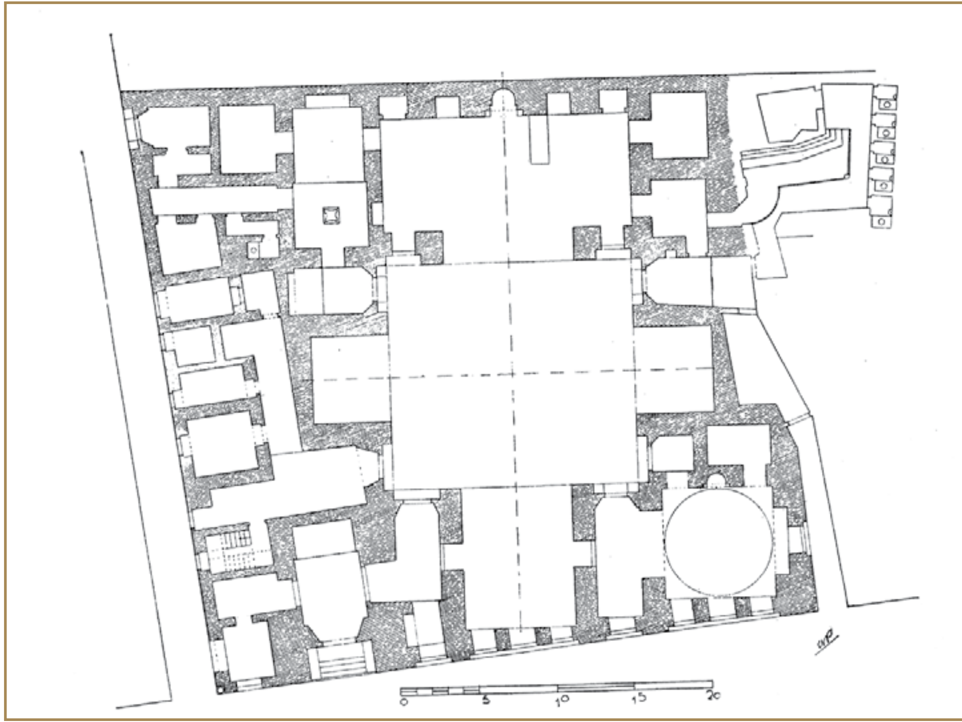
(١) يذكر أيمن فؤاد سيد أن المقريزي قد أخطأ في تحديد موضع هذه المدرسة في مسودة الخطط، فذكر أنها بالتبانة في مقابل مدرسة أم السلطان شعبان، وأنه يفصل بينهما الشارع المسلوك إلى قلعة الجبل، ثم عاد وصوب موضعها في المبيضة، وذكر أنها بخط سويقة العزي، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦١٥، هامش ١.

(٢) يذكر المقريزي أن العمارة قد انتهت من هذه المدرسة في سنة (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)، بينما يذكر ابن تغري بردي تاريخ الانتهاء من العمارة والمطابق للنص التأسيسي في سنة (٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، انظر: المرجع السابق: ٦١٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٩: ٢٠٤-٢٠٥، هامش ٤.

(٣) الأمير علاء الدين الطيبرسي علي بن أحمد: الشهير بابن السايس، كان من جملة الأمراء، وأستادار خوند بركة أم الأشرف شعبان ابن حسين، ولما قتل الملك الأشرف وزالت الدولة الأشرفية وقعت له أمور وامتحن وصودر، ولزم داره إلى أن مات في شوال سنة (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)، وكان يعد من الأعيان، وله ثروة وحشم، وبه عرفت هذه المدرسة باسم جامع السايس، انظر: المرجع السابق؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٨: ٣٩.



إيوان القبلة بجامع ألجاي اليوسفي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»



مسقط أفقي لجامع
ألجاي اليوسفي «عن لجنة
حفظ الآثار العربية»

العمومي إلى الجهة البحرية سـبيل يعلوه مكتب أصله من مرافق المدرسـة، وجدده محمد أغا في سنة (١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م) كما في النص التاريخي الذي يعلو باب السبيل.

وبالجامع أثر تصليح حديث في منبره، وجدران أواوينه ومدخله وبلاطـه، وهو مما أجري فيه في وقت آخره سـنة (١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م).

ولهذا الجامع شـبيه ببعض جوامع القاهرة التي بنيت بعده بأكثر من نصف قرن، إلا أنه يمتاز عنها بفوارق ظاهرة.

المذكرات التاريخية

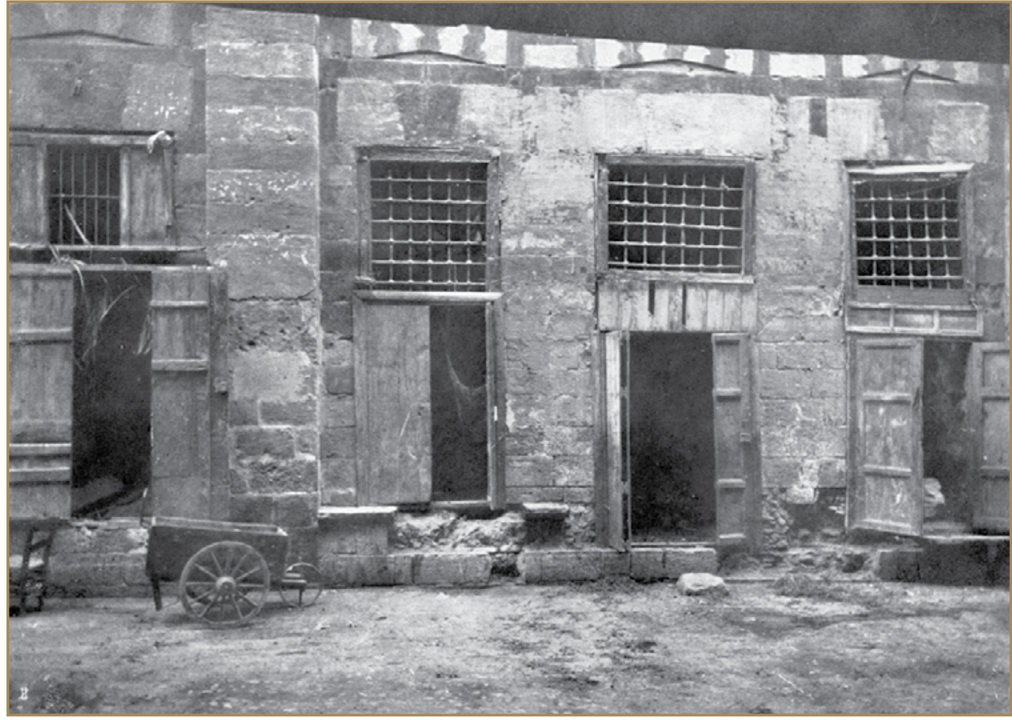
المذكرة الأولى والثانية: ببابه العمومي بجانبيه وبأعلاه.

البسملة... أمر بإنشاء هذا الجامع والمدرسة المباركة المقر الأشرف الجاي أتابك العساكر المنصورة الملكي الأشرفي غفر الله له ولجميع المسلمين بتاريخ شهر رجب سنة أربع وسبعين وسبعمائة.

البسـملة... إنما يعمر مسـاجد الله إلى المهتدين صدق الله العظيم أمر بإنشاء هذا الجامع والمدرسة المباركـة المقـر الأشرف العالي المولـوي الأميري السـيفي ألجاي أتابك العسـاكر المنصـورة الملكي الأشرفي أعز الله نصره بتاريخ شـهر رجب سـنة أربع وسبعين وسبعمائة.

المذكرة الثالثة: بالمنبر.

البسـملة... في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال، وكان الفراغ في شهور سنة أربع وسبعين وسبعمائة.



خلاوي الطلبة بجامع ألجاي اليوسفي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

ترجمة المنشئ

ومنشئ هذا المسجد هو الأمير سيف الدين ألجاي اليوسفي، عينه الأشرف شعبان بن حسين أمير مائة ثم مقدم ألف ثم أمير سلاح ثم استقر أتابكًا «رئيسًا» للجيوش المصرية، وأضيف إليه نظر المارستان المنصوري «دار الشفا المنصورية»، والنظر على الأوقاف الأهلية، وقد صاهر السلطان في أمه الخاتون خوند بركة، وبقيت في عصمته حتى ماتت، وبأثر موتها بدأ نجم المنشئ يأفل بسبب النزاع على ميراثها بينه وبين السلطان فسولت له نفسه محاربة السلطان، ولكن السلطان استطاع أن يقاومه أولاً وثانيًا، وقد حاول الفرار منه فلحق بالخرقانية بمديرية القليوبية، ولما ضيق العسكر الخناق عليه ألقى بنفسه في البحر طلبًا للنجاة، ولكنه لم ينج إذ لم يكن يحسن السباحة فغرق بفرسه، فلما علم السلطان بموته أرسل في البحث عن رفاته، فتطلبها الغطاسون حتى عثروا عليها، فرسم السلطان بتشييع جنازته بطريقة غير رسمية، ثم دفنوه تحت قبة هذا الجامع[١].

ومات المنشئ عن أولاد وحفدة امتد عقبهم حينًا، وظهر منهم أعلام، منهم: الشهاب أحمد بن أحمد بن محمد الحنفي، كان من علماء الحنفية في أول القرن التاسع، وتولى نظارة هذه المدرسة [انظر الضوء اللامع][٢].

(١) عن سيرة الأمير ألجاي اليوسفي الناصري، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦١٨-٦٢٠؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ٥٦-٥٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٥٧-٦١؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٤٠-٤٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ١١٩-١٢٠، ١٣٥.

(٢) أحمد بن أحمد بن محمد شهاب الدين الحنفي: سبط ألجاي اليوسفي صاحب المدرسة الجليلة التي بسويقة العزي وناظرها، أمه فرج بن قرنطاي بن ألجاي، ولد في سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) بالقاهرة، سمع على السخاوي وغيره، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١: ٢٢٤.

جامع الشيخ رجب الحيدري (الخانقاه الحيدرية)

أثر رقم ٤٧٦ (سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م)

هذا الجامع بشارع الباب الجديد بالمحجر خارج رأس الصوة، بمحلة الحطابة داخل باب الوزير المعروف بباب الوداع، أنشأه السلطان الظاهر برقوق ملك مصر قبل أن يتولى السلطنة للشيخ رجب الشيرازي الحيدري أحد فقراء العجم الحيدرية القادم إلى مصر من بلاد العجم في حدود سنة (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م).

وهذا الجامع لم يذكره المقريزي في خططه، كما ذكر زاوية الشيخ رجب العجمي الأخرى الكائنة بدرب اللبانة، وسكت عليه علي مبارك باشا، لكن رأينا السخاوي في **الضوء اللامع** يترجم لشيخ يدعى حيدر من شيوخ العجم، ويذكر سكنه بهذه الزاوية، ودفنه بها على أخيه إبراهيم سنة (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م)، وقد وضعها على مقربة من الزاوية الرفاعية، وهي المعروفة بتكية السيد محيي الدين الرفاعي في الحد البحري الشرقي لدار المحفوظات المصرية ونص هذه الترجمة: «حيدر بن أحمد بن إبراهيم أبو الحسن الرومي العجمي، ولد بشيراز في حدود الثمانين وسبعمائة، وقدم القاهرة سنة (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) بأخويه إبراهيم وجبران وأمهم، فأكرمه الأشرف (برسباي) وأنزله منظرة التاج والسبع وجوه «شارع حمدي بالقبيسي»، وأنعم عليه برزقة عشرين فدانًا، واستمر بها إلى أن أخرجه الظاهر جمقمق لوشاية وشى بها إليه بعض حساده، وما لبث أن عفى عنه وقربه وأنعم عليه، وأسكنه بهذه الزاوية، ثم عينه في مشيخة قبة النصر (تجاه البرقوقية بالصحراء)»، ثم قال السخاوي بعد أن أرخ وفاته بما ذكر: «ودفن بباب الوزير على أخيه إبراهيم»[١].

ونستفيد مما ذكر أن هذه الزاوية استخدمت فيما بعد لهذه الطائفة الحيدرية إلى مدى حين، وينسب الشيخ رجب هذا كما ينسب الشيخ حيدر المذكور إلى الشيخ حيدر الخراساني المتوفى (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) بزاويته بالجبل بين (نشاور، وما رماه) من بلاد خراسان، وهو الذي تنسب إليه الطريقة الحيدرية إحدى طرق العجم، وقد زرنا هذه الزاوية المذكورة فوجدنا بأسفل قاعدة القبة من جهتها الشرقية (روسم) مكتوب به في ٥ أسطر ما نصه:

> **البسملة... أمر بإنشاء هذه الزاوية المباركة من فضل الله وحسن توفيقه سيدنا المقر الأشرف السيفي برقوق أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره بجاه محمد وآله برسم خادم الفقراء والمساكين الشيخ حاجي رجب الشيرازي الحيدري وجعلها وقفا لا يبدل ولا يغير فإنما إثمه على الذين يبدلونه سنة إحدى وثمانين وسبعمائة.**

---

(١) المرجع السابق، مج. ٣: ١٦٨-١٦٩.



منظر عام للخانقاه الحيدرية «عن Islamic Art Network»

والجزء المتخلف من هـــذه الزاوية هو القبة والمدفن، والباقي حديث؛ والمدخل إلى هذا المسجد من بابين: أحدهما إلى القبة بالشـــارع، والآخر إلى المسجد بحارة الشيخ رجب، وداخل القبة ضريح مدفون به الشـــيخ رجب هذا، والشيخ حيدر وجماعة آخرين من شيوخ هذه الطائفة.

جامع أيتمش البجاسي

أثر رقم ٢٥٠ (سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م)

هذا الجامع بشارع باب الوزير، أنشأه الأمير أيتمش البجاسي أتابك العساكر «رئيس الجيش» في دولة الملك الظاهر برقوق في سنة (٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م)، برسم مدرسة للحنفية، وألحق به مرافق أخرى كفندق وسقاية ومكتب ومساكن[١].

وهو مسجد صغير، لكن على الرغم من صغره فإنه يبدو حافظًا لشكله لابسًا تصميمه، ويلفت النظر إليه واجهته وقبته المضلعة ذات الشكل الحلزوني البديع، بيد أن مئذنة هذا المسجد متغايرة والمؤكد أنها حدثت بعد التاريخ الذي أنشئ فيه الجامع بزهاء ثلاثة قرون؛ وقد تقادم هذا المسجد ودثرت بعض ملحقاته، وما بقي منه أكثر وأهم مما فقد، وأهم ما يبدو ظاهرًا فيه جميع مفرداته الرئيسية، أما داخله فمتخرب وبابه موصد، وتقرأ بأسكفة بابه مذكرة تاريخية في هذه العبارة.

أمر بإنشاء هذه التربة المباركة العبد الفقير إلى الله تعالى أيتمش البجاسي رأس نوبة الظاهري في سنة خمس وثمانين وسبعمائة

وبابه العمومي باب جميل يعلوه مقرنص، وعلى جانبيه زخرفة قرآنية يقرأ فيها بعد البسملة ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة/ ١٨]، ويحيط بواجهة السبيل إفريز يقرأ فيه آيات كريمة من سورة الفتح تنتهي بنص تاريخي مفقود، وهذا المسجد رغم أن المقريزي أدركه فلم يذكره في الخطط[٢]، وذكره السخاوي ويوسف الأتابكي وابن حجر.

وأفاد الأتابكي أن محمدًا بن أيتمش منشئ المسجد مات في صفر سنة (٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م) ودفن بقبة هذه المدرسة[٣]، ولصاحب هذا الأثر؛ أثر آخر وهو داره التي كانت في ملك الأمير آلين آق الحسامي الأشرفي المتوفى سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) وقد آلت إلى غيره[٤]. [انظر دار آلين آق]

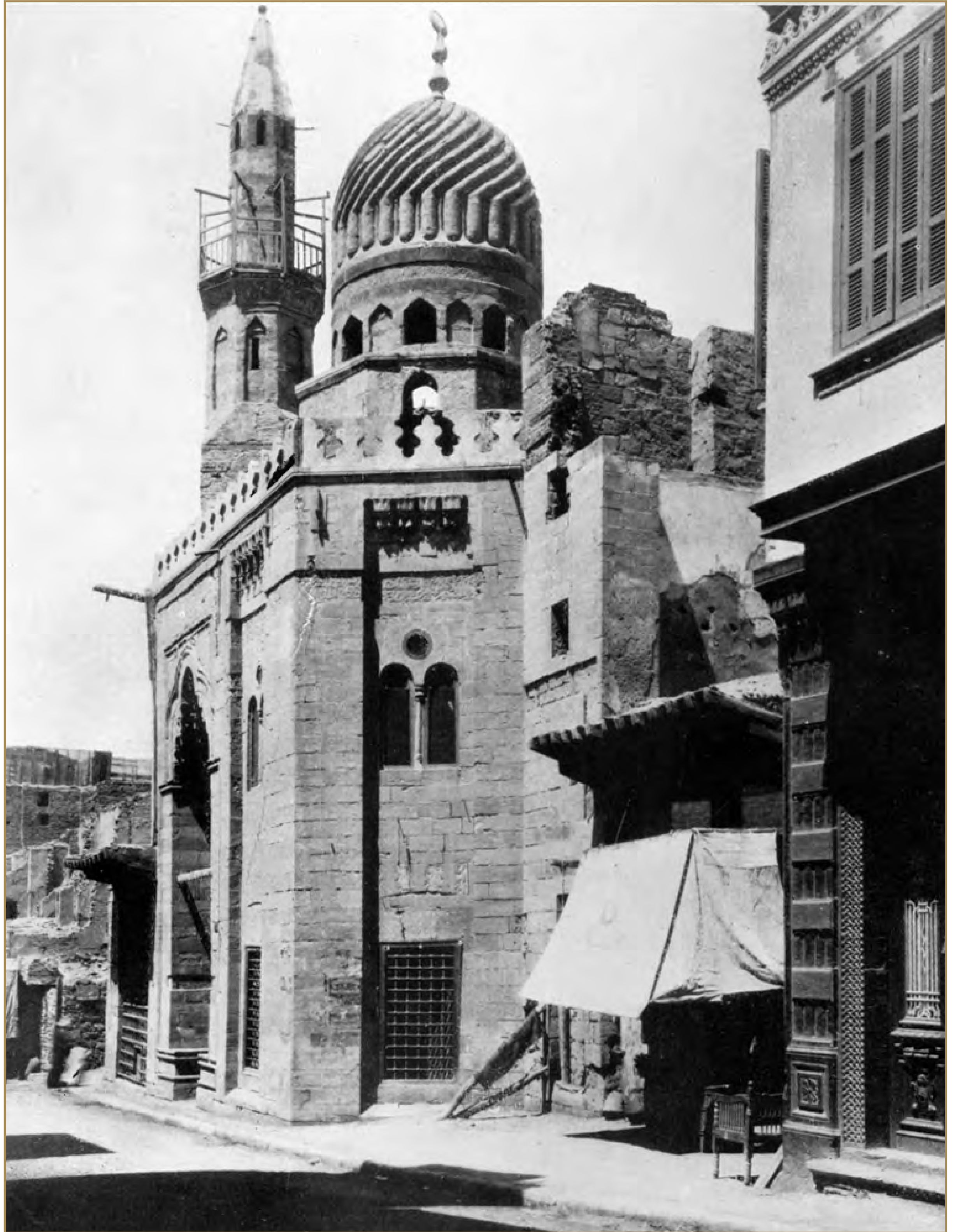
---

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٢٧.

(٢) يذكر المقريزي هذا المسجد في الخطط بعنوان المدرسة الأيتمشية، انظر: المرجع السابق.

(٣) الأمير ناصر الدين محمد بن أيتمش: يدعى جمق، ابن الأتابك أيتمش البجاسي، كان من جملة أمراء الطبلخانات في دولة الظاهر برقوق، توفي في سنة (٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م)، وصلى عليه الظاهر برقوق بمصلى بكتمر المؤمني، ودفن في مدرسة والده بباب الوزير، كان شابًّا شجاعًا، قيل أن برقوق قد اغتاله بالسم في مرضه، وكان الظاهر قد زوجه من بنت الأمير منجك اليوسفي، والتي ماتت بعده بقليل، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٢: ١٥٤؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٩: ٣٢٨-٣٢٩؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ٥٢٠.

(٤) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٠: ١٨٠، هامش ٢.



منظر عام لجامع أيتمش البجاسي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

ذكره ابن تغري بردي في المنهل الصافي، قال: «أيتمش ابن عبد الله الأسندمري البجاسي الجرجاوي، الأمير سيف الدين أتابك العساكر بالديار المصرية وعظيم الدولة الظاهرية، أصله من مماليك أسندمر البجاسي الجرجاوي، وفي أيام الملك الظاهر برقوق جعله أمير مائة ومقدم ألف ورأس نوبة النوب، ثم ترقى إلى وظيفة أتابك العساكر وزادت حرمته في الدولة الظاهرية، ثم نالته محنة عذب فيها وشرد وما لبث أن عاد إلى حالته الأولى واستقر رأس نوبة الأمراء، ثم أتابكًا للعسكر ثانية».

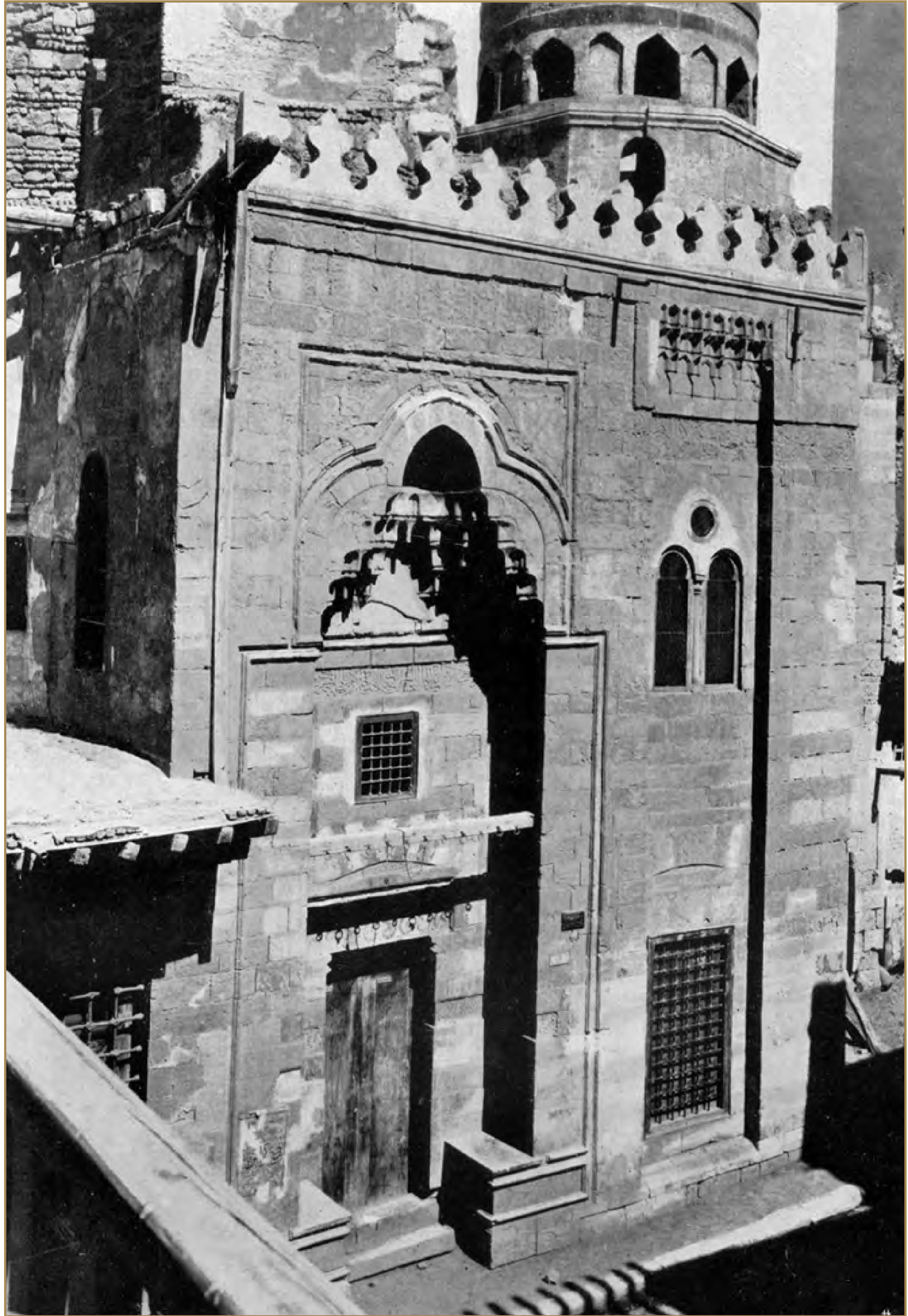
وقد أطال أبو المحاسن في ترجمته من المنهل قال: «وله مآثر حسنة، وعمر مدرسة بباب الوزير ووقف عليها وقفًا جيدًا، توفي بقلعة دمشق مذبوحًا في ١٤ شعبان سنة (٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م)»[١].

وترجمه السخاوي في **الضوء اللامع**، قال: «وهو صاحب المدرسة الأيتمشية للحنفية بالقرب من باب الصوة»[٢]، وقال الحافظ بن حجر في **إنباء الغمر**: «وهو صاحب المدرسة التي بباب الوزير أمام القلعة»[٣].

(١) الأمير سيف الدين أيتمش بن عبد الله الأسندمري البجاسي الجرجاوي: أتابك العسكر بالديار المصرية، وعظيم الدولة الظاهرية، أصله من مماليك أسندمر البجاسي الجرجاوي، وترقى بعد موت أستاذه من جملة الأمراء وأصبح تابعًا للأتابكي برقوق العثماني اليلبغاوي، ولما تسلطن برقوق رقاه وقربه إليه، وجعله أمير مائة ومقدم ألف، ورأس نوبة النوب، ثم أعتقه بعد شرائه من ورثة الأمير جرجي صاحب رق أستاذه بجاس، ثم خلع عليه بالأتابكية، أسر بدمشق في واقعة الخمسمائة على يد يلبغا الناصري والأمير منطاش سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٨م)، ثم أفرج عنه وأعيد أتابكًا مرة أخرى في سلطنة برقوق الثانية، وفي عهد فرج كان هو الوصي على العرش، ولكن ما لبثت الخلافات أن دبت بين الطرفين، ودارت الدائرة على أيتمش وانهزم إلى قبة النصر خارج القاهرة، ومنها فر إلى دمشق، للانضمام إلى الأمير تنم الحسني، حيث انهزموا جميعًا أمام فرج بن برقوق بغزة، عمر مدرسة بباب الوزير المعروفة به، وعمر برجًا بطرابلس للمرابطين، انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ١٤٣-١٥١.

(٢) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٢: ٣٢٤.

(٣) هذه المقولة للسخاوي وليست لابن حجر العسقلاني كما يذكر صاحب المزارات، انظر: المرجع السابق؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٢: ١١٨.



واجهة جامع أيتمش البجاسي «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

جامع الظاهر برقوق (المدرسة الظاهرية الجديدة)

أثر رقم ١٨٧ (سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)

هذا الجامع بشارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقًا)، أمر بإنشائه ملك مصر مؤسس دولة المماليك الثانية الجراكسة السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق، وكان البدء في إنشائه في سنة (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)[١] ونهايته في سنة (٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م)، أي بعد عامين كاملين، وهذا ما تؤيده النصوص التاريخية الآتية، ويؤيده تواطؤ المؤرخين إلا قليلاً منهم خلاف يسير، فالنص التاريخي يجعل الفراغ منه في ربيع الأول بينما يجعله المؤرخون في رجب[٢].

أما الحافظ بن حجر في إنباء الغمر فيجعل شروع العمارة فيها في رجب وانتهاءها في رجب أيضًا، فهو يقول: «وفيها انتهت عمارة السلطان لمدرسته الجديدة بين القصرين في ثالث شهر رجب (٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م) وكان الشروع فيها في رجب سنة (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)، وكان القائم في عمارتها جركس الخليلي[٣]، وهو يومئذ أمير آخور ومشير الدولة، ونزل إليها السلطان في الثاني عشر من شهر رجب، وقرر أمورها ومد بها سماطًا عظيمًا»[٤].

وقال في موضع آخر من الإنباء: «وفي شهر رجب سنة (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) ابتدئ بعمارة المدرسة الظاهرية، واستقر جركس الخليلي شاد العمائر بها، وأسست في المكان الذي كان فيه خان الزكاة وهدم في سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)، فلما تكامل شيل التراب شرع في العمارة»[٥].

ومهما يكن من شيء فإن هذا الخلاف لا يعنينا مع وجود النصوص الآتية، ويذكر المؤرخون أن الملك أظهر اهتمامًا كبيرًا لهذه المدرسة وصرف فيها بسخاء، وقد رغب في عمارتها على عجل، فكان العمل فيها مستمر لا ينقطع حتى تمت، واحتفل رسميًّا بافتتاحها بحضور السلطان والأمراء والعلماء والأعيان وغيرهم، ويقول السخاوي: «أن

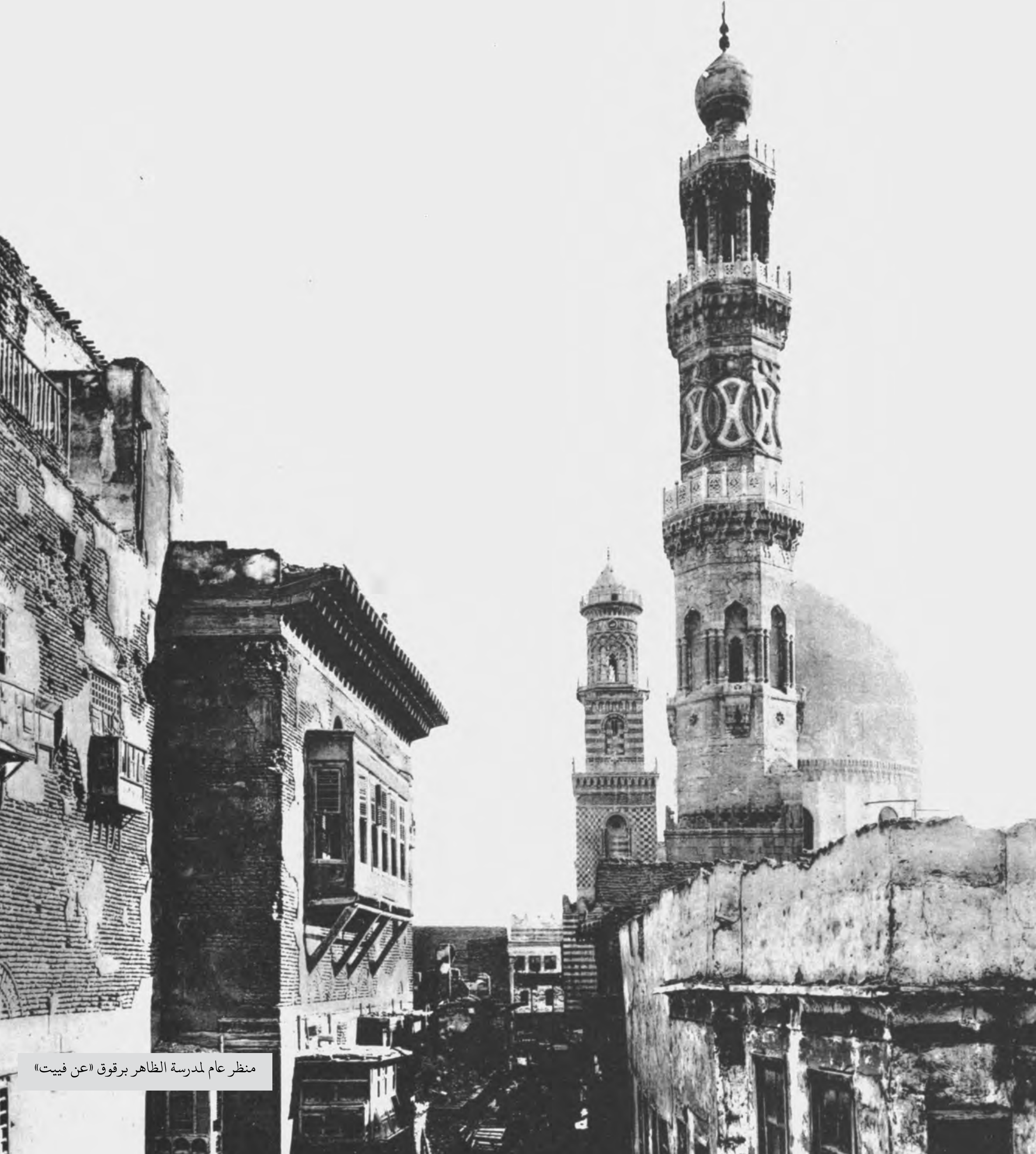
(١) حجة وقف السلطان الظاهر برقوق الصادرة بتاريخ ٤ من شعبان سنة (٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م)، محفوظة برقم ٥١ (المؤلف).

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٨٠؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ٥٢٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٢٣٩؛ مج. ١٢: ١١٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ٢٩٥، ٣٤٩.

(٣) سيف الدين جهاركس الخليلي اليلبغاوي: توفي سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٩م) ظاهر دمشق على يد يلبغا الناصري نائب حلب= الذي شق عصا الطاعة على الظاهر برقوق، وترك عاريًا ملقى على الأرض مكشوف السوءة عقوبة من الله على رميه لعظام الأموات بالمقبرة التي بنى في مكانها الخان المعروف باسمه بالقاهرة، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ٦٨٥؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢١٩، ٣١٢؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ٢٣٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٣٨٣؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٤: ٢٠٥-٢٠٧.

(٤) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ٣١٣-٣١٤.

(٥) المرجع السابق: ٢٩٠.



منظر عام لمدرسة الظاهر برقوق «عن فييت»

السلطان رغب في أن يجعل منها مسجدًا جامعًا ومدرسة وخانقاه ورام أن يحاكي بها الخانقاة الشيخونية»(١).

وصف المسجد

والمدخل إلى هذا المسجد من بابه العمومي، وهو باب شاهق يلفت النظر بوجهته الرخامية ومقرنصاتها المتدلاة، ومن هذا الباب نصل إلى مجاز مربع مغطى بقبة يجاورها إلى جهة اليمين باب فباب آخر، حتى نصل إلى الصحن، ومنه إلى أربعة أواوين تحدق به، أكبرها الشرقي، و به المنبر الذي أمر بصنعه السلطان الظاهر جقمق ملك مصر في سنة (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م). وفي الجهة البحرية من الإيوان الشرقي قبة المنشئ يتوسطها قبر عليه صندوق من الرخام، وفي هذا القبر دفن أنس والد برقوق(٢)، وقد نقل إليه من تربة النوروزي(٣) [انظر ترجمة قبة أنس في الجزء الآتي](٤).

ثم دفنت فيه خوند فاطمة؛ وهي المعروفة بأم خوند(٥)، صاحبة المدرسة التي بشارع بين السورين تجاه جامع الشعراني، ويرجع سبب دفنها في قبة هذه المدرسة إلى صلة القرابة التي تربطها بمنشئها إذ هو خال أبيها قانباي العمري الناصري كما في الضوء اللامع للسخاوي(٦).

وقد سبقتها إلى الدفن بهذه القبة ابنتها زينب بنت جرباش الكريمي أمير سلاح زوجة السلطان الملك الظاهر جقمق وأم ولده محمد، قال السخاوي في ترجمتها من الضوء: «ماتت سنة (٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م)، ودفنت بمدرسة الظاهر برقوق بين القصرين»(٧).

---

(١) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ١٢.

(٢) الأمير سيف الدين آنص بن عبد الله الجاركسي العثماني: والد الملك الظاهر برقوق قدم من بلاده مع جماعة من أخوته وأقاربه إلى الديار المصرية بطلب من ولده الملك الظاهر برقوق، وهو إذ ذاك أتابكًا، انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ١٠٥-١٠٦.

(٣) عن سيرة الأمير شرف الدين يونس النوروزي الدوادار، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ٦٨٨-٦٨٩؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٧٩٠-٧٩١؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ٣٩٠؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٥: ٢٦٤-٢٦٥؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٣٨٤؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١٤٧-١٤٩.

(٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٨٢.

(٥) خوند فاطمة ابنة قانباي العمري الناصري فرج: ولدت سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، وخنق أبوها وهي صغيرة فنشأت في كفالة أمها= شكرباي الجاركسية، والتي تزوجها أبوها بعد سيدها قصروه نائب الشام، وتزوج هذه تغري بردي المؤذي رأس نوبة النوب، ومات فخلفه عليه جرباش قاشق الذي استولدها أولادًا لم يتبقَّ منهم سوى زينب التي تزوجها في حياتهما الظاهر جقمق، وأنجب منها ولدًا لم يكمل عامًا ثم توفي، والتي تزوجها بعده الشرف الأنصاري، وماتت «زينب» شابة، ولهذا كان يقال لهذه «فاطمة» أم خوند، وبعد جرباش لم تتزوج وعمرت بالقرب من درب الكافوري وموقف المكارية داخل باب القنطرة مدرسة شرعت فيها أيام الظاهر جمقمق، ولكنها لم تكتمل إلا فيما بعد، توفيت سنة (٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م)، وصلى عليها من الغد بجامع يشبك بالقرب من بيتها ثم دفنت بقبة البرقوقية، انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ١٢: ٩٨-٩٩.

(٦) قانباي العمري الناصري فرج: ابن قانقز أخت الظاهر برقوق، ووالد فاطمة خوند، أرسل الناصر وهو بدمشق لنائب الغيبة بالقاهرة بخنقه، فاتفق قتل الناصر قبل وصول القاصد، ولكن لم يعلم نائب الغيبة بذلك إلا بعد إمضائه الأمر، فلما قدم المؤيد وقفت أمه إليه فأمر بقتل النائب، فبادرت إلى كبده فصارت تنهمه، وهو قريب بيبرس بن أخت الظاهر برقوق، وكان خاصكيًّا ثم في دولة الناصر أميرًا، إلى أن عصى عليه فسجنه بالقلعة، فلما وصل الخبر إلى القاهرة بكسر الناصر قتله سنبغا نائب القلعة وذلك في سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م)، ويقال أن الناصر قد قرر معه ذلك، وهو والد زوجة جرباش الكريمي قاشق، انظر: المرجع السابق، مج. ٦: ١٩٦.

(٧) المرجع السابق، مج. ١٢: ٤١.

وقد دفن فيها أيضًا ولدها محمد بن جقمق المذكور، قال السخاوي في ترجمته: «مات في يوم الإثنين ثالث عشر ربيع الآخر سنة (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م) ولم يكمل عشرة أشهر، فصلى عليه أبوه بالقلعة ثم شيعه الأعيان من الأمراء وغيرهم، إلى أن دفن بالبرقوقية بين القصرين لكون أمه خوند ابنة أمير سلاح جرباش الكريمي التي أمها ابنة قانباي قريب الظاهر برقوق»[١].

ولعل هذا من الأسباب التي حملت الظاهر جقمق على تجديد منبر هذه المدرسة الذي لا يزال إلى اليوم يحمل اسمه عليه.

ودفن فيها أيضًا أولاد السلطان الظاهر برقوق بعد نقلهم من قبورهم الأولى، وإلى ذلك يشير الحافظ ابن حجر في الإنباء بقوله: «ونقل السلطان أولاده ووالده من الأماكن التي دفنوا بها إلى القبة التي أنشأها»[٢].

تجديد المسجد

لم يطرأ على هذا المسجد تجديدات كثيرة لمتانته، وأهم ما جدد فيه المنبر الذي أمر بصنعه الملك الظاهر أبو سعيد جقمق في سنة (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م)[٣]، ثم العمارة الأخيرة التي قام بها ديوان الأوقاف في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني بين سنتي (١٣١٠ و١٣١٤هـ/ ١٨٩٢ و١٨٩٦م)، وقد تناولت معظم ما وهن من مفرداته وجددت النافورة بقبتها، وأحدثت به دورة مياه حديثة ونظمت أرضيته إلى غير ذلك، وفي سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) أجريت أعمال تقوية فيما وهن من جدران الوجهة العمومية.

(١) المرجع السابق، مج. ٧: ٢١٢.

(٢) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ٣١٤.

(٣) السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٣: ٧٣.

المذكرات التاريخية

القبة

البسملة... أمر بإنشاء هذه القبة المباركة والمدفن المبارك والمدرسة المباركة والخانقاه مولانا السلطان المالك الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق العالم العادل المجاهد المرابط المؤيد الغازي الحاكم بأمر الله والتالي لكتاب الله سلطان الإسلام والمسلمين نصر الغزاة والمجاهدين حامي حوزة الدين ذخر الأنام والمساكين صاحب الصدقات والمعروف المغيث لكل مظلوم وملهوف أدام الله أيامه وأعز أحكامه وختم بالصالحات أعماله يارب العالمين وكان الفراغ في مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وسبعمائة

المنبر في ثلاثة أماكن منه

أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك السلطان المالك الملك الظاهر «محمد أبو سعيد جقمق عز نصره»

القبة

أمر بإنشاء هذه القبة المباركة من فضل الله تعالى مولانا السلطان الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق عز الله نصره، وذلك بتاريخ مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وسبعمائة

طراز بالواجهة

التعوذ، البسملة، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة والخانقاه مولانا السلطان الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق سلطان

الإسلام والمسلمين نصرة الغزاة والمجاهدين حامي حوزة الدين ذخر الأنام والمساكين كنز الطالبين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية عز الله نصره وذلك بمباشرة العبد الفقير إلى الله تعالى المقر السيفي جركس الخليلي أمير أخور الملك الظاهر أبوسعيد برقوق أدام الله أيامه بمحمد وآله يارب العالمين وكان الفراغ في مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وسبعمائة.

طراز بأعلى الصحن:

البسملة... آية الكرسي وخواتيم البقرة إلى المصير صدق الله العظيم ورسوله الكريم. وكان الفراغ في مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وسبعمائة

إزار بقبة النافورة من الداخل، ثم آخر من الخارج: وكلاهما مما حدث في العمارة الأخيرة بخط الأستاذ يوسف أحمد مفتش الآثار الأسبق

البسملة... يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى إلى غفور. جددت هذه البركة في عصر الخديو الأعظم عباس حلمي الثاني الأفخم بمباشرة لجنة حفظ الآثار العربية عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف هجرية (رقمه يوسف أحمد).
البسملة... آية الكرسي... أمر بإنشاء هذه القبة المباركة من فضل الله تعالى سيدنا ومولانا الخديوي الأعظم عباس حلمي الثاني أدام الله أيامه في سنة ألف وثلاثمائة وعشر هجرية.

منشئ المسجد

الملك الظاهر برقوق منشئ هذا الأثر؛ هو أحد ملوك مصر المبرزين، كان اسمه قبل أن يظهر بالإمارة والملك (ألطون بغا بن أنص)، وقد استطاع هذا الملك بحذقه وجده أن يؤسس دولة له ولأولاده امتدت حقبة طويلة، كانت في خلالها موفقة بعض التوفيق، ولم يستقم له الملك وتنتظم له الأمور إلا في المرة الثانية، بعد أن تمكن من قتل آخر ملوك الدولة القلاوونية وإخماد ثورة الخليفة العباسي، ويوصف بالشجاعة والنصرة، وفي عصر هذا الملك تبودلت معاهدات الصداقة بينه وبين السلطان بايزيد الأول سلطان تركيا وعقد محالفات صداقة مع دول أوروبا، وتحالف مع سلطان بغداد إذ ذاك السلطان أحمد بن أويس، وتزوج ابنة أخيه الملكة تندر ملكة الجزيرة وتستر، واشترك كلاهما في محاربة الطاغية تيمور لنك الذي أغار على الشام والعراق، واحتل الأناضول وملك مدينة بورصا عاصمة بلاد الروم، وزحف إلى ديار بكر وماردين وبلاد أرمينيا واجتاز القوقاز، واحتل قسمًا كبيرًا من روسيا السوفياتية ودخل موسكو، وغزا الهند والسند واحتل دلهي وعاث في البلاد فسادًا، وكاد أن يصل إلى الصين لولا أنه مات قبل تجريد الحملة عليها في شعبان سنة (٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م).

وقد رام تيمور لنك أن يتحالف مع الملك الظاهر برقوق ويعقد معه معاهدة صداقة ويشركه معه في اجتياح العالم وشن الغارة عليه، فأبى ملك مصر الإذعان إليه، وجرد حملة لرده عن مصر، وكان قد أوقف القتال بعد هزيمته من روسيا ورام استئنافه في الوقت المناسب، فلم يمهل حتى مات غير مأسوف عليه، وكفى الله البلاد والعباد شره وعتوه، وقد ساعد الحظ الملك الظاهر برقوق ففتحت له بغداد وخطب له فيها، وفي الديار الشامية وضربت السكة باسمه في القطرين.

وكانت الحالة الاجتماعية في مصر في عصره منتظمة، كما كانت الفضيلة ناشرة أجنحتها على المملكة المصرية؛

وذلـك من مبلغ حرصـه وحرص أمرائـه ووزرائه ورجال حكومته عامـة على المحافظـة على الآداب العامة بصورة عملية، وما برح كذلك حتى مات في سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)، ودفن بتربته بالقرافة وخلفـه ولي عهده ابنه الناصر فرج، وتعتبر دولته هي السادسة من الدول الإسلامية في مصر التي توارثت الملك خلفًا عن سلف.

ترجمـه المقريـزي والسـخاوي والعيـني والفاسي وغيرهم[1]، وهو جركسي الأصل، وقد أفرده بالترجمة الأمير إبراهيم بن محمد بن أيدمر بن دقماق الناصري المتوفى سنة (٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)، فأفاد أنه كان في ملك رجل لتجار المماليك يـدعى عثمان فحضر به إلى القاهـرة وباعه للأمير يلبغا، فلبث حقبة وسرعان ما ظهر وعلا نجمه وبلغ مكانًا سـاميًا فلما أتاه الله الملك واسـتأمن جانبه أخذ يقرب الشـعب المصري إليـه ويحببه فيه بصورة مبـاشرة، فعمد إلى إلغاء الضرائب المخلة بـالآداب، مثل: ضريبة الملاهي التي كانت تأخذها الحكومات السـابقة من طائفة المغنيين والمغنيات لقاء احترافهـم هذه المهنة، ثم أبطل بعض الضرائب الزائدة عن الحاجة أو الضارة بالأهـالي ضررًا بليغًا، وخفف بعض الضرائب الأخرى مثل: الضريبـة على المحاصيل والدريس والحلفا والعلف والمون وبعض المـواد الغذائية والدواجن، ورسـم بإذاعة منشـور تخفيف هذه الضريبة بين الأهالي وقراءتـه في المعابد والمعابـر وفي الطرقـات، وكتابته على عضادة باب النصر الغربية حيث كان يجلس الأمير سودون النائب مأمور الضرائب، لمبـاشرة تجار المحاصيل والجمالة بسوق الدريس المعروف الآن بشارع نجم الدين خارج باب النصر، وقد عمد إلى ذلك ليتمكن الشعب المصري بأجمعه من شهود المنشورات والاطلاع عليها بصورة واضحة، انظر مذكرات باب النصر التاريخية وكتاباته[2].

آثار الملك الظاهر برقوق بمصر والشام والحجاز

لم يـترك الملك الظاهر أثرًا آخر أهـم من هذا الأثر، خلا تربته المعروفة بالبرقوقية وقد اشترك معه في بنائها ابن عمـه الأمير قجماس، بيد أنها لم تكمل فأتمها ولده الملك الناصر فرج، ولذلك نسبت إليه عند فريق من المؤرخين.

وقد بقي لدينـا من آثاره الأولى التي أنشـأها قبل أن يتولى الملك- زاوية الشـيخ رجب الحيدري- أحد شـيوخ الطريقة الحيدرية، الواقعة بشارع الباب الجديد داخل باب الوزير على مقربة من أرض الصوة [انظر الخانقاه الحيدرية].

وفي سـنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م) بنى للشيخ علي بن عبد الله الرومي الفيومي مسجدًا وتربة بالفيوم، وكان هذا الشيخ قد قدم إلى القاهرة في سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)، وبرقوق إذ ذاك أتابكًا للعسكر، فاجتمع به وبشره بالسلطنة وحدد له التاريخ الذي يعتلي فيه أريكة عرش مصر، فلما تم له ذلك، وصدقت نبوءة الشيخ بنى له هذا المسـجد في التاريخ المذكور مكافأة له على بشارته، ولا يزال هذا المسجد قائمًا بمدينة الفيوم حتى اليوم.

(١) عن سيرة الملك الظاهر برقوق، انظر: المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ٤٧٦-٦١٩، ٧٠٤-٩٤٧؛ المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٧٨٠-٧٨١؛ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **ذيل الدرر الكامنة**، تحقيق عدنان درويش (القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم؛ معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٢): ٦٩؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٢: ٦٦-٦٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١١: ٢٢١-٣١٨؛ مج. ١٢: ١-١٦٧؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ٢٨٥-٣٤٢؛ السخاوي: **الضوء اللامع**، مج. ٣: ١١-١٢.

(٢) Van *Berchem, Matériaux pour un Corpus*: 59.

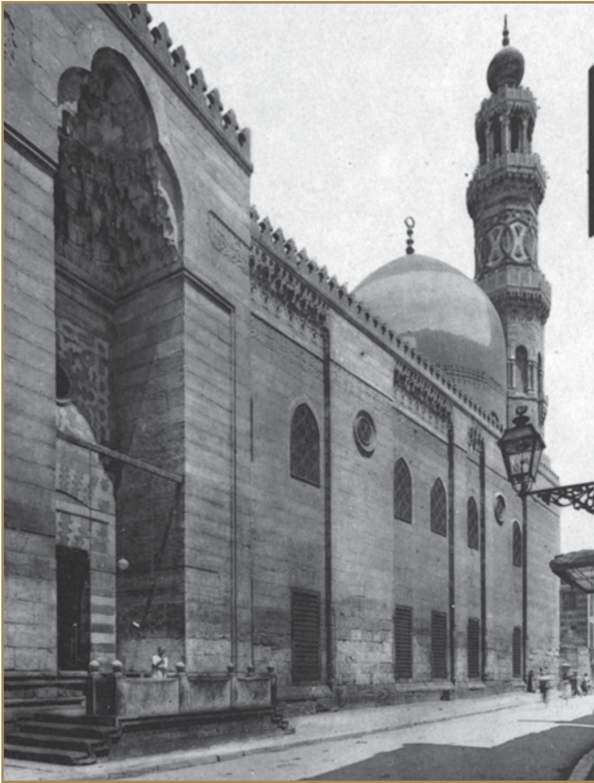
وأنشأ في سـنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٨م) جامعًا على قبر الست نصرة بشارع الست نصرة بخط باب اللوق، ولا يزال من هذا المسجد بقية حتى اليوم [انظر هذا المسجد][1].

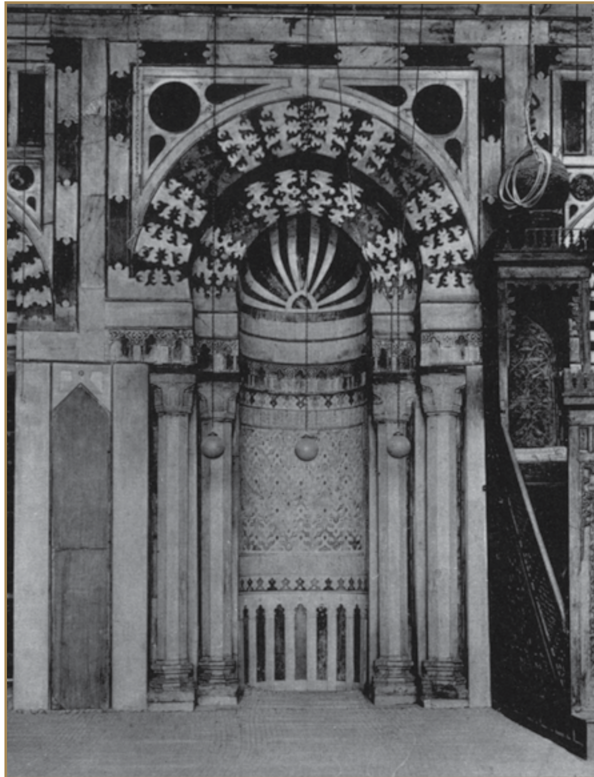
وأنشـأ في سـنة (٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م) زاوية للشـيخ علي المغربل أحـد علماء عصره بدرب الـزراق المجاور لدرب الجاكي من شارع الخليج المصري.

وبنى في سـنة (٧٩٤هـ/ ١٣٩١م) زاوية للشـيخ محمد الرجراجي أحـد علمـاء المالكية المغاربـة، وجدد جامع مظفر الدين بن الفلك العادلي المعروف بالشيخ شرف الدين الكردي بالحسينية.

كما أنشـأ في سـنة (٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م) للشيخ حسين عبد الله الخلاطي اللازوردي المولود سـنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) [المتوفى سـنة (٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م)] زاويـة خارج باب النصر بشـارع نجم الدين، ووضع في سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) مشروع لتجديد ربـاط الآثار النبوية المعروف بمسـجد أثر النبي بالفسطاط، مات قبل تنفيذه، فنفذه ولده الملك الناصر فرج [انظر هذا المسجد]. وجدد جامع الأمير بهاء الدين أرسلان المنصوري، وهو الجامع المتخرب المعروف بالحاج أحمد كمال التاجر بشارع الحسينية.

وفي سـنة (٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م) رسـم إلى المقر الناصري محمد بن السيفي بهادر الظاهري- نائب السلطنة بالقدس- بتجديـد دكة التأذين بمسـجد الصخرة، كمـا عهد إليه بتجديد بعض الأماكن في الحرمين الشريفين[2].

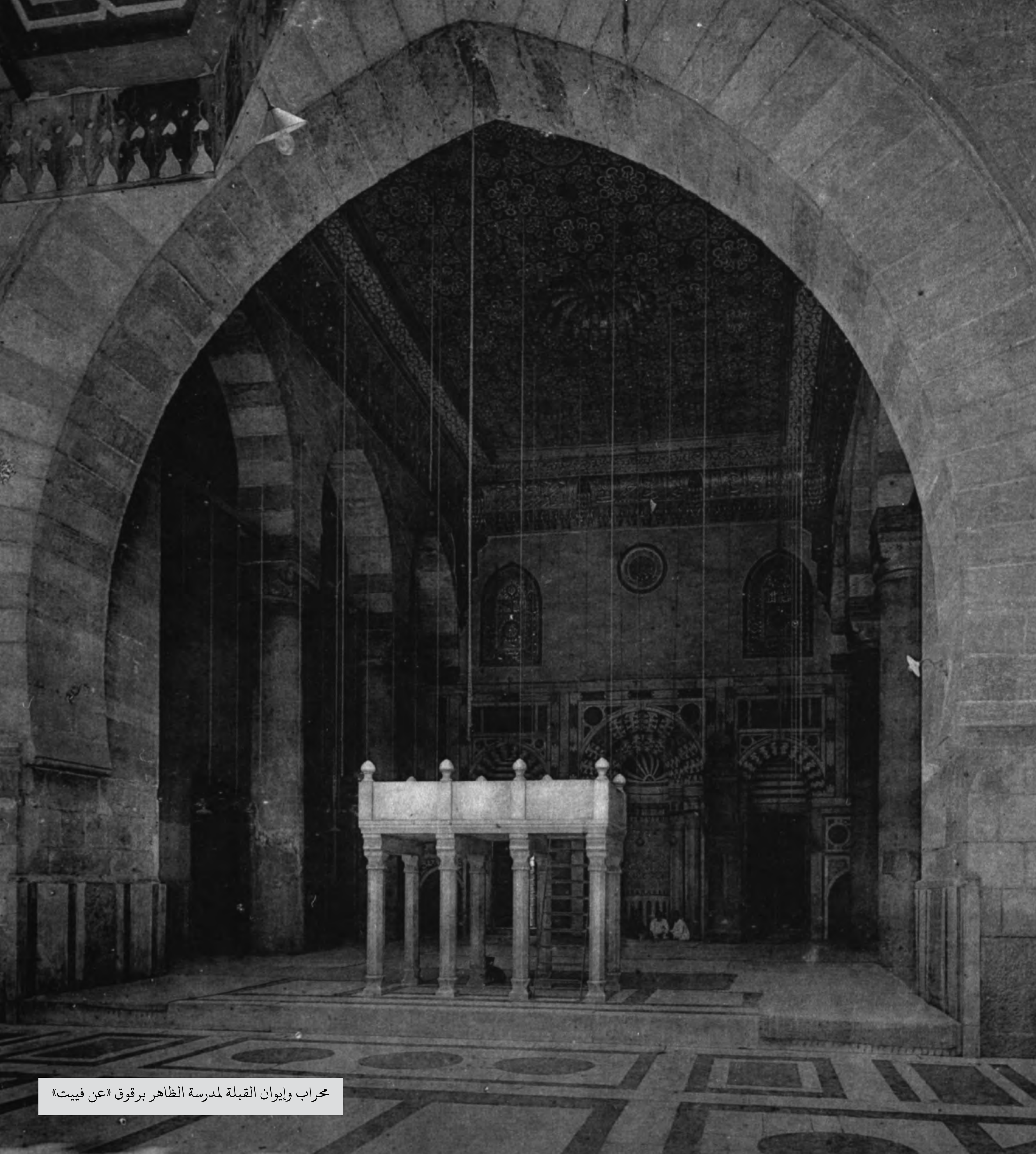




واجهة ومحراب وإيوان القبلة لمدرسة الظاهر برقوق «عن فييت»

(١) شارع نصرة يسمى الآن شارع علي عبد اللطيف وليس به مساجد.

(٢) عن أعمال السلطان الملك الظاهر برقوق المعمارية، انظر: ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ٥٣٣.



محراب وإيوان القبلة لمدرسة الظاهر برقوق «عن فييت»

مسجد ابن الغنام (المدرسة الغنامية)

قاعة أثرية رقم ٩٦ (سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م)

هذا المسجد بحارة كتامة بالدويدارية رقم ١٢ في الجنوب الشرقي لزيادة الأزهر، أنشأه الوزير الصاحب كريم الدين شاكر بن الصاحب أمين الدين عبد الله الغنام- وزير المملكة المصرية في العهد الأشرفي القلاووني وما بعده- برسم مدرسة لإقراء الحديث وتربة لدفنه، وقد كان في الأصل قاعة له أنشأها في سنة (٧٩٤هـ/ ١٣٩١م)، ثم بدا له تحويلها إلى مدرسة، والمؤكد أنها حولت قبل سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م) ببضع سنوات كما ظهر من كلام المؤرخين.

وهذه المدرسة بالرغم من أن المقريزي لم يذكرها بصورة واضحة فقد أشار إليها في عدة مواضع من الخطط؛ منها في كلامه على درب القماحين[١]، وهو الشارع المعروف بشارع رقعة القمح الذي يخترق الجزء الشرقي من زيادة الأزهر حتى درب المنصوري المعروف بشارع الغريب[٢]، وهو نفس الخط الذي سماه المقريزي بخط قصر ابن عمار[٣].

وذكرها الحافظ بن حجر في إنباء الغمر، في عبارة هذا نصها «وجعل داره وهي بالقرب من الجامع الأزهر مدرسة»[٤].

وقد ظلت الشعائر والدروس باقية بهذه المدرسة حقبة بعد وفاة منشئها، ثم استخدمت في سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م مصنعًا للتخييش والزركشة لكسوة الكعبة والمقام، وعهد الملك الأشرف قايتباي بإدارة هذا المصنع إلى أبي الفتح محمد بن محمد الأنصاري أحد المبرزين في هذه الصناعة، ومضت على ذلك حتى أوائل القرن العاشر، ثم تحولت إلى

(١) درب القماحين: هذا الدرب بخط قصر ابن عمار من جملة حارة كتامة قريبًا من الحارة الصالحية بالقرب من الحمام المعروف بحمام كراي، قريبًا من مدرسة الصاحب كريم الدين بن الغنام، وفيه دار خوند شقرا وحمام كراي وراء مدرسة بن الغنام، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٣: ٢٨، ١١٩، ٢٤٥.

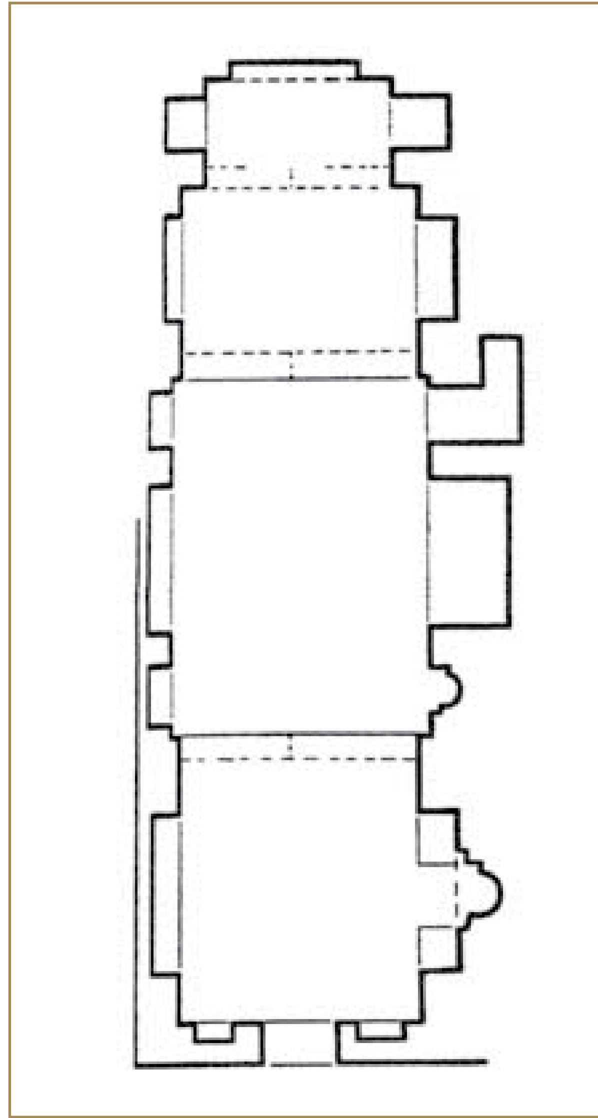
(٢) درب المنصوري: بأول حارة الصالحية تجاه درب أمير حسين، عرف بدرب الجوهري، وهو شهاب الدين أحمد بن منصور الجوهري، ثم عرف بدرب المنصوري وهو الأمير قطلبوغا المنصوري حاجب الحجاب في أيام الملك الأشرف شعبان ابن حسين، انظر: المرجع السابق: ١١٨.

(٣) خط قصر بن عمار: من جملة حارة كتامة، وهو اليوم درب يعرف بالقماحين، وفيه حمام كراي، ودار خوند شقرا، يسلك إليه من خط مدرسة الوزير كريم بن الغنام، ويسلك منه إلى درب المنصوري، انظر: المرجع السابق: ١٠٥.

(٤) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٣: ٢٢٩.



القاعة الرئيسية للمدرسة
الغنامية «عن لجنة حفظ
الآثار العربية»


مسقط أفقي للمدرسة الغنامية «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

زاوية عرفت بالغنامية وبقيت الشعائر قائمة فيها حتى تعطلت، فتخرب معظمها وما بقي منها أعظم مما تخرب، وهي القاعة المشار إليها.

والمدخل إليها من باب مقنطر، تعلوه مئذنة مربعة قصيرة ومنه إلى مساكن[1]، وندخل إلى القاعة من باب بحري، فإيوان يعلوه سقف بسماوات تتدلى منه تواشيح تكسو الزوايا الأربع يقابله إيوان آخر على مثاله، في صدره تربة من الطوب ذات شواهد من الرخام، مرفوعة على منصة ويحيط بها دربوز من الخشب المنجور، وفيها دفن المنشئ.

وبين الإيوانين وصيد مغطى بسقيفة ذات سماوات، وفي نهاية الوصيد إلى جهة الشمال محراب من الحجر يكتنفه ساريتان من الرخام الأحمر، ويحيط بالقاعة من جوانبها الأربعة إفريز دائر تبتدئ كتابته بآيات قرآنية وأذكار ودعوات، ثم تنتهي في الجانب الغربي بمذكرة تاريخية يقرأ فيها العبارة الآتية.

قد أمر بإنشاء هذه القاعة المباركة العبد الفقير إلى الله شاكر بن الغنام غفر الله له بتاريخ بشهور سنة أربع {وتسعين وسبعمائة}

المتأمل في هذه القاعة من الوجهة الفنية يشهد فيها منظرًا رائعًا يبدو فيه جمال الفن الإسلامي في بناء الدور، بشكل يلفت النظر، ويمكن القول: بأن هذه القاعة هي من أجمل ما لدينا من القاعات الأثرية التي ظهرت في هذه العصور.

وإذا أضفنا إليها العدد الموجود لدينا من القاعات الأخرى، مثال قاعة قصر الأمير بشتاك (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)، وقاعة الشريف محب الدين بن الموقع قاضي العسكر (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، وقاعة خشقدم الأحمدي (٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م)، إلى قاعات أخرى، حصلنا من هذا العدد على مجموعة من القاعات الأثرية الجميلة لا نظير لها [انظر جزء الدور]، وقد تجددت هذه القاعة في سنة (١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م) تجديدًا ملائمًا.

(١) أزيلت هذه المساكن من حول هذا الأثر في أعمال إنشاء مباني جامعة الأزهر.


جانب من القاعة بالمدرسة الغنامية «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

المنشئ

اختلف المؤرخون في تسمية منشئ هذا الأثر اختلافًا كبيرًا، فسماه بعضهم عبد الله، والبعض الآخر عبد الكريم، والذي ظهر لنا من البحث الصحيح أن اسـمه شاكر، وكان يلقب بالصاحب كريم الدين بن الغنام، كما كان يلقب أبوه بالصاحب أمين الدين بن الغنام، وأخوه بالصاحب تاج الدين ابن الغنام ويؤخذ مما ذكره ابن حجر في الإنباء، أنه انحدر من أصل مسيحي، فقد أسلم أبوه في سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) على يد المظفر بيبرس الجاشنكير، ونشأ هو مسلمًا، فانخرط في سلك الكتبة، وتقلب في عدة وظائف في حياة الأشرف شعبان بن حسـين بن الملك الناصر محمد، وما برح قائمًا بأعباء هذه الوظيفـة مدة الأشرف والصالح حاجي، ولما ذهبت دولة آل قلاوون وقامت بعدها دولة آل برقوق؛ تركه الظاهر برقوق على وظيفته فبقي شـاغلاً لها حقبة ثـم تقاعد، وقد أدرك عصر الدولة الظاهرية بأكمله، ثم حقبة من الدولة المؤيدية عاصر فيها أول ملوكها الملك المؤيد شـيخ، ومات في شعبان سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)؛ قال ابن حجر: «ودفن بمدرسته»[(١)].

جامع الرحمة

وإلى أبيـه الصاحب أمين الدين عبـد الله بن الغنام مدير دولـة الملك الناصر أحمد- ينسـب جامـع الرحمة المعروف بالخانقـاة الغنامية بخط الزربية «انظر هذا الجامع بشارع حوض اللبن بأرض القصر العالي، جاردن سيتي».

(١) المرجع السابق: ٢٢٨-٢٢٩؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، مج. ٥: ٢١.

جامع إينال الأتابكي

أثر رقم ١١٨ (سنة ٧٩٤-٧٩٥هـ/ ١٣٩١-١٣٩٢م)

هذا الجامع بشارع الخيامية «القماحين سابقًا» أنشأه الأمير سيف الدين إينال اليوسفي أتابك العسكر بالمملكة المصرية في عهد الملك الظاهر برقوق على قطعة أرض محتكرة للطائفة المنصورية، إحدى طوائف العسكر الفاطمية برسم مدرسة ومسجد للصلاة وتربة للدفن.[١]

قال المقريزي في ترجمته: «ابتدأ بعملها في (سنة أربع وتسعين وسبعمائة)، وفرغت في (سنة خمس وتسعين وسبعمائة)»، ويؤخذ مما ذكره أن المنشئ مات قبل أن تتم عمارتها فدفن في مقابر باب النصر، حتى إذا انتهت عمارتها في أول السنة المذكورة نقل إليها، ودفن بالقبر الذي بني له تحت القبة[٢]، وهذا القول يؤيده النص التاريخي.

والمدخل إلى هذا الجامع من باب تعلوه مئذنة متأخرة عن إنشاء الجامع بزهاء ٣٥٠ سنة تقريبًا، وهي من نوع المآذن العثمانية التي وجدت في القرن الحادي عشر وما يليه، ويجاوره مكتب وسبيل وجهته من الخشب المنجور جدد سنة (١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م) - كما وجد مكتوبًا عليه في عبارة هذا نصها:

جدد هذا السبيل المبارك من فضل الله تعالى وجزيل عطائه العميم بمعرفة لجنة حفظ الآثار العربية في عصر خديو مصر الأعظم عباس حلمي الثاني الأفخم أدام الله أيامه بتاريخ عام سبعة وعشر وثلاثمائة وألف

وداخله يشتمل على إيوانين وصحن مغطى يكتنفه أبواب، أحدها يؤدي إلى قبة المنشئ، وهي قبة مضلعة من الجص يتوسطها قبر، دفن فيه المنشئ ثم حفيده أحمد بن علي ابن إينال السيفي نائب الإسكندرية في عهد الظاهر جقمق، [توفي يوم الثلاثاء ٢٧ من ذي القعدة سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)]، قال السخاوي في التبر المسبوك: «دفن بتربة جده الأتابك بمدرسته ظاهر باب زويلة»[٣].

والواجهة العمومية تطل على الشارع العمومي وبأعلاها طراز كتب به ما نصه:

(١) حجة وقف إينال اليوسفي الصادرة في ٢٥ جمادى الآخر سنة (٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م)، ومحفوظة برقم ٥٥، وحجة ابنته الخوند تتر بتاريخ ٢٩ جمادى الأولى سنة (٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، المحفوظة برقم ٦٠، وحجة الشهابي أحمد بن العلاي علي بن إينال الصادرة في ١٥ من ذي الحجة سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، المحفوظة برقم ١٠٧ (المؤلف).

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٣٤-٦٤٧.

(٣) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، تحقيق لبيبة إبراهيم، ونجوى مصطفى، مج. ٣ (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٥): ١٠٥.

البسملة. تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك ويجعل لك قصورا. أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة من فضل الله تعالى المقر الأشرف العالي العالمي العاملي المحترمي المخدومي النظامي أتابك العساكر المنصورة الظاهري المقر السيفي إينال الأتابكي عز نصره بتاريخ سنة خمس وسبعين وسبعمائة

ووجهة باب المسجد محلاة بقطع الحجر الملون، بيد أن الباب خالي عن المقرنص، ويغلق بمصراعين من الخشب المكسو بصفائح النحاس المكفت الخفيف.

ومن أهم ما يلفت النظر في الواجهة الشبابيك الهوائية المفرغة بدائر الخشب المنجور بدلاً من الجص على مثال أثر سابق عن هذا الجامع، وهو جامع ألماس (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م) «انظر هذا الجامع».

سبيل إينال

ويجاور هذا الجامع من الناحية البحرية، سبيل يعلوه مكتب ينسب إنشاؤه إلى الأمير أحمد بن علي بن إينال الظاهري اليوسفي حفيد المنشئ، أنشأه في سنة (٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م) برسم مدرسة جده صدقة جارية على روحه؛ وذلك ما يثبته النص الآتي المكتوب في سطرين باسم إينال المنشئ:

يا عابرا في طرق أهل الوفا انظر إلى الخير وفعل الجميل وانظر إلى إينال من قد بنا لله بالإخلاص هذا السبيل وكان الفراغ من ذلك في شهر الله المحرم سنة ستة وأربعين وثمان مائة.

ترجمة المنشئ

لم نعثر على ترجمة وافية لمنشئ هذا الأثر فيما بين أيدينا من مصادر، ويؤخذ مما ذكره الحافظ بن حجر والمقريزي أنه كان في بادئ أمره مملوكًا، واشتراه الأمير يلبغا من تاجر المنسوب إليه ثم أعتقه فانخرط سلك العسكر، وما برح يتقلب في الوظائف حتى عينه الملك المنصور علي ابن الأشرف شعبان- سلاح دارًا، ثم نائبًا لمدينة حلب، وعلا نجمه بعد ذهاب الدولة القلاوونية فعينه الملك الظاهر برقوق أتابكًا أي: أميرًا كبيرًا للعسكر، وما برح حتى مات في سنة (٧٩٤هـ/ ١٣٩١م)، ودفن بمدرسته بعد تمامها[1].

وقد ترك ذرية تناسل منهم الأمير أحمد وشقيقه الأمير علي أمراء القرن التاسع، ولهما آثار بالقاهرة وظواهرها ولهذا الأثر كتاب وقف صادر في ١٥ من ذي الحجة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، و[مسجل بالحفظ رقم ١٠٧] باسم حفيد المنشئ الأمير أحمد المذكور، وقف ما كان يملكهم على هذا الأثر وعلى المسجد الذي أنشأه ببركة الحج «بالمرج» للشيخ المتبولي العالم الصوفي المعروف المتوفى بأسود وفي عمل فلسطين سنة (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م).

---

(١) سيف الدين إينال اليوسفي السيفي: أحد المماليك اليلبغاوية، استقر أتابك العسكر في دولة الصالح حاجي بن الأشرف، وولي قبل ذلك نيابة طرابلس، ثم نيابة حلب، وفي ولايته على حلب جردت العساكر من مصر والشام وحلب فوطؤوا بلاد التركمان وطردوهم وأوسقوهم نهبًا وفتكًا حتى وصلوا ملطية، ثم رجعوا منصورين غانمين سالمين، توفي سنة (٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م)، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٦٣٣-٦٣٤؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٣: ٧٦٦؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ١: ٤٣٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٢: ١٢٨-١٢٩؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، مج. ٣: ١٨٩-١٩٤؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، مج. ١، ج. ٢: ٢٢٧-٢٢٨، ٤٥٢.

جامع محمود الأستادار (المدرسة المحمودية)

أثر رقم ١١٧ (سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م)

هذا الجامع بشارع الخيامية «الموازينيين سابقًا»، أنشأه الأمير جمال الديـن محمود بن علي الأسـتادار الظاهري في سـنة (٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م)، برسم مدرسة جامعه، قال المقريزي في ترجمتها:»وهذه المدرسـة من أحسن مدارس مصر، و بها خزانـة كتب لا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشـام مثلها؛ وهي باقية إلى اليوم لا يخرج لأحد منها كتاب إلا أن يكون في المدرسة، وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كل فن»[١].

وأفاد الحافـظ ابن حجـر في الدرر- أن هذه الكتب أصلهـا لقاضي قضاة مصر الشـيخ عز الديـن بن جماعة، واشتراها الأمير المذكور من ورثته وأودعها بهذه المدرسة[٢].

والشيخ عز الدين المذكور هو عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سـعد الله بن جماعة الكناني الحموي من كبار قضاة مصر الشافعية؛ توفي بمكة سنة (٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م)، وهو الجد الأعلى للشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي عالم دمشـق وكبير علمائها المتوفى سنة (١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م) (انظر شرح بردة البوصيري له)[٣].

وقد أضيفت إلى هـذه الكتب مكتبـة الحافظ ابن حجر العسـقلاني المتوفى سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، فقد أوصى قبل موته بتحويلها إلى المكتبـة المحمودية كما في الجواهر والدرر، وقـد كانت مكتبة هذه المدرسـة بما جمع فيها من المخطوطات لا تضارعها مكتبـة أخرى، وناهيك بالحافظ ابن حجر ومصنفاته وشـيوخه وعلمه، ويستدل من ذلك، أن مكتبة هذه المدرسـة، كانت هي المكتبة الوحيدة العامة للقاهرة التي جمعت من نوادر الكتب ونفائسها ما لم تجمعه مكتبة أخرى، من درر الكتب في القاهرة لذلك العهد، ومن مكتبة هـذا الجامع المذكورة آنفًا مع جملة مكتبات أخرى، أهمها مكتبة جامع الأمير أزبك من ططخ الأشرفي، أسست دار الكتب المصرية وذخرت مخازنهـا الخطية بمجموع ما كان فيها من كتب الإسلام التي يشير إليها المقريزي[٤].

وصف المسجد

والمدخل إلى هذا من بابه العمومي، وهو باب متناسب يعلوه مقرنـص، وتتحلى وجهته بقطع الحجر الملون، ويغلق بمصراعين من الخشـب المكسو بالنحاس المكفت، ونصل

(١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٩٠-٥٩٤.
(٢) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ٣٢٩.
(٣) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ١: ٣٥٥-٣٥٦.

(٤) انظر رسالة لنا في تاريخ المكتبات والكتب الإسلامية من أقدم عصورها إلى اليوم (المؤلف).

من هذا الباب إلى باب آخر بعد اجتياز طرقة صغيرة، ثم إلى صحن مغطى وإيوانين، في الشرقي منها المحراب والمنبر، وفي الغربي مقعد من الخشب لمقرئ الجمعة، ويكتنف الصحن أبواب تؤدي إلى مساكن لها شرفات تطل على الصحن، ويجاورها جنوبًا باب يؤدي إلى القبة، وهي قبة حجرية من نوع القباب التي ظهرت في القرن التاسع- أكثر من ظهورها في القرن الثامن، مزخرفة من ظاهرها بزخارف هندسية، ويحيط بها طراز قوام زخرفته آيات كريمة يقرأ فيها قوله تعالى ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ [الزمر/ ٧٣].

وباب الجامع العمومي منخفض عن مستوى الشارع، وتعلوه مئذنة من الطوب المجصص تبدو فيها ظاهرة غريبة في استدارتها وانسجامها وانفرادها بهذا الزي الخاص الذي لا يوجد بكثرة، وأما وجهة المسجد فهي وجهة حجرية جميلة تتحلى بطراز يقرأ فيه آيات كريمة من سورة يس، وآخر تجديد حصل بهذا المسجد ينحصر بين سنتي (١٣١٥-١٣٢١هـ/ ١٨٩٧- ١٩٠٣م)، وقد أصلح فيه ما وهن من جدران المسجد، ونظمت أرضيته، وجدد بابه بمصراعيه النحاس المكفت، وأحدثت به دورة مياه[١].

ترجمة المنشئ

ومنشئ هذه المدرسة هو الأمير محمود بن علي بن جمال الدين الأستادار، تعين أستادارًا للأمير سودون سنة (٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) في عهد الملك الظاهر برقوق ثم عينه الملك (مفتشًا- مباشرًا) للدواوين، وما برح يتقلب في الوظائف حتى استقر أستادارًا للسلطان، وقد امتحن كثيرًا بسبب كثرة ماله واستشراف نفوس السلطان والأمراء إليه، حتى كان ذلك سببًا في هلاكه، مات في سجنه في رجب سنة (٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م) ودفن بمدرسته؛ ويصفه المقريزي بأنه كان كثير الصلاة والعبادة، مواظبًا على قيام الليل، كثير المال حريصًا عليه[٢].

(١) هذا الجامع يعرف أيضًا بجامع الكردي، وتم ترميمه أخيرًا بمعرفة هيئة الآثار.

(٢) جمال الدين محمود بن علي بن أصفر عينه الأستادار: توفي في رجب سنة (٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م) بخزانة شمائل، بعدما نكب وعوقب وصودر ودفن بمدرسته خارج باب زويلة المعروفة به، كان في بادئ أمره فقيرًا، ثم خدم عند بعض الأمراء، فصلحت حاله حتى تولى شد الدواوين بالقاهرة، ثم ترقى حتى ولي الأستادارية في دولة الظاهر برقوق الأولى، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف، ونكبه الناصري فرج لما ملك مصر وحبسه، وأعاده الظاهر إلى وظيفة الأستادارية بعد مدة، ثم قبض عليه بوشاية من كاتبه إبراهيم بن غراب، وأجرى عليه العقوبة إلى أن مات، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٩٤-٥٩٨؛ المقريزي، **السلوك**، مج. ٣، ج. ٢: ٨٨٥؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، مج. ٤: ٣٢٩؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٢: ١٥٩-١٦٠.

جامع مقبل الزمام (المدرسة الزمامية)

أثر رقم ١٧٧ (سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م)

هذا الجامع بشارع اللبودية «البندقانيين سابقًا»[١]؛ أنشأه الأمير مقبل بن عبد الله السيفي اليلبغاوي الزمام «حارس قصر السلطان» برسم مدرسة للحنفية والصوفية ومسجد جامع، وتم إنشاؤه في سنة (٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م)، ذكره المقريزي وسماه بالمدرسة الزمامية[٢]، ويبدو أنه كان جامعًا صغيرًا، وبالرغم من ضياع معالم هذا الجامع من داخله فقد بقي منه مدخله كاملاً يحمل مذكرة تاريخية في صورة وقفية، تبين الاشتراطات التي وضعها المنشئ لخدمة هذا الجامع وسدنته وشيخته وطلابه.

والباب الباقي من معالم هذا الأثر؛ باب يعلوه مقرنص وتتحلى وجهته بقطع الرخام الملون، وقد تجدد داخله في أوقات مختلفة أولها سنة (١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م)؛ وفي سنة (١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م) جدده ديوان الأوقاف.

وحدث في سنة (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م) عندما فتح شارع الأزهر الجديد- أن أخذ جزءًا من ميضأة هذا الجامع، فظل بغيرها حتى سنة (١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م)- فشرعت وزارة الأوقاف في صفر/ مارس من هذا التاريخ بإصلاحها وتجديدها[٣].

المذكرات التاريخية

المذكرة الأولى: بجانبي الباب وبعضها مفقود اليوم.

البسملة. إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين.

وكان الفراغ من ذلك في شهر محرم سنة ثمان وتسعين وسبعمائة

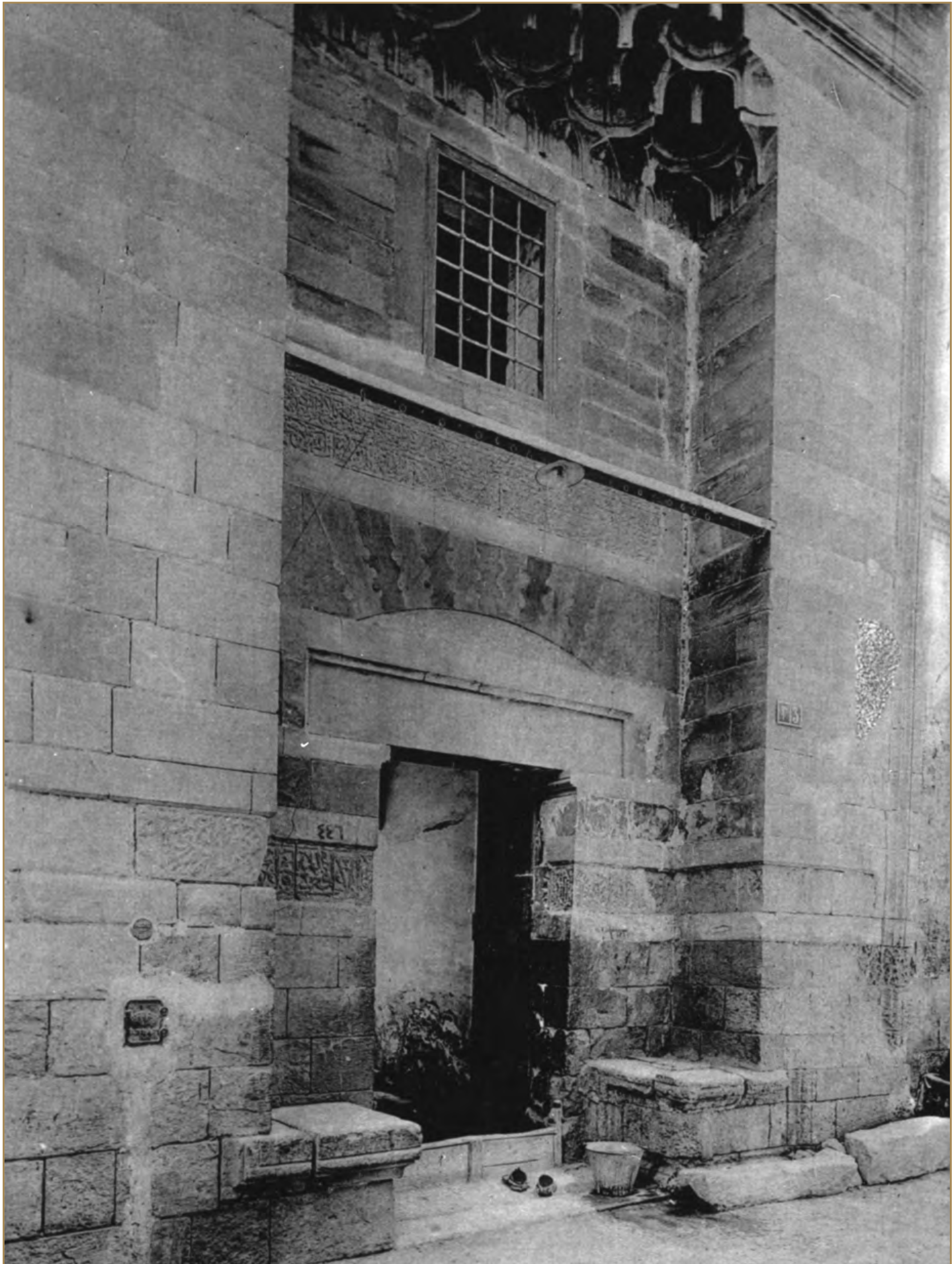
المذكرة الثانية: بأسكفة الباب في ٣ أسطر مستطيلة الشكل بالخط البارز ونص ما فيها:

هذا ما وقف هذه المدرسة المباركة وصيرها مسجد الله عز وجل وجامعا تقام فيه الصلوات وتعقد

(١) سكة اللبودية هي الامتداد الشرقي لشارع السلطان الصاحب الموازي بشارع الزهر وجامع مقبل الداودي بحارة شرف الدين الموصلة بين اللبودية وشارع الأزهر.

(٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٨٤-٥٨٥.

(٣) يشير علي مبارك أن هذه المدرسة قد حل محلها الجامع المعروف بالجامع الغربي الواقع في حارة شرف الدين، على يمين الذاهب من درب سعادة إلى الحمزاوي، وكان يعرف في الأصل بجامع الخصي، حتى تخرب فعمره رجل مغربي يعرف بالحاج مصطفى سنة (١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م)، ويعرف الآن بجامع الداودي، انظر: المرجع السابق؛ مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٥: ٢٧٧.



المدخل الرئيسي للمدرسة الزمامية «عن لجنة حفظ الآثار العربية»

فيه الجمع والجماعات العبد الفقير إلى الله تعالى الجناب الكريم العالي المولوي الأميري المقدمي الشيخي الزيني مقبل بن عبد الله السيفي يلبغا شيخ مشايخ السادة الخدام بالحرم الشريف النبوي على الحال به أفضل الصلاة والرحمة الزمام الملكي الظاهري ضاعف الله تعالى ثوابه ويسر يوم العرض حسابه ومن جملة شروطه في ذلك أن لا ينزل فيه أحد بنخوة ولا بشفاعة أحد من أهل الشوكة ولا يمضي نزول أحد من وظيفته في ذلك بوجه من وجوه الأنصار وإذا نزل أحد عن وظيفته إلا بحج فرض أو تطوع أو متوعك لا يمكنه حضورها معه، ويلزم كل أحد العمل بذلك، وملعون ثم ملعون ثم ملعون من غير ذلك أو نقضه أو أبطله بطريق من الطرق، فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم

ترجمة المنشئ

ومنشئ هذا الأثر هو الأمير سيف الدين السيفي مقبل بن عبد الله الطواشي الظاهري، عينه الناصر فرج بن الظاهر برقوق زمامًا للقصر (أي حارسًا له)، وكان في عصر أبيه معينًا رئيس خدم بالمسجد النبوي على مشرفه أفضل الصلاة والسلام، وما برح حتى مات في أول الحجة من سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م)، ويوصف بالغنى واليسار، وامتلك عدة دور ومنازل بأماكن مختلفة.

وأنشأ هذه المدرسة قبل نقله إلى المدينة في عهد أستاذه الملك الظاهر، وأوقف عليها ما يمتلك من عقار وغيره، ترجمه أبو المحاسن في «المنهل الصافي»، وترجمه السخاوي في «الضوء اللامع»؛ ثم قال في نهاية الترجمة: «وعمر عدة أملاك ودور حبسها على مدرسته التي أنشأها بخط البندقانيين بالقاهرة للجمعة والجماعات، وجعل فيها وظائف وخزانة كتب»[1].

(١) عن سيرة الأمير مقبل الزمام الرومي الطواشي، انظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٤، ج. ٢: ٥٨٤؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ١٣: ١٦٨؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، مج. ٢: ٣٩٤؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، مج. ١١: ٢٦٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، مج. ١٠: ١٦٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، مج. ١، ج. ٢: ٧٨٩.